المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

٠٠١١٨٩ ر
٣٠١٠٢٠٠٠٠٣٣٩٩

أحمد السباعي أديباً

إعداد الطالب /
سعيد علي أحمد الجعيدي

إشراف الدكتور /
عبد الله بن إبراهيم الزهراني

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب
عام ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخّص الرّسالة

هذه الرّسالةُ الموسومةُ بـــ : ((**أحمد السّباعيّ أديباً**)) منسوقةٌ على بابين ؛ مسبوقين بمقدّمةٍ وتمهيدٍ ، ومتلوّين بخاتمةٍ . عرضتُ في مقدّمتها لأسباب اختيار الموضوع ؛ ومن أهمّها : الرّيادة الفنّيّة للسّباعيّ في الأدب العربيّ السّعوديّ التي لم يسلّط عليها الضّوء الكافي ، كما بيّنتُ فيها المنهجَ الذي سارتْ عليه الدّراسةُ في استنطاق النّصوص المدروسةِ مدعّماً ذلك بآراءَ نقديّةٍ تعدّدتْ بتعدُّد محاور الدّراسة اعتماداً على المنهج التّكامليّ في دراسة الأدب ونقده . وفي التّمهيد قدّمتُ نبذةً عن حياة أحمد السّباعيّ مع الوقوف عند دوره الصّحفيّ ومشروعه المسرحيّ ، وتصحيح المتداول خطأً عن حياته . أمّا الباب الأوّل فخُصّ بدراسة مقالات الكاتب ، وجاءَ في فصلين ؛ ضمّنت أوّلهما أنواعَ المقال لديه ، مع العناية بدراسة مقالاته الاجتماعيّة ؛ لتميّز طرحه فيها كمّاً وكيفاً ؛ حيثُ أبنتُ عن الأسس التي قامت عليها. وفي الفصل الثّاني : تحدّثتُ عن الخصائص الموضوعيّة والفنّيّة لأدب المقال ؛ ومنها : الواقعيّةُ ، والأصالةُ والرّيادةُ ، وقوّةُ العاطفةِ ، وتوظيف الكاتب لعناوين كتبه ومقالاته توظيفاً فنّيّاً يدلُّ على موهبته وامتلاكه لأدوات الكتابة الإبداعيّة ، والبناء الفنّيّ لمقاله ، ومصادره ، والتّلوين الأسلوبيّ والبديعيّ والخيال . وفي الباب الثّاني : (السّباعيّ قاصّاً) ؛ سارت الدّراسةُ على خطى الدّراسات السّرديّة الحديثة ؛ من حيثُ دراسةُ الأفكار والمضامين ، والأحداث والصّراع ، والشّخصيّات ، والزّمان والمكان ، والأسلوب ، والتّأثُّر والتّأثير . وجاء في ثلاثة فصولٍ ؛ أوّلها لرواياته ، والثّاني لقصصه القصيرة وضمّنت الثّالثَ سيرته الفنّيّةَ .

أمّا الخاتمة فقد ضمّنتها أبرزَ النّتائج ؛ ومنها أنّ السّباعيَّ الأديبَ موهوبٌ ، وكاتبٌ جيّدٌ ، وقاصٌّ ماهرٌ ، كما كان السّباعيُّ الإنسانُ عصاميّاً ذا فكرٍ ثاقبٍ ونظرٍ بعيدٍ . كما أبانت عن تأثّره وأصالته . وبالجملة فقد أبرزت الدّراسةُ المكانةَ الرّائدةَ له كرائدٍ من روّاد الأدب العربيّ الحديث .

الباحث : **المشرف :** **عميد الكلّيّة :**

سعيد بن عليّ الجعيديّ **د: عبدالله بن إبراهيم الزّهرانيّ** **د : محمّد صالح جمال بكدوي**

المقـــدمة

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

أما بعد :-

فبعد إنهائي لدراسة السنة المنهجية لمرحلة الماجستير سجلت موضوع بحثي الأول بعنوان ((بكاء الشباب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي ، دراسة فنية تحليلية)) ، وبعد أن قضيت فترة في دراسته ، وأثناء جمعي لمادته العلمية تبين لي أنه قد درس دراسة أكاديمية، تمثلت في رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بعنوان ((الشيب والشباب في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي)) ، للباحث د. عبد الرحمن هيبة ...

وبعد وقوفي على تلك الرسالة العلمية، وجدت أنني لن أستطيع أن أضيف شيئا جديدا حول ذلك الموضوع، حيث كانت تلك الرسالة العلمية قد أحاطت بالموضوع من مختلف جوانبه، وعند ذلك قدمت اعتذارا عن دراسته بعد أن بينت لقسم الدراسات العليا الأسباب التي حدت بي إلى الاعتذارعنه فوافق القسم ، ثم بدأت في اختيار موضوع جديد، ولكي اجتنب الوقوع فيما وقعت فيه في بحثي الأول يممت وجهي شطر أدبنا السعودي، ورغبت في دراسة أدب أحد الرواد وكان أمامي أكثر من رائد، وبعد شيء من التأمل وقع اختياري على الأديب (أحمد السباعي) ، وذلك لريادته المتعددة في مختلف الأجناس الأدبية ، (مقالة ، رواية ، وقصة ، وسيرة ذاتية) .

والتي لم يسلط عليها الضوء ، عدا بعض الومضات من هنا وهناك ... ومن ثم كانت هذه الرسالة ،بعنوان (أحمد السباعي أديبا ") و التي اعتمدت على استنطاق النصوص بالدرجة الأولى، وعلى المنهج التكاملي لتدعيم ذلك الاستنطاق وتلك الاستدلالات والأفكار بقدر الإمكان ، محاولة الاستفادة من كل اطروحات المناهج النقدية فيما يتعلق بدراسة النص الأدبي في أجناسه المتعددة : ((مقالة

ورواية وقصة وسيرة ذاتية)) أو فيما يتعلق بالمبدع وعلاقته بإبداعه من جهة وعلاقة الاثنين (المبدع وإبداعه) بالمجتمع من جهة ثانية ..

وعليه كانت مصادري بطبيعة الحال أولا كتب المؤلف المختلفة ومقالاته التي لم تجمع، مما اضطرني إلى العودة إلى بعض الصحف والمجلات، والتي يعود تاريخ صدور بعضها إلى نحو سبعين عاما ، ثم الاستعانة بعدد من المراجع المختلفة والمتعددة لتدعيم كل رأي تطرحه الدراسة، ومما لاشك فيه أنني قد استفدت من بعض الدراسات التي عرضت لأدب الكاتب، إما في مجال المقال أو في مجال الرواية والقصة والسيرة الذاتية . . إلا أنها في مجال المقالة لم تتجاوز إشارات عند أغلب من عرض لدراستها في الأدب السعودي، عدا الدراسة الجادة للأستاذ محمد العوين في كتابه : ((المقالة في الأدب السعودي الحديث)) ، ولكن على الرغم من وقفته عند السباعي باعتباره من كتاب المقالة البارزين في الأدب السعودي، إلا أنه لم يخصه بدراسة منفردة أو مفصلة . كما أنه في الغالب لم يقف إلا عند بعض مقالاته الاجتماعية فحسب .

أما في مجال الرواية والقصة والسيرة الذاتية فيلحظ أنه لم يقف أحد من الدارسين عند روايات الكاتب أو قصصه أو سيرته الذاتية، ليدرسها دراسة شاملة ومتكاملة ، عدا تلك الدراسات الجزئية التي قام بها (د. منصور الحازمي) في كتابه (فن القصة) وتمثلت في إشارات سريعة حول بعض روايات وقصص الكاتب ، إضافة إلى دراسته الموجزة التي بعنوان : ((البيئة المحلية في قصص أحمد السباعي)) .

ويلحظ أن جميع الدراسات التي جاءت بعد ذلك في هذا الباب تنقل عن دراسات د.الحازمي، ولا أنكر أنني استفدت في دراستي هذه مما طرحه د. الحازمي ، ولكنني إن وافقته في شيء فقد اختلفت معه في أشياء، حيث استطعت أن أصل بعض المحاور التي ألمح إليها دون تعمق أو شرح ، وخرجت في الوقت نفسه بنتائج جديدة ، كما صححت ما يبدو لي أنه يحتاج إلى تصحيح في كل المجالات ((مقالة ، رواية ، قصة قصيرة ، سيرة ذاتية)) .

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أجعلها في تمهيد وبابين مسبوقة بمقدمة ومتلوة بخاتمة

التمهيد : ((حياته ونشأته))

وعرضت فيه لنسبه ومولده وتعليمه وحياته الأسرية ، ومؤلفاته ، وأعماله المختلفة ، والجوائز التي حصل عليها . ثم لوفاته ... وكل ذلك بإيجاز اعتماداً على ما سيرد في فصول البحث اللاحقة من نقاط تكشف كثيراً من شؤون حياة الكاتب لا سيما في الفصل الأخير من هذا البحث .

الباب الأول: ((المقالة دراسة موضوعية فنية)) . ويقع في فصلين :

الفصل الأول : (المقالة وأنواعها في أدبه) وشمل مباحث متعددة وهي :

المقالة الوصفية ، المقالة السياسية ، المقالة الاجتماعية ، المقالة التاريخية ، المقالة الدينية . وقد انصب اهتمامي بالدرجة الأولى هنا على المقالة الاجتماعية ، إذ أهملت ولم تلق العناية الكافية، مع براعة الكاتب في هذا الجانب وريادته لكثير من القضايا التي طرحها في هذا الباب، كما سيجلوها لنا هذا البحث .

الفصل الثاني : ((الخصائص الموضوعية والفنية)) وعرضت في هذا الفصل لدراسة مقالات الكاتب من حيث خصائصها الموضوعية والفنية ولذا تعددت مباحث هذا الفصل .

الباب الثاني : (السباعي قاصا)

ويقع في ثلاثة فصول

الفصل الأول : ((الرواية دراسة موضوعية فنية)) .

وخصصت هذا الفصل لدراسة روايات الكاتب دراسة شاملة، بحيث درست كل رواية من رواياته منفردة، مركزاً على المضامين والأفكار والمنهج والبناء الفني والأسلوب .

الفصل الثاني : ((القصة القصيرة دراسة موضوعية فنية))

أفردت هذا الفصل لدراسة قصص الكاتب القصيرة، من حيث مضامينها وبنائها الفني .

الفصل الثالث : ((السيرة الذاتية دراسة موضوعية فنية)) .

أفردت هذا الفصل لدراسة السيرة الذاتية الفنية التي كتبها السباعي لنفسه تحت عنوان (أيامي)، ولقد خصيت هذا الفصل بمزيد عناية، لما تبدّا لي من ثراء فني شملته هذه السيرة وأهمله الدارسون أو لم يفطنوا له .. ولهذا تعددت المباحث في هذا الفصل . فشملت :تعريفا للسيرة الذاتية،وريادة الكاتب لهذا الفن في الأدب السعودي ،ومسمى سيرته ،وطبعاتها ،وموضوعاتها ،وبناءها الفني ،وأسلوبها

الخاتمة :

أوجزت فيها ما عرضته في هذه المقدمة، إضافة إلى أبرز النتائج التي توصل إليها البحث .

وقد عرضت لي بعض الصعوبات من أبرزها :-

سعة الموضوع وتعدد محاوره، وصعوبة الحصول على المادة العلمية ، ومن ذلك مؤلفات الكاتب التي ظهرت في فترة متقدمة، ولم تعاد طباعتها ككتابيه (سلم القراءة) و (فلسفة الجن) ٠

هذا بخلاف مقالاته التي لم تجمع من الصحف والمجلات، مما اضطرني إلى مسح كثير منها مسحاً شاملاً، إذ لم يكن يوجد لها كشافات أو ببليوجرافيات تعينني على الوقوف على مقالات الكاتب، وهذا ما أجبرني على قراءة أعدادها كاملة كصحيفة صوت الحجاز من عام (١٣٥١هـ - ١٣٦٠هـ)، وصحيفة البلاد السعودية من عام (١٣٦١هـ - ١٣٧٥هـ) وصحيفة الندوة قبل أن تندمج مع صحيفة حراء .

ومجلة قريش على مدى خمسة أعوام(من عام ١٣٧٩هـ - ١٣٨٣هـ)، ولذا رأيت أن أزود البحث بملحق اشتمل على أبرز تلك المقالات التي لم تجمع، هذا عدا تتبعي لكثير من اللقاءات الصحفية التي أجريت مع الكاتب . .

وبعد : -

فقد بذلت قصارى جهدي لإخراج هذا البحث في أتم صورة ، وأخلصت فيه لله النية والقصد ، ولست أزعم أنني وصلت به إلى مرتبة الكمال .. ولكنها محاولة ، إن أصابها التوفيق فبفضل من الله وإن كانت الأخرى فمن نفسي وقصوري .

وختاماً :

أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث ، وأتوجه بخالص شكري إلى وزارة المعارف التي أتاحت لي مواصلة دراستي العليا وإلى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ممثلة في عميدها ورئيس قسم الدراسات العليا فيها .

ولا أظنني قادراً (في النهاية) أن أوفي أستاذي الفاضل سعادة الدكتور عبد الله ابن إبراهيم الزهراني حقه عن كل ما مقدمه للبحث ولصاحبه من علم واع ، وأستاذية كريمة حقة وإنسانية فياضة ، وصدر رحب ، وتفهم كبير لوضعي ولظروفي ، إلا الدعاء الصادق له بأن يجزيه الله عني وعن طلبته خير الجزاء ، وأن يسدد خطاه ، وأن يتم عليه الصحة والعافية والسعادة وأن يثبته في الدنيا والآخرة . إنه سميع مجيب الدعاء ،كما أشكر كل من قدم لي مساعدة لاتمام هذا البحث ، والحمد والفضل لله من قبل ومن بعد ، أسأله التوفيق والسداد ،إنه ولي ذلك والقادر عليه ..

تمهيد

حياته [1]

اسمه ونسبه :-

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح السباعي [2] .

وعند سؤال الكاتب عن اسمه (السباعي) هل هو لقب أم انتساب إلى قبيلة أجاب بقوله :- " السباعيون في مراكش هم أفراد قبيلة بخلاف قبيلة (سبيع) في تربة ، فالسباعيون في المغرب قبيلة تسكن الخيام جنوب مراكش وقد توزع أفرادها في تونس والمغرب والجزائر ومصر وموريتانيا وحلب وحمص ، وهم يدعون أنهم أشراف ... ولكن ما أخبرني به الشيخ عمر بن حمدان هو أن الشيخ الكتاني وكان رجلاً نساباً قد درس تاريخ السباعيين ، وانتهى إلى أنهم غير هاشميين وإن كانوا قرشيين والله أعلم " [3]. ويلحظ أن نسب الكاتب قد يأتي في بعض مؤلفاته معرفاً بآل : (السباعي) وفي البعض الآخر يأتي مجرداً منها (سباعي) .

مولده :

ولد الكاتب في حارة الشامية بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ الموافق ١٩٠٥م ، كما أكد ذلك الكاتب في أكثر من لقاء [4] .

أسرته :-

والد الكاتب هو محمد السباعي ، كان رجلاً أمياً عمل بمهنة الطوافة ... توفي وعمر كاتبنا آنذاك لا يتجاوز الرابعة عشرة [١٤] .

---

(١) بما أن للكاتب سيرة ذاتية فنية بعنوان (أيامي) وسنتاولها بالدراسة في فصل خاص من هذا البحث فإنني سأقتصر هنا على الحديث عن الأمور التي لم تعرض لها تلك السيرة فيما يتعلق بحياة الكاتب وشؤونه الخاصة.

(٢) أسامة السباعي وزهير السباعي : الجوانب الأخرى من حياة الأديب أحمد السباعي محاضرة مسجلة صوتياً ألقياها في نادي مكة الثقافي الأدبي بتاريخ ١٦/ ٥/ ١٤٠٥هـ .وانظر محمد عبد المقصود وعبدالله بلخير : وحي الصحراء ،صفحة من الأدب العصري في الحجاز، تهامة ، جدة ، ط ٢ ، ص ٩١ .

وانظر : الموسوعة العربية العالمية ، مادة السين (السباعي) مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٢ / ١٠٥ – ١٠٦ . وعبد السلام الساسي : الموسوعة الأدبية ،دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية ، دار قريش ، مكة المكرمة ، ١/ ١٣٦ .

(٣) عن مجلة (العرب) الربيعان ١٤٠٤هـ ، جـ ٩، ١٠ / ٧٣٨ ، ٧٣٩ .

وانظر اللقاء الذي أجرى مع الكاتب : مجلة الفيصل ، ع (٤١) ، ربيع أول ١٤٠٤هـ ، ص ٥٧ .

وقد أكد لي هذا النسب المذكور أعلاه ، ابن أخت الكاتب السيد (محمد سعيد حلبي) في لقاء أجريته معه بمنزله في مكة المكرمة يوم الأحد ٢٣ / ١٠ / ١٤١٧هـ الساعة ٥, ١١ ظهراً .

(٤) انظر مثلاً اللقاء الذي أجري معه تحت عنوان (أحمد السباعي في يوم الإجازة) حوار أيمن حبيب ، جريدة عكاظ ، ع (٥٧٣٥) ، الخميس ١٧ / ٤ / ١٤٠٢هـ ، ص ٨ .

ووالدته أسمها (جواهر) كما ورد ذلك في كتابه (أيامي) على الحقيقة وكانت امرأة أمية[١].

وللكاتب أخت غير شقيقة وأسمها (مزينة) توفيت في حياته [٢] ،وله شقيق واحد اسمه (محمود) أصغر منه توفي أيضاً في حياة الكاتب (بالرئة) [٣]

زواجه وأبناؤه :-

تزوج الكاتب أربع زوجات وكان له من كل زوجة ابن واحد [٤] . زوجته الأولى توفيت في حياته وأنجب منها ابنته الكبرى (آسيا) . ثم تزوج زوجته الثانية وكانت قريبة له أنجبت له ابنته الثانية (عائشة)، ثم بعد فترة من زواجه بها طلقها (بسبب خلاف نشب بين الزوجة ووالدة الكاتب) . ثم تزوج زوجته الثالثة ، وأنجب منها ابنه الأكبر أسامه [٥] ثم طلقها وعمر (أسامة) عام واحد .

ثم تزوج زوجته الرابعة التي أنجب منها ابنه الثاني (زهير) [٦] وبقيت هذه الأخيرة على ذمته حتى وافاه الأجل .

---

(١) أكد لي ذلك ابنه الدكتور زهير في لقاء أجريته معه بفندق قصر الباحة ، يوم الأربعاء ، ٢٤ / ٦ / ١٤١٩هـ الساعة ٥, ٨ صباحاً .

وانظر مزيداً من المعلومات عن والده ووالدته في الفصل الخاص بالسيرة الذاتية من هذا البحث ، ص :٣٦٤، ٣٩٣-٣٩٥، ٤٠١-٤٠٢

(٢) (٣) من لقاء د. زهير السباعي ، السابق ذكره .

(٤) انظر ، محاضرة الجوانب الأخرى من حياة الأديب أحمد السباعي ، مصدر سابق ، مجلة العرب ، الربيعان ، ١٤٠٤هـ ، مرجع سابق ، ص ٨٥٩ .

واللقاء الذي أجريته مع ابن أخت الكاتب المشار إليه سابقاً .

(٥) ولد في عام ١٣٥٩هـ ، بمكة المكرمة ، يحمل ماجستيرا " في الصحافة من جامعة ميتشجان الأمريكية ، عمل في عدة مناصب منها :- محاضر بقسم الصحافة والإعلام جامعة الملك سعود ، ثم تولي رئاسة تحريو مجلة اقرأ فترة من الزمن ، وفي عام ١٤١٣هـ عين رئيساً لتحرير جريدة المدينة إلى عام ١٤١٩هـ ، دليل الكتاب والكاتبات ، إعداد خالد اليوسف . الجمعية العربية السعودية،الريا ض،ط ،٣،١٤١٥ه،١٩٩٥م،ص١٣٤

(٦) حصل على درجة الدكتوراه في الصحة العامة من الولايات المتحدة ، تقلد عدداً من المناصب منها ، مديراً للتخطيط والبرامج والميزانية بوزارة الصحة ، عميدا " لكلية الطب بأبها ، وأستاذاً ورئيس قسم طب الأسرة والمجتمع بكلية الطب جامعة الملك فيصل بالدمام ، ويعمل الآن إضافة إلى منصبه الأخير عضواً بمجلس الشورى ، من أعماله المطبوعة ، صحة الأسرة ، دور المجتمع في الخدمات الطبية .

انظر : أحمد سعيد بن سلم ، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، رقم (٧٧) ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م ، ٢/ ٣٢ - ٣٣

تعليمه : -

كان تعليماً بسيطاً حيث التحق الكاتب بعدد من الكتاتيب منها كتاب (زقاق الشيش) كما ذكر ذلك في سيرته الذاتية [١] . ثم التحق بالمدرسة الهاشمية في عهد الشريف الحسين بن علي وبعد أن أتم بها حفظ القرآن الكريم انتقل إلى المدرسة الراقية في جبل هندي ، يقول الكاتب : " وما كدت أواصل التعليم فيها نحو سنتين ، حتى توفي والدي فاضطررت لترك الدراسة ، وشرعت أبحث عن عمل ... " [٢]

ومن الأخطاء المتداولة حول حياة الكاتب هو أنه قد التحق بمدرسة " الأقباط بالإسكندرية لمدة عامين " نتج هذا الخطأ كما يذكر ابنه عند ترجمة حياته لأول مرة في كتاب " وحي الصحراء " [٣]

حياته العملية :

عندما ترك الدراسة على أثر وفاة والده ، مارس التجارة وبعض الأعمال اليدوية لكي يعيل أسرته : " أمه وأخته وأخيه " .

يقول في هذا :-

" عملت أول الأمر في (الحلقة) أبيع وأشتري في الخضار والفواكه ثم تركتها ، وفتحت دكاناً صغيراً أبيع فيه السكر والشاي . . . ومن قبل أن أفتح الدكان قمت بعدة أعمال متواضعة جداً ... "[٤] .

ثم عمل بعد ذلك مدرساً لتحفيظ القرآن الكريم في عهد الشريف الحسين بن علي ، وعرض لذلك في سيرته الذاتية [٥] وبقي في هذا العمل فترة من الزمن وعين لاحقاً مديراً لمدرسة (دار الفائزين) [٦]

---

(١) محاضرة الجوانب الأخرى من حياة الأديب السباعي ، مصدر سابق ،
وانظر تفصيل هذا في دراستنا لسيرته الذاتية ، في هذا البحث ، ص : ٣٧٤ ، ٣٧٨

(٢) كتاب الاثنينية ، عبد المقصود خوجه ، جدة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ٢/ ٣٠٣ .

(٣) من مكالمة هاتفية مع ابنه (أسامه) تمت يوم الاثنين الموافق ١٥ / ١١/ ١٤١٧هـ ، الساعة ٥, ١١ مساء وذكر لي بأنه تناقش مع والده حول هذا الخطأ الوارد في ترجمته والذي تناقله ــ إعتمادا على كتاب وحي الصحراء ــ كثير ممن ترجم لحياته وقال الكاتب ــ كما يذكر ابنه ــ إنه كان بوده لو كتب مقالا يبين فيه للقراء ذلك الخطأ ولكنه عد ذلك أمرا غير لائق خصوصا وأنه قد مر عليه فترة زمنية طويلة، حيث ظهر كتاب وحي الصحراء (السابق ذكره) في طبعته الأولى قريبا من عام ١٣٥٥هـ .

(٤) لقاء أجري معه في مجلة الفيصل ع (٨١) ، ربيع الأول ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ، مرجع سابق ، ص٥٣ .

(٥) انظر هذا البحث ، ص : ٣٦٨

(٦) يرجع تاريخ هذه المدرسة إلى عام ١٣٠٤هـ أنشأها بداية بعض المحسنين وهي تقع في حي المسفلة يقول عنها أحد الباحثين (وقد تلاشت المدرسة وانتهت منذ أكثر من عشرين عاما) انظر عبد الرحمن عبد الله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الفكر، بيروت، ط ١ ، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٣م، ص ١٣٥ــ ١٣٦

ثم بعد ذلك التحق بالعمل الصحفي ، محرراً في جريدة صوت الحجاز ، فرئيساً لتحريرها ومديراً للجريدة ومطبعتها في الوقت نفسه .

ثم انتقلت خدماته إلى وزارة المالية حيث عمل فيها مفتشاً مالياً ، وعمل أثناء ذلك أيضاً سكرتيراً عاماً للإذاعة السعودية عندما أنشئت لأول مرة .

ثم تقاعد من العمل الحكومي حوالي عام ١٣٧٠هـ

وكان أثناء هذه الفترة يعمل في مجال الطوافة ثم تركه في نهاية عام ١٣٦٨هـ تقريباً أيضاً عندما رأى أنها لا تتوافق مع ما يسعى إليه من عزة نفس وكرامة [١]

كما كان يشارك في أثناء هذه الفترة أيضاً في الإعداد للنشاط المنبري الذي كان يقام في موسم الحج من كل عام ، ويسهم فيه ببعض الخطب [٢]، فالكاتب يعد خطيباً مصقعاً:" طالما أوقد المشاعر والهب العواطف ... وكثيراً ما حاضر في المواسم الثقافية وفي الأندية الرياضية... " [٣]

أسس مطبعة الحرم في أجياد ثم أصدر منها جريدة الندوة في عام ١٣٧٧هـ ليتحول مسمى تلك المطبعة إلى مطبعة الندوة ، ثم في عام ١٣٧٩هـ أصدر مجلة قريش بعد إندماج صحيفة الندوة مع صحيفة حراء ، ليتحول مسمى المطبعة بالتالي إلى مطبعة دار قريش

وأثناء فترة صدور مجلة قريش فكر في تأسيس مسرح ، ثم شرع في تنفيذ الفكرة وأسماه مسرح قريش ولكن الظروف حالة دون إفتتاحه، عند توقف مجلة قريش أختير عضواً في مؤسسة مكة للطباعة والإعلام والتي تصدر عنها جريدة الندوة الحالية [٤]

شارك في عدد من اللجان منها : لجنة دراسة مناهج التعليم ، لجنة الدفاع عن فلسطين، لجنة تنظيم مكتبة الحرم المكي ، كما كان عضواً في جمعية تشجيع الطيران[٥] وعضواً في جمعية الإسعاف الخيري[٦] والتي كانت بمثابة أول نادٍ أدبي ثقافي بالمملكة، حيث كان لها نشاط منبري بارز، وأسهم في وضع نظام المطبوعات الصادر في عام ١٣٧٨هـ [٧] ، وشارك في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت في عام ١٣٧٨هـ [٨]، كان له نشاط ملموس في الإذاعة والتلفاز من خلال بعض الأحاديث التي كانت تذاع له، في عام ١٣٩٥هـ أسهم في تأسيس نادي مكة الثقافي الأدبي ثم أصبح عضواً في مجلس إدارته[٩].

---

(١) أخبرني بذلك شريكه في الطوافه السيد عبد الله بخاري في لقاء جمعني به في منزله بمكة المكرمة يوم الجمعة ١٤١٦/٧/٩هـ الساعة ٤-٦ مساءً

(٢) انظر د.إبراهيم الفوزان ، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط(١) ١٤٠١هـ، ١٩٨١م ٦٥٨/٢

(٣) عبد السلام الساسي: (من رواد الأدب السعودي) قافلة الزيت جمادى الثانية، ١٣٨٩هـ ، ص٦

(٤) انظر محمد ناصر عباس، موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية، (د.م) ط(١)، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م، ص٢٧٢.

(٥) انظر محاضرة الجوانب الأخرى، مصدر سابق.

(٦) انظر أسماء أعضاء هذه الجمعية ، صوت الحجاز ، ع ٢١٥، في ١٣٥٥/٤/٢٤هـ ، ص٢

(٧) انظر عبد الله عبد الجبار، التيرات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٢٠٤

(٨) انظر الكلمة التي كان من المقرر أن يلقيها في ذلك المؤتمر، جريدة الندوة، ع ١١٨، ١٣٧٨هـ ، ص٣

(٩) انظر دليل نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م، ص٢٧- ٢٨.

دوره الصحفي :-

صلة الأدب بالصحافة وثيقة منذ تطور الصحافة بشكلها الحاضر،والصحافة في بلادنا هي التي أخذت بيد الأدب ونشرته بين الناس، ويطلق على كاتبنا لقب (شيخ الصحافة)،وما ذلك إلا تعبير عن مشاركته الطويلة والفعالة في هذا المجال،ونعرض لهذا وبايجاز من خلال النقاط التالية: أولاً : صحيفة صوت الحجاز : هي أول جريدة صدرت على :

" الصعيد الشعبي في المملكة العربية السعودية ، أصدرها الشيخ محمد صالح نصيف ... كانت مسرحاً لبعض آراء الأدباء والمفكرين وأبحاثهم العلمية والأدبية ... وقد ظهرت على مسرح صوت الحجاز مواهب وكفاءات أدبية وفكرية ، كان لها الأثر الكبير في تركيز الأدب السعودي شعراً ونثراً وإبرازه للوجود .

صدر العدد الأول من صوت الحجاز بمكة المكرمة يوم الاثنين ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠هـ ، الموافق ٤ أبريل ١٩٣٢م ... " (١)

بعودتي إلى صحيفة صوت الحجاز وجدت أن الكاتب تولي إدارة الشركة العربية للطبع والنشر والتي تصدر عنها صحيفة (صوت الحجاز) ابتداء من العدد (١٦٢) والصادر في يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ ربيع الأول عام ١٣٥٤هـ حتى العدد (٥٤٢) بداية السنة العاشرة لصدور الصحيفة في ٢٨ ذو الحجة ١٣٥٩هـ . أما رئاسته لتحرير الصحيفة فقد تولي ذلك ابتداء من العدد : (٢٦٨) الصادر يوم الثلاثاء الموافق٢٦ جمادى الآخر١٣٥٦هـ حتى العدد٣٠٤ الصادر يوم الثلاثاء الموافق٢٦ صفر ١٣٥٧هـ ،

---

(١) عثمان حافظ : تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية ، شركة المدينة للطباعة ، جدة ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ١/ ١٢٥ .

ويلحظ أنه خلال فترة رئاسة السباعي لصحيفة (صوت الحجاز) غلبة الموضوعات السياسية على صفحاتها وذلك بسبب بعض الأحداث السياسية التي برزت في أثناء تلك الفترة ومن أهمها :-

قضية تقسيم فلسطين .

قضية المانيا وصراعها مع جيرانها حيث بدأت تدق طبول الحرب العالمية الثانية .

الأزمة السياسية المصرية من خلال الصراع الحزبي بين الوفد وخصومه .

كما لحظت بأن الكاتب في تلك الفترة أمام قلة المواد الصالحة للنشر أو لانعدامها ، يضطر إلى أن يكتب أكثر من مقال واحد في العدد الواحد وفي موضوعات متنوعة يذيلها باسمه الصريح أحياناً أو يرمز إلى أسمه في الغالب بنحو (س ، أ . س ، أحدهم) ،وانظر يوسف أسعد داغر : معجم الأسماء المستعارة وأصحابها،لاسيما في الأدب العربي الحديث، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م ، ص ١٥٥

وقد أشار الكاتب في أحد مقالاته إلى قلة تلك المواد الصالحة للنشر في فترة عمله بصوت الحجاز انظر أحمد السباعي : " عندما كنت صحفياً " البلاد السعودية ، ع ٧٩٠ ، س ١٤ ، واحد ربيع الثاني ، ٣٠ يناير ١٩٤٩م ، ص ٣ .

ثانياً : صحيفة (الندوة) :-

كتب عليها : " صحيفة يومية جامعة ، تصدرها دار الندوة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ، مدير الجريدة وصاحبها المسئول (أحمد السباعي) "

صدرت لأول مرة يوم الأربعاء ٨ رجب ١٣٧٧هـ ، ٢٦ فبراير ١٩٥٨م ، ٧ الحوت ١٣٣٦ش . وهي في البداية لم تصدر بشكل يومي وإنما تم ذلك تدريجياً حيث أصبحت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع ، أيام : الأحد ، الثلاثاء ، الخميس ،

ويتصدر صفحتها الأولى رمز تمثل في رسم عبارة عن (دار لا سقف لها ، لها مدخل واحد ، وليس له باب ، في منطقة جرداء)

وقد كتب عزيز ضياء مقالاً على صفحات الندوة ينتقد ذلك الرسم بصورة غير مباشرة ، وابتداءً من العدد الثامن عشر [١٨] في ١٩ شوال ١٣٧٧هـ تغير ذلك الرسم ، فأصبح عبارة عن مجموعة من الناس ملتفين حول بعضهم البعض ، ويغلب عليهم جميعاً التقدم في السن أحدهم يتحدث والآخرون يستمعون إليه ، وذلك الرمز تم رسمه باللون الحمر ، وكتب تحته باللون الحمر أيضاً بيت الشعر التالي :

" منهم مقامات حسان وجوههم

وأندية ينتابها القول والفعل

زهير بن أبي سلمى "

وكتب صاحبها (السباعي) مقالاً في العدد الأول منها تحت عنوان : " الندوة تقول " ومما جاء فيه :-

" يلذ لي وأنا أستهل اليوم عددنا الأول من هذه الصحيفة أن أسمي الله واستعينه واستهديه السبيل السوي ! ... ننوي أول ما ننوي من خطوتنا اليوم خدمة بلادنا ... وأن نساهم ما وسعنا الجهد في استعادة أمجاد قضى الجهل . ولأمر ما أبينا إلا أن نختار لصحيفتنا أسم (الندوة) فقد تقاسمت محافل الأدب العربي في كثير من بلاد العالم معنى الندوة ، وغفلنا عن ذلك ، ونسينا أنها فكرة ابتكرتها بطحاء مكة ، قبل أن يعرف العالم مدلولها ، وشادت لها بين

أقدام (قعيقعان) وعلى كتب من ظل الكعبة .. أول بناء تداول الشورى في آفاق الأرض . لأمر ما أبينا إلا أن نختار لصحيفتنا أسم الندوة ، فقد كانت الندوة شعاراً لأول نهضة عرفتها بلاد العرب ، وكانت دارها في حاشية هذا الوادي وعلى خطوات من زمزم أول دار تألقت فيها اليقظة ولمع فيها مجد بني العرب ، فإذا جئنا نستعيد اليوم هذه الذكرى الغالية ، ونبني داراً للندوة الجديدة فإننا نؤمل أن نساهم في تحقيق اليقظة التي حققتها دار الندوة القديمة ... إن الصحافة في رأيي لا تؤدي غرضها الشريف إلا إذا احتسبت نفسها للحق واستطاعت أن تسلك سبيلها في أداء نظيف لا تهدف فيه إلا إلى الخدمة العامة التي لا تتقيد فيه بغرض رخيص ، اللهم إنك تعلم سري .. فسدد خطاي إلى ما يرضيك "[1] .

---

(١)ومما يلحظ على هذه الصحيفة ما يلي :-

أ ــ كان بها ركن للمرأة تمثل في صفحة بعنوان :

" رواق السيدات ، صفحة نسائية اجتماعية تربوية :

وكتب على جهتها اليمنى :

((استوصوا بالنساء خيراً)) حديث شريف .

وفي الجهة اليسرى :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ويلحظ أن هذه الكتابة تتغير من عدد إلى آخر ، واشرف على تحرير هذه الصفحة بداية ، فؤاد عبد الحميد عنقاوي . وفي أول عدد كتب في هذه الصفحة مجموعة من المقالات تهتم بشؤون المرأة وذيلت برموز نحو (السيدة ، ن ، م ، القاهرة) .

ب ــ كان بها باب (للشعبيات) ويكتب بالعامية الحجازية ، وكان ينشر فيه (القنديل حلمنتيشياته ، والسمة الشعبية هي الطابع الغالب على الندوة ، وطالما أصاخت لشكاوي الشعب وعلقت عليها ... " عبد الله عبد الجبار : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، ص ١٦٣ .

جـ ــ كما يلحظ أن أغلب كتابها كانوا من الشباب آنذاك نحو : حمزة محمد بوقري وفؤاد عنقاوي ، وعبد الله الجفري ، وعبد الله الداري

د ــ اهتمت بالشعر فلا يكاد يصدر عدد منها دون أن يحمل بين طياته قصيدة أو أكثر .

هـ ــ آخر عدد صدر من الندوة قبل أن تندمج مع جريدة جراء هو العدد رقم (١٢٤) في يوم الثلاثاء ١٠ رجب ١٣٧٨هـ ، الموافق ، ١٨ يناير ١٩٥٩م .

أما أول عدد صدر من الندوة بعد دمجها مع جريدة حراء بمسمى (الندوة) فهو العدد رقم(١٢٥) بتاريخ ١٦ رجب ١٣٧٨ هـ ، الموافق ٢٦ يناير ١٩٥٩م .

وكتب عليها : " صاحباها (أحمد سباعي ، وصالح محمد جمال ، مديرها ورئيس تحريرها صالح محمد جمال " .

ثالثاً : مجلة قريش :-

صدر العدد الأول منها في يوم الاثنين الموافق واحد جمادى الأول ١٣٧٩هـ ، ٢ نوفمبر ١٩٥٩م ، وكتب على غلافها : " فريش مجلة أدبية أسبوعية تصدر بمكة المكرمة ، كل اثنين صاحبها ورئيس تحريرها المسئول أحمد السباعي " .

وهي تقع في نحو [١٦] ست عشرة صفحة وثمنها [٨] قروش ، وقيمة الأشتراك السنوي [١٧] ريالاً كتب السباعي في أول عدد منها مقالة بعنوان :

" في هذا الزقاق ، أنجبت سيدة قريش رجلاً صنع التاريخ " [١] وبدأها بمقدمة جاء فيها :

" أحمد اللهم واستهديك ، وأسألك العون والتوفيق ، وبعد فنحن اليوم نستأنف خطانا من جديد لتخدم فكرة طالما تمنينا أن يسدد الله خطانا في العمل لها ، وتتلخص الفكرة في أن نجمع طاقاتنا المحددة أكبر مدى يمكننا جمعه من طاقة كل مفكر لنوقظ به الوعي العام في بلادنا ، ونبث في شعور كل مواطن منا إحساساً دقيقاً بعمق المسئولية التي يترتب عليها نهوض بلادنا ، ودفع عجلتها إلى المعترك الصاخب الذي تضج به حياة العالم اليوم " [٢]

---

(١) مجلة قريش ، ع١ ، ١/ ٥/ ١٣٧٩ ، ص ٣

ومما يلحظ على المجلة :-

أ ــ أسندت سكرتارية التحرير فيها بداية إلى الأستاذ محمد عبد الله مليباري .

ب ــ صدرت في البداية يوم الاثنين من كل أسبوع ثم أصبحت لاحقاً تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع .

جـ ــ اهتمت بشئون الرياضة وأخبارها واسندت تحرير الصفحة الرياضية إلى بعض المتخصصين .

د ــ اهتمت بالتصوير والرسم الكاريكاتوري وخصصت له ركناً في الصفحة الأخيرة منها (السادسة عشرة).

وكان الهدف من ذلك معالجة بعض القضايا الاجتماعية المحلية بأسلوب فكاهي وكل ذلك باللغة العامية الشعبية الحجازية .

ويلحظ أن الصفحة الأخيرة برمتها كانت تحرر باللغة العامية تحت عنوان (شعبيات) وكان يخصص فيها ركن للأمثال الشعبية الحجازية .

وكانت تحرر بأسماء رمزية نحو :

" أبو عرام ، ولد المركاز ، أبو طافش ، أبو دلش ، ابن البلد ، ابن قريش ، أبو هاشم ، أبومي ، ميمان "

ويبدو أن السباعي كان يكتب بعض ما جاء في هذه الصفحة تحت أحد تلك الأسماء الرمزية ، ويبدو أن هذا الأسلوب مما أكسب المجلة شهرة واسعة ومن ثم زيادة توزيعها .

هـ ــ كان أغلب كتابها من الشباب آنذاك ، كما كان الحال في جريدة (الندوة) ومنهم خلاف من سبقت الإشارة إليه في جريدة الندوة :-

" محمد جميل فضل ، عصام خوقير ، محمد سعيد طيب ، عبد الله الحصين ، محمود محمد سفر ، عبد الله عبد الوهاب العباسي ، وغيرهم ... "

إضافة إلى عدد كبير من الأدباء والكتاب السعوديين المعروفين نحو : أحمد عبدالغفور عطار ، وعبد الله عريف ، محمد عمر توفيق ، طاهر الزمخشري ، ومحمد حسين زيدان ، سعد البواردي ، محمد سعيد العامودي .

و ــ اهتمت المجلة بالتحقيق الصحفي مستخدمة في بعض الأحيان أسلوب التصوير الفتوغرافي حول الموضوع المطروح في ذلك التحقيق وغالباً ما يكون موضوع التحقيق الصحفي موضوعاً محلياً اجتماعياً ، أو تجارياً أو ماشابه ذلك .

مسرح قريش الإسلامي

يعد المسرح أبا للفنون ... والاهتمام به والوعي بأهميته ودوره الفعال في المجتمع بـــدأ : "متأخرا في المملكة العربية السعودية ، إذا ما قورنت المملكة بغيرها من البلاد العربية .."[١] والبدايات الأولى للمسرح في المملكة كانت بدايات ساذجة ومتواضعة رافقة ما يسمى بالمسـرح المدرسي[٢].أما أول محاولة جادة لإنشاء مسرح في المملكة فقد كانت مرتبطة باسم كاتبنا(أحمد السباعي) وكانت تلك المحاولة في أوائل الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجري من خـــلال مشروع(مسرح قريش الإسلامي)[٣]يقول الكاتب عن تجربته في هذا المشروع : " بدأت فكـــرة إنشاء مسرح تراودني منذ عهد بعيد ، في أيام الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله،اختمـــرت الفكرة في ذهني وتقدمت إلى المسئولين أطلب السماح لي ببناء المسرح والإعداد لـــه فوافـــق المسؤولون على طلبي بعد أن أوضحت لهم القيمة الأدبية من إنشائه،وأنه بمثابة مدرسة تســـهم بحق في بناء الأمة،وتضع بين أيدي شبابنا حقيقة الأمجاد التـــي شـــادها الإســـلام، وتعـــهدت للمسئولين أن لا أجعل للنساء نصيباً في التمثيليات التي سوف تعرض علىخشبة المسرح،ثـــم بدأت أعد للمسرح،فاشتريت الأرض وأقمت البناء،وأنشأت ما يلزم من الأجهزة،وتعاقدت مـــع أحد المخرجين المصريين المعروفين في الإخراج المسرحي وأنشأت مدرسة تابعـــة للمســـرح يتلقى فيها الطلاب محاضرات عن فن المسرح بكل تخصصاته، ويقوم بـــالتدريس فـــي هـــذه المدرســـة أســـاتذة مصريـــون متخصصـــون،وقـــد التحـــق بـــهذه المدرســـة أكـــثر مـــن

= ز ــ كما اهتمت المجلة بإقامة بعض الندوات التي تعالج أموراً اجتماعية أو تربوية أو دينية وتنشـــر فـــي المجلة تحت عنوان (من ندوات قريش) .

ح ــ كما يلحظ أنها اهتمت بنشر القصص القصيرة للشباب السعودي ، ووضعت مسابقة حول ذلك ورصـــدت لها جوائز إيماناً بأهمية تشجيع أصحاب المواهب القصصية

حيث كانت تعلن اسم الفائز واسم قصته؛ وكانت هناك لجنة تقوم القصص الواردة إلى المجلة ، مكونة مـن : (السباعي ، العاموي ، العطار ، المليباري)

ط ــ كانت تصدر أعداداً خاصة بمناسبة موسم الحج تقع في نحو [٢٠] صفحة .

ي ــ صدر آخر عدد منها يوم ٢٦ / شوال ١٣٨٣هـــ ، الموافق ١٠ مارس ، ١٩٦٤م ، برقم [٢١٩] .

وقد كتب السباعي فيه مقالاً بعنوان : " دعنا نساير الركب .. ولا تفجعني بإعلان الفـــراق " ص٣ ،والمجلـــة إجمالا تعد من المجلات:(السعودية الممتازة ...) كما يقول أديب مروة في كتابه : الصحافة العربية نشـــأتها وتطورها ،دار مكتبة الحياة ، بيروت ،ط ١ ،١٩٦١م ، ص ٣٧٠

(١) فاطمة الوهيبي : مسرحه التراث في الأدب المسرحي السعودي ، الصفحات الذهبية ، الريـــاض ، ط١ ، ١٤١٥هـــ ، ص ٩ .

(٢) علي السعيد ، المسرح في المملكة العربية السعودية ، دراسة تاريخية ، مجلة قوافل ، النـــادي الأدبـــي ، بالرياض ، س ٣ . ، ع ٦ ، شوال ، ١٤١٦هـــ ، ١٩٩٦م ، ص. ص (٤٦ – ٤٨) .

(٣) انظر ، د. حسن علي مختار ، أحمد السباعي رائد المسرح السعودي وهذه هي الأدلة ، جريدة ، ملحـــق الأربعاء ، ٨/ ١١ / ١٤١٦هـــ ، مارس ، ١٩٩٦م ، ص ١٤ .

[٢٠] شاباً من شباب المملكة في البداية ثم أنضم إليها [٢٠] آخرون وهكذا أصبح عددهم [٤٠] شاباً يتقاضون مرتبات شهرية مقدارها [٢٠٠] ريال لكل واحد ، وكنت أدفع رواتب شهرية للمدرسين والعاملين الآخرين بالمسرح ، وكلفت بعض الأخوة المتعاونين معي في هذا المجال ومنهم الأساتذة محمد مليباري ، وعبد الله العباسي ، وعبد الله الداري بإعداد بعض المسرحيات المستوحاة من التاريخ الإسلامي المجيد فألف الأستاذ المليباري تمثيلية بعنوان : (فتح مكة) ... وهكذا أعددت لكل عدته ولم يبق إلا أن نبدأ في التدريب ، وإجراء البروفات وفجأة تأتي الأوامر بتأجيل الافتتاح ، وذلك أن بعض المعارضين من المحافظين أبرقوا إلى جلالة الملك سعود رحمه الله وكان مسافراً إلى النمسا يعترضون على افتتاح المسرح وإقامته فجاء رد الملك سعود بتأجيل الافتتاح حتى يعود من السفر ، وبعد مدة طويلة صدر القرار بالموافقة مرة أخرى على افتتاح المسرح ولكن واجهت معارضة من بعض الناس وهكذا دواليك ... وعندما وجدت أنني أسير في طريق مسدود لا نهاية له قررت أن أوقف العمل في إنشاء المسرح، وسافر المخرج وتفرق الطلاب، وفشلت في تحقيق ما كنت أحلم بإقامته..."[١] .وتجربة السباعي المسرحية هذه سمّاها أحد الباحثين: (بالولادة المجهضة)،ومما قاله حولها : (إذا كان المسرح اليوناني قد انصب على الأسطورة في نشأته واستفاد من صياغتها صياغات جديدة تلقي ضوءا على مصير الانسان وقضاياه الخطيرة،فإن مسرح السباعي وضع نصب عينيه أن يشكل القصص التاريخي بأشكال درامية تستفيد منها الأجيال الطالعة.وهذا لاريب يتضح من توجيهات السباعي أو طلباته لكل من الأستاذ محمد عبدالله المليباري الذي كتب (فتح مكة) والأستاذ عبد الله العباسي الذي كتب (مسيلمة الكذاب) ...للتاريخ في رؤية السباعي جماله وحيويته ونبضه وهو المحرك للخشبة العربية ورؤياها وقضاياها. لكن الأستاذ السباعي أسيء فهمه ولم يصل الى حلمه المنشود)[٢] . وهذا ماسبق وأن أشار إليه الكاتب حيث قال : (يعلم الله أن هدفي كان تقديم صورة نابضة بالحياة لأمجاد الأمة الاسلامية في ماضيها وحاضرها ...)[٣] ولو شاء الله وتحقق ذلك الحلم للكاتب لربما رأينا السباعي يمارس على ضوء ذلك الكتابة المسرحية، لاسيما وأنه مارس قبل مشروعه ذلك الكتابة الروائية والقصصية والتاريخية . ويلحظ أنه قبل أن يصدر الأمر بإيقاف افتتاح المسرح أخذت مجلة قريش آنذاك تبشر بقرب افتتاحه ممهدة لمشروع أول مسرح في البلاد . فكتب السباعي مثلاً مقالاً بعنوان :" وظيفة المسرح ، لا تقل شأناً عن وظائف المدارس " [٤].
ومما جاء فيه قوله :-

" ما يمنعنا أن ننتفع بالمسرح كأرقى مدرسة في الحياة إن ديننا لا يضيق بأسباب الرقي .."

ومن ذلك ما كتبه عبد الله عبد الوهاب تحت عنوان : (المسرح العربي)[٥].

وما كتبه محمد عبد الله مليباري تحت عنوان : (أول مسرح في هذه البلاد) [٦]

---

(١)مجلة العرب ــ ، مرجع سابق ، ص (٧٣٣- ٧٣٤)وكتاب الاثنينية،ص ٣٠٥ – ٣٠٩

(٢)د.نذير العظمة،المسرح السعودي دراسة نفدية، النادي الأدبي الرياض ، ط ١ ، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م،ص .

(٣) مجلة العرب ، مرجع سابق ، ص، ٧٣٤

(٤) مجلة قريش : ع ١٠٥ في ٢٠ / ٦/ ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م ، ص ٣،وانظر مقالته التي بعنوان (تقدمتنا شعوب كان خطوها وراءنا) ، المصدر السابق ،ع ١٦٥ في ١٣٨٢/٩/١١ه،ص ١ ، ٨

(٥) مجلة قريش ، ع ٩٢ ، في ١٨ / ٣/ ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م ، ص ١١ ــ وانظر عبد الله العباسي : (المسرح السعودي وأحمد السباعي) جريدة المدينة الملحق الأدبي ، ٦/ ٤/ ١٣٩٨هـ ، ص٨ .

(٦) مجلة قريش ، ع ٩٤ ، ٤/٢/ ١٣٨١هـ ، ص ١٠ .

وأقيم مسرح السباعي المشار إليه في منطقة البيبان في مكة المكرمة ، وعين الكاتب مديراً لمسرحه الأستاذ (زاهد إبراهيم قدسي) الذي كان مطلعاً على الحركة المسرحية في مصر آنذاك إذ مكث بها نحو خمسة عشر عاماً، فأحب السباعي أن يستعين به لا سيما في الأمور الفنية[1] .وإيمانا من النادي الأدبي في مكة المكرمة بالدور الرائد للكاتب في هذا المجال فقد اسمى مسرح النادي – في لفتة وفاء وتقدير – : (مسرح الأديب أحمد السباعي .. تقام فيه جميع المناسبات والاحتفالات ...)[2]

صفاته :

الخلقية :

من أبرز ما يتميز به الكاتب كما أكد ذلك كل من عرفه ، شدة إيمانه فيما يعتقد صحته سواء مع نفسه أو مع الغير .. ولهذا كان يصدع بالحق في مختلف المواقف، وقد انعكس هذا حتى على كتاباته فاتسمت بالصدق والواقعية ...

كان يحرص دائماً على أن يكون في المقدمة في أي مجال يعمل فيه .. ولهذا كان شديدا على نفسه وعلى : " من حوله قوياً في حياته الخاصة قوياً حياته العامة ... [3] .

و كان يتصف في الوقت نفسه بشيء من المرح وحب الفكاهة ، وهذا ما نلحظه في كتاباته بين الحين والآخر .

كما كان يتميز بالثقة في نفسه وفي إمكاناته وهذا يفسر لنا عدم توقفه عند نقطة معينة في مسيرة حياته الأدبية والصحافية والثقافية على الرغم من كثرة العوائق والصعوبات التي واجهته في مراحل حياته المختلفة .

تميز بالذكاء وسرعة البديهة وبالنظرة المستقبلية البعيدة المدى ... ولهذا كانت له ريادات متعددة على المستوى الأدبي والثقافي .

كان عف اللسان بالرغم من دخوله بعض الخصومات الأدبية والثقافية ، إلا أنه لم يؤثر عنه خروجه عن حد الأدب واللياقة كتابة أو حديثاً .

كان وطنياً متحمساً جداً للنهوض ببلده عرف ذلك عنه أصدقاؤه وأعداؤه .

قال عنه عزيز ضياء :-

" لم يكن السباعي قط إلا الإنسان المعتز بنفسه والعارف كيف يصون كرامته ، حتى في

---

(١) أتصال هاتفي أجريته مع الأستاذ زاهد قدسي الذي أكد لي ما ذكرته أعلاه وذلك في يوم الثلاثاء الموافق ١٢/١ / ١٤١٧هـ ، الساعة ٨ مساءً . وانظر ايضا كتاب الاثنينة ،مرجع سابق ،ص ٣٢٦- ٣٢٧

(٢)انظر دليل النادي ، مصدر سابق ، ص ٤١

(٣) الجوانب الأخرى من حياة الأديب أحمد السباعي ، مصدر سابق .

مواجهة المسؤولين ... ليس بروح التحدي والتجاوز وإنما بروح المؤمن بالحوار والحق في الرأي الآخر " [1]

ويقول عنه محمد حسين زيدان :

" كان يرحمه الله غير فضولي ، ما جلست إليه وأغتاب أحدا حتى بعض من أساؤوا إليه ، سماحة في الخلق ، ورجاحة في الأسلوب " [2] .

أكثر من القراءة في علم النفس وفي النظريات التربوية فحاول أن يطبق بعض ما جاء فيها على نفسه وعلى تربيته لأبنائه ...

إلى غير ذلك من الصفات [3]

أما صفاته الخلقية فمن أبرزها :-

أنه رجل ذو بشرة سمراء ، طويل ، عريض المنكبين ، يتمتع بشيء من القوة الجسدية كان يكثر من شرب الدخان فأثر ذلك على صحته في أيامه الخيرة ...

ويلحظ أن بوجهه بعض الندوب يبدو أنها أثار مرض الجدري الذي يبدو أنه أصيب به في بداية حياته فبقي في ملامحه ما يدل عليه ...

يقول أحد الأعلام في وصفه :-

" السباعي الأسمر الوجه ... لا تمل حديثه ولا فكاهته ولا مجلسه ، ولا يغيب عن ذهنك محضره عندما يتاح لك أن تتحدث إليه ولو مرة واحدة ، إنه مشرق الروح ، صافي الذهن حاد اللمحات ، سريع البادرة ، متصل الذكاء ، يتكلم ، فتشعر باحترامك الشديد لهذا المتكلم ، وحبك له وتقديرك إياه ... وعندما يحدثك تشعر بميزان راجح ، ولسان عف وأسلوب غير عادي ، يدعك تحترم الرجل وتقدره ، وتعرف له شخصيته وكفاحه ، والسباعي مؤمن عميق الإيمان مؤمن بنفسه ، وبعروبته ، مؤمن قبل ذلك بدينه ، يدافع عنه ، ويجعل له المثل الأعلى في كل جانب من جوانب الحياة . وكفاح السباعي العلمي سيخلد ... ليقرأه الجيل الحاضر ، بل الأجيال المقبلة بالفخر والإعجاب " [4]

---

(١) مجلة اقرأ ، ع ٦٨٠ في ٢٨ / ١٢ / ١٤٠٨هـ ، ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) انظر الفصل الخاص بدراستنا لسيرته الذاتية الفنية في هذا البحث ، ص : ٣٨٩-٣٩٢

(٤) د. عبد المنعم خفاجي ، من تاريخنا المعاصر ، دار العهد الجديد ، دون مكان للنشر ، ط١ ، ١٣٧٧هـ ، ١٩٥٨م ، ص ٣٢١ .

مؤلفاته :-

للكاتب عدد من المؤلفات المختلفة ما بين منهجية تربوية ، مقالية ، وقصصية...

وهي إجمالاً بحسب ترتيبها الأبجدي كما يلي :-

١ ــ أبو زامل/ أيامي:

سيرة ذاتية، ظهر في طبعته الأولى عالم ١٣٧٤هـ /١٩٥٤م ثم طبع بمسمى جديد، وهو (أيامي) طبعة أولى في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م. عن مطابع قريش، مكة المكرمة.

٢ ــ الأمثال الشعبية في مدينة الحجاز:

ظهرت الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م، مؤسسة تهامة، جدة ثم اعادت طبعه للمرة الثانية عام ١٤١٢هـ ، ١٩٨٢م.

٣ــ أوراق مطوية:

طبعته الأولى ظهرت عام ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م. من مطبوعات نادي الطائف الأدبي.

٤ــ تاريخ مكة:

جزءان، ظهرت طبعته الأولى عام ١٣٧٢هـ، عن دار الكتاب العربي، القاهرة.

ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات، آخرها هي الطبعة السابعة،صدرت عن نادي مكة الثقافي عام ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م،

٥ ــ خالتي كدرجان:

مجموعة قصصية، الطبعة الأولى ظهرت عام ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م تقريباً عن دار قريش، مكة المكرمة والطبعة الثانية عن مؤسسة تهامة، جدة، عام ١٤٠١هـ ،١٩٨٠م.

٦ــ دعونا نمش:

الطبعة الأولى عن دار ممفيس، القاهرة، بدون تاريخ، ويبدو لي أنها كانت في الثمانيات الهجرية من القرن الرابع عشر[1] الطبعة الثانية صدرت عام ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠، عن نادي الطائف الأدبي.

---

(١) وهذه الطبعة هي المعتمدة في هذه الدراسة.

٧ ــ سباعيات:

جزءان، الجزء الأول في طبعته الأولى ظهر عام ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م، عن جمعية الثقافة والفنون، الرياض.

الجزء الثاني في طبعته الأولى ظهر عام ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م، مؤسسة تهامة، جدة.

٨ ــ سلم القراءة العربية:

يقع في ستة أجزاء، نشر في طبعته الأولى في عام ١٣٥٢هـ[١] وطبع بعد ذلك عدّة طبعات،

٩ ــ صحيفة السوابق:

قصة طويلة، ظهرت عن دار مصر للطباعة، القاهرة بدون تاريخ، ثم ضمت لاحقاً إلى مجموعة الكاتب القصصية ((خالتي كدرجان)) السابق ذكرها، تحت مسمى:(اليتيم المعذب)

١٠ ــ فكرة:

رواية، ظهرت في طبعتها الأولى عام ١٣٦٧هـ ، ١٩٤٨م عن دار الكتاب العربي،ثم طبعت للمرة الثانية عن دار الصافي، الرياض، عام ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

١١ ــ فلسفة الجن:

رواية ظهرت طبعتها الأولى عام ١٣٦٨هـ عن مطبعة دار التأليف،القاهرة.

١٢ ــ قال وقلت:

جزءان، الجزء الأول ظهر في طبعته الأولى عام ١٣٨٨هـ، عن مطابع قريش، مكة المكرمة. ثم أعادت مؤسسة تهامة، جدة، طبعة للمرة الثانية إضافة للجزء الثاني في طبعته الأولى وذلك في مجلد واحد في عام ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.

١٣ ــ المرشد إلى الحج والزيارة:

طبع في عام ١٣٦٨هـ ، مطبعة العالم العربي، القاهرة.

---

(١) انظر، صوت الحجاز ع(٨٧) في ١٣٥٢/٨/٢٤هـ ص:٢ وعليه فليس صحيحاً ما ذهب إليه أحد الدارسين بأن الكتاب صدر في عام ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٨م.

انظر د. علي جواد الطاهر معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية، دار اليمامة الرياض، ط(٢) ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م، ٣٨١/١

١٤ ،ـ مطوفون وحجاج:
رواية، ظهرت عام ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٤م، دار الكتاب العربي، القاهرة.

١٥ ـ يوميات مجنون:
ظهر عام ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م، مطبعة ممفيس، القاهرة[١]

١٦ ـ إضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات المختلفة المتناثرة بين طيات الصحف والمجلات، والتي لم تجمع في كتاب[٢]

الجوائز التي حصل عليها :-

من أبرز الجوائز التي حصل عليها الكاتب :-

١-جائزة الشربتلي في عام ١٣٦٧هـ ، وذلك عن روايته (فكرة) [٣] وتعد هذه أول جائزة تخصص في الأدب في المملكة [٤].

٢-منح ميدالية الاستحقاق من مؤتمر الأدباء السعوديين الأول عام ١٣٩٥هـ [٥] .

٣-جائزة الدولة التقديرية للأدب في يوم الأربعاء ٢٧ محرم ١٤٠٤هـ في ٢/ ١١ / ١٩٨٣م ، ويعد أول أديب سعودي يتحصل على هذه الجائزة وتسلمها من يد خادم الحرمين الشريفين في حفل بهيج أقيم بمدينة الرياض [٦]

---

(١) سأقوم بقراءة محتويات هذه الكتب في أماكنها من هذا البحث.

(٢) انظر الملحق الخاص بمقالاته التي لم تجمع، هذا البحث ص :٤٣٥-٤٥٥

(٣)انظر مجلة المنهل ، مج (٩) ، ع ٢ ، صفر ١٣٦٨هـ ، ص (٨٥ - ٨٧) .

(٤)حسين بافقيه، الجوائز الأدبية الحدود والأقنعة ، نادي أبها الأدبي ،ط ١ ،١٤٢٠ ه،١٩٩٩م ص ٥٣

(٥)انظر مثلاً ، جريدة عكاظ ، ع (٦٨٢١) في ٢٤/ ٥ / ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٩م ، ص ٧ .

(٦)انظر ، مجلة العرب ، الربيعان ١٤٠٤هـ ، مرجع سابق ، ص ٥٨٨ .

وفاته :

توفي الكاتب في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٤٠٤هـ ، (١٩٨٤م) بالمستشفى العسكري بالطائف ودفن بمقابر المعلاة في مكة المكرمة بعد مشاركة قوية وفعالة في الحياة الأدبية والثقافية والصحفية في المملكة .

فرحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم لوطنه وأمته[1]

---

(١) للإستزازده حول حياته انظر:

كتابيه : سباعيات ١/ ١٦٥-١٦٩

أوراق مطوية ص ١٩١-٢٠٠، ٤١٠-٤١٢

أ ـ د. علي جواد الطاهر، معجم المطبوعات، مرجع سابق، ١/٣٧٦-٣٨٥

ب ـ د. عمر الطيب الساسي ، الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، تهامة ، جدة، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ ص٩٩-١٠٤

جـ ـ أحمد سلم ، موسوعة الأدباء والكتاب ، مرجع سابق ، ٢/ ٣٠ - ٣٢

د ـ زهير كتبي ، لا تقرأوا هذا الحوار، (د.م) ،ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م. ص٤٧-٥٣.

هـ ـ محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم ، بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ١/٥٩-٦٠

و ـ رحلة في أفكار هذا الرجل، لقاء وتحقيق أعده عبد الكريم نيازي، البلاد، ع ١٥، في ١٣٩٢/٤/٢١هـ ص١٨-٢١

ز ـ لقاء مع الأستاذ السباعي ، مجلة القافلة السعودية ، صفر ١٣٨٨هـ ، ص ١٥-١٦

الباب الأول
المقالة
دراسة موضوعية فنية

توطئة

فن المقالة من الفنون الأدبية الإنشائية الحديثة، والتي إرتبط ظـــهورها بظـــهور الصحافـــة، والمقال في اللغة مصدر القول، والقول القطعة من الكتاب والجمع مقالات[١]

والمقالة في الاصطلاح هي ما يعبر بها ((الأديب نثراً عن حالة واحدة من حالات مشـاعره، أو عن طور من أطوار حالة واحدة في صفحات قليلة ... في صور جميلة مســتمدة مــن خيــال صاحبها وحياة مصدرها صدقه... تقوم في الأساس على الذاتية أو التجربة الشخصية...))[٢]

وينقسم المقال إلى قسمين المقال العلمي وهو الذي يكتب بروح علمية موضوعية فـــي مســائل شتى ((مما يعرض للكاتب الباحث عن المعرفة... كالطب وعلم النفس وعلم اللغة ومشـــكلات المجتمع من ناحية علمية...))[٣] والمقال الأدبـــي ويشـــمل ((الذاتيـــة والإحتماعيـــة والوصفية والنقدية وغير ذلك من المقالات المرتبطة بشخصية كاتبها... والســـمة الرئيسية للمقالة الأدبية طغيان شخصية مبدعها على الموضوع فيرى الأشياء مـــن خلال إنعكاس أثرها على نفسيته...))[٤]

وأحمد السباعي من كتاب المقال البارزين لا سيما المقال الأدبي بمفهومه الســـابق ذكره . وسنخص الصفحات التالية لدراسة مقالاته المتعددة :(الوصفية، السياســية، الإحتماعية، التاريخية، الدينية) دراسة موضوعية وفنية مع التركيز على المقالـــة الإجتماعية ، لتميز طرح الكاتب في هذا الجانب كماً وكيفاً.. كما سيتبين لنا ذلك.

---

(١) محمد العوين ، المقالة في الأدب السعودي الحديث (د.م) ط١ ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ١/ ٢٠-٢١

(٢)د. علي جواد الطاهر مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م،ص ٢٦٢

(٣) (٤) محمد العوين : المرجع السابق ٢٧/٢

الفصل الأول

المقالة

وأنواعها

١- المقالة الوصفية :

تكمن قيمتها في دقة الملاحظة والتعاطف مع الطبيعة ، وفي الوصف الرشيق المعبر ، الذي ينقل أحاسيس الكاتب وصورة الطبيعية كما انعكست على مرآة نفسه . والغاية الأولى منها تصوير البيئة المكانية التي يعيش فيها الكاتب كما تتراءى لإنسان حاد البصر نافذ البصيرة . والخاصية الأولى لها التصوير الساذج البسيط ، البعيد عن التفلسف والتحليل والتعليل[١] .

وأحمد السباعي أبرز كتاب المقالة الوصفية في الأدب السعودي ، وقد عده بعض الباحثين ثالث ثلاثة من الأدباء السعوديين المبرزين في كتابتها[٢] .

فقد كتب في وصف الطبيعة وفي وصف الرحلات ، ومن أبرز مقالاته في وصف الطبيعة ما كتبه عن وادي العقيق وهو أشهر أودية المدينة المنورة[٣] .

وقد تغنى به الشعراء قديماً وأكثروا من ذكره[٤] كما تغنى به حديثاً بعض الشعراء السعوديين[٥] .

وحينما زاره السباعي في مجموعة من أصحابه جاشت نفسه لتاريخ ذلك الوادي : "ومن منا يسمع الريان أو العقيق ... فلا تجيش نفسه بشيء من العواطف التي تثيرها هذه الأماكن بما تحتضنه من المعاني الوجدانية التي اكتسبتها عبر تاريخها الطويل ... " [٦] . فكتب السباعي مقالة في وصف ذلك الوادي بعنوان:" لمن هذه الدوارس في جنبات العقيق"[٧] بأسلوب هو إلى الشعر أقرب منه إلى النثر، وذلك لما احتوته تلك المقالة من تصوير وأساليب فنية مما دفع

---

(١) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ،(د.م) ط ٥ ، ١٩٨٩ م ، ص ١١٤ .

(٢) محمد العوين : المقالة في الأدب السعودي الحديث . ١/ ٣٥٨

(٣) عن موقعه وآثار قصوره ودوره وبساتينه وآباره وعمرانه وخرابه ، انظر : عبد القدوس الأنصاري : بين التاريخ والآثار ، ط٢ ، ١٩٧١م ، بيروت ، ص (٧٨- ٨٤) وعاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، ط١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، دار مكة ، مكة المكرمة ، جـ ٦ ، ١٣٥- ١٤٥ .

(٤) انظر : د. جريدي الثبيتي : شاعرية المكان ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . ، دار العلم ، جده ، ص(٥٥-٥٨)

(٥) انظر : د. عبد الله الحامد : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، رقم ٥٠ ، ص : ٣٦٠- ٣٦١ ، وفي لفتة إلى ذلك ، أطلق نادي المدينة المنورة الأدبي على الملف الثقافي ، الأدبي الذي يصدره ، اسم : (العقيق) وانظر أيضاً :
د. عبد الله باقازي ، عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي رقم ١٣٢ ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ص (٧٩ - ٨٠ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٩)

(٦) د. جريدي الثبيتي : شاعرية المكان ، ص ١١

(٧) مجلة المنهل . المجلد ٢ ، الجزء ١٠ ، رمضان ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م ، ص (٢٢- ٢٧

مجلة المنهل أن تنشره على صفحات الجزء الخاص بالشعر، وإلى أن تعنون له بعنوان جانبي هو : " من الشعر المنثور"[١] .

لقد وقف السباعي يناجي ذلك الوادي ، محاولا أن يستنطق طبيعته الصامتة الساكنة عن تاريخها . فيذهب به خياله مذاهب شتى ، فنجده يضفي على بعض الأماكن في ذلك الوادي معاني متجددة كما انطبع في ذاكرته عنها ، من خلال قراءاته عن ذلك الوادي في كتب التراث المختلفة وبخاصة كتاب الأغاني[٢] . فرسم لنا لوحة تشكيلية اختلط فيها الخيال بالواقع .

أما الخيال فتمثل في وصفه لما كان عليه ذلك الوادي في عهد من عهوده (عهد بني أميه) وهي لوحة تضج بالحياة والحركة ، مستوفية معظم عناصر الصورة (بصرية ، وسمعية ، وشمية ، ولمسية) معتمدا في ذلك على خيال واسع تجاوز حدود الزمان والمكان الآنية .

أما الواقع فتمثل في مناجاته لأطلال الوادي الصامتة ، الساكنة المقفرة وهو يجاوز ويقابل بينهما ، فتارة يرينا صورة لواقع الوادي ، وأخرى يسبح بخياله ، ليرسم لنا صورا لما كان عليه الوادي في أحد عهوده .

بدأ السباعي مقالته بمناجاة أطلال وادي العقيق مستفهما ومتعجبا، وكأنه يترسم طريقة الشعراء في مطالع قصائدهم . يقول : (لمن طلل بين رانوناء) و(الجماء) ؟ ! .

لمن هذه الرواسم في كتف عير ، وسفوح الحرار ، ويفاع عروه ؟ ![٣] ، لمن هذه الدوارس على جنبات العقيق المضطجع في أحضان الجبال بين الحقب والحقب ؟ !

لمن هذه الآثار الماثلة على حواشي المسيل الفضي ، وكأنها فيما تبدو من شموخ وكبر بعض جبابرة الحياة تتحدى أفاعيل الحياة وتهزأ بعواديها ؟ !

لمن طلل بين (رانوناء) و (الجماء) ؟ . "

ثم يتحدث عن مدينة الأحلام التي كانت قائمة بالوادي كما تخيلها فيقول :

" أعلى هذه الحواشي من ضفاف المسيل ، وفي هاتيك البقاع على منعرجات الوادي ، وبين يدي هذه الحرار على جنبات العقيق ، كانت تقوم مدينة الأحلام في وشيها البديع الصافي ؟ ! أفي هذه السفوح المتكئة على سطح الوادي وبين ليات هذه التلال المطلة على مواضع مروجه

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(٢) انظر . كتابه تاريخ مكة ، حديثه عن الحياة الفنية في الحجاز ومنه وادي العقيق في عهد بني أمية ومصادره التي اعتمد عليها في ذلك ، ط٧ ،ص(١١٦- ١٢٢) .

(٣) رانوناء واد في الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة المنورة ، انظر عبد القدوس الأنصاري : بين التاريخ والآثار ، ص (١٠٠- ١٠٢) ، والجماء مفرد الجماوات (وهي ثلاث هضاب سود كبار قائمة بطرف العقيق .. وسميت جماوات لأنه دون الجبال تشبيها لها بالشاة الجماء التي لا قرون لها) .

المصدر نفسه ، ص ٨٢ ، وعير أحد جبال الوادي ، المصدر نفسه ، ص ٨٠

، وفي المنعطفات والمسالك المارة بين آثاره ؛ قصور كانت تضج فيها الحياة بـــالفن والغنـــى والجمال ؟ ! تا لله إنه لطريف ! فلمن كل هذا ؟

لمن طلل بين رانوناء والجماء ؟ !

لمن هذه الرواسم في كتف عير ؟ !

لمن هذه الدوارس في جنبات العقيق ؟ !

أفي أشخاص هذه المتل كانت تقوم منازل بني الحكم ، وقصور أولاد العاص وحدائق أبنـــاء الزبير ، وعرصات أحفاد عثمان .

أفي هذه الآفاق الشاسعة ، كانت تعبق المروج الخضراء بالسوسن والعوســـج ، والـــنرجس والبنفسج ، وتزخر الأفناء والأندية بالمترفين من وجوه الأمويين ، وأصحـــــاب الطـــول مـــن الحجازيين تشجيهم الميلاء[1] ويسكر أرواحهم معبد[2] ؟

أعلى هذه الحواشي التي كانت تعانق العقيق في مسيله كان يرفل فتيان قريش في ثرائـــهم ، وتتهادى صبايا الحي في جمال ودلال يشيع السرور في جنبـــات الـــوادي ، وتضفـــي علـــى مناظرها فتنة الحب والجلال ؟

تا لله إنه لطريف ! فلمن كل هذا ؟

لمن طلل بين . . . . . "

ثم يعود إلى وصف واقع الوادي ، متعاطفا مع طبيعته المقفرة الصامتة، وهـــو في هـــذا يذكرنا بنهج الشعراء الرومانسيين فيقول :

((كان الأصيل جميلا يرسل فيه الشفق قبل المغيب أمواجا تتلاطم في الأفق في لمعان ذهبـــي يجلل أعالي الجبال ، ويضفي بريقه على الهضاب الصغيرة المتناثرة في الطريق بيـــن طيبـــة والعقيق . وكانت مركبتنا تنحدر إلى العقيق في قيعان هادئة كأنها بنات اليتامى اضطجعن فـــي جلال وأسى حول المسيل الناضب ، يندبن الحياة الزائلة في جسم كان يزخر بالحياة ! وكـــانت ليات الوادي تسيخ تحت عجلتنا فتمر المناظر أمام أعيننا متسارعة في روعة وصمت ؛ لـــولا

---

(١)هي عزة الميلاء كانت مولاة للأنصار ، ومسكنها المدينة وهي أقدم من غنى الغناء الموقـــع مـــن النســـاء بالحجاز ، سميت الميلاء لتمايلها في مشيتها ، توفيت نحو سنة ١١٥ هـــ . ، انظر أخبارهـــا : أبـــو الفـــرج الأصبهاني ، الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه عبد علي مـــهنا ، ط٢ ، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت ، ج١٧ / ١٦٤- ١٨٢ .

(٢) هو معبد بن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر ، توفي أيام الوليد بن يزيد ، كان إمام المغنين في المدينة ، صنع الألحان فأجاد ، واعترف له بالتقدم على أهل عصره . انظر ترجمته وأخباره ، أبو الفـــرج ، الأغـــاني ج١ / ٤٣- ٦٩

شخشخة الحصى تحت عجلاتنا تحملها النسيمات الرقيقة إلى اذاننا أنغاماً في ألحان الموسيقى التي تشجي محافل التائبين فتبعث بالذكريات والأسى ؛ ولولا صيحات الأستاذ الأنصاري[1] وقد أهاب بنا أن أنزلوا فهذه بئر عروة . وتلك منازله على شرف من العقيق ! .

فيا للجلال والروعة ، وللفن بهذه الآثار . لمن كل هذا يا ترى ؟ لمن طلل بين رنوناء والجماء ؟ ! لمن هذه . .. "

ثم يجنح به خياله ليصف لنا المسالك والشوارع الواسعة التي كانت في ذلك الوادي والتي كانت : " يختال فيها فتيان الوجهاء بين المحافل والقصور ، فيعارضهم (أشعب)[2] في روحه المرحة ، ليزجي لهم ملحة نادرة أو يتبعهم بنكتة فكهة يميد لها اتزانهم فيهوون بعضهم على بعض في طرب ونشوة ، وتتعالى ضحكاتهم ، فلا يرد صداها إلا هدير المسيل يدوي في قاع العقيق ! تا لله إنها ذكريات لا تدري كيف درست أيامها ، وإنها رواسم لا تدري كيف تستقصي بناة معالمها ، لا تدري :

لمن طلل بين رانوناء والجماء ؟ !

لمن هذه الرواسم . . .

ثم يعود إلى وصف واقع الوادي محاولاً أن يتبين تلك الآثار من منازل وحدائق وآبار .. يقول : –

" ومضى أصيحابي ومضيت بين أكوام الجص وآطام الحجارة وآثار البناء الفاخر بأفنيته وأقسام غرفه الواضحة معالمها برغم أكداس الحجارة الطامية بين تقاسيم البناء ، وكان أصحابي يعثرون بالقطعة بعد الأخرى من سجاف الأواني الملون ، فنتناولها بالتقليب والفحص ،ويحملنا الخيال منها عبر هامات الأجيال الممعنة في القدم ؛ قبل الألف فنتخيل أصحابها وقد زينوا بأنواعها . . .

---

(١) هو عبد القدوس الأنصاري ولد في المدينة المنورة عام ١٣٢٤هـ ، من أعلام الفكر والأدب بالمملكة كان كاتباً وأديباً وشاعراً ، أهم عمل قام به إصدار مجلة المنهل في عام ١٣٥٥هـ ، والتي لا زالت تصدر حتى الآن ، وله عدد من المؤلفات منها (تاريخ مدينة جدة ، ديوان الأنصاريات ، من وحي المنهل ، ..) توفي رحمه الله تعالى ، عام ١٤٠٣هـ ، انظر : أحمد سعيد بن سلم ، موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ٣٢/١- ٣٧

(٢) هو أشعب بن جبير ، كنيته أبو العلاء ، نشأ بالمدينة مولى لآل الزبير من قبل أبيه ، أعتقه عثمان ا بن عفان رضي الله عنه ، كان ذا ملح ونوادر ، يغني أصواتاً فيجيدها ، ويضرب به المثل في الحرص والبخل وطلب الناس ، توفي سنة ١٥٤هـ .

انظر أخباره وطرائفه : أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، مرجع سابق ، ١٩/ ١٤٧- ١٩٥

وطال بنا المضي حتى وقفنا مدة على ما يدل على مواضع الحدائق الفاتنة التي كان القـــوم يعنون بزهورها ، ويصطبحون بعبيق أزهارها يدل على ذلك هذه الدائرة المغمورة بالحجـــارة والحصى في شكل الآبار ، وهذا الحوض المتصل بها من أنواع البرك التي تـــروي الحدائـــق مما يجتمع فيها من البئر . فيا لبهائك أيهذا الوادي ، ويا لجمالك أيتها المدينة الفيحاء المطمـورة . ترى لمن كل هذا ؟ !

لمن طلل بين رانوناء والجماء ؟ !

لمن هذه الرواسم ؟ !

لمن هذه الدوارس ؟ . . . "

ثم أخذ يصف عودته هو وأصحابه إلى مكانهم الذي انطلقوا منه :

" ودلج أصيحابي عائدين إلى عروة ، وكان البدر قد شمل البادية وأرسل أشعته الفضية علـــى الروابي والقلاع ، فبدأ الأفق كأنه الغادة الحسناء يشتملها ثوب حريري ، رقيق ناصع البيـــاض وقضينا سويعات في فناء ابن الزبير كانت مليئة بالجمال ، مليئة بالذكريات . "

إنه حلم مثير من أحلام اليقظة لا بد في النهاية من أن يصحو صاحبه (الســباعي) ليبقـــى السؤال يتردد ، وتبقى الإجابة مرهونة بالخيال :

" كانت الآثار ما ثلة على مرآى منا في أصفى ما تكون من جمال القمر وكانت أحلامنا بعـــد الهدأة والأخرى تطوف بنا في مدينة الفن القديمة بين محافلهم وعرصاتهم ، ومجامع أنســـهم ، ثم تقف واجمة عند كل أثر لتناجي التاريخ الحافل بأخبارهم :-

لمن هذا الفناء الباقية جدته ؟

لمن طلل بين رانوناء والجماء ؟ !

لمن هذه الرواسم في كتف عير ؟ !

لمن هذه الدوارس في جنبات العقيق ؟ ! " .

يمكن القول بأن السباعي استطاع أن يوظف التراث في وصفه لوادي العقيق فأحال طبيعتـه الصامتة المقفرة إلى طبيعة حية متحركة، وذلك من خلال وقوفه على ما يسميه بعض البـاحثين (نفسية المكان) : -

" إن الإنسان يستطيع محاورة تاريخ المواضع والبلدان ، وأن يستبطن ذلك التـــاريخ ، حينمـــا يقف على ما يمكن تسميته (نفسية المكان) حيث يستخلص المعاني العاطفية للمواضـــع مـــن خلال حياة من عاشوا فيها ، إنه يمتحن ذاكرة الشعر والأخبار .. "[1]

---

(١) د. جريدي الثبيتي : شاعرية المكان ، ص ١٧

وكل ذلك في لغة شاعرية سهلة ومنسابة ، وصور موحية تقوم على التشـــبيه والاســتعارة والتشخيص .. فحشد عددا من المناظر المبهجة والممتعة من حسن اللون والرائحة : (مــروج خضراء ، حدائق وأزهار ، ومنظر مياه السيل المتدفقة ، وزينة الفتيان والصبايا ..) ، وحســن الصوت والصورة والحديث : (ميلاء ، معبد ، أشعب) ، غناء وفكاهة ومنادمة ، وضحكا" .

متلمسا الآثار الدالة على نعيمهم المتمثلة في أطلال قصورهم ودورهم وحدائقهم وأوانيــهم ، ومواقع المياه من مجرى ناضب للسيل إلى، آبار وبرك مدفونة بالحجارة والحصى .

ومن مقالاته الأخرى في وصف الطبيعة : (الطائف مدينة الماء والهواء)[١] .

ونشير إلى أن رواية (فكرة) تتناثر فيها بكثرة صور الطبيعة[٢] .

ومن المقالة الوصفية (وصف الرحلات) :

لقد ارتحل السباعي إلى عدد من المناطق داخل المملكة وخارجها ، فوصف بعــض تلــك الرحلات كرحلته إلى أبها ومصر واليمن وفلسطين وتركيا وأوربا .

وتعددت أسباب تلك الرحلات فمنها العملي (مصر) أيام عمله في الطوافة، ومنها العلمــي (اليمن وتركيا) للحصول على مخطوطات تتعلق بتــاريخ مكــة، ومنــها العمــل الصحفــي (فلسطين) للوقوف على أحوالها المعيشية بعد قرار الهدنة الدولي بين الفلسطينين واليهود ونقــل كل ذلك على صفحات مجلة قريش وذلك في عام ١٣٧٩هـــ / ١٩٦٠م ، ومنــها الســياحي (أبها ، وأوربا) .

وأول رحلة وصفها السباعي كانت إحدى رحلاته إلى مصــر . نشــرها علــى صفحــات صوت الحجاز في شكل مقالة متسلسلة تحت عنوان : (على ضفاف النيل)[٣] . ونقف عليــها هنا لأنها تمثل نموذجا لأوائل الكتابات المتعلقة بأدب الرحلة في المملكة العربية السعودية .

يلحظ عليها أنها قائمة على المقارنة بين المجتمع المصري بعضه البعض من جهــة ، وبيــن المجتمع المصري والمجتمع الحجازي من جهة أخرى .

فلقد استوقفت السباعي المشاهد المتناقضة في المجتمع المصري آنذاك _ وما زالت تلــك المشاهد تستوقف كل زائر لمصر إلى وقتنا الحاضر _ فانطلق السباعي يقــارن بيــن الغنــى الفاحش الموجود في بعض طبقات المجتمع المصري، وبين الفقر المدقع في بعــض الطبقــات

---

(١) صوت الحجاز : ع ١٠٩ في ١٤ صفر ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤ م ، ص ٣

(٢) انظر هذا البحث ، ص : ٢٦٥ – ٢٧٠

(٣) صوت الحجاز ع ٢٥٢ في ٢/ صفر /١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، ص ١

الأخرى ، ومثل ذلك بين العلم والجهل، وبين التطور الحضاري والتخلف ، وبين الأمن والخوف ، وبين مكانة الدين في ذلك المجتمع، وبين حياة العبث واللهو الموجودة فيه .

فتحت العنوان الجانبي الذي وضعه السباعي : (مراتع البؤس في مرابع الغنى) يقول بعد أن عرض لمناظر الحضارة والتطور في القاهرة :

" هذا عرض مستعجل لمصر المترفة بثرواتها وملاهيها ووسائل الجمال فيها يقابله شريط آخر تطالعك فيه مناظر الفاقة والبؤس في صور تعافها النفس وتتقزز منها . صبية متشردون يتسكعون في عرض الشوارع ، في أسمال بالية رثة ، يجمع بعضهم أعقاب السجاير ، ويهاجمك البعض الآخر في المقهى والمنتدى وقارعة الطريق ... مستدرا إحسانك .. "[1]

أما مقارنته بين المجتمعين المصري والحجازي فتمثلت في وقوفه على التنظيم والتنسيق الذي تميزت به مطاعم ومقاهي القاهرة وبين، الفوضى والعبث في مطاعم ومقاهي مكة المكرمة . فشملت المقارنة (الأماكن ، الأدوات (كراسي وموائد) الطبخ وطرقه ، الطعام وأصنافه ، النظافة والنظام ... "

ومن ذلك مقارنته بين البيت المصري في تصميمه وتنسيقه وتزيينه من جهة، والبيت الحجازي من جهة أخرى ، فأثنى السباعي على الموجود في مصر ونقد القائم في الحجاز _ آنذاك _ وتمنى وجود مثل تلك المظاهر الإيجابية في بلده[2] .

ويمكننا أن نقول إن هذه الرحلة تعكس ضعف البدايات ، في كتابة مثل هذا الفن الأدبي ، فلا نجد فيها عناصر الفن ولا ذاتية الكاتب ، فهي تكاد أن تكون تصويرا تسجيليا (فوتوغرافيا) خاليا من انطباعات الكاتب وتصوير مشاعره . حتى إن المقارنة بين المجتمعين المصري والحجازي كانت منصبة على الأمور المادية ، مع إهمال النواحي الأخرى فكرية ، وثقافية ، واجتماعية .. وغيرها . .

أما بقية رحلاته الأخرى فلقد فاقت هذه الرحلة بعدد من الخصائص الموضوعية والفنية ومنها رحلته إلى اليمن التي نشرها على صفحات مجلة (قر يش) . تحت عنوان : (أيام في البلاد السعيدة)[3] وندرسها هنا كنموذج لكتاباته في أدب الرحلة . ويلحظ بداية أن وصفه لتلك الرحلة خلا من مقدمة . فهو يعرض للرحلة مباشرة ، وهذا هو الأسلوب الحديث في

---

(١) صوت الحجاز ، ع ٢٥٤ في ١٦/صفر / ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، ص(١، ٣) .

(٢) صوت الحجاز ، ع ٢٥٣ في ٩/ صفر / ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧ ، ص (١، ٦)

(٣) مجلة قريش ع . (١٣٣- ١٣٧)

كتابة الرحلة " لم يعد كتاب الرحلة يحتفلون بكثرة المقدمات .. إنهم يعالجون موضوع رحلتهم مباشرة .. "[1] .

فبدأه السباعي بوصف شائق، وأسلوب لا يخلو من السخرية والنقد لوسيلة رحلته حيث يقول:

" وحلقت بنا في الجو (داكوتا) ، لقد كانت طائرة لها كل مميزات الطائرات التي تحلق في الجو ، فهم يسخنونها قبل أن تبدأ أول حركة في دواليبها ، وهم يدرجون بها في مدرج المطار لتأخذ أهبتها وتتحفز للتحليق تماماً .. لها كل مميزات الطائرات لا عليك من هيكلها ومقاعدها التي تذكرك بلواري أيام زمان . ولا عليك من نوافذها العاطلة من الستائر فرياش الشمس المصوبة إلى وجوه الركاب لا تقتل أحدا" مهما اشتدت حمارتها في هذا القيظ ، على أن المضيف لم يعجز عن العلاج ، فقد وزع علينا صحف الصباح فاستطعنا أن نستغني عن قراءتها ونحيلها إلى ستائر لنتقي سعير النوافذ الملتهبة . ولم أتكلف أنا شخصياً في سبيل ذلك كثيراً فإن سواعدي التي جمدت من طول بقائها في موضع واحد لتركيز الصحيفة خلف النافذة ما لبث أن عاد الدم إليها بعد تمرينات لم تدم إلا أقل من نصف ساعة "[2] .

ثم نقد وضعية الجلوس في الطائرة ، والخدمات المقدمة عليها بنفس الأسلوب الساخر يقول:

" وقد حمدت للطائرة أن علمتني نوعاً من أدب الجلوس فقد عاشت (صواميلي) مفككة ، وعشت لا أعرف الجلوس إلا متكئاً أو مستلقياً أو مسترخياً كما يفعل كبار هذيل ، فأبت مقاعد الطائرة إلا أن تملي علي أدباً خاصاً وأن تحدد لجلوسي وضعاً محدوداً بالسنتيم ، لا يقبل الإتكاء ولا الميل ... وحمدت للمضيف - والحق لله - نشاطه وإن كان لا يملك المسكين إلا تقديم الماء - والماء فقط - وتوزيع العلب إياها التي أكل الدهر عليها وشرب ، قبل أن أنال نصيبي من أكلها .. والقطن ..لا يجب أن أنسى القطن فقد كان فيه كريماً إلى حد يثير العجب.. "[3]

ثم بين أن رحلته متجهة إلى مدينة تعز ، وبعد حديثه عن هبوط الطائرة بدأ بوصف رحلته من خلال سرد قصصي ، يتخلله الحوار مع الذات ، ومع الآخرين وأحياناً الاستطراد والتعليق والشرح والمقارنة والنقد .

---

(١) د. سيد حامد النساج - مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً . مكتبة غريب ، القاهرة ، (د. ت) ، ص١٣٤

(٢) مجلة قريش ع : ١٣٣ في ٢٤/ محرم / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص ١

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها ، وقد تحدث عن وسيلة الرحلة - مقارناً - في موضع آخر من رحلته بين الطائرتين اللتين استقلهما وذلك عندما اتجه من تعز إلى صنعاء يقول: (واقلعت بنا الطائرة تحلق بين السحاب والسحاب .. كانت الطائرة مجردة لا من الطعام والشراب فقط ، كما كان الحال في طائرتنا من جدة ، بل إننا حاولنا البحث عن قطعة ولو صغيرة من القطن نصم بها آذاننا فلم نفلح) : انظر ، مجلة قريش ، ع١٣٥ في ٨/ صفر ١٣٨٢هـ / ١٩٨٦م ص٧ .

وتعرض خلاله إلى عدة أمور يمكن أن تصنف كالآتي[١] :-

وصف مظاهر الطبيعة :

ومن ذلك وصفه لمدينة تعز . فتحدث عن موقعها ومناخها وأثر ذلك في اتخاذها عاصمة يقول : " هضبة واسعة ، تستريح في أحضان جبال سامقة الذرى وتجمع حولها أكثر من ربوة ، تصعد بك لتهبط أو تهبط بك لتصعد . تلك هي تعز عاصمة حكومة اليمن . وقد اختارها إمام اليمن فيما علمت لمناعتها واعتدال جوها فأنت لا تشعر فيها بوطأة الصيف ، ولا رهق الشتاء ، وهي تنعم بالأمطار في أكثر أمسيات الصيف " [٢]

ومن ذلك وصفه لعمرانها القديم والجديد : " ويفصل المدينة القديمة سور قديم ولكن العمران بدأ يزحف خارج السور .. وتنتشر العمارات الجديدة والفلل المستحدثة في مناطق متباعدة ، وبين أطراف الضواحي .. "[٣]ويتحدث عن(النقطة الرابعة).واصفاً وشارحاً تسمية ذلك الموقع: " والنقطة الرابعة في تعز تعتبر اليوم نقطة فاصلة بين عهد كانت اليمن فيه بلاداً محرمة على الأجنبي .. وعهد بدأت فيه الهيئات الأمريكية والروسية والصينية تجوس سهوله وجباله بمشاريعها القوية الجبارة . لقد زرت في ضاحية من تعز مقر النقطة الرابعة ، فإذا مدينة صغيرة تخطط على أحدث ما تخطط المدن العصرية ، وتقوم منشآتها وحدائقها وملاعبها على طراز المدن في أمريكا " [٤] وتحدث عن المشاريع المقامة فيها من تعبيد للطرق ، وشبكة للمياة ، وعمّا ينشأ بها من سدود وخزانات ..[٥]

ويصف البيوت القديمة فيرى أن جلها : " تشبه بعض الشبه طراز بيوتنا قبل خمسين سنة ، فأنت تصعد ثلاثين درجة لتصادف مجلساً يشبه مجالسنا أيام زمان ، ثم تستمر في مثل هذا الصعود لتصادف مجلساً آخر على غرار الأول .." [٦]

ويقف على أحد شوارع المدينة فيصفه ويقارن بين دكاكينه والدكاكين الموجودة في شارع الجودرية بمكة [٧]

كما وصف الطبيعة في تعز ، ومن ذلك قوله :

" وتحيط بتعز حدائق ... وبساتين تموج بالورود ... ومدارج يلمع فيها نبات القات وأوراق الحنطة " [٨]

---

(١) أفدت هذا التصنيف من كتاب د. حسين نصار أدب الرحلة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص ص (١١٠ - ١٢٥)

(٢) مجلة قريش ع : ١٣٤: في ١/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

(٣) مجلة قريش ع : ١٣٤: في ١/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

(٤) المصدر السابق ، ص٩

(٥) ، (٦) ، (٧)، (٨) ، المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

وحينما انتقل إلى صنعاء وصف لنا بعض مظاهرها الجغرافية ، كوصفه لدار الضيافة فيها : " نزل شامخ بناه الأتراك على طراز مبانيهم في الثكنة العسكرية عندنا في جرول وجياد ... تستقبلك فيه صالات واسعة نظيفة ، وغرف شارعة من وراء زجاج النوافذ على مناظر خضراء لا يرتد فيها البصر ، وأسرة محترمة لا تصادفها في غير فنادق الدرجة الأولى الممتازة في بلادنا "(١)

أما الجو في صنعاء فهو : " مكيف طبيعياً وستجد أن غرفتك من وراء النوافذ المغلقة تتمتع بمثل جو الربيع رغم أنك في أشد شهور الصيف حرارة "(٢) .

ومن ذلك حديثه عن بعض الآثار السبئية التي شاهدها في إحدى القاعات الموجودة بدار الضيافة ، ووصفه لها وصفاً دقيقاً يدل على قدرته وقوة ملاحظته فيقول :

" وراعني في صدر القاعة قامة طويلة من البرنز عريضة الأكتاف ، إنها تمثال أحد ملوك سبأ (ذمار علي) عاش قبل الميلاد المسيحي بثلاثة قرون ،عثر عليه في حفريات يبدو أنها غير فنية ، فقد بدت رجل التمثال مكسورة رُبط ما بينها بأسلاك ، كما بدت إحدى وجنتيه وقد نالها العطب فحاولوها ببعض الإصلاح . وأدهشني أن الفن كان ينطق في قسمات التمثال وملامحه العامة ، وأن قامته كانت ترتكز عل ساقيه في وقفة طبيعية ، تتخيل فيها أنك أمام شخص يتحفز للحديث معك . وفي القاعة بضع تماثيل نصفيه لعائلة ذمار نفسه ، ورسوم بارزة تمثل نوعاً من الأزهار التي لا تزال تنبت في اليمن "(٣)

ووصف جامع صنعاء الكبير ، وتطرق إلى ما كان يعقد فيه سابقاً من حلقات العلم .. وقارن بين حي السفارات في صنعاء ومنزل كبار الوطنيين في اليمن .. فالحي الأول حي أرستقراطي في كل مظاهره بينما منازل الوطنيين على الطراز القديم ، لا يلفت نظرك فيها : " إلا العلو الشاهق .. "(٤)

أما وصفه للطبيعة في صنعاء فتمثل في حديثه عن أمسياته التي قضاها متنقلاً بين بساتينها يقول عن إحدى تلك الأمسيات :

" فقضينا أمسية من ألذ أمسيات الحياة ، سبحنا فيها أرواحاً كانت تنتقل من كثب إلى مروج إلى قيعان تموج بشجيرات القات وأشجار الفاكهة ، لقد كانت أكثر أمسياتنا في صنعاء نهباً بين الغياض والبساتين "(٥)

---

(١) مجلة قريش ، ع ١٣٥ في ٨/ صفر / ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م ، ص٧ .

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) مجلة قريش ، ع ١٣٥ في ٨/ صفر ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص٧

(٤) مجلة قريش ع : ١٣٦ في ١٥ / صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

(٥) المصدر نفسه ، ص٧

وينتقل السباعي إلى مدينة الحديدة براً فيستوقفه مشروع الطريق الجبار الـذي أقيـم بينـها وبين صنعاء يقول :

" لقد حلقت بنا السيارة - إذا جاز هذا التعبير - من قمة إلى أخرى حتـى توسـطنا السـحاب فكانت الغيوم تبدو تحتنا كما تبدو فوقنا ، وحتى انتهينا في بعض القمم إلى ارتفاع عشـرة آلاف متر عن سطح البحر .. وكانت عشرات الجسور المسلحة تتخلل الطريق ، وترتفع عن عمـق الوديان نحو ١٠٠ متر وأقل وأكثر . ويبلغ طول الطريق من صنعاء إلـى الحديـدة حوالـي ٢٥٠كليو ، يزحف على أكتاف الجبال صاعداً أو هابطاً ويكتسح أمامه تـلالاً وجبـالاً كثـيرة العدد ، وربما نحت له في بعض الشواهق نحتاً جباراً أو ردمت أمامه بعـض الـهوات فـي أعماق مهولة ... " [١] .

ثم أخذ يقارن بينه وبين طريق (كرا) الذي يربط بين مكة والطائف فيقول منتقداً فـي جـرأة وصراحة :

" لقد مررت قبل اليوم بطريق (كرا) وتخيلته عملاً جباراً قليل النظير ولكني ما كدت أركـب الطريق في جبال صنعاء حتى ظهر لي عظم الفرق بين العملين .. ومع هـذا لـم يسـتغرقهم العمل أكثر من ثلاث سنوات ، فأدهشني أن أعمالنا في جبل (كـرى) بلغـت نحـو خمـس سنوات ولا يزال الطريق في مكانه ، لم يحدد إلى اليوم موعد افتتاحه ... ليت مثل هذا يحفزنـا لمواجهة الحياة على حقيقتها ... "[٢] .

أما وصفه للأمور الاجتماعية :

فلم يشكل جزءاً كبيراً من رحلته ، ولم يكن وصفاً مباشراً ، فمثلاً حديثـه عـن العمـران القديم والجديد في المجتمع اليمني ، وحديثه عن الزي القديم للرجل اليمني الذي تمثل في لبـاس السيد عباس بن محمد الوزير الذي كان " ينيط أكمامه الطويلة إلى عنقه في كبرياء الغلاة مـن البادية ويشد إلى وسطه (جنبية) تذكرني رغم رشاقتها بمحـاربي القبليـين القدامـى .. "[٣] وكذلك حديثه عن الزي الجديد الذي تمثل في لباس فتيان اليمن الجديد - كما سماهم السـباعي - الذين !

" هبطوا لتوهم من طائرة كانت تقلهم من الصين الشعبية حيث يدرسون، إنها وجوه جديدة تقـرأ فيها معان لا تمت بصلة إلى المعاني التي صافحتني على جباه من قابلت في بيوتـات اليمـن العريقة . وإنها خامات افتقدت في خصورها(الجنابي) التقليدية ، وفي هاماتها العمائم المكـورة

---

(١) مجلة قريش ع : ١٣٧ في ٢٢/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١٥

(٢) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) مجلة قريش ، ع : ١٣٥ ، في ٨/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

، وفي أذرعتها الأكمام المطوية خلف الأعناق . إنه البنطلون والقميص ، أو الشورت والقميص .. "[1] .

فمن خلال هذه الأحاديث القائمة على المقارنات تتضح لنا بعض الملامح التي تصور الصراع بين القديم والجديد في المجتمع اليمني في ذلك الوقت .

وفي موضع آخر نستشف من حديث السباعي أن المجتمع اليمني لا يعارض بعض مظاهر الجديد ، كتعليم المرأة وعملها ، فبعد أن تحدث السباعي عن المرأة العاملة في اليمن والتي اشتغلت بالتمريض والصحافة والطب وعملت بالإذاعة والتدريس . قال معلقاً :-

" .. لا أكذبك أنني كنت أتخيل أصحاب الرأي في اليمن أبعد من أن يستجيبوا لمثل هذا . لكني وقد جلست إلى بعض أعيانهم ، ورجال الفقه فيهم ،تبين لي أن هذه العمائم التي ظننتها تقيد أخيلتهم عن الانطلاق لا تعني شيئاً من ذلك ، لأنهم كانوا ينطلقون في آماد الحياة إلى أكثر مما كنت أتصور "[2]

أما وصفه للأمور الثقافية :-

فتتمثل في بعض أحاديثه ، كوصفه لمكتبة في تعز ، مقارناً بين بعض معروضاتها وأسعارها وبين الموجود في بلده :-

" وفي تعز مكتبة متوسطة ، تعنى ببيع الكتب الحديثة ، وقد شهدت فيها أكثر مؤلفات سلامة موسى وخالد محمد خالد . وقد علمت أنها غير ممنوعة ولكن أسعارها تبدو باهظة أكثر مما عندنا "[3]

ومن ذلك حديثه عن المطابع التي زارها ، والصحف التي تصدر بها : " وزرت في تعز...مطبعة الحكومة ، وهي تضم آلتين كبيرتين للطباعة وثلاث آلات صغيرة ... وفيها تصدر صحيفتا سبأ ؟ [4] وكلتاهما (نصف شهرية) ... " [5] ومن ذلك حديثه عن الآثار السبئية التي شاهدها كما سبق ذكره وعن تعليم المرأة وعملها ، كما مر بنا . ومنه حديثه عن مجانية التعليم في اليمن وحديثه عن التعليم العالي ، وأعداد المبتعثين للدراسة في الخارج وكأن السباعي لم يصدق ما سمعه عن كثرة أولئك المبتعثين .

مما دفعه إلى أن يرجو أحد المتصلين به :

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) مجلة قريش ع : ١٣٧ في ٢٢/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

(٣) مجلة قريش ، ع ١٣٤في ١/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص٩

(٤) لم يتبين لي اسم الصحيفة الثانية في أصل المصدر

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

" أن يتأكد من وزارة المعارف عن حقيقة ما أسمع ، فتسلمت منه بياناً جاء فيه أن المبعوثين للتعليم بلغوا ألفي طالب . يدرس أكثرهم في الأعمال المهنية ... " [1]

ويدخل في ذلك وصفه لإحدى جلساته في صنعاء والتي أنس فيها:

" بأديبين من أبرز أدباء اليمن كان أحدهما القاضي الحضراني[2] ، وإذا قيل الحضراني في اليمن كان سجل العروبة التاريخي ، فهو رجل خدم الإمام يحي في اليمن ، واتصل بمجلس ابن السعود في الرياض ، وكان من ندماء الحسين في الحجاز . . .

أما الثاني فعبد الله البردوني[3] ،والذي قال عنه : ((ولا أريد أن أعرف بعبد الله البردوني ، فقد تخطى شعره الرقيق الحي ، حدود اليمن ونشرته عدة صحف في عدة بلاد عربية ، وكان لمجلة قريش نصيبها من ذلك . . .))[4] ، وتطرقوا خلال جلستهم تلك للحديث عن قضية الشعر الحر ، فأوضح السباعي رأيه في ذلك الشعر يقول :

" وساقنا الحديث في جلستنا إلى الشعر الحر ، فاجتمع رأيي إلى رأي الأستاذ البردوني ، وخالفنا بعض الشيء أستاذنا الحضراني . ثم عاد فوافقنا على أن الكلمة الشعرية ما خاطبت الشعور وحاول السيد عباس الوزير أن يسخر ببعض ألوان الشعر الحر ، فأنشأ يروي من محفوظاته :

في بيتي المنعزل العاري
الأبله المدهون بالقار
رقعت نعلي
وشربت شاه في الطريق .

---

(١) مجلة قريش ع : ١٣٧ في / ٢٢/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص١

(٢) هو القاضي ،الشاعر العالم الراوية أحمد الحضراني المولود ، سنة ١٣٠٥هـ - ١٨٨٨م . انظر أحمد ابن محمد الشامي : قصة الأدب في اليمن ، دار العمير للثقافة والنشر جدة ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص٤٦٥ .

(٣) هو الشاعر عبد الله البردوني نسبة إلى قرية (البردون) من أعمال بالحدا التي ولد بها سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٦م ، ت١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م أصيب بالعمى في سن السادسة تقريباً بعد أن كابد الجدري سنتين ، ويعد من أبرز الأدباء والنقاد في اليمن له عدد من الدواوين : (من أرض بلقيس، السفر إلى الأيام الخضر) وعدد من الكتب : (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه ، من البيت إلى القصيدة دراسة في شعر اليمن الجديد ..) وغيرها :

عن ترجمته وشعره ونقده انظر : إبراهيم المقحفي : حوار مع أربعة شعراء من اليمن ، دار الهنا ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص (١٠٥- ١١٦) ، وأحمد محمد الشامي : مع الشعر المعاصر في اليمن نقد وتاريخ ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص (١٦٣- ٢٢٢) .

(٤) مجلة قريش ، ع ١٣٦ في ١٥/ صفر / ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص٧

فصحت : لئن لم يكن فيه إلا (البيت الأبله !!) لكفاه دليلاً على أصفى معاني الشعر . فـــدوى المكان بالتصفيق "[1]

أما الحالة الاقتصادية :

فيمكن أن نتبين بعض ملامحها عند حديثه عن العقار في اليمن ، فالفلل والعمائر الجديـــدة أصبحت كما قيل له :

" صفقة مربحة فلا يكاد ينتهي صاحب العمارة أو الفلة من بنايته ، حتى يبادر الأمر يكـــان من المـــلحقين بالأعمـــال الإداريـــة في مشروع النقطة الرابعة ، إلى العرض السخي طلباً لاستيجارها.. "[2]

ومن ذلك حديثه كما مر بنا عن بعض المشاريع في اليمن كشق الطـــرق وتعبيدهـــا وبنـــاء السدود والخزانات . . .

أما حالة المزارعين فيها فلم تسره إذ إنهم :- " يشكون الفقـــــر لرخـــص المحـــاصيل ، وفداحة المعيشة المقررة ،وما يحتمه الروتين للمكلف بالجباية من نفقـــــات يغـــالون فرضـــها ويتوسعون"[3] .

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) مجلة قريش ع : ١٣٤ في ١/ صفر / ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م ، ص٩

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

٢- المقالة السياسية :

هي من أوسع المقالات انتشاراً منذ أكثر من قرن . وتعد تعبيراً عن " الفكر الناقد لسير الأمة ... وعن التحالف والخصام والسلم والحرب والحزبية ، والمذهبية العقدية ... "[١]

وهي تلك المقالة التي يعمد كاتبها :

" إلى إبراز وجهة نظره إزاء الأحداث ، والذب عن معتقده السياسي أو الدفاع عن حزب أو فصيل أو تيار ، ولأن المقالة السياسية يوجهها كاتبها إلى الجمهور ، بعامة يعمد إلى الأسلوب السهل الخالي من التعقيد البعيد عن التكلف ، المعتمد على الأدلة والأمثلة المقربة للمعنى المقصود يزاوج فيها بين عاطفته والعقل الهادئ .. "[٢]

والسباعي كتب عدداً من المقالات السياسية[٣] . تندرج تحت ثلاثة محاور :

١- **ما يتعلق بالأحداث الوطنية .**

٢- **ما يتعلق بالأحدث العربية والإسلامية .**

٣- **ما يتعلق بالأحداث العالمية .**

أولاً : محور الأحداث الوطنية :

أول ما نقف عليه بهذا الخصوص ما كتبه السباعي عن الخلاف الذي وقع على الحدود السعودية اليمنية في أوائل الخمسينات الهجرية وتطور إلى حرب بين البلدين .

فنجد السباعي يكتب على صفحات صوت الحجاز مقالة تحت عنوان : " تعالوا إلى كلمة سواء "[٤] . يوجه الخطاب فيها إلى الحكومة اليمنية التي طلبت الصلح مع الحكومة السعودية ، يشجعها على المضيء قدماً في هذا الخطوة ،ويتمنى أن تكون جادة فيها ، فالسلم مبدأ من مبادئ الحكومة السعودية ، موضحاً أن هذه الحرب لا يستفيد منها سوى أعداء الأمتين العربيه والإسلامية ، ويلحظ أن السباعي في مقالته هذه يستعمل ألفاظاً توحي بأواصر القربى بين البلدين الجارين المسلمين . مع عدم إهماله لحقيقة الوضع القائم في ساحة القتال -آنذاك - والذي يتمثل في ظفر القوات السعودية الكبير على القوات اليمنية ،ومع ذلك فالحكومة السعودية مبدأها التسامح والسلم .

---

(١) د. علي شلق : النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث ، دار القلم ، بيروت ، ط٢، ١٩٧٤م ، ص٣٢١ .

(٢) محمد العوين : المقالة في الأدب السعودي الحديث ، ج١ / ٢١١

(٣) ويلحظ أن أغلب مقالاته السياسية في صوت الحجاز كان الكاتب يوقعها بأحد الرموز التي سبقت الاشاره إليها وهي : (أ ، أ٠س ، أحدهم) ، انظر هذا البحث ص : ١٥

(٤) صوت الحجاز ، ع ١٠٨ في ٧/ صفر / ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ص١

يقول السباعي في بداية مقالته تلك :-

" يا بني عمنا تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا يعتدي بعض على بعض ولا يطمع بعضنا في بعض ، وأن نشد أزرنا ببعض ، أصحيح أنكم هذه المرة مجدون في طلب الصلح وراغبون في السلم .. ؟ إذن هو مبدأنا وقد اتفقنا ، فتعالوا إلى كلمة سواء ، لا تظنونا وقد واتانا الظفر والنصر أننا فرحون به ، طامعون في زيادة النوال منكم . لا فما أنتم إلا بني أمنا ، نمت وإياكم إلى عنصر واحد ، يؤلمنا ما يؤلمكم لو تدبرتم ، فتعالوا . تعالوا يا بني جلدتنا ، تعالوا يا بني عمومتنا تعالوا إلى كلمة سواء .. "

ثم يقول بعد لغة التودد والتقرب محذراً :-

" إن في أيدكم مقاليد الحرب ، وفي استطاعتكم وضع أوزارها ، وفي مكنتكم إبقاءها مشتعلة ، وقد بدرت لكم البوادر ،فهلاّ قدرتم مغبتها ونتائجها .. ؟ "

إلى أن يقول مبيناً موقف أعداء الإسلام من هذه الحرب :

" ألا إن للإسلام أعداء وقفوا متفرجين علينا وعليكم ، شامتين بنا وبكم وتلك مأساة لها ألمها ولكن ما عسانا فاعلون[1] بكم ، ألا فارحموا أنفسكم ودعونا وإياكم نخرج من هذا الحياة في صحائف بيضاء لا يشوبها كدر ولا يرهقها قتر ... "

ثم ينتقل إلى بيان موقف المنافقين من هذه الحرب ويوضح غرضهم :

" أيعجبكم الصيادون في الماء العكر ينالون منكم ومنا ، أولئكم يسرون إليكم بالمودة ، والله أعلم بما أخفوه وما أسروه ، إذا جاءوكم قالوا إنا معكم ، وإذا خلوا إلى بعضهم قالوا إنما نحن نستهزئ بهم ونلقي بذور الفتنة بينهم ، ألا إنه في صالحنا كل هذا ؛ ولكنه لا يعجبنا فيكم ولا يرضينا لكم ، فتعالوا . تعالوا يا بني جلدتنا ، تعالوا يا بني عمومتنا تعالوا إلى كلمة سواء . "

ويحذرهم السباعي من مغبة إهدار فرصة الصلح والسلام ، مشيراً إلى مساوئ الحرب ، مبيناً منافع السلام :

" واحذروا أن يحكم التاريخ عليكم بالعناد ، أو بأي شئ آخر يزري بكرامتكم ، فحكم التاريخ قاس ، ونحن أشفق الناس عليكم منه ، فتعالوا . تعالوا يا بني جلدتنا .. "

وفي ختام مقاله يبرز الحقيقة الواقعة في حينه بقوله :

" ألا كفى : نحن نحن الظافرون ، هذه أيدينا مبسوطة إليكم أن تعالوا ، فتعالوا يا بني جلدتنا تعالوا يا بني عمومتنا ، تعالوا إلى كلمة سواء "

ومما يلحظ على أسلوب السباعي في هذه المقالة . أنه يوازن بين لغة التودد والتقرب

---

(١) كذا في الأصل والصواب : (فاعلين)

(العاطفة) من جهة . ولغة القوة والتحذير (العقل) من جهة ثانية . كما يمتاز بالسهولة والوضوح . مع اقتباسه بعض فقرات مقاله آيات من القرآن الكريم .

فحديثه عن الذين يصطادون في الماء العكر يمكن أن نعده اقتباساً للآية الكريمة **{ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون}** ."[1]

ومن ذلك انه ينهي كل مقطع من مقالته بعبارة : " فتعالوا يا بني عمومتنا تعالوا إلى كلمة سواء .. " فهي تكررت في المقال أكثر من أربع عشرة مرة . وهي تعد اقتباساً للآية الكريمة:-

{ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم .. } الآية[2]

ومما يلحظ أيضاً أن السباعي في مقالته هذه يبدئ ويعيد في معانية على طريقة الخطباء ، ومن ذلك استخدام النداء في مقاله وتكرار بعض الكلمات . ولا غرو في ذلك حيث إن السباعي كان من الخطباء المعدودين في جيله كما سبق وذكرنا ذلك[3]

كما أن النثر السياسي :- " يؤثر عادة الأدلة الخطابية لأنها أنفذ في إقناع الجماهير من سواها ... ويكثر فيه عادة التكرار .. "[4]

وللسباعي عدد آخر من المقالات حول هذه القضية[5] .

ومن مقالاته السياسية تلك التي كتبها عن الاحتفالات التي أقيمت في مدينتي الطائف ومكة بمناسبة قدوم ولي العهد السعودي (آنذاك) الأمير سعود بن عبد العزيز وأخيه الأمير فيصل قائدي الجيش السعودي العائد من اليمن ظافراً .

ومن ذلك قوله :

" كان فتحاً كريماً عاد أبطاله وأماني الإسلام معقودة في ألويتهم، وآمال العرب ملفوفة في

---

(١) سورة البقرة آية ١٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٣) انظر **المدخل** من هذا البحث ، ص : ١٤

(٤) عمر الدسوقي : نشأة النثر الحديث وتطوره ، دار الفكر العربي ، ط١٩٧٦م ، ص، ١٠٣- ١٠٤

(٥) انظر : صوت الحجاز ع ١٠٩ في ١٤ / صفر / ١٣٠٣هـ / ١٩٣٤م ، ص١

انظر : صوت الحجاز ع ١١٠ في / ٢١ صفر / ١٣٠٣هـ / ١٩٣٤م ، ص١

انظر : صوت الحجاز ، ع ١١١ ، ٢٨ / صفر / ١٣٠٣هـ / ١٩٣٤م ، ص ١

انظر : صوت الحجاز ، ع ١١٤في ٢٠ / ربيع الأول / ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ص(١، ٣)

رجالهم .. هذا الفتح الكريم وهذا النصر العزيز وهـــذه البطولـــة العادلـــة مصـــدر الإكبـــار والإخلاص والحب الذي أشرب به قلب الشعب ... واندفـــع ... يقيـــم المـــهرجانات وعلائـــم الأفراح يمشي في جموع عظيمة إلى الاستقبال ... حيهلابك يا أمـــير الشـــباب النـــاهض ... حيهلابك وبمقدمك .. وحيهلابكم جميعاً يا أصحاب السمو الأمراء من آل بيـــت الملـــك فلقـــد ضربتم في الشجاعة والتعقل الأمثال ... وأنت يا عاهل العرب وسيدها نرفع إلى سدتك العاليـــة خالص التهاني بعودة أشبالك الصناديد من ميادين الوغى فائزين بأحسن ما يفوز به فاتح فـــي الأرض ، ونعود فنشكر فيك حب العدل والسلم ومساعيه العظيمة في صالح رابطـــة الإســـلام وجامعة العرب ونتمنى أن يبقيك الله ذخراً للدين وملجأ للموحدين . "[1]

ومنها أيضاً حديثه عن محاولة الاغتيال التي تعرض لها الملك عبد العزيز في الحرم المكـــي الشريف في موسم حج عام ١٣٥٣هـــ ، والتي باءت بالفشل[2].

ويدخل ضمن هذا حديثه عن الرابطة الإسلامية التي تبنتها ودعـــت إليـــها المملكـــة بديـــلاً للرابطة القومية . فدافع عن توجه المملكة هذا وبين أن هذا هو الأصل لأنها تقوم على أوامـــر الدين الإسلامي الحنيف وفند مزاعم دعاة القومية حيث يقول : " نحن ندعو إلى تضامن أشـــمل وتعاون أوسع ندعو إلى ما نادانا بها الدين ، وحضنا عليها وأوصانا أن نسعى إليها بما نملـــك من إيمان . أتكون دعوتهم إلى التضامن وسيلة لجمع الشمل وتوحيد الصـــف لأنـــها صـــدرت عنهم ولا أكثر ولا تكون مدعاة لكل هذا لأن الدين مبعثها . ولئن كان الغرض ألا يجـــيزوا إلا ما نبع عنهم أو ما هيمنوا عليه فتلك أنانية لا تتفق مع شرف الدعوة التي يدعون لـــــها .. وإلا فما معنى ألا يكون التضامن صادقاً إلا إذا دعي إليه بأسمائهم واصطبغ بصبغتـــــهم نحـــن لا نريد صبغة إلا ما صبغنا الله ، ولا نريد وسيلة إلا ما ألزمنا بها ديننا وفرضـــــه إيماننـــا فـــهل ينقمون منا إلا أن آمنا بالله ؟ ... "[3]

ثانياً : محور الأحداث العربية والإسلامية :-

كتب السباعي معلقاً على كثير من الأحداث العربية والإسلامية . ومن أوائل ما نقف عليـــه في هذا الصدد مقاله الذي نشر بصوت الحجاز تحت عنوان : " القضية المصرية بين الأمس

---

(١) انظر صوت الحجاز : مقالة (أهلاً بالكرام الفاتحين) ع ١١٩ في ٢٥/ ربيع الثاني / ١٣٥٣هـــ . ١٩٣٤م ، ص ١ . ومقاله :(أسبوع العيد) ،ع ١٢٠ في ٢ / جمادى الأولى ، ١٣٥٣هـــ / ١٩٣٤م ، ص١

(٢) انظر صوت الحجاز : مقاله : (ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ، ع ١٥٠ في ٢٠/ ذي الحجة ١٣٥٣هـــ / ، ص (١، ٣) ، وعن تفاصيل ذلك الاعتداء تنظـــر المصدر نفسه ، ص(٢، ٣)

(٣) انظر كتابه (قال وقلت) ، مقالة : ترى ماذا ينقمون منا ، ٢/ ٢٤٩ – ٢٥٠

واليوم "[1] ، تحدث فيه عن الأحزاب المصرية وآرائها المتباينة في الوسيلة الأجدر للخلاص النهائي من الانتداب البريطاني على مصر . فهناك من يذهب إلى الحرب ، وهناك من يذهب إلى السلم عن طريق المفاوضات وغير ذلك من الآراء .. فيرى السباعي في ختام مقاله أن الهدف لدى الجميع واحد وهو استقلال مصر . ولهذا يوجه نداؤه إلى تلك الأحزاب المصرية المختلفة يحثها ويناشدها أن تأتلف : " لتنتهي بذلك إلى غايتها المنشودة .." ألا وهي الخلاص من المستعمر .

ونجده في مقال آخر بعنوان : " ماذا بين العراق وإيران " [2] يتعرض لمشكلة الحدود بين العراق وإيران التي نشبت في ذلك الوقت وكانت تنذر بحرب بينهما ، ولكن السباعي كان متفائلاً بعدم قيامها . وذلك حسبما يرى لرابطة الدين التي تجمع بين البلدين الجارين المسلمين مبيناً أن المسلمين في ذلك الوقت أحوج ما يكونون فيه إلى التكاتف لتحرير بلادهم من المستعمرين . وختم مقاله بقوله :

" ألا وإن في الشرق نهضة تحسب لها أوربا ألف حساب ألا وإن هذه النهضة لا ننتفع بها ما لم تتعاون شعوبنا جميعاً على تأييد بعضها بالتسامح والتكاتف ، والعمل في سبيل جامعتها بنزاهة وإخلاص ألا ليتنا نسمع "

وحينما ظهرت قضية فلسطين على السطح شغلت - وما زالت - كثيراً من نتاج الأدباء والشعراء العرب والمسلمين . والسباعي كتب عدداً من المقالات حول هذه القضية . يتلخص مضمونها في وجوب العمل على استرداد الأرض المسلوبة بالقوة ، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بها ومن هذا المنطلق فالسباعي معجب بما يفعله الفدائيون الفلسطينيون الذين أحالوا ليالي العدو إلى قلق دائم :

" أتراني أحسن الإشادة بقوم وضعوا رؤوسهم في أكفهم وتقدموا بها في بسالة لا يبغون من وراء جرأتهم إلا أن يموتوا أو تعيش بلادهم حرة . أتراني أحسن التعبير وأنا أصف ليوثاً أبوا إلا أن يثيروها جذعة في وجوه الغاصبين ، وقد استطاعوا رغم قلتهم ورغم فقرهم إلا من إيمانهم بحقوقهم أن يقضوا مضاجع العابثين وأن يسلبوهم أمنهم وهناءتهم .. "[3] ويصف مايقومون به من أعمال ضد العدو بقوله :

" إنها أعمال جن مستنفرة فرت من قسورة ، لقد قيل إنهم أبطال ولكنهم ليسوا كالأبطال ..

---

(١) صوت الحجاز : ع ١١٥ ، في ٢٧ / ربيع الأول / ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ص (١، ٣)

(٢) صوت الحجاز : ع ١١٧ في /١١/ ربيع الثاني / ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ص١

(٣) قال وقلت : ٢/ ٢٣٧ .

وقيل إنهم رجال ولكنهم ليسوا كالرجال . قيل إن لهم كياناً ولكنه ليس ككل كيان .. وأن لهم تكتيكاً ولكنه ليس ككل تكتيك وإن لمسيرتهم رعباً ولكنه ليس ككل رعب .. وإنهم مع هذا وبكل هذا لا يكادون يعرفون إلا بأثرهم وما تركوا خلفهم من خراب ودمار في حصون المعادين ومعاقلهم . أتدري يا بن أخي أنهم لا يضعون عيونهم على منطقة حتى يهبطوها هبوط الليل وينسلوا خلالها انسلال الأشباح ، يبثون الألغام ويشعلون الحرائق ويدمرون أقوى العتاد ثم لا يلبثون أن يتبخروا كما يتبخر الغاز في الهواء الطلق ... أحالوا ليالي العدو إلى قلق دائم تتراءى لهم فيه أشباح مخيفة وخيالات مروعة ،وليس كالقلق ما يثير الرعب ويحقق الهزيمة . ألا فاصبر وما صبرك إلا بالله . ثق يا ابن أخي أنهم بعون الله عائدون . "[1]

ويفسر النكسة التي أصيب بها العرب والمسلمون في فلسطين على أنها مرحلة سيعبرها العالم العربي إلى ساحة النصر :-

" إذا كنا قد أصبنا يوم النكسة في فلسطين بالأمس فلسنا أول مصابين في الحياة ، فتاريخ الأمم والشعوب حافل بالكثير من أمثال هذه الحوادث التي ضرب فيها على المبادئ وأصيب أصحابها بأكثر مما أصبنا ، ثم ما لبثت عجلة الزمن أن دارت دورتها لتعيد الحق إلى نصابه وتبطل كلمة المبطلين ... أنا لا أشك أن إصابتنا كانت درساً أراد الله أن يذيقنا به بعض بأسه لنذكر بعض ما نسينا من معاني الوفاء وحقوق الإخاء . فلنحمد الله أن قدر وتلطف ، ولم يذقنا كل بأسه وليكن في هذا ما يحفزنا لإعادة الصفوف وتسويتها لتستقيم في مسيرتها الجديدة.."[2] .

ويمكن القول إنه لكي يتحقق النصر من وجهة نظر السباعي، لا بد من العمل وفق الأمور الآتية :-

١-يجب أن ندعم أقوالنا عن حقوقنا المسلوبة في فلسطين بالأفعال الجادة :-

"أستطيع أن أقول إن فلسطين المسكينة شبعت من تنميق الكتاب وتنضيد الشعراء ، وبراعة الخطباء ، وبلاغة المحامين ، وباتت في أشد الحاجة إلى غير هذا اللون من المدد .. "[3]

فهل يوجد عاقل يقول إن :-

---

(١) قال وقلت : ٢ /٢٣٨

(٢) قال وقلت ١/ ٤٧ - ٤٨ .

(٣) سباعيات : ٢/ ١٣٧

"أقلامنا وما تدبجه من فصيح القول ، وقصائدنا وما تنطق بها من متين الشعر ، ومنصاتنا وما تضج به من بليغ الكلام، كافية لرد العاديات والصمود أمام المغيرات؟

طيب الله ثراك يا أبا الطيب فقد كنت أصدق من يعبر عن أحوالنا اليوم وأنت تقول : -

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب "[1]

والواقع أنه :

" ليس بيننا من يجهل أن حاجتنا اليوم ماسة إلى أن نغير أسلوبنا في الحياة ليست الحياة أقوالا فقط ننمقها ، ولا أشعارا نترنم بها ولا منابر تهتز لأصواتنا ، ولا مجالس ننظم عقودها لتنفض عن قرارات نملأ بها دفاترنا وحفائظنا . لا . وليست صحفا نبرز عناوينها بالقلم العريض الأحمر ، ولا مراسلين يموهون علينا حقائق الأحداث ، ولا وكالات تصوغ الأنباء كما يملئ عليها ، ولا إذاعات تجيد تصنيف القول وتوضيبه .ليست الحياة في شيء من هذا إلا إذا أعقبته النية المخلصة ، والوئام الصادق ، والعمل الفعال ، وردد صداه السيف البتار :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم "[2]

٢-الاعتماد على الذات في استعادة حقوقنا المسلوبة في فلسطين :

ولكي يتم ذلك لا بد أولا من توحيد الكلمة والصف ونبذ الخلافات :-

" يا قوم ، ما حك جلدك مثل ظفرك : فإذا لم نتول أمورنا في حذر وإذا لم نحقق الصديق قبل الطريق وإذا لم نعمل لجمع شتاتنا في مسيرة واحدة فسنظل في مكاننا من الحضيض .. سنغري بنا من ينتقصنا ، ونعطيه الفرصة لينتقص أطرافنا في كل يوم طرف حتى يحين الحين من الدهر فإذا بنا وكأن لم نكن شيئا مذكورا على خارطة الأرض . يا قوم إن داءنا الدوي في شتات كلمتنا واختلاف مشاربنا "[3] .

---

(١) المصدر نفسه : ٢/ ١٣٧ . ، ولقد سها الكاتب في نسبة البيت الذي ذكره فالبيت كما هو مشهور لأبي تمام من قصيدته في فتح عمورية ، انظر ديوانه : بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط دار المعارف ، ١٩٦٤م ، سلسلة ذخائر العرب رقم ٥ المجلد الأول ، ص٤٠ .

(٢) أوراق مطوية مطبوعات نادي الطائف الأدبي ط (١) ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ص : ١٧٥ . والبيت الذي استشهد به الكاتب هو لزهير بن أبي سلمى . انظر ديوانه : صنعه الأعلم الشنتمري ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، دار الآفاق ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص٢٧

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

ومن أسس الاعتماد على الذات عدم اللجوء إلى معين من الغرب أو الشرق وبخاصة روسيا التي عول عليها كثير من العرب في استرداد حقوقهم . فهي :

" تدعي نصرة العرب ، وليس في العرب من يجهل أنها كانت أسبق من اعترف بإسرائيل وأنها في أكثر من مناسبة مدت إسرائيل بمساعداتها ، وأباحت لليهود رعاياها أن يهاجروا إلى إسرائيل ليدعموا مركزها على حساب العرب ، وحتى عندما فرضت هيئة الأمم المتحدة حظر إرسال السلاح إلى المتحاربين في فلسطين بعد وقائع عام ١٩٤٨م كانت روسيا تمد إسرائيل بالكثير من السلاح الذي قضى على كثير من حقوق العرب ... "(١)

ولهذا هاجم السباعي الذين ارتموا في أحضانها من العرب ، مذكراً إياهم بغدرها وخداعها واستغلالها للشعوب :

" ما بال إخوان لنا وبينهم المثقفون والواعون وحاملو الدرجات العالية تنطلي عليهم أباطيل الشيوعية ، فينسون مواهبهم وحظوظهم من الاستقلال الفكري ، ويستسلمون لدعوات لا تثبت أمام الاستقراء والتطبيق العلمي ... هل أغرتهم بوعودها وفات ذكاؤهم ما جرت مثل هذه الوعود على غيرهم قبلهم ، وكيف استدرجتهم حتى أسلمتهم لقيودها وفرضت أغلالها على سائر بلادهم .. "(٢)

واوضح أن ما تمد به العرب من أسلحة وعتاد ليس حباً وتأييداً للعرب ، وإنما خدمة لمصالحها ومخططاتها وأطماعها في البلاد العربية :

((: فهي اليوم لا تبخل على أصدقائها من العرب بالأسلحة الماضية ، والعتاد الثقيل ولكن هل من ثمن . ؟ إنها كريمة النجاد لا يهمها من الثمن إلا ما يرمي إليه مخططها من أدق الأسرار ، حسبها من أصدقائها أن ينعموا بأحضانها ، وأن يحشدوا هداياها ليدكوا بها جبال اليمن ، ويفتحوا أمامها مضيق عدن ويسيطروا باسمها على محميات الجنوب لتهيمن على ممرات استراتيجية لا تحلم بها حسبها من أصدقائها أن يجندوا في سبيلها مئات الأقلام وعشرات الأصوات وألوف الكلمات الشابة التي تدير رؤوس المراهقين وتفتن الساذج والغافل ، وتكاد أن تنسي العابد طريق مصلاه ... رحمة لك يا فلسطين فقد أصبحت محوراً لكل ما تدور عليه أغراض موسكو ... وانقلب رجالك الذين كنت تنيطين بهم آمالك

---

(١) قال وقلت : ٢/ ١٧٤ ,

(٢) أوراق مطوية ، ١٧٤- ٢٧٥

أقلاماً في يد الظالمين . ألا غضبة يا قوم . ألا نهضة يا أحرار العـــرب ، فقـد حمت الأزمة وأشتد أوارها وليس لكم إلا أن تجمعوا أيديكم بعيداً عـــن الأيـدي الملوثة ، ولا تتداعوا خلف من يستهتر بكم أو يجندكم لأغراضـــه وإلا أصبحـت قضيتكم قضية روسية . عليكم أن تعينوا الزمان والمكان والإطـــار بدافـع مـن داخليتكم "[1]

ويكرر السباعي التحذير من الاعتماد على روسيا فإن :-

التجاء العرب بروسيا بعد أن ادلهمت أمورهم سيكون له خطره الـــذي لا يقـاس بأي خطر تجرع العرب مرارته قبل اليوم . فروسيا التي خططت لتجر العـــرب إلى ما جرتهم إليه لا تنوي بكل ما فعلت إلا خدمة مصالحها . فليتنا نكتفـي بمـا جربنا . ولا نغذ السير قبل أن نتبصر مواقع أقدامنا ، وأن نقف حيث وقفنـــا دون أن نعتمد إلا على سواعدنا وإلا أسلمنا عواقبنا لأسوء مانعاني اليوم . ورحـــم الله الشاعر العربي الذي يقول :

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك))[2]

أما ما أصدرته المنظمات الدولية من قرارات حول القضية الفلســطينية فـيرى السباعي أن ما لا يتفق منها مع استرجاع حقوقنا فلنضرب به عرض الحـــائط . يقول :

((ما دمنا نترك للهيئات الدولية أمر البحث في مصير بلادنا المحتلة فإننا بـهذا نقدم لإسرائيل أوفى ضمان لبقائها آمنة فيما احتلت من بلادنا ...

ونعطيها أوثق أمان لتبني في بحبوحته ما تشاء من مشاريع ومؤسســات دون أن يخالجها شك في أنها بنت لنفسها حق البقاء المستمر ولو بدا لها أننـا جـادون في استرجاع حقوقنا بأيدينا ، وأننا على استعداد لأن نضـــرب بعـرض الحـائط الحلول التي تحاولها أية هيئة دولية لا تتفق مع استرجاع حقوقنا لما وجدت مـــن الجراءة ما يشجعها على صرف الأموال وبذل الجهود في سبيل لا تأمن نهايتـــه ولا تضمن عواقبه ...[3]

٣-العمل بقدر المستطاع على حياد الدول الكبرى وبخاصة الولايـــات المتحـدة الأمريكية في صراعنا المسلح مع العدو الصهيوني يقول : -

---

(١) أوراق مطوية ، ٢٤٢ - ٢٤٣

(٢) قال وقلت، ٢ / ١٧٢

(٣) قال وقلت ، ١ / ١٣٧

" إن مغتصبي أراضينا يستندون إلى إحدى القوتين استناداً لا يوصف... يستندون إلى من يتبناهم ولا يتوانى لحظة واحدة عن تسخير جميع إمكانياته الجبارة لخدمتهم ، بالإضافة إلى من يمالئه من كبريات الدول التي تحالفه ... إننا إذا استطعنا أن ننجح في عزل هذه القوى التي تبنى خصومنا وأن نضمن حياد جميع الممالئين من كبريات الدول المعروفة فقد خطونا إلى النصر من أوسع أبوابه.. "[1] .

والسباعي كان يدرك صعوبة تحقق هذا المطلب ويمكننا أن نقول إنه رأى أن من الوسائل المعينة على تحقيقه :-

أ- الاستفادة في توجيه الرأي العام العالمي بأقوال - من سماهم السباعي - أحرار اليهود والغربيين ، والذين أدانوا أعمال العدو الصهيوني وأقروا بحقوق الشعب العربي في فلسطين حيث يقول بعد أن أورد عدداً من الأمثلة على أقوال أولئك المنصفين :

((ولو أردنا أن نستقصي كلما أذيع بأصوات العاملين للحق أو نشر بأقلام دعاة الحرية في أوربا وأمريكا لطال الأمر بنا كثيراً ، ولكن الذي أعرفه أن عناية هؤلاء الأحرار مهما أتسع مداها لا يصح أن يستغني عن حملة العرب الدعائية الصادقة التي تثير شعوب أوربا وأمريكا على كل من يؤيد باطل اليهود أو يدعم مخازيهم ..))[2]

ويقول في موضع آخر مشابه :

" هذا قليل من كثير صدع به عشرات وعشرات من دعاة الحق والفضيلة من أصحاب الرأي في أوربا وأمريكا ومن الطريف أن بينهم من أحرار اليهود وزعمائهم الروحانيين والسياسيين من لم يبالوا شيئا" في سبيل الحق وأن من بينهم من توسع في إدلاء الحجج وبسط البراهين في صورة تؤيد حقوق العرب ولست أشك في أن العرب لو عنوا بجمع مثل هذه الأدلة التي شهد بها أهل المعتدين وبنو جنسهم لتهيأ لهم دعماً جديداً صالحاً[3] لإقناع كل الذين غررت بهم الصهيونية ودعاواها الكاذبة ، من شعوب أوربا وأمريكا . فهل نفعل؟))[4]

---

(١) سباعيات ١/ ١٨- ١٩

(٢) قال وقلت ، ٢/ ٢٣٤ .

(٣) هكذا في الأصل والصواب ((دعم جديد صالح))

(٤) المصدر نفسه ، ٢/٢٣٦

ب- استخدام ما يمكن أن نسميه (باللوبي العربي)

فالسباعي يرى أن من الواجب على الجاليات العربية والإسلامية المقيمة في الدول الغربية الكبرى أن تدعم مراكزها ونفوذها في تلك الدول ، لتستطيع أن تستغل ذلك في توجيه سياسة تلك الدول لصالح العرب والمسلمين وقضاياهم وبخاصة قضية فلسطين . أسوة بما تفعله الجالية اليهودية في شتى بقاع الأرض[1]

ومن مقالاته السياسية المتميزة بأسلوبها مقالته الناقدة لنهج السياسة المصرية في فترة من فتراتها . ونورد مقاطع منها هنا لأنها تمثل نموذجاً متفرداً في كتابة المقالة السياسية بأسلوب بعيد عن الخطابة والتقرير اللذين يعتمد عليهما النثر السياسي في العادة , يقول في بدايتها :

((لقد مشاها

مشاها ليقال : إنه رائد العروبة ..

مشاها خطى لم يتبينها .

مشاها ولم يجد حوله من يبصره بها .

مسكين هو فلا تعذلوه ..

لا تعذلوه .. فإن العذل يؤلمه في قبره .

لوح له خلفاء الماركسيين بالكثير ..

قالوا له : ستقود العرب بعصاك .

وقالوا له : سنجمع إليك مقدرات الشرق ..

وقالوا له : وقالوا : فمضى في خدمتهم مأخوذاً بما قالوا .

وأعلن اشتراكيتهم مغروراً بما وعدوا

مسكين هو .. فلا تعذلوه .. لا تعذلوه فإن العذل يؤلمه في قبره .

. . .

. . .

باسم الوحدة دفعوه إلى سوريا ليتصيدها ففشل .

وباسم الوحدة حاولوه ليجوز العراق لهم فخسر .

وباسم الوحدة دعموه ليضم الجزائر فضاعت عليه الجزائر .

مسكين هو .. فلا تعذلوه .. لا تعذلوه فإن العذل يؤلمه في قبره .

. . .

---

(١) انظر قال وقلت : ١/ ١١١- ١١٢

. . .

في سبيل موسكو نسي صداقة البدر في اليمن .
وفي سبيلها جند الألوف ليدوس على مقدراتها .
وفي سبيلها صب نيرانه على المدن والمزارع والقرى .
وفي سبيلها قضى على آمالها في مستقبل الحياة .
مسكين هو فلا تعذلوه .. لا تعذلوه فإن العذل يؤلمه في قبره .

.

ظنوا صحوة ضميره يوم هبط جدة ليصافح .
وظنوا شرف توقيعه يوم قبل المبادئ ووقعها .
ظنوا ولكنه ما كاد يزور موسكو حتى خاب ما ظنوا .
وندب مفاوضيه في (حرض) ليقضوا على آمال حرض .
مسكين هو .. فلا تعذلوه .. لا تعذلوه لأن العذل يؤلمه في قبره .

. . .

. . .

إنه مشنوق وللمشنوق أن يسب السلطان .
للمشنوق أن يتطاول ويفتري .
للمشنوق أن يقذع ويتهجم .
للمشنوق أن يسفه ويتبجح .
إنه مسكين .. فلا تعذلوه ..لا تعذلوه فإن العذل يؤلمه في قبره .
واليوم وقد سلم أمانته لأخيه المؤمن فهنئوه .
مشى (المؤمن) على سننه فأدار ظهره للعرب .
باع نفسه لأمريكا فأمرته أمريكا أن (يصهين)
ما (صهين) حتى نسي القدس وتراخى في أمر فلسطين .
ما (صهين) حتى قبل ما أملته مطالب صهيون .
إنه كأخيه مسكين فلا تعذلوه .
لا تعذلوه .. فإن العذل يؤلمه في دست ملكه "[1]

ومن مقالاته السياسية التي تتعلق بالأحداث العربية :

---

(١) أوراق مطوية : رسائل مطوية رقم ٩ ، ص (٤٠٠ - ٤٠٣)

حديثه عن الخلاف بين العراق والكويت في عهد عبد الكريم قاسم[١]

وحديثه عن استقلال الجزائر[٢] .. وغيرها .

ثالثاً / محور الأحداث العالمية :

وشملت مقالات السباعي السياسية تعليقه على بعض الأحداث العالمية ، وبدأ ذلك حينما أشرف على تحرير القسم السياسي الخارجي في صحيفة صوت الحجاز في وقت من الأوقات ومما يميز ذلك التعليق السياسي للسباعي أنه كان يدلي بدلوه حول تلك الأحداث ، فيطرح وجهة نظره في ذلك الحدث وأحيانا يعلل ويدلل عليها فمثلاً تحدث في أحد مقالاته عن الخلاف الذي نشب بين فرنسا وألمانيا حول أقليم السار في عام ١٩٣٤م ، فبين فيه السباعي بداية المشكلة ثم انتقل للحديث عن جوهرها والذي يتمثل في الصراع على ذلك الإقليم ، لما له من أهمية لكلا الدولتين بسبب ما يضمه من ثروات طبيعية كبيرة . موضحاً أن هذا الإقليم كان في الأصل ألمانيا ، ثم سلخ من ألمانيا حينما هزمت في الحرب العالمية الأولى ، ووضع تحت الوصاية الفرنسية عوضاً لها عن خسائرها في تلك الحرب وعقاباً لألمانيا .. وذهب السباعي إلى أن هذه المشكلة تمثل بداية حرب جديدة بين البلدين ..[٣]

ومن ذلك حديثه عن مبادئ غاندي في الهند ، ودعوته للعصيان المدني ، وموقف السياسة الإنجليزية من ذلك التي اعتمدت على تجويع الشعب الهندي كي يرضخ لها . ففي مقاله الذي بعنوان " هل تهزم مبادئ غاندي في الهند "[٤] فأوضح فيه أنه لا يذهب مذهب المتشائمين القائلين بأن هذه الحركة ،في الهند ستهزم فيقول متعطفاً مع تلك الحركة ناقماً من سياسة المستعمر الإنجليزي :- ((بيد أني لا أريد أن أتشاءم كثيراً في فشل الحركة الوطنية هناك ، ما دامت الهند مليئة بأشباه غاندي ، وفي رأيي أن الضغط هذا الذي يرتكز عليه المستعمرون سيولد في يوماً ما انفجاراً لا بد وأن يكون في صالح الوطنيين ، والليالي من الزمان حبالى)) وقد كان ما ذهب إليه السباعي ، حيث استقلت الهند واندحر المستعمر .

---

(١) انظر: مجلة قريش،ع ٨٦ في /٢٨ /١٣٨١/١هـ، مقالة (هل يتراجع عبد الكريم قاسم عن موقفه)، ص٧ عبد الكريم قاسم: ضابط عراقي، قاد ثورة تموز ١٩٥٨م فأطاح بالملكية قضى عليه عبد الكريم عارف في انقلاب عسكري، المنجد في الأعلام دار الشرق، بيروت، ط (١٩) ١٩٩٢م ص ٤٣١

(٢) انظر : سباعيات : ٢/ ٩٥ - ٩٦ .

(٣) صوت الحجاز : ع ١١١ في ٢٨ / صفر / ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م ، ص (١، ٤ ، مقالة (مشكلة المشاكل بين فرنسا وألمانيا) .

(٤) صوت الحجاز : ع ١١٣ في ١٣ / ربيع الأول / ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، ص١ .

ومن ذلك أيضا حديثه عن تقارب هتلر[١] وموسوليني[٢] وتشكيلهما لجبهة مقابلة لجبهة فرنسا وحلفائها ، فقد أوضح السباعي في مقاله : " موسيلني وهتلر[٣] أن خوف هتلر من التقارب الروسي الفرنسي هو الذي دفعه للبحث عن حليف . فمن عساه يجد : ((ومن غير موسليني أحرى بذلك ، وهو الدكتاتور الذي تتفق مبادئه كثيرا مع مبادئ هتلر ، وتكاد سياستهما تصطبغ بلون واحد ..))

ومن الجدير ذكره هنا ، أن السباعي دعا في نهاية مقاله هذا المسلمين إلى الاستفادة من تلك الأحداث التي تقع في أوربا ، وذلك بأن يستغلوا الفرصة من انقسام الأوربيين على أنفسهم ، فيقوموا بتحرير بلادهم من أولئك المستعمرين يقول :

" وهنا نتساءل هل قدر لأوربا أن تعيد تاريخ ما قبل الحرب العامة فتصبح منقسمة إلى شطرين ..؟ وإذا أصبحت كذلك فهل هذا إنذار بحرب جديدة .. ؟ يظن الكثيرون ذلك ويتوقعون فيه قلب أوربا . فليت المسلمين يستعدون له لينتفعوا به في بلادهم المسلوبة حريتها ، المهضومة حقوقها . " .

وغير ذلك من المقالات التي تحدث فيها عن عدد من الأحداث العالمية التي كانت بارزة على الساحة الدولية في ذلك الوقت "[٤] .

وهذه الأحداث العالمية هي في الأصل أخبار صحفية ، ولكن حينما يحاول الكاتب أن يعرضها عرضا خاصا أو يعلق عليها تعليقا خاصا . ــ وهذا ما حدث في مقالات السباعي ــ فإنه يخرجها من دائرة الخبر الصحفي إلى باب المقالة الصحفية [٥] .

---

(١) أدولف هتلر (١٨٨٩ــ ١٩٤٥) سياسي ألماني، أقام تطلما دكتاتوريا بوليسيا عرقيا عنصريا، أشعل الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م، هزم، وانتحر في برلين (٣٠) نيسان ١٩٤٥م
المنجد في الأعلام ، ص. ٥٩٣

(٢) بنتوموسوليني (١٨٨٣ــ ١٩٤٥م) من رجالات الدولة في إيطاليا أسس الحزب الفاشي ١٩١٩م واستولى على الحكم ١٩٢٢م تحالف مع هتلر ودخلا الحرب العالمية الثانية معا عام ١٩٤٠م قتل مع نهاية الحرب عام ١٩٤٥م
المنجد في الأعلام ص.٥٥٦

(٣) صوت الحجاز: ع ١١٤، في ٢٠/ ربيع الأول / ١٣٥٣هـ ــ ١٩٣٤م، ص. ١

(٤) انظر مثلا ، صوت الحجاز ، ع (١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١) ، ص١ ، وع ١٢٢ ، ص (١ ، ٤) ، وع١٢٣ ، ص ١ .

(٥) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٦٤م ، ٢١٣/١ .

٣ ـ المقالة الاجتماعية :

تمهيد :-

الأدب والمجتمع :-

أصبحت هناك عبارة شائعة تصور العلاقة بين الأدب والمجتمع وهي قولهم: (الأدب تعبير عن المجتمع).

وهذا لا يعني أن يكون الأدب في هذه الحالة أدباً تسجيلياً ينقل أحوال المجتمع نقلاً جامداً كما هي . بحيث يهمل الأديب من أجل ذلك القيم الفنية الخالصة في الأدب إهمالاً تاماً ، فهذا ليس من الأدب في شيء . كما أن الأديب الحق هو الذي يتخذ لنفسه دائماً موقفاً (فكرياً) من مجتمعه متأثراً به في البداية مؤثراً فيه في النهاية ، وهذا بخلاف الأديب التجاري ، الذي يتملق الجماهير ويترك إرادته تذوب في إرادتها . فالأديب الأول هو عامل دفع وتقدم لمجتمعه بخلاف الثاني الذي يترك مجتمعه يدور في نطاق ذاته[١] .

وتعد هذه القضية :(الأدب والمجتمع / وظيفة الأدب) . من أبرز محاور النقد الأدبي الحديث . وقد تباينت فيها الأقوال وتعددت كل بحسب منهجه وعقيدته . ولكن مما لا خلاف فيه أن الجميع يتفقون على أهمية ارتباط الأدب بالمجتمع ، وإن اختلفوا في التنظير لذلك .

يقول مؤلفا كتاب (نظرية الأدب) :-

((الأدب مؤسسة اجتماعية ، أداته اللغة ، وهي من خلق المجتمع ... أضف إلى ذلك أن الأدب يمثل الحياة والحياة في أوسع مقاييسها حقيقة اجتماعية واقعة ... وعلى هذا فإن الكثرة

---

(١) انظر حول هذا حديث د. عز الدين إسماعيل في كتابه : الأدب وفنونه دار الفكر العربي ، ط٧ ، ١٩٧٨م ص ،ص (٤٢- ٤٧) .

الكاثرة من المسائل التي تطرحها الدراسة الأدبية هي مسائل اجتماعية بشكل ضمني أو كلي : مسائل الأعراف والتقاليد . . .))[1]

ويقرران بأن ((الكاتب لا يتأثر بالمجتمع فقط . إنه يؤثر فيه . . .))[2]

ويوضحان في موضع آخر بأن الأدب الاجتماعي هو أحد أنواع الأدب على اعتبار أن الأدب محاكاة للحياة كما هي : ((وللحياة الاجتماعية بشكل خاص))[3]

ويؤكد د. شوقي ضيف :- على مشروعية مطالبة الأديب بأن يكون اجتماعياً :-

((والذي لاشك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه ، وإنما يكتبه لمجتمعه ، وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح ، فإنه بمجرد أن يمسك بالقلم يفكر فيمن سيقرءونه ، ويحاول جاهداً أن يتطابق معهم ويعي مجتمعهم وعياً كاملاً بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله ، لسبب بسيط وهو أنه اجتماعي بطبعه ، ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعياً في أدبه ، مطالبة طبيعية ، أما أن يتخلى عن مجتمعه ، فإن ذلك يعد شذوذاً وانحرافاً وانسياقاً نحو ضرب من الانعزال من شأنه أن يفت في عضد المجتمع . . .))[4] مبيناً أن ذلك لا يعني أن نهمل القيم الفنية في الأدب[5] .

ومن فنون الأدب النثرية - المقالة ، وألصق أنواعها بالمجتمع المقالة الاجتماعية ،وهي تلك المقالة التي تبحث في :-

((شؤون الأمة ، من حيث البيئة والتأقلم ، وعاداتها وتقاليدها ، وتطورها ومقابستها ، ونوازع الأفراد والشعوب النفسية وردها إلى أصولها . . . وربطها بغد الفرد والجماعة ، وبحث عوامل الترقي والانحدار . . . وتعلمها وتثقيفها ومختلف شؤون عمالها وموظفيها وصناعها وزراعها . . .))[6]

وقوامها عند د. محمد يوسف نجم :

((نقد العادات الناخرة والتقاليد البالية التي ترسبت في المجتمع على مدى الدهور . . . والمبرر الطبيعي لذيوع مثل هذا النوع من المقالات في مجتمع ما هو ما يطرأ عليه من

---

(١) اوستن وارين ، ورينيه ويليك : (نظرية الأدب) ترجمة محي الدين صبحي مراجعة د. حسام الخطيب ، ط ، (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) ، ١٣٧٢هـ / ١٩٧٢م ، ص ١١٩) .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٩

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٠

(٤) د. شوقي ضيف : (في النقد الأدبي) دار المعارف ط ٧ ، ١٩٨٨م ، ص ١٩١

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٩٨ .

(٦) د. علي شلق :- النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث ، دار القلم بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٤ م ص ص (٣٢١- ٣٢٢) .

مستحدثات الحضارة في الأزياء والعادات والتقاليد ووسائل اللهو والتسلية ، أو ما يحتدم فيه عادة من صراع بين القديم والجديد في فترات الانتقال ؛ يتمثل في أكثر الأحيان في ذلك التباين الذي نلمحه بين ما يتمسك به الأباء من تقاليد وبين ما ينزع إليه الأبناء من تجديد وتغيير ، وعدة الكاتب في هذه المقالات ملاحظة دقيقة ، وقدرة على إحكام الوصف ، وإجادة التحليل . . . وبراعة في التهكم والسخرية . . .))[1]

وأحمد السباعي أبرز كتاب هذا الفن في الأدب السعودي ، فالمقالة الاجتماعية استحوذت على معظم نتاجه المقالي . وقد اشتهر بأنه : " كاتب اجتماعي مجيد في معظم ما يكتبه .."[2]

ومرجع ذلك فيما يبدو لي يعود إلى إدراك وفهم السباعي المبكر لعلاقة الأدب بالمجتمع وتأثير كل منهما في الآخر ، وقد عبر عن ذلك الإدراك في عدة مقالات منها على سبيل المثال ما كتبه في صحيفة صوت الحجاز تحت عنوان : (ما الأدب تسلية) .

ومما جاء في مقالته تلك قوله :

" ما الأدب يا صاحبي تسلية تلهو بها في الفراغ ، حتى إذا اعتمدت خوض الحياة طلقته ، إن هو إلا رسالة الحياة أو الحياة نفسها ، إن هو إلا شعلة متقدة أبداً في صدر صاحبها ، يجب أن يذكيها العمل والنصب ، يَقِدُ أوارها ويبارك نتاجها "[3] .

وتحت عنوان : (للأدب أثره في حياة الأمم) كتب يقول : " قال صاحبي : ألا يصح أن نسمي الأدب ملهاة المترفين .. قلت قد يصح هذا في أمة بلغت شأوها من التقدم وباتت لاهم لها إلا أن تترف وتلهو بطيبات ما نالت .

قلت : ولكنه في غير هذا السبيل تناط به حياة الأمم الغافية ، وتعقد عليه الآمال في يقظة الوعي وإنارة الطريق . أنت اليوم لا تقرأ تاريخ أمة أثبتت وجودها بين الأمم الحية وتتبع أهم العوامل التي هيأت صحوتها وأنارت أمامها الطريق إلا وحدت للأدب أثره الفعال في حياتها . صحيح أن انتشار التعليم بين طبقات الأمة يبصرها بالحياة ويهيئها للعمل النافع الجاد ولكن الأدب هو البذرة الأولى الذي تتفتح عنه الحياة . قد تذر الأمة في غفوتها طويلاً فلا تحس بمدى ما تخلفت عن غيرها في سلم الحياة ، وربما طاب لها أن تنعم بلذة استرخائها وربما ... وهنا يأتي دور الأديب . والأديب الذي أعنيه شعلة تتوقد في احساس مرهف يستفزه واقع أمته فيألم لآلامها ويتعذب لما سدرت فيه من غفوة فيندفع في حماس ليصرخ في مضاجعها فيقض نومها ، ويطرد النعاس عن أجفانها ويظل أمره على ذلك حتى تتوثب للحركة وتتهيأ للنهوض

---

(١) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص (١٠٧- ١٠٨) .

(٢) عبد السلام الساسي : مقالة : (من رواد الأدب السعودي) مجلة القافلة ع(٦) جمادى الثانية ، ١٣٨٩هـ ، ص ٦ ، وانظر ، محمد العوين : المقالة في الأدب السعودي . ٢/٥٨٣- ٥٨٨ .

(٣) صوت الحجاز ع (١٤٧) س (٣) ، ١١/٢١/ ١٣٥٣هـ ، ١٩٣٤م ، ص ١

. لست أعني الأديب المصنوع ، ولا الأديب المتاجر ، ولا الأديب الكاذب الذي يميل بميل الأحداث فتلك أصناف ربما برعت في التنميق والتزويق وإرسال الصيحات في نبرات خادعة ، تخالها صيحات الهوى وليس فيما تزوقه وتحسن تنميقه إلا ما يحقق ربحها الذاتي ومنافعها الشخصية ، من الغبن أن نسمي مثل هذه الصنوف أدباء وهم ليسوا أكثر من تجار كلام يجيدون الصياغة ويتقاضون الثمن ، ويعرفون كيف تؤكل الكتف . إنما الأدباء الذين تستفزهم أصالتهم فيستوحون مشاعرهم ، ويندفعون بتأثير من وجدانهم ، ويأبون أن يشتروا بعقائدهم عرضاً زائلاً مهما بلغ ثمنه أو تضاعف أجره. بمثل هؤلاء الأدباء تناط حياة الأمم الغافية ، وعلى كواهلهم تعقد الآمال في يقظة الوعي . . . ولا ينتهي دور الأديب في رأيي عند هذه الصحوة لأن عليه أن يتابعها بمشعله لينير أمامها الطريق فتسلك سبيلها السوي إلى غايتها الصحيحة في الحياة))[1]

وحين سئل السباعي عن دور الأديب في مجتمعه قال :

((دور الأديب الحقيقي أن يكون صادقاً مع مجتمعه ، دور الأديب الصحيح أن يكون ناقداً ومرآة لمجتمعه يصلح ما يحسه من فساد ويقوم ما يراه من اعوجاج ، ويسد ما يتوقعه من فجوات قبل حدوثها))[2]

وعندما بدأ السباعي كاتباً على صفحات صوت الحجاز في أوائل الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري ، كان ذلك مواكباً لتبدل وتغير في ظروف المجتمع بين القديم والجديد ، ولعل أبرز تلك الظروف العامل السياسي بتوحد المملكة العربية السعودية وما أدى إليه من استقرار وتطلع إلى المستقبل فكان المجتمع حينئذٍ أحوج ما يكون إلى من يأخذ بيده فيبصره الطريق الصحيحة ، وكان هذا الدور ملقى على كواهل الأدباء المخلصين فاضطلع السباعي مع عدد قليل من أدباء جيله بهذا الدور التاريخي وبتلك المهمة الصعبة ، وبالتالي قامت المقالة الاجتماعية عند السباعي على محورين :-

أولاً :-

الاهتمام ببناء الإنسان روحاً وفكراً ... ليكون قادراً على العطاء إذ هو أساس التقدم والحضارة والنهوض .. ويعد هذا المحور هو هاجس السباعي البارز في كل كتاباته (مقالة ، قصة ، سيرة ذاتية) .

---

(١) قال وقلت ، ٢/٢١٩- ٢٢٠ وللاستزادة انظر حديثه في كتابه يوميات مجنون : ٥٢- ٥٣

(٢) مجلة اقرأ ، ع ٤٣٤ في ١٠/١١/ ١٤٠٣هـ ، ص ٥٩ .

ولذلك تعددت مضامين المقالات الاجتماعية التي تهتم ببناء الإنسان عند السباعي ، كقضايا التربية والتعليم وقضايا المرأة ومحاربة الخرافات والسلوكيات السلبية على مستوى الفرد والجماعة وقضايا الشباب . . .

وعن أهمية هذا المحور في بناء النهضة يقول أحد الباحثين :

" ينبغي أن يكون واضحاً أن الإنسان هو مادة النهضة وصانعها فإذا تحرك الإنسان تحرك الواقع وتحرك المجتمع وتحرك التاريخ كذلك ، وإذا ركد وتخدر فلن يستطيع نظام ولا قانون ولا منهج أن يغير من واقعه شيئاً . فعلينا أولاً أن نبحث عن هذا المحرك الأول للنشاط الإنساني نحو النهضة ، والذي يفجر في ضميره مكنونات الإنبعاث والتحدي للواقع المتخلف"[١]

ثانياً :- الاهتمام ببناء مشاريع النهضة المختلفة :-

كحديثه عن القضايا الاقتصادية ، والصحية والعمرانية ، وسنقف لاحقاً في الصفحات التالية عند أبرز القضايا التي اشتمل عليها هذان المحوران من خلال المقالة الاجتماعيةعند السباعي.

ولكي تؤدي المقالة الاجتماعية عند السباعي الدور المنوط بها فقد اعتمدت على عدة أسس ومرتكزات قامت عليها فيما يبدو لي ومن أبرزها :-

(١)النقد الذاتي :-

فقد اتخذ السباعي بداية طريقه الشاقة النقد الذاتي وسيلة للتقدم والنهوض .

فهما لا خلاف عليه أن الأمم التي تسعى إلى الرقي والتقدم تحتاج دائماً في بداية مشاريع نهضتها إلى اتخاذ النقد الذاتي وسيلة للتقويم والدفع بها إلى مراقي الحضارة .

وإيماناً من السباعي بذلك الدور الذي يلعبه النقد الذاتي في التطور والتقدم اتخذه منهجاً له وسعى إلى إقناع من حوله على مشاركتهم له في ذلك المنهج ومما يمثل ذلك مخاطبته في إحدى مقالاته إلى صاحبه الذي يئس من نقد أحوال مجتمعه يشجعه على مواصلة نقده لأحوال مجتمعه المتردية ، فنقدها هو الكفيل الضامن لاختفائها مستقبلاً ومما جاء فيها قوله : -

((. . . انتقد .. انتقد يا صاحبي فالانتقاد حياة ، وإن له رد فعل قوي ، يبيد الطفيليات ويحتفظ ببقاء الأنسب ، انتقد على أن لا تتنطع في انتقادك فتكشف عن عيوب لا تريد أن يظهر عليها أحد فيك ، ولا بأس أن تطري على أن تعتدل ولا تتجاوز المعقول فتتهم في عقلك وروايتك))[٢]

---

(١) جمال سلطان : (جذور الانحراف في الفكر الإسلامي المعاصر) مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٣٤ .

(٢) صوت الحجاز ع : ١٤٥ س٣ ، ١٣٥٣/١١/٧هـ - ١٩٣٤م ، ص ٣

ومما يصور هذا التوجه عنده مقالته التي كتبها بأسلوب رمـــزي تحـت عنـوان : (فـي الراديو) ، وتحدث فيها عن أخلاق الجن وأبرز مبادئ صحافتـــهم ، متمنيـا أن تشـيع تلـك الأخلاق والمبادئ فيمن حوله من الأنس وفي صحفهم يقول في مقالته تلك :

" بعد استراحة خمس دقائق يلقي عليكم (فتى قبيس) محاضرة موضوعها (فـــي صحـف الجن) .. سادتي أخواتي :

لعلكم لا تدهشون كثيرا إذا علمتم أن للجن صحفا كما لنا ، ولكنكم ستدهشـــون وتدهشـون أكثر مما يجب إذا علمتم أنني وقفت أكثر من مرة على أكثر من صحيفة من هـــذا النـوع ولا أظنه يعنيكم أن تسألونني كيف توصلت إليـــها أو توصلـت هـي إلـي كمـا لا يعنيكـم أن تسألونني عن لغتها وكيف حذقتها فتلك خصوصياتي))[1] ثم يواصل حديثه ساخرا بقوله :

" ثم إنها قبل هذا أسرار وأسرار الجن - كما تقول أمهاتكم - لا يباح بها ولا يفشـــى ســرها ، وإلا تعرضت وإياكم لخطرهم واستهدفت وإياكم لسخطهم " ثم بعد هذه المقدمة بدأ في وصـــف تلك الصحف :

((وصحف الجن هذه لا تعني بالتنسيق والتبويب وجمال الطبع عنايتنا بذلـك . . .)) إلـى أن يقول في وصفها وهذا هو الشاهد الذي من أجله سقنا مقالته هذه في هذا الموضوع :-

((وصحف الجن لا تأبه بأذواق أوساط معينة . . . ولا تشتري رضاء فريق معين كما تفعـل الصحف في عالمنا الإنسي ، ثم هي قوية وقوية إلى أبعد حد تجابه الحقائق من غـير لـف أو دوران ، وأخالها لا تخدم مبادئ خاصة تفنى فيها لأني رأيت الواحدة منها تخـــدم اليـوم مـا تحاربه غدا ، أو تحارب ما جندته ودعت إليه بالأمس ، لأن جميع المبادئ في نظرهـــا قابلـة للنقد صالحة للإطراء والذم . ولها غرام بالنقد والنقد الغريب الشاذ الذي لا يعتمد صاحبه فيه - كما نعتمد - على تشريح الغير والتشهير بمثالبه بقدر ما يعتمد على تصويـــر نفســه وكشـف مساوئها علانية . . . "

وبعد أن أورد نماذج عدة من تلك الصحف (كجريدة الكرباج) التي لم يقف عليـــها أحـد سوى السباعي - لعدد من الكتاب والشعراء البارزين في عالم الجن، الذين لـــم يقـرأ لـــهم أو يسمع بهم أحد إلا السباعي - من أمثال : ماكس نابغة من كتابهم ، هول النـــهار ، مغـراف ، داحوس ، شوحط الأديب المطبوع ، قدوم الشاعر الفنان ، الاصنج وهو من طبقة ممتازة مـن متأدبيهم ، منفاخ الكاتب المبرز ، عاصفة شاعرة الصحراء " ثم قال في خاتمة مقالته :

" سادتي أخواتي :

---

(١) صوت الحجاز : ع ١٧٤ ، س٤ ، ١٣٥٤/٦/١٩هـ - ١٩٣٥م ، ص ٢ .

هو ذا أسلوب التفكير عند الجن تفيض به صحفهم السيارة ، رأيت أن أتحفكم بنموذج منه على أمل أن أعود فأنقل إليكم غيره لتجتمع لدينا صورة نتعرف فيها أخلاقاً نتمنى أن تكون في فريق كبير منا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

ولم يكن من السهل أن يتصدى السباعي لنقد أوضاع مجتمعه ، بخاصة أن ذلك المجتمع كان في مرحلة انتقال (سياسي ، واجتماعي) . وعلى مفترق طرق ومسالك يعلم بدايتها ولا يدري كيف تنتهي به سبلها .

في مثل هذه الظروف يهيء الله للأمم رجالاً قادرين على حمل مسئولية التوجيه ، رجالاً ذوي فكر ثاقب ، ونظر بعيد ، يحتملون في سبيل تقدم أوطانهم كل ما يواجهونه من الصعاب والعقبات ، معرضين لأجل ذلك عن كل المثبطات ، مسترشدين ومستأنسين في سيرهم بسير المصلحين والعظماء وما لاقوه في سبيل دعوتهم وآرائهم الإصلاحية . . . وحب السباعي لوطنه هو الذي دفعه إلى تحمل المصاعب من أجل تقدمه ونهوضه .

يقول السباعي :-

((دعونا نمش .. وحسبنا إغراء بالمشي جماعة الرائدين في الأمم الناهضة ، فقد رأيناهم يتكلفون شظف العيش وأوصاب الحياة في سبيل نظرية يثبتونها أو فكرة يخترعونها أو شبراً[1] في الأرض يكسبونه ، خدمة لبلادهم وإيثاراً لبني جلدتهم ، فكم ضحى المجازفون وكم تعرضوا لأشد الأهوال خطراً وكم جالدوا في صبر ورضى براً بأوطانهم . . . فدعونا نسلك فيما يسلكون ونمضي إلى حيث يمضون . دعونا نمش))[2]

فالسباعي حينما شرع في نقد أوضاع مجتمعه كابد كثيراً من المشقات ، فبداية لم يكن ذلك النقد في نظر المجتمع أمراً مشروعاً حيث كان المجتمع يعد الكتابة عن أحواله السلبية شيئاً فاضحاً وقد صور السباعي ذلك بقوله :-

" كان يصرخ بي الصارخ وأنا أمشي في عرض الطريق على أثر كلمة نشرتها أنقد فيها تقاليدنا : (يا جماعة فضحتونا الله يفضحكم . . إحنا ناس مستورين .. الناس تقدرنا وتقدر بلدنا ، والحجاج يقدسونا حتى جيتونا بفضايحكم يا شباب .. عسى النار تشب فيكم ونستريح منكم !!!) . . . "[3]

ويقول : "كنت أحد المتحمسين لقضايانا الاجتماعية أتمنى لو استطعت أن أفرغ كل ما يدور في رأسي من أفكار شابة وأن أذيبها حروفاً مقروءة في مقالي الرئيسي ، ولكن البيئة لا

---

(١) هكذا في الأصل والصواب : (شبرٍ)

(٢) دعونا نمش ، ص ٥٥- ٥٦ .

(٣) أيامي ، ص ١٠٩ .

تميل لمثل هذا الشطط ، فقد عاشت محافظة بكل ما في هذا من معنى ، وهي تأبى عليك إلا أن تعيش رزيناً ، وأن تخنق في نفسك صبوة الشباب لئلا تزحف على ما ألفت أو تهاجم ما ورثت "[1] .

وفي إحدى مقالاته بعنوان : (العقبات الثلاث)[2] صور السباعي ما يعانيه من مجتمعه الذي يحاول أن يدفع به إلى التقدم .

وتمثلت تلك العقبات الثلاث في :

١-سخرية المستهزئين :

" لأن البيئة التي أعيش فيها يلذ لها كثيراً أن تسخر من إنسان يحدثها في مشاريع أو ما في حكم المشاريع فكان أبداً يخزني غمزها ولمزها وخز الإبر . . . "

٢-مناضلة المعاندين :

" مثلي في بيئتي ، كذلك الخليع الذي خلعه أهله لأنه تطاول إلى أعراضهم ، وما ذنبي إلا أني بعيد الطموح !! أحب الاجتماع على أن يكون الحديث في أبحاث اجتماعية أو مشاريع وطنية . . . وجدت نفسي حيراناً بين نفوس عاصية على الخير !! لا تفهم ولا تريد أن تفهم !! . . . نفوساً إن لاينتها شمخت ! ، أو قارعتها حرنت !! وبالتالي خاصمتني وشنعت عليّ بما أكره . . . "

٣-مناوأة الحاسدين :

" فمضيت وأزلت العقبة الثانية فإذا أنا بعقبة ثالثة أشد هناك فئة الحاسدين عقبتي الجديدة والقوية ، قوم لا ينظرون إليّ إلا بعين الاستصغار ، كل أعمالي صغيرة عندهم لأني صغير في رأيهم ، ويأبى حسدهم إلا أن أظل صغيراً فهم أبداً يناوئونني . . . "

واصطدم السباعي بمجتمعه في كثير من القضايا الاجتماعية التي أثارها ولعل أبرزها دعوته إلى تعليم المرأة وحديثه عن قضايا المطوفين وغير ذلك .

وبرغم كل ذلك استطاع السباعي أن يتخطى كل المعوقات التي اصطدم بها في بيئته ، وأجد أن أصدق تصوير لذلك التصادم بين السباعي ومجتمعه وإصرار السباعي على السير ومواصلة طرحه لعدد من القضايا الاجتماعية قول رضوان إبراهيم[3] مصوراً السباعي في مجتمعه بصورة رجل :

---

(١) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها . وللاستزادة حول هذا انظر مقالته التي بعنوان : (عندما كنت صحفياً) البلاد السعودية ، ع٧٩ ، س١٤ في ١/ ٤ ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م ، ص ٣

(٢) صوت الحجاز : ع٣ ، ١٣٥١/٧/١هـ ، ص ص (٦، ٧) ويلحظ أن محمد العوين في كتابه (المقالة في الأدب السعودي الحديث) نسب (مقالة العقبات الثلاث) خطاء إلى محمد حسن فقي انظر ٢/٦٣٠- ٦٣١

(٣) لم أجد له ترجمة ، ويبدو أنه أستاذ جامعي مصري .

" عملاق يمشي في الناس ، صائحاً بأعلى صوته .. يسير منطلقاً ، رغم ما يثقل كاهله من أحمال ، ورغم ما يعوق خطاه من قيود . . . . لا يبالي هذه المعوقات جميعاً ، وهو ينطلق نحو هدفه كالصاروخ إنها صورة رجل يكافح في مجتمعه كل الآفات المترسبة من الخمول ، الرجعية والإنتكاس ، والتواكل ، وفساد التربية والتفكك الاجتماعي ، ويقاوم فيه عفن الخرافات والأوهام والتشاؤم والتزمت ، ودون أن يتردد أو يتخاذل ، بل يمضي بكل ما في عضلاته من قوى انطلاقية . .. وما في نفسه الخيرة من طاقة بناءة ، ليغرس في مجتمعه القيم الإنسانية النبيلة ،ويحقق وجوده بالعمل ، والثقة بالنفس ، والتربية المثالية ، كي يجد الشعب حقيقته الضائعة ، إنها صورة (أحمد سباعي) يلح على حقيقة مجتمعه حتى يكشف صدأه المتراكم . . فلنردد معه في آفاق الشرق الناهض : دعونا .. نمش "[1]

(٢) الدعوة إلى الحوار ونبذ العصبية في الطرح والمعالجة للآراء :-

الخلاف من طبيعة البشر ولعل سبب ذلك تباين الطبائع ، فالناس مختلفون في عقولهم ، وأفهامهم ، وفي ميولهم ورغباتهم ، وفي تنشئتهم وثقافاتهم ناهيك عن اختلاف هممهم وطموحاتهم . . . وكتاب الله العزيز يقرر هذا في غير ما آية . . . ولهذا أصل القرآن والسنة النبوية الشريفة ، وعلماء الإسلام الحوار وسيلة لعلاج القضايا الخلافية ، فقهية كانت أو اجتماعية أو خلاف ذلك[2]

إذ إن التزام الحوار وآدابه يكون سبباً في تقارب وجهات النظر ، وإماتة روح الفرقة والاختلاف ، وصولاً إلى الاحتكام إلى الحق فيما يحدث من قضايا الخلاف ، وكما قيل اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية .

والحوار عند السباعي حوار عقول ، يؤدي بالتالي إلى إذكاء روح البحث والابتكار والاختراع ، ولذلك يرى أن مصادرة الرأي أو الإلزام به بدون نقاش أو حوار يعد من أكبر الجرائم يقول :-

" ليست الجريمة أن تذنب في ملكوت الله الذي يسع المذنبين ، ولكن الجريمة التي تحتل رأس القائمة بين أعمال الإجرام أن تربطني إلى عجلتك وتفرض آرائك على ملكاتي فتعطلها وتحجر على أفكاري فلا تبيح لها أن تحلق إلا في حيز حددته خطوطك . إن العقل المتمدن

---

(١) دعونا نمش ط١ ، دار ممفيس القاهرة ، بدون تاريخ ، صفحة الغلاف الأخيرة .

(٢) انظر حول هذا على سبيل المثال :-

د. عبد الحليم حفني : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، طه جابر العلواني :- أدب الاختلاف في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ط٥ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م . ، د. صالح بن حميد ، أدب الخلاف مكتبة الضياء ، جدة ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

جامح الخيال رحب الأفق ، لا يذكيه إلا أن يحتك بالشواذ والمناقضين والمخالفين ليجمح جموحهم ، ويمرن ملكته على مناقشة آرائهم . . . إن العقل المرن الذي نرى أثره في أحدث ما ابتكرته الأفكار الجبارة لم يكتسب مرونته من نظريات تلقاها من أساتذته في صيغ محددة لا تقبل النقاش ، ولاتتسع للتناقض ، بل كانت ممارسات توحي بالتوجيه ، وتثير الاستطلاع... إن النهضات الفكرية في تاريخ الأرض لا تتوقد جذوتها إلا إذا استطاعت أن تذكي روح البحث في جماهيرها . . . أما الركود على ما قيل والبقاء على ما علم ، وتحديد البحث بما استخرجه الغير ، فذلك حجر لا يفتق ذهنا ولا يعد العقول للابتكار والاختراع . "[1]

ويقول في موضع آخر :-

" كنت أقول مرة لأحد المتعصبين في بعض مذاهب الفكر :

إن نظرتك إلى الأشياء لا تتسع لجميع الزوايا مهما حاولتها لتكون شاملة وأن حكمك على ضوء هذا لا يتعدى أن تقارب الصحة ، لأن الصحة كاملة لا يستوعب حقائقها عقل من البشر ، فما زاد أن زوى ما بين عينيه !! وحدجني في اشمئزاز !! ثم أولاني ظهره !!

هذه الكبرياء على مناقشة الحقائق سعيا وراء الحلول الصحيحة ، ستظل مأساة البشر ما عاشت الحياة ، وستبقى مبعث الخلاف ، ومدعاة الفتن التي عانت الأرض وتعاني من بلوائها ما لا ينتهي عند حد .. "[2] .

وأقول زاعما إن دعوة السباعي إلى الحوار هي مبدأ من مبادئه في الحياة وليست قاصرة على مقالاته الاجتماعية أو غيرها من كتاباته ؛ ولكنها تبدو بشكل بارز في معالجته للقضايا الاجتماعية .

ولذلك حاول السباعي أن يقدم نموذجا أدبيا لدعوته هذه ، وذلك من خلال كتابه :(قال وقلت) . الذي قام على الحوار حول مسائل متعددة اختلف السباعي وصاحبه عليها ، فجعل الحوار بينه وبين صاحبه وسيلة للوصول إلى الحقيقة أو على أقل تقدير إلى تقريب وجهات النظر بينهما ، فهما قد يتفقان حول بعض المسائل وقد يختلفان . . .

يقول السباعي في مقدمة كتابه : (قال وقلت) :-

" قال وقلت لصاحبي ! أفتسألني من هو صاحبي ؟ هو كل من صادفني في بحث أو أثارني لنقاش ، وربما تخيلته كما عاش الشعراء قبلي يتخيلون من يسألهم عن الدمن والأطلال وعن مسيرة الدرب !! . إنه يسألني عن رأيي في كثير من دروب الحياة وأنا لا أرى ضيرا في

---

(١) يوميات مجنون : ص ص (٤٨ ، ٤٩) ، وانظر قال وقلت : ص ص ٢/٢٠٩-٢١٠

(٢) يوميات مجنون :- ص ٩٥

الإفصاح عما أراه . ولغيري أن يخالفني إلى ما رآه "[1]

ومما جاء في مقالات ذلك الكتاب حول الدعوة إلى الحوار قوله في مقالة بعنوان :- (ليتك تفهمني وأفهمك) :-

" قلت : إن مأساتنا . . . كثيراً ما تنشأ من ضيق أذهاننا ، فأنت عندما يضيق ذهنك بالنسبة لمن يخالفك الرأي اتسعت شقة الخلاف بينك وبينه ، فلا عجب إذا استدرجكم هذا إلى الملاحاة ولا عجب إذا استدرجتكم الملاحاة إلى العناد ، وليس كالعناد شيء يطور الخلاف ويصرف عن الهدف ، فإذا أنت وصاحبك تتلاحيان في غير الموضوع ، ما أحلى أن تحاول فهم ما يواه مخالفاً ، ما أحلى أن تفنده في استقراء ، وتدرسه في دقة الرجل الحر ، الذي لا يضلله الغرض ، ولا يحيد به عن الحق الصراح . . . "[2]

ويقول في نفس مقالته السابقة الذكر :-

" يبدو أننا عشنا حيناً من الدهر ، كان المخالف بيننا لا يعنيه كثيراً أن يتلاقى مع مخالفيه في نقطة الابتداء ، ليمضي النقاش مضياً نظيفاً تحصحص فيه الحقائق ، أقول يبدو أن المخالف لايعنيه هذا بقدر ما يعنيه أن يعتز بنفسه ، وأن يثبت لمبدئه ، وربما تكفل في سبيل ما اعتنق كثيراً من المغالطة ليحقق لنفسه نصراً مهما تراءى له في هذا النصر من زيف .

ترى ما يمنعني إذا خالفتك في بعض مذاهب الفكر ألا أنسى أن نظرتي إلى الأشياء لاتتسع لجميع الزوايا مهما حاولتها لتكون شاملة ، وأن أحكامي على ضوء هذا إذا قاربت الصحة لا يلزم منها أن تكون صحيحة صحة كاملة ، فالكمال لله وحده . "[3]

(٣) المواءمة بين القديم والجديد :

تعد قضية القديم والجديد من أبرز أسباب انتشار المقالة الاجتماعية في الأدب العربي الحديث . . . حيث كان المجتمع العربي ــ والمجتمع السعودي جزء منه ــ يعاني من اضطراب حياته بين الجديد والقديم ، ومشاكل النهضة وتوابعها ، ومستحدثات العصر في المأكل والمشرب والعادات والتقاليد وأساليب الفكر وغير ذلك من مختلف شئون الحياة . . . فحاول الأدباء معالجة هذه الإشكالية ففريق منهم دعا إلى التمسك بالقديم ونبذ الجديد وفريق آخر دعاإلى نبذ القديم وتبني الجديد .

---

(١) قال وقلت : المقدمة ٧/١ (ويلمح من هذا إلى أن الفترة التي ظهر فيها الكتاب وبخاصة جزءه الأول هي فترة متناقضات في حياة المجتمع وأفضل وسيلة لمعالجتها هو (الحوار)) .

(٢) قال وقلت : ١٧٧/٢

(٣) المصدر نفسه : ١٧٨/٢ .

وفريق ثالث دعا إلى المواءمة بين القديم والجديد ، والسباعي يندرج في قائمة هذا الفريق الأخير . فقد دعا إلى التمسك بكل قديم أو جديد يقره الدين في مختلف جوانب الحياة وإلى نبذ كل قديم أو جديد لا يقره الدين . . . فلا يرفض أو يؤخذ بالقديم لقدمه ، والجديد مثل ذلك أيضاً وقد عبرت أول مقالة تنشر له بصوت الحجاز عن رأيه هذا وكانت بعنوان : (المدنية الحقة) ومما جاء فيها قوله : " يعجبني فيك أن تقتبس من الغرب كل ما يدفعك إلى الحركة ، وكل ما من شأنه أن يبني لك ولأمتك مجداً وقوة ؛ على شرط أن تحافظ بكل الوسائل الواقية على نفسك أن يتسرب إليها شيء مما ينافي دينك ومروءتك . كلنا نحب المجد والمجد لا يتوقف عليه أن نكون متفرنجين، وهو في متناولنا ، ما تكاتف مجموعنا على العمل في سبيله . . . "

ثم يختم مقالته تلك بقوله :- " ليست المدنية الحقة أن تأنف معاطسنا من كل ما نشتم فيه رائحة القديم بينما الهمم فينا نائمة لا القديم قلدناه ولا الجديد أدركناه ، علينا أن نلتفت إلى القديم فنتمسك بما فيه من تقاليد جميلة سنها الدين وأقرتها المروءة ، ونتجه إلى الجديد لنتسلح منه بالقوة ونأخذ بصالحه ، ثم نبني من موادهما مجداً صالحاً قوياً ، لا تزعزعه عواصف الجديد ولا تقوى على نخره سوسة القديم . تلك هي المدنية الحقة مدنية الإسلام . . . "[1]

فالسباعي يدعو إلى أن نحيا حياة عصرية لا تخالف الدين وتعاليمه " دعونا نخط خطو المتقدمين ، لا نفكر بغير أسلوب العصر ، ولا نحيا بغير حياة العصر، إن نظرة عميقة إلى الأصول الصحيحة في ديننا تبين لنا المدى الواسع الذي يتيح لنا التفكير التقدمي إذا أحسنا التفسير والفهم . . . لأن الأسباب المشروعة لا يطعن فيها الإسلام ، ولا يمنعها ، بل يوصي بها و يلزم ، ولكنه يمانع بل ويحارب جميع الأسباب غير المشروعة مما لا يقره عقل أو دليل محسوس . . . "[2]

وفي موضع آخر نجده يوضح أهمية مسايرة روح العصر ، ضارباً عدداً من الأمثلة المحسوسة ليقرب مقصده من قارئه :

" فما بالنا نجمد ونأبى أن نلبس إلا (الجبب) التي فصلت لغير جيلنا ؟ أنعيش بين المعاصرين اليوم بأجسامنا ، ونترك أرواحنا تعاصر أمماً أبادها الزمان وقضى عليها ؟؟ أم أننا نعرف صلتنا بالعهد الذي نحيا فيه ولا نجهل ظروفه وملابساته ؟ ونعرف كيف نماشي أندادنا فيه ؟ فمن السخف بمكان أن أركب الشقدف في عهد السيارة ، وأمخر (بالسنبوك) في عهد البلخرة .. كما أن من السخف أن أستمع نظريات (سيدنا في الكتّاب) وأنا من متخرجي الجامعة ،

---

(١) صوت الحجاز ، ع ٢١ ، ٤/٢٦/ ١٣٥١هـ ص(٧، ٨)

(٢) دعونا نمشي : ص ٥٧

وأن أبني بيتي على غرار ما بناه جدي وأترك أحدث ما أنجبه المهندسون في عصري ... نريد جديداً نستوحيه من حاضرنا ، ويتفق في جملته وتفاصيله مع مصالحنا على ضوء ما ابتكرته أحدث النظريات . "[1]

وتحت عنوان (القديم والجديد) كتب السباعي مذكراً بموقف سلف الأمة من قضية القديم والجديد في عصرهم لنتخذهم قدوة في ذلك ونسير على نهجهم .. فمما قاله :

" لقد مر بأمتنا في عصور ازدهارها دور لا يختلف عن دورنا الذي شرعنا ننطلق منه اليوم ، فلم تجمد على تراثها الصميم ، ولم تتطرف لتقليد غيرها وتبني من جديد على فراغ بل حفلت بتراثها كأساس ، وانطلقت تستعير من جيرانها كلما ينقصها في سبيل أن تزدهر و تتفوق . احتكت بمدنيات من سبقها إلى الحضارة ، فندبت من يبحث واستأجرت من يدرس ووظفت من يترجم ، فمضى روادها يأخذون من كل شئ أحسنه . . . على هذا الغرار بذل أجدادنا من أنفسهم وأموالهم في سبيل بنائهم . إنهم لم يكتفوا بما عندهم وما ورثوا ، رغم القيمة المعنوية التي حققها تراثهم بين القيم السائدة في عصرهم ، أقول لم يكتفوا بما عندهم بل استعانوا بكل جديد نافع سمعوا به .. كانوا يستقدمون الخبراء ويستعيرون النوابغ ويهيئون طلبتهم لتلقي الجديد ، ويستخدمون أذكيائهم لتطعيم قديمهم بالجديد المنتقى . وبذلك تفتق الوعي العام واتسعت آفاقه ولم يتحرجوا عن قبول الأفكار مهما كانت غرابتها . إذا ثبت نفعها وتأكد مدى حاجتهم إليها ، فلا عجب أن يزدهر عصرهم ، وأن يتفوقوا على كل من نقلوا عنهم من معاصريهم ، فما يمنعنا أن ننطلق اليوم على غرار ما انطلقوا ، وأن نطعم تراثنا بكل جديد نافع يهيئنا للتطوير "[2]

٤- رفع الروح المعنوية في مجتمعه :-

حضارة الأمم تبنى بداية بالأحلام . والكاتب المتفائل يبني أحلاماً وردية لأمته ومجتمعه ، وكثير من الحضارات كانت انطلاقتها من خلال أحلام بعض مفكريها ، الذين بثوا [من خلال كتبهم] في نفوس أبناء مجتمعاتهم الروح الوقادة المتطلعة إلى مستقبل أفضل وواقع أجمل . . ودیننا الحنيف يحثنا على الفأل الحسن ويكرّه في نفوسنا التشاؤم والتطير .. ولولا التفاؤل بمستقبل أحسن وغدٍ زاهر لبقي الإنسان يراوح مكانه . .

والسباعي إدراكاً منه لأهمية هذا الأمر في نهوض مجتمعه كان يبث في بعض كتاباته روح الأمل في النفوس ليهيئها لمستقبل مشرق . شاحذاً الهمم لتحقيق ذلك المستقبل / الحلم .

---

(١) دعونا نمش : ص . ٨٠- ٨١

(٢) أوراق مطوية : ص ، ٢٧٥ - ٢٧٦ وللاستزاده حول هذا انظر : البلاد السعودية : (في ركني) ع٧١٥ ، ٢٦/ ٦/ ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م ، ص١ ، قال وقلت : (بين القديم والجديد) ، ٢ / ١٧٩

ولما كان واقع أمته وحاضرها لا يسعفه بالاستعلاء وتقديم النماذج لرفع الروح المعنوية في مجتمعه ، فإنه لجأ إلى التاريخ الإسلامي ليستعلي به ويقدم من خلاله النماذج التي تبث روح العزة والافتخار في مجموع الأمة .

ومثل هذا الفعل يعزز الثقة في النفوس ويؤدي بالتالي إلى تأصيل هوية الأمة فلا تنجرف في مجرى التيارات المخالفة لمنهجها .

كما يجعلها تقاوم روح الإنهزامية التي يوحي بها واقعها المتخلف إذ إن تذكير الأمة بتاريخها المجيد شأنه أن يشحذ الهمم لاستعادة ذلك المجد من خلال التأمل في ذلك التاريخ وتلك الحضارة ، **واعتمد السباعي في ذلك على ما يلي :-**

أولاً : التغني بأمجاد الحضارة الإسلامية :-

ويندرج تحت هذا حديثه عن الحجاز وتذكيره برموزه المشرقة في التاريخ الإسلامي وعلى رأس تلك الرموز شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكثيراً ما تحدث السباعي في كتاباته عن شخصية النبي عليه الصلاة والسلام ووقف عند كثير من ملامحها المتميزة وأبرزها القيادة لينطلق من ذلك إلى الحديث عن الدور الذي قامت به هذه البلاد المقدسة (مكة والمدينة) في قيادة العالم في فترة من فترات التاريخ آملاً أن تستعيد هذه البلاد دورها التاريخي القيادي مرة أخرى .

يقول في مقال له بعنوان (في هذا الزقاق أنجبت سيدة من قريش رجلاً صنع التاريخ)[1] "قادت بلادنا في أحد الأيام نهضة أرتج لها المعمور اندلع لهيبها من أتون البطحاء في بطن مكة ، ومضى يسيل إلى مراقد الجبناء ومضاجع المتخاذلين في جدد الأرض فأشعلها عليهم حماساً توقدت جذوته واصطرع أواره ، فاندفعوا في سيول هادرة يبنون لأمجادهم ما خلد ذكره ويشيدون لعزتهم ما برهن على كفاءتهم لها ، في هذا الزقاق أنجبت سيدة من قريش رجلاً صنع تاريخ الإسلام . من هذا الشعب من بيوت آل هاشم إلى العدوة الأخرى بين دروب بني عامر وكلهم من قريش انتفض وزراء النبي انتفاضتهم الكبرى تحت قيادة لوائه الظافر . . . لسنا عظاميين ! نفخر بالأحداث والعظام ! ولكنها عظة الذكرى ، نتمنى أن تستنهض همم الخامدين وفتور الخاملين . . . إننا في حاجة إلى مثل نهضة رعيلنا الأول يوم ارتج لها المعمور . فهل يندلع الأتون من بطحاء مكة ؟ وهل تتوقد جذوة الحماس ، فتقض مراقد الجبناء ، ومضاجع المتخاذلين وتعيدها جذعة ، ترفع لواء الإسلام في جميع مواطنه ، وتعيد عز العروبة من الحدود إلى الحدود ؟ إن ذلك وقف على يقظة الوعي واستثارة الشعور . إننا

---

(١) سباعيات ٢/ ٢١- ٢٢

نتمنى أن نجمع إلى طاقتنا المحدودة . أكبر مدى يمكننا جمعه من طاقة كل مفكر لنبث الإحساس في شعور كل مواطن . . فقد حمت الحاجات والليل مقمر "[1]

والحقيقة أن القرآن الكريم وسيرة النبي صلى عليه وسلم " قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان ... وتجعلا من أمة مستسلمة متخاذلة ناعسة أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة ... "[2] .

وفي مقال آخر بعنوان : (ألم يأتك نبأ ما بنينا للحضارة)[3] تحدث السباعي في بدايته عن الحضارة الإنسانية مبيناً دور العرب والمسلمين في إنمائها وازدهارها :

" إننا كنا خير من جاهد في نمائها وتطورها ... " ودعا إلى قراءة تاريخنا لا لمجرد التعاظم والتفاخر به فحسب ، وإنما أيضاً لاستفادة الدروس منه وإثارة نخوة الشباب لاستعادة أمجاد آبائهم وأجدادهم ... " عودة إلى التاريخ لتروا أن جميع هذه الأفانين التي تلمع اليوم في آفاقكم كانت مخدومة قبل أن يتفتق وعي صناعتها في جيلكم .. إن بين لابتي هذا المشرق عاشت في أحد الأيام أمة دوت لصيتها آفاق الأرض ... أسمعك تتهمني بالعظامية . لا يا صاحبي .. حذار أن تأخذ بلحيتي أو برأسي . فليس في الأمر إلا دروس علينا أن ننتزعها من الماضي عسانا نثبت بها أن أمة كانت لها في أحد الأيام مثل هذا السبق لا يجوز أن ننفي عنها قابليتها للحضارة ، إذا كانت تؤكد عزمها على استئناف ما فات " .

وفي نهاية مقاله يخاطب السباعي صاحبه الذي كان يتحدث إلى مجموعة من الشباب عن أفذاذ رجال الفكر الأجانب مهملاً رجال الفكر الإسلامي وإن كان صاحبه يهدف إلى إثارة الغيرة في الشباب المسلم الذين حضروا ذلك الحديث ليحذوا حذو أولئك البارزين والمفكرين الأجانب فيقول له السباعي :-

" وفي استطاعتك وأنت من أعلم مدى حصافتك أن تثير نخوتهم بذكر الأفذاذ في تاريخهم ليستيقنوا أنهم أحفاد أمة كان لها شأنها وأنهم يدرجون على أرض لا يصلح أن يرتابوا في

---

(١) للاستزادة حول هذا ، نظر :-

- مجلة قريش : مقالة (محمد الرسول الزعيم) ع ٣٤ ، ١٣٨٠/١/١٠هـ ص١ ومقالة : (هات يدك لنمضي فالدرب واضح المعالم) ع ١٩٦ في ١٣٨١/٥/٦هـ ص١ .
- سباعيات : (عاصمة الإسلام متى تحتل مكانتها من القيادة) ، ٢/ ٣٤- ٣٧
- أوراق مطوية : (فجر النبوة ، عزم وثبات) ص ص :٣٧- ٤٧ ، (أما لهذا الليل من آخر) ص ١٧١ - ١٧٦ .

(٢) أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ، ص: ٢٧١ .

(٣) سباعيات : ٢ / ٥٥- ٦٢

قابليتها لتربية الأساطين في كل فن . إنها كلمة ما أنشأتها لأ ناقش بها عريفاً مثلك بقدر ما أنشأتها لأخاطب فيك بعض الغفل الذين لا يقرأون من تاريخهم ما يثير نخوتهم"[1]

ثانياً : الحديث عن الحضارة الغربية :

ويقوم ذلك الحديث على عنصرين :-

أ- التذكير بفضل الحضارة العربية على الحضارة الغربية :

فالسباعي لا يفتأ عند حديثه عن الحضارة الغربية من الإشارة والتذكير بفضل العرب على تلك الحضارة ، فبالإضافة إلى أن في هذا الأمر تغنياً بالحضارة الإسلامية إلا أنه كان يهدف من وراء ذلك أيضاً إلى الرد على المنبهرين بتلك الحضارة الغربية تدعيماً وترسيخاً لهوية مجتمعه ، ويستشهد أحياناً بما ورد على ألسنة بعض المفكرين الأوربيين المنصفين ممن اعتراف بذلك الفضل فتحت عنوان (بين الحضارتين العربية والأوربية)[2] كتب السباعي يقول "قال صاحبي : ما بال بعض الأوربيين ينكرون على العرب مركز الأستاذ الذي علم أوربا يوم كانت ... غارقة في جهلها ... لا تكاد تتصل بأي نموذج مبتكر مما صنعه العرب حتى تظنه لوناً من السحر نفث فيه الشيطان .قلت : ليس هذا دأب كل الأوربيين فبينهم من لاينسى فضل العرب على حضارة أوربا ويعترف لرجال الفكر العربي بأثرهم في كل ما تميزت به أوربا اليوم ، وأحسبك قرأت مؤخراً ما ناقشه الأستاذ مونتيل في محاضراته التي أذيعت من باريس ونقلتها عدة صحف بعدة لغات منها العربية . لقد قال الأستاذ فيما قاله عن أثر العرب في حضارة أوربا .. إن بيننا معشر الأوربيين وبين العرب أواصر رحم روحيه وعقلية وليس من يتفحص الحقائق ويتمعنها إلا أن يدرس خيال الظل في كل ما انتج الفكر الأوربي ليدرك مبلغ الصلة بين الحضارتين . . . "

ثم استرسل السباعي في إيراد مقاطع من تلك المحاضرات تبين أثر العرب في حضارة أوربا . . .

ثم ختم مقالته بقوله :-

((هذه خلاصة موجزة . . . عن محاضرة الأستاذ الفرنسي مونتيل ... فهل عني بها قراؤنا من الشباب الذين غرتهم الحياة الزائفة فقدروا للعقل الأوربي ميزة حسبوها من خصائصه دون غيره)) وغير ذلك من المقالات التي اختطت هذا النهج[3]

---

(١) للاستزادة حول هذا انظر مثلاً قال وقلت : (أسس الأمويون وشاد العباسيون) ، ١/ ٣٩ - ٤١ ، و (علوم الإسلام في أسيا الوسطى) ١٤٣/٢- ١٤٥ ، (عناية السلف وما بذلوا) ٢٠٥/٢ - ٢٠٨

(٢) قال وقلت ١٨٥/٢ ــ ١٨٨ .

(٣) للاستزادة حول هذا انظر مثلاً :

مجلة قريش : (ليست حضارة اليوم من صنع أوربا وأمريكا) ع ٢٠٦ في ١٣٨٣/٧/١٧هـ/١٩٩٣م، ص ١

(ب) : الحديث عن منجزات الحضارة الغربية :-

كان السباعي يطعم مقالاته بإشارات إلى بعض منجزات الحضارة الغربية المادية والسلوكية .

المادية كحديثه عن بعض المخترعات مثل مجال الأقمار الصناعية وتقنياتها وأبحاث الفضاء .

ويمزج حديثه عن كل المخترعات المادية بالحديث عن بعض السلوكيات الإيجابية التي يتحلى بها الغربيون كالإنضباط ، والمحافظة على الوقت ، روح المبادرة "[1]

وكل ذلك بهدف شحذ الهمم للإبتكار والاختراع مع تذكير القارئ بواقعه الذي يعيشه ليقارنه بواقع الغرب المعاصر له .

وبناء على ما تقدم نجد أن السباعي كان يسعى إلى رفع الروح المعنوية لأبناء مجتمعه وعلى إشاعة التفاؤل بمستقبل أفضل مهيئاً النفوس من داخلها أولاً لذلك المستقبل / الحلم .. ولهذا هاجم السباعي المتشائمين الناقمين على واقعهم مبيناً أن عملهم ذلك كان من أسباب النكوص والارتداد إلى الوراء وأن الأمم المتقدمة كأوربا مثلاً لو منيت بالمتشائمين لما تقدمت إلى الأمام خطوة واحدة . . . فالمتشائم يكرس السلبيات ..

يقول في مقال له بعنوان : " لو منيت أوربا بالمتشائمين "[2] .

" لا يؤلمني شيء ما يؤلمني أمر المتشائمين بيننا . (ماذا نعمل !! ؟ ماذا نصنع ؟ كيف يتسنى لنا أن ننجح ! وننحن فيما نحن كما ترى !! ؟) ، إن الأمر أيسر مما تظنون .. أنسوا السلبية ، وامضوا في سبيلكم إن هذا المضي وحده نجاح قبل أن يواتيكم النجاح ! كيف يتسنى لنا أن ننجح ونحن فيما نحن فيه ؟ أي شئ هذا الذي يهولكم مما نحن فيه ؟ أترونا متأخرين أكثر ممن كانوا متأخرين قبل أن يتقدموا ؟ إن أوربا كانت في أحد الأيام قبائل تحكمها الفوضى ويسودها الإقطاع ، وتسيطر الهمجية على أنحائها بصورة نسموعنها اليوم ، كما تسمو حياة

---

(١) انظر :-

دعونا نمش : (تضج الحياة اليوم بالحديد والنار) ص (٢٠ - ٢٣) ،(أعدوا عدتهم للرحلة إلى القمر) ص ص (١٠٦- ١١٢)

- قال وقلت (ماذا عندهم ؟؟) ص ١/ ٢٣- ٢٤ ، (بحوث الفضاء لا تقتصر على خدمة الفضاء) ص ص ٢/ ١٦٣- ١٦٥ ، (من أجل متابعة الأقمار الصناعية) ٢/٢٣١- ٢٣٣ ، (هل نقضي على شرور العالم) ٢/ ٢٤١- ٢٤٦ .
- أوراق مطوية :- (من هنا كان الطريق قصة هنري فورد) ص (٢٤٩- ٢٥٢) ، و (يزرعون الرؤوس) ص ص (٢٧٣ - ٢٧٥)

(٢) دعونا نمش : ١١٩ - ١٢٣

السويسري المنظمة عن مثلها في حياة البدوي . . . ومع هذا فإن أوربا لم يمنعها ذلك من الرقي ، ولم يمنعها من التقدم الذي بلغت شأوه اليوم "

ثم يقول :

" فلو منيت أوربا في عهد تأخرها بمتشائمين يفتون في عضدها، ويهمسون في أذن العاملين بها (ماذا نعمل ؟ ماذا نصنع ؟ ...) لظلت في مكانها من مؤخرة الصفوف إلى اليوم ، ولما مضت خطوة واحدة فيما مضت فيه من مسالك الحياة . . . "

ثم يبين ضرر التشاؤم على صاحبه وعلى من حوله بقوله :

" كلنا يعلم أن جماعة المتشائمين أفشل الناس في الحياة .. ذلك لأن ذهنياتهم الضيقة لا تتسع إلا لضياع الوقت في الشكوى والتوجع وتصوير الحياة من جوانبها القاتمة التي تثير الألم وتستدر الدموع وتحيل معاني الرجولة فيه إلى شيء جديد لا يحسن إلا ما تحسنه النادبات المحترفات، ويتحول التشاؤم في الشخص إلى يأس قاتل .. ذلك لأن التشاؤم الذي يبلغ الذروة ، ويحيل الطاقة الكادحة في الرجل إلى أنين باك سوف يسلم إلى اليأس الذي يقضي على جميع المواهب ، ويعطل سائر الملكات ... "[1]

فالميلاد الحقيقي للحضارة وللنهضة يبدأ " عندما تنجح في غرس المثيرات الروحية المقدسة والمتعالية في الضمير الإنساني ، على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة بحيث تسري في أوصاله روح المبادرة والفاعلية والمغامرة والكشف واختراق المجهول والتحدي للواقع والتضحية في سبيل المبدأ وإرادة التغيير الصارمة . . . "[2]

٥- الدعوة إلى العمل :-

العمل هو المقوم الأول للإنتاج وبالتالي فسر التقدم والنهوض كامن فيه ، فهو الفيصل لقيام النهضة أو إخفاقها ...

وإدراك الفرد والمجتمع لهذا يعد خطوة نحو التقدم .. وبعد ذلك الإدراك تأتي مهمة إتاحة الأمة لأبنائها إمكانية ممارسة الأعمال المختلفة .. لتحقيق الإفادة من جهدهم الإنتاجي .. ليعود الخير على المجموع .. وبهذا المبدأ : (غرس الإدراك بأهمية العمل في ضمير الفرد والمجتمع ثم إتاحة فرص العمل للجميع) تمتاز الدول الراقية على المجتمعات المتخلفة ..

---

(١) للاستزادة ، انظر مثلا :- قال وقلت (رجل الطموح لا يعجزه الوصول) ١٤٩/٢- ١٥٠ ، (علينا ألا نتشاءم) ١٥١/٢- ١٥٤ ، سباعيات : (أنت ياصديقي المتبرم) ٦٨/١- ٧٠

(٢) جمال السلطان : (جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي المعاصر) ص ١٣٣

"إن في البلاد الحية اليوم أمم[1] يقظة تدرك كنه حياتها وتفهم أن وسيلتها إلى الحياة المعززة المكرمة هي العمل الجدي النافع تفهم هذا فهماً جماعياً لا يستثنى منه حمال الأخشاب في الغابات ولا حفار الأرض في المناجم ولا وقاد النار في المصانع ... فقد استوفى الجميع من كل الطبقات نصيبه من العرفان الذي يكفي لتفتيق الذهن واستيعاب المعاني العامة لحقائق الحياة "[2] .

ومن هذا المنطلق كانت دعوة السباعي أبناء مجتمعه إلى العمل وتنمية إدراكهم بقيمته ومحاولته غرس هذا المبدأ في ضمائرهم كشرط من شروط التقدم والنهوض للأفراد والجماعات والأمم . . .

ويمكن أن نستشف ونستنتج دعوة السباعي هذه من خلال عدة محاور من أبرزها :- اهتمام السباعي بالجانب العملي في النظام التعليمي ودعوته المبكرة إلى التنبه إلى هذا الأمر ... وفي هذا دلالة على عمق نظرته المستقبلية في مناقشته لهذا الموضوع ولغيره من الموضوعات إذ ما نظرنا إلى زمن طرح السباعي لمثل هذه القضايا . . .

فمثلاً نجده يحذر من خطر داهم سيجتاح البلاد ألا وهو خطر العاطلين عن العمل من خريجي المدارس والسبب في تلك البطالة هي مدارسنا إذ أنها : " تهيء التلميذ للوظائف الكتابية وما إليها فحسب . وخريج مدارسنا اليوم إذا لم يتوظف أصبح عالة على المجتمع لأنه لا يتصل بالحياة العملية بشيء ... "[3] ثم طرح عدداً من الاقتراحات للخروج من هذه المعضلة ترتكز على الاهتمام بالأعمال المهنية... [4]

ومن ذلك محاربته لكل سلوك فردي أو جماعي يعطل العمل أو يؤدي إلى التقليل من شأنه كالتسول والتواكل والخرافات والبطالة ... وغير ذلك من السلوكيات السلبية التي تقف بالمجتمع عن التقدم والنهوض[5] .

ومن ذلك دعوته أصحاب رؤوس الأموال والأثرياء من أبناء وطنه إلى إنشاء مشاريع صناعية وتجارية وزراعية ليجد من خلالها المواطنون فرصاً للعمل تساعدهم على الكسب الحر ... بدلاً من أن يصرفوا أموالهم في تقديم الصدقات والهبات .. فمثل هذه الأعمال أي تقديم الصدقات والهبات على من يستطيع العمل يعدها السباعي جريمة ارتكبت في حق أبناء

---

(١) هكذا في الأصل والصواب : (أمماً)

(٢) دعونا نمش : ص ٢٣ .

(٣) صوت الحجاز ع ٧٣ في ١٥ /٥/ ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م ص ٢ .

(٤) انظر هذا البحث ص :١١٢-١١٤

(٥) انظر حديثه عن تلك السلوكيات وغيرها هذا البحث ص : ١٣١-١٥٥

هذه البلاد منذ عهود قديمة وبالأخص منذ عهد الأمويين حتى أصبح هذا العمل سنة متبعة لمن أتى من بعدهم . . .[١]

فهذه العمل في نظر السباعي يعد جريمة لأنه قتل روح الابتكار والإبداع والعمل في نفوس أبناء هذه البلاد وعودهم على التراخي والكسل والاعتماد على الصداقات والهبات كمصدر رئيس للرزق . . .

يقول بأسلوب يحاول من خلاله أن يستثير مكامن العزة والآنفة في محدثه وقارئه :-

" يا صاحبي بالأمس قرأت اسمي إلى جانب اسمك في سجل الصدقات فما هانت نفسي علي هوانها يومئذ ، ولا صغرت عندي استصغارك آنذاك . أرجل أنا وأنت ؟ إذن أين هي مميزات الرجولة وأنفتها وإباؤها . الحق والحق أقول لك إنني وإياك لا نستحق الحياة فهلم .. هلم برفشك واتبعني ، اتبعني وتعال نحتفر لأنفسنا هناك في حضن الأبد مأوى نهائيا "[٢]

وتحت عنوان : (هذه التبرعات علة تأخرنا)[٣] يقول :

" إننا نسمع أخبار المتبرعين منا لا بعشرات الألوف أو بمئاتها بل بأكثر من هذا وأكثر .. فهل جاء هؤلاء المتبرعين أن ثمت مجالا أجدر بالتبرع وأحرى بالكرم .. ؟ وأن هذا المجال هو مجال التصنيع الذي ينقذ البلاد من عسرها الذي باتت تئن تحت وطأته وآلامه ؟ هل جاء هؤلاء المتبرعين أن عطفهم على فقر بلادهم في الصناعة والزراعة أقرب إلى مثوبة الله وإحسانه من كثير من تلك الميادين التي يختصونها بتبرعاتهم في أرقام تدوي بها الصحف وتضج ؟ هل جاءهم أن علة بلادنا في قرون هي التبرعات التي كان يغمرنا بها المحسنون .. وأن هؤلاء المحسنين لو فكروا قبل اليوم في إنشاءات صناعية لأحسنوا إلى البلاد بتشغيل الأيادي العاملة فيها .. ؟ .. " .

وإذا كانت الأعمال تحتاج إلى رأس مال فالسباعي شجع الدولة في إنفاقها على المشروعات النهوضية المختلفة[٤]

كما دعا أصحاب الأعمال الحرة إلى الاهتمام بفتح باب العمل لأبناء وطنهم وإلى استثمار أموالهم داخل وطنهم الذي هو السبب في نشأة ثرواتهم ، .. واتجه إلى الشباب فشجعهم على الانخراط في مجال العمل الحر . . . وعدم الاعتماد على الحج أو الوظيفة كدخل وحيد للرزق

---

(١) انظر : أوراق مطوية ص ص (٧١- ٧٥)

(٢) صوت الحجاز : ع ١٤٨ في ١١/٢٨/ ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م ص ١

(٣) دعونا نمش : ص ص (٣٧ - ٤٢)

(٤) عن تشجيعه لمشاريع النهضة انظر هذا البحث ص : ١١٧ ـ ١٣١

. . . موضحا ما تدره تلك الأعمال الحرة من مكاسب لمن يمتهنها مشيرا إلى أن العمالة الوافدة إلى بلادنا استطاعت أن تستولي على جل تلك الأعمال الحرة .

يقول تحت عنوان : (نحلم بالوظيفة وأن تهل قوافل الحجاج)[1] "إن الآفاق تسامعت بنهضتنا الجديدة وقرأت عن كنوزها المفتوحة ، استطاعت أن تعرف أن بلادنا باتت مهيأة للعمل المنتج في كثير من ميادينها البكر الصالحة للنمو ، فأغرت الشباب الصالح للحياة بالهجرة إليها فغزانا المتواثبون يتأبطون بعض رؤوس أموالهم ، وغزانا إلى جانبهم ألوف وألوف لا يملكون إلا أرواحا فدائية وعزائم جبارة فاقتحموا ميادينا في شجاعة ، وتركونا على الحواشي نفكر فيما تمنحنا الوظائف من علاوات وما يسدي إلينا الحاج من إحسان . . . واستطاعوا أن يقفوا على أقدامهم وأن يكونوا لهم ثروات بالتدريج ، وأن يستبدوا دوننا بجل الأعمال الحرة ، إن لم تكن كلها ، وبقينا في أماكننا نحلم بمرتب الوظيفة وندعو الله أن يزيد في عدد حجاجنا !! ليتنا نعلم أن بلادنا لا تكمل فيها نهضة ما لم نحذف مهنة الحجاج من مكانها في صدر قائمة أعمالنا ... وينسى شبابنا زهو الوظيفة ويحيلونها إلى الضعيف المحدود الذي لا تتعدى مراميه في الحياة إلى أبعد من نظارته الذهبية فوق أنفه ... إننا لا نكون خليقين بالحياة العالية التي نتمنى أن نحياها إلا إذا سابقنا غيرنا من الجاليات القائمة بيننا فيما تبتكر لنفسها من أعمال ... " ويقول : " فإذا سادت هذه الروح بين أوساطنا واستطعنا أن نبث في فتياننا وشبابنا فكرة العمل الحر فإن بلادنا ستحظى بالمنتجين من أبنائها الغيورين على مصالحها وسمعتها ... دعونا يا قوم من تعلات لا تقدمنا إلى الأمام خطوة ، وتعالوا نعتمد على سواعدنا في الحياة وننسى حياة التواكل في المكتب أو بين الحجاج ، ونمضي فيما مضى فيه معاصرونا من أمم الأرض ، هلموا بنا ودعونا نمش ... "[2]

---

(١) دعونا نمش : ص ص (٨٤- ٩٠)

(٢) للاستزادة انظر مثلا

جريدة الندوة : (ليت شبابنا ينسى زهو الوظائف) ع ٥١ في ١٩/ ١ /١٣٧٨هـ ص١

قالت وقلت : (ما أحوجنا إلى ميادين العمل الحر) ٣١/١

سباعيات : (التعليم والوظيفة الحكومية) ، ٢٠/١ -٢٢ ، و(حرفة السباكة وشبابنا) ١٢٠/١- ١٢٢ ، (لبن من جديد) ٢٠١/١- ٢٠٣ .

ومن ذلك دعوته إلى حماية الأيدي السعودية العاملة من مزاحمة الأيدي الأجنبية لها وبناء عليه دعا مبكرا إلى سعودة الوظائف في القطاعين الحكومي والخاص . وهذا الأمر دفعه إلى الحديث عن قضية التجنيس . جاعلا مبدأ (إفادة الوطن) هو الفيصل في إعطاء الجنسية من عدمه ، وذلك بحسب ما يتوفر من مميزات مادية أو علمية لطالب الجنسية . . . [1]

ومن ذلك محاربة السباعي للأفراد السلبيين وبخاصة المثقفين منهم وأعني بالسلبيين الأفراد الذين اختطوا لهم منهجا في الحياة يقوم على الانعزال عن المجتمع وترك مخالطة الناس وملازمتهم لبيوتهم وقصورهم ... فمثل هذا السلوك لا يقيم حضارة ففيه إهدار للطاقات الكامنة في أصحابها . فالامتياز الفردي في المجتمع يقوم في المقام الأول على الأفعال والأعمال المنجزة لا على مجرد تجنب ما تنهي عنه المعايير الدينية والأخلاقية . . . ..

يقول السباعي :-

" ما أسخف من يقضي حياته محدودا لا يعقل الأشياء إلا في الحيز الضيق الذي ورثه من طبيعة عمله أو حدود بيئته ، يفخر (س) بأن : (حده حد نفسه) وأنه رجل من البيت إلى الدكان ومن الدكان إلى البيت ما أسخفك من رجل ضيق الذهن في صورة لا يقبلها مجنون مثلي محدود العقل في نظركم ! ... [2] "

وكتب تحت عنوان (إلى شبابنا الجامعي)[3] يدعو الشباب الحاصلين على الشهادات الجامعية سواء من الداخل أو من الخارج إلى إفادة وطنهم من خلال العمل في الميادين التي تخصصوا فيها وذلك بأن يتركوا بساطة العيش التي ينعمون بها في ظل الكراسي والمكاتب منعزلين عما حولهم ... وليكن عملهم حتى لو بالكتابة على صفحات الصحف كل فيما يراه مناسبا ويهم مجتمعه وأمته بنقد أوضاعها السلبية وتبصيرها بأمور الحياة السليمة ...

---

(١) انظر :-

- جريدة الندوة : (كلمة اليوم للمختصين بالاستيراد .. وشؤون الأجانب) ، ع٥٨ في ١٣٧٨/٢/٣هـ ص ١ ، (معظم الشركات والبنوك باتت تزدحم بالمجاورين . . .) ع٦٦ في ١٣٧٨/٢/٢٢هـ ص١ ، (قارة بأسرها تزاحمنا) ع٦٩ في ١٣٧٨/٢/٢٩هـ ص ١
- مجلة قريش : (لا يملك المواطن حيلة للعيش بين الأجانب) ع١٣٠ في ١٣٨٢/١/٣هـ ص (١-٧) ، (تداركوا هذه المشاكل قبل أن تستفحل) ع ١٨٩ في ١٣٨٣/٣/١٦ هـ ص ١ ، (الباعة من كل جنس يحتلون شوارعنا) ع٢٠١ في ٦/١١ ١٣٨٣ ص١ ، (هل تسمعني وزارة العمل) ع٢٠٣ في ١٣٨٣/٦/٢٥هـ ص١

قال وقلت : (نستطيع أن نبني على كواهل قبائلنا) ١/٢٩- ٣٠

(٢) يوميات مجنون : ص ص (٤٥ - ٤٦)

(٣) سباعيات : ١ / ١٥٣- ١٥٨

فليعتمد الشاب الجامعي " نفسه مندوبا ثقافيا في عائلته وأهله وسكان حيه ... ليترك طابعه في أذواقهم ويهيئهم لفهم الحياة على غير النحو الذي عاشوا يألفونه .. "

فالفردية هي من أسوأ أمراضنا الاجتماعية كما يرى السباعي فدعا إلى محاربتها ونبذها وإلى استبدالها بالتعاون ، إذ الفردية مظهر من مظاهر التأخر، والتعاون مظهر من مظاهر التقدم والحضارة ... يقول : " دعونا نمش في إطار تهيمن عليه روح الجماعة ، فقد جربنا وجربنا طويلا فكرة الفردية فما أسأنا إلى بلادنا كما أسأنا إليها بهذه الفكرة !! كانت أمثالنا العامة تهيئنا لفكرة الفردية وتعدنا لها إعدادا : " أنا عود من طرف حزمة ، كيل ما هو كيلك لا تحضره تتغبر ذقنك وتتعب في شيله" وليس للأمم مرآة تعكس حقائقها في صدق كما تعكس الأمثال العامة فيها هذه الحقائق .. فدعونا نتبين صورنا على ضوء ما شاع من أمثالنا ونحدد بالضبط مواطن الداء في كياننا ... "[1]

ثم شرع في سرد ومناقشة عدد من الأمثال والتي تعبر عن هذه الفكرة (الفردية) الشائعة في مجتمعنا . . . ثم يقول .

" إن الزارع في حقله والصانع في عمله والتاجر في متجره والموظف في مكتبه والتلميذ في معهده والمؤلف بين أوراقه جندي في وطنه بقدر ما هو عائل لأهله . فلا يجب أن نتركه لما يظن من خصوصياته ويجب أن يحرص على فائدة المجموع فيها إلى جانب ما يحرص عليه في خدمة نفسه . . . "[2]

والعمل يحتاج إلى قوة روحية وعضلية ، ومن ثم يصبح هو قوة بذاته للفرد وللمجتمع لذا فالسباعي يمتدح القوة ويحذر من الضعف ...

كتب تحت عنوان (حذار أن تكون ضعيفا)[3] يقول :

" يا صديقي .. ما رأيت كالقوة منعة تحصن جانب المرء وتحفظ عليه كرامته ، وإنه ليخيل إلي أن البسيطة بأهلها ، وأهلها بقواعدهم اصطلحوا على احتقار الضعيف واطبقوا على الاستهانة به والسخرية منه ، فحذار يا صاحبي حذار أن تكون ضعيفا . . . إذا كنت صبيا تحثو التراب فكن قويا يجاملك أترابك الصبيان ، وإذا كنت يافعا فكن في لفيفك قويا كالطود شامخا ، وإذا كنت مرؤسا فكن قويا تحفظ لنفسك حقوقها ، وإذا كنت رئيسا فكما تكون عادلا

---

(١) ، (٢) دعونا نمش : ص ص (٤٥- ٥٠)

(٣) صوت الحجاز : ع ١٥٨ في ١٣٥٤/٢/٢٥ هـ ١٩٣٥م ص١ ، وانظر مقالته التي بعنوان (القوة القوة) ع٢٥٣ في ٩/ ٢/ ١٣٥٦هـ ، ص١

كن قويا يعرف مرؤوسك موضع رئاستك ، وإذا كنت مملوكا فكن قويا تنج من جحيم العبودية وإذا كنت مالكا فكما تكون نبيلا كن قويا يخضع الناس لجلالك وهيبتك ، كن قويا أيان كنت وكيفما كنت تعش عزيزا وتخلد عظيما - أسمعتني .. ؟ .. "

يقول العوين : " وفلسفة القوة في مطلع النهضة ليست غريبة على السباعي فقد تعلق بها كثيرون . . . والقوة في مطلع كل نهضة أحق بالاحتفال وأجدر بالاهتمام ، لأن المرحلة التأسيسية محتاجة إلى أقوياء يذبون عن القيم . . . ويدفعون الواغلين والضعفاء ومثيري الفتن ومثبطي العزائم . . . "[1]

٦- تنمية الوعي في المجتمع :-

ولا يتم ذلك إلا عن طريق التعليم ونشره بين مختلف الطبقات وإذا كنت قد أشرت سابقا إلى أن المقالة الاجتماعية عند السباعي تقوم على محورين رئيسين - أحدهما : بناء الإنسان فإن أهم ركائز بناء الإنسان هي - التعليم .

لذا كان أبرز اهتمامات السباعي في كتاباته المختلفة الدعوة إلى نشر التعليم والتوسع في ذلك وإلى الاهتمام بالمعلم والمتعلم وإلى تطوير مناهج التعليم ومسايرتها لروح العصر ، وإلى فتح المجال للمرأة لكي تتعلم إذ إنها العنصر الأول المؤثر في المجتمع بداية بأسرتها سلبا وإيجابا وإلى محاربة الأمية .. وغير ذلك[2] وقد تعدت دعوة السباعي المجال النظري إلى المشاركة الفعلية في تلك الدعوة ... فبالإضافة إلى مشاركته معلما لفترة من الزمن في بداية حياته شارك وأسهم أيضا بالتأليف في المناهج التعليمية ، بل كان أول سعودي وضع أول مؤلف وطني في المناهج التعليمية وذلك من خلال كتابه (سلم القراءة العربية) الذي يقع في ستة أجزاء ، وقرر تدريسه في المدارس الابتدائية لفترة من الزمن . . .[3]

كل ذلك إنما يمثل إدراك السباعي لأهمية التعليم في حياة الأمم فهو الكفيل بنهضات الأمم وتبديل حياتها إلى الأفضل والقضاء على سلبياتها ومظاهر تخلفها وعجزها ، ولا قيمة لأي محاولة للنهوض بالمجتمع مالم يدرك ذلك المجتمع متطلبات النهضة وكنه الحضارة ولا يدرك ذلك إلا إذا نما وعي أفراده وتوسعت مداركهم ولا يتم ذلك النمو والتوسع إلا بالتعليم الأس الأول للارتقاء بالفهم والإدراك .

يقول السباعي:

---

(١) محمد العوين : المقالة في الأدب السعودي ٦٣٢/٢

(٢) انظر تفصيل ذلك وغيره ، هذا البحث ص (٨٣-٩٢، ٩٧-١١٧)

(٣) انظر تفصيل ذلك هذا البحث ص (١٠١ -١٠٦)

" انتشار التعليم في صفوف الأمة بصورة شاملة عامة ، هو الكفيل الوحيد بشيوع الروح التقدمية في مختلف أوساطها لأن طبقة الأميين لا تستجيب دائماً لإصلاحات المفكرين ، ولا تهضم الآراء الحرة التي يدعو إليها التقدميون .. وهي إلى هذا أشد ما تكون حرصاً على ماألفت من عادات مهما كان نوعها أو نصيبها من التأخر ... "(١)

فإذا ما انتشر التعليم تحقق الوعي المنشود في الأفراد والجماعات في المستقبل القريب بحيث يستطيع المجتمع بالتالي " أن يستوعب الفكرة النافعة ، ويعرف كيف يستجيب لها ، ويجند نفسه لخدمتها فثق أننا سنضمن النجاح لبلادنا ونستأنف حياتنا على الأرض في عزم وثبات . فامضوا بنا ودعونا نمش "(٢)

ويقول :

" والواقع أن نشر العلم بأبعد ما يسع النطاق .. وتوزيع بيوته لا في المدن والدساكر بل في فيافي بواديه ، وصغار قراه ، وبين القبائل في مهابط الوديان وملتويات الشعاب النائية ، هو كفيل بإنشاء هذا الشعب من جديد إنشاء يتفق مع قدسيته ومقامه تحت الشمس ... "(٣)

ويقول في كتابه دعونا نمش :-

" لا ينقذنا ونحن على أبواب نهضة جديدة إلا أن نعني بشئون المعرفة عناية تفوق عنايتنا بجميع مرافق النهضة في البلاد ! ، التعليم هو الوسيلة الوحيدة التي توسع مداركنا وتنير أفهامنا ... و لا يظن ظان أن بعض خلالنا المستهجنة تكونت بتكوننا فقد سبقتنا شعوب كانت تعاني شراً مما نعاني اليوم حتى إذا انبثق الفجر في سمائها وسطع العلم في أركانها استطاعت أن تستبين الطريق وتستوضح الجادة واستطاع العلم ان يصوغها من جديد ... "(٤)

---

(١) دعونا نمش : ص ٢٠

(٢) المصدر السابق : ص ٢٣

(٣) البلاد السعودية ن مقالته (علمونا ثم زيدونا علماً) ع٩٤٤ في ٦/ ١١/ ١٣٦٩هـ ص١

(٤) دعونا نمش : ص ٥٥

وعلماء الاجتماع يؤصلون أهمية التعليم كوسيلة رئيسة يقوم عليها نجاح التغير في المجتمع حيث إن ذلك النجاح في التغير : " يتوقف إلى حد بعيد على درجة النمو العقلي للموارد البشرية ، وعلى مدى استخدام الأسلوب العلمي في الدراسة والبحث "[1]

فمن المسلم به أن نظرة أفراد المجتمع إلى قيم الأشياء تتغير تبعاً لتغير ثقافاتهم : ((ومن ثم يؤدي الانتشار الثقافي إلى كثير من التغيرات في نظم المجتمع وأفكار أفراده والتي ينعكس أثرها على البناء الاجتماعي للمجتمع ووظائف اتساقه "[2].

ونعرض فيما يلي لأبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها السباعي مع التأكيد بأنه قد يخص بعض هذه القضايا الاجتماعية بمقالات منفردة وقد يعرض في المقالة الواحدة إلى قضايا اجتماعية متعددة ، وسأكتفي في الغالب هنا بتلخيص فكرته والإحالة إلى مصدرها دون الاقتباس من نصوصه - قدر الإمكان - توخياً للإيجاز ولأن ما سبق اقتباسه من نصوص في حديثنا عن الأسس التي قامت عليها مقالته الاجتماعية يفي بالغرض ، إلا إذا اقتضى الأمر اقتباساً جديداً يزيد من إيضاح هدفه وفكرته أو يلخصها ، أو يلقي عليها مزيداً من الضوء أو عندما يصبح تلخيص فكرته مخلاً لا يؤدي الغرض المرجو منه .

أولاً : قضايا المرأة :-

تناول السباعي لقضايا المرأة يغلب عليه الاعتدال ، إذ طرحه لقضاياها يتميز بالمحافظة على كيانها من الابتذال والانحلال والتحرر الزائف ، ولكنه في الوقت نفسه ، لا ينكر ما يأمر به الدين فيما يخص المرأة من تعلم وتثقيف وتهذيب وعمل ضمن ضوابط محددة ، يمكن القول بأنه طرح حلولاً لقضايا المرأة من خلال تصور إسلامي معتدل ، يحاول أن يوفق بين الثوابت والمتغيرات .

ومن أبرز قضايا المرأة التي ناقشها :-

١ - التعليم :-

بدأ تعليم البنات في المملكة العربية السعودية رسمياً عام ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م لكن المطالبة بذلك سبقت هذا التاريخ بما يقارب الثلاثين عاماً وسبب تأخر تبني تعليم البنات رسمياً يعود

---

(١) د. فادية عمر الجولاني : (التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير) دار الإصلاح ، الدمام ، السعودية ،ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٩

(٢) المصدر السابق : ص٢٩ ، وانظر حديث د. فاروق محمد العادلي عن أهمية الثقافة في عملية التغير الاجتماعي في كتابه (علم الاجتماع العام) ، دار زهران ، جده ط١ ،١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٣١٥ وما بعدها .

إلى أن الأذهان في أغلب طبقات المجتمع السعودي لم تكن مهيأة لاستقبال هـذا النـوع مـن التعليم الحديث[١]

ويعد أحمد السباعي من أوائل من طالب بتعليم المرأة في بلادنا تعليماً حديثاً[٢] تشـهد لـه بذلك مقالاته التي نشرت على صفحات صحيفة صوت الحجاز وفي كتاب (وحي الصحـراء) وتميز في هذا الجانب بأنه كان من القلائل الذين اجتهدوا في سبيل تحقيق ذلك للفتاة السـعودية رغم معاناته الجمة في ذلك السبيل ممن وقفوا في وجهه والذين تكشفت فيمـا بعـد محدوديـة أفكارهم وتهاوت حججهم وسقطت براهينهم ، ليصبح تعليم الفتاة في بلادنا اليوم شيئاً نفخر بـه وهذا ما جعل السباعي يفاخر بجهوده التي بذلها في هذا السبيل وحق له[٣] .

ومطالبته بتعليم المرأة تعليماً حديثاً قائمة على بيان موقف الدين من ذلك وعلى المقارنـة بين الآثار الإيجابية الناتجة عن تعليمها وبين الآثار السلبية المرتبطة بجهلها وانعكاس كل علـى المجتمع والأمة .

وأول مقال طالب فيه بتعليم المرأة نشر على صفحات صحيفة (صوت الحجـاز) تحـت عنوان : (تعليم البنات)[٤]

ولأهمية هذه المقالة من الناحية التاريخية ولأنها تبين رأي السباعي فـي تعليـم المـرأة وحدود هذا التعليم وطبيعته ، فإنني أوردها هنا كما جاءت ، بعـد الاسـتغناء عـن مقدمتـها

---

(١) عن أسباب تأخر تبني تعليم البنات رسمياً انظر : عبد الله عبد الجبار : التيارات الأدبية في قلب الجزيـرة العربية ، مطبوعات معهد الدراسات ، القاهرة ، ص ص (١٨١- ١٨٥) ، د. بكري شيخ أميـن : الحركـة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط (٥) ١٩٨٦م ص (١٥٣ -١٥٤) .

(٢) بعض المناطق في المملكة وخاصة الحجاز عرفت الكتاتيب الخاصة بالفتيات قبل بدء التعليم الرسمي لـهن ، ولكن كان عددها محدود واللاتي يلتحقن بها فئة محدودة بالإضافة إلى أن أساليب التعليم فيها كـانت بدائيـة وتقليدية وبالية ، عن أوضاع تلك الكتاتيب وأماكنها وأساليب التعليم فيها انظر :

أحمد السباعي : تاريخ مكة ، منشورات نادى مكة الأدبي ، ط٧ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩م ، ٥٨٢/٢

عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، مكتبة النهضة الحديثة ،مكة المكرمـة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، ص ص (٣٢ - ٣٧) .

(٣) مما قاله حول هذا على سبيل المثال :

(الشيء البارز في أدبي كان تعليم المرأة وقد قاسيت في سبيله الكثير الكثير ..) ، مجلة اقرأ ع ٤٣٤ في ١٤٠٣/١١/١٠هـ ، ص (٥٨- ٥٩)

وقال في لقاء آخر أجري معه : (لو قرأت كتاب وحي الصحراء الذي صدر في الخمسينات يجمع عشرات المقالات لعشرات الأدباء السعوديين ، لوجدت كلمتي دون غيري تطالب بتعليم المرأة وتفصل مدى حاجة البلاد الملحة إلى ذلك ..) ،مجلة العرب : ج٩-١٠ ، س ١٨ ، الربيعان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٦١٢

(٤) ع ٨٣ في ٢٦ / ٧ /١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م ص ٢

والتي تحدث فيها السباعي - شاكياً - عن موقف قراء صوت الحجاز من كل جديد والذي يتمثل في التأفف والتبرم والرفض لا لسبب إلا لأنه جديد فيقول بعد تلك المقدمة :-

" .. إذن ليتأفف من شاء ، وموضوعي البنات ،تعليم البنات ، أمن قائل الآن أننا لم نعلم الولد بعد تعليماً كاملاً حتى نطفر إلى تعليم البنات ، هذا ظلم لا يرضاه منصف .. فالدين الذي فرض تعاليمه على الرجل وطالبه بمعرفة صلاته ونسكه وصيامه وزكاته معرفة شرعية ؛ ما قال للمرأة دونك الحياة أمرحي فيها كما تمرح السوائم في عرض الفلاة ، بل طالبها بمثل ما طالب الرجل ليتبين لها الرشد من الغي ولئلا تعبد الله على جهل . وإذن لماذا نؤجل تعليمها حتى ننتهي من تعليم الولد . وإذا كانت البنت اليوم ستصبح غداً أماً فهلا يجب أن نعدها لهذه الأمومة إعداداً ينتفع به مجموع الأمة . وإذا كنا نبغي لرجال المستقبل تربية دينية أدبية وإذا كنا نبغي منهم رجولة كاملة جسمياً أو عقلياً فأنى لنا ذلك إذا لم نعد مدرسة الطفل الأولى لايحسبني أحد داعية أنادي بالسفور، أو الظهور في نحر باد وساق مكشوف ، فتلك أشياء لاعلاقة لها بالتعليم ولا هي شروط تتوقف عليها صحة أدائه ، إننا نبغي تعليماً يتناول عقلها فيمرنه على التفكير الجيد ، ويتناول أخلاقها فيربيها على الخصال الفاضلة ، ويتناول صحتها فيحفظ لنا جسماً نشيطاً تعطينا به أولاداً أصحاء ، ويتناول وظيفتها في الحياة كامرأة تسود بيتها ، يسأل الكثير عن علة تأخرنا ويذهب البعض مذاهب شتى في ذلك أما أنا فمن رأيي أن داءنا الدوي في الأم الجاهلة .

من يربي في الطفل عاطفة الحب الدينية والغيرة على بلاده ، ومن ذا الذي يبث فيه ملكة التوادد والتعاون وحب الفضائل غير الأم ؛ فإذا نشأت الأم جاهلة ،من العبث أن تنتظر من أطفالنا أناسي نبني عليهم صرح المجد . نبغي للبنت تعليماً على ألا يكون قوامه (ألف لاشيون عليها ، والباء واحدة من تحتها) ولا شعاره استظهار (أبجد هوز) نبغي لها تعليماً على أن لا يكون نتيجته فتح المصحف والتسكع في قراءته بين اللحن واضطراب الحروف وتجويد (البرزنجي) على قاعدة تقليدية لا نعرف فيها مواضع الحروف ، نبغي لها تعليماً تتدرج فيه على قواعد القراءة الصحيحة لتتناول بعده أمور دينها ، ومن ثم تتدرج إلى قراءة شيء في الأخلاق وشيء في الاجتماع وشيء ولو بسيط في التربية وعلم النفس وطب البيت ، ولا بأس من مرورها على شيء من التاريخ الإسلامي العربي لتعرف أية منزلة كانت لهذه الأمة التي تنحدر من سلالتها ، وأي مقام كان لهذا البلد الذي تعيش اليوم في أكنافه ، على أن لا ننسى وظيفتها كربة أسرة فنعطيها دروساً في الخياطة وتوابعها ، والغسيل وملاحقاته ، وبالعموم في كثير من التدبير المنزلي " أ- هـ

وحماس السباعي في دعوته إلى تعليم المرأة كما تبدى من مقاله السابق كان سبباً في تعرضه للنقد والهجوم من قبل الرأي العام الذي لم يكن مهيأ لطرح مثل هذه القضية والكتابة

عنها وبأسلوب مباشر ولذا لجأ السباعي إلى أسلوب جديد لم يسبقه إليه أحد في أدبنا السعودي حيث أخذ يكتب عن هذه القضية / تعليم المرأة بنوع من الاحتيال حيث يطالب بتعليم المرأة على لسان المرأة نفسها مذيلاً مقالاته تلك بتوقيع مستعار : (متعلمة حجازية ، فتاة الحجاز ، فتاة) .

وقد أشار بنفسه إلى كل هذا[١]

ويبدو أن السباعي في أسلوب تناوله لهذه القضية (الاختفاء تحت اسم مستعار) كان متأثراً بأسلوب بعض الكتاب العرب الذين سبقوه في طرحها[٢]

ومما يندرج تحت هذا الأسلوب مقالته التي بعنوان (الأدب النسوي في الحجاز)[٣] وتعد هذه المقالة (بزعمي حسب ما وقفت عليه) أول مقالة تكتب في الصحافة السعودية على لسان امرأة ، تدعو إلى انتهاج الطريقة الحديثة في تعليم المرأة ، وتبدي رأيها في طريقة التعليم في الكتاتيب وتبين عقمها ، مما جاء في تلك المقالة :-

" أطلعني صديق لي على كراسة أدبية بقلم آنسة حجازية ، عاشت في هذا القرن وماتت لبضع سنين ظلت تاركة بعدها آثاراً تدل على رجاحة عقلها ... ونحن هنا ننقل شذرات من تلك الآثار هي مذكرات ... كتبتها تصف فيها تربيتها وتعلقها بالأدب . قالت في صفحة منها :

---

(١) ومن ذلك قوله في سيرته الذاتية :-

(كنت متحمساً لتعليم الفتاة بشكل حاد فأنشأت أكتب بإسهاب محبذاً تعليمها بشكل أثار علي حفيظة الكثير وعرضني للنقد اللاذع فرايتني أتحايل على الفكرة ، شرعت أكتب بتوقيع فتاة فصولاً متسلسلة جعلت الفتاة فيها تصف نشأتها التعليمية وما نالها من عناية أبيها وأخيها حتى تذوقت معنى الحياة وبدأت تنمو أفكارها إلى مستويات محسودة عليها ..) أيامي ، ص ١١٠ .

وأشار إلى ذلك بقوله ايضاً :

" كنت وأنا محرر في جريدة (صوت الحجاز) أكتب بامضاء فتاة الحجاز " ... وكان الرأي العام في ذلك الوقت لا يقبل هذا .. حتى رئيس التحرير كنت إذا كتبت يكتب معقباً بما يعارض هذه الأفكار) ،مجلة اقرأ : مرجع سابق ، الصفحة نفسها .

وانظر :

يوسف أسعد داغر : معجم الأسماء المستعارة وأصحابها ، مكتبة لبنان ، ط ١٩٩٥م ، ص ١٥٧و ٢١٨

(٢) فلحساسية هذه القضية نجد الكتاب العراقيين مثلاً في معالجتهم لها يلجؤن إلى الاختفاء تحت أسماء مستعارة ، فربما يكون السباعي قد وقف على نماذج من تلك الكتابات في الصحف العراقية فاقتبس منها ذلك الأسلوب ، انظر :

د. منير بكر . أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية . مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٦م ، ص ص (٢٤١-٢٤٤)

(٣) صوت الحجاز : ع ١٠٨ في ١٣٥٣/٢/٧هـ - ١٩٣٤م ، ص٣

(كنت منصرفة بنشاط إلى كتاب فقيهتى تعلمت فيه القراءة ولا أنكر أن ذلك كان على طريقة ملتوية ... لكنني لا أنسى اخلاصها واعتقد أن لها دخلاً كبيراً في نجاحي) وقالت في صفحة أخرى : (لا أدري لما كانت تعني فقهيتي بي لأتقن قراءة المولد وأجوده لقد كنت أتأفف ولكن فقهيتي كانت شخصية محبوبة ! تلجئني إلى الطاعة . وكنت في داري ابتهج لمرآى مكتبة أخي ويبهرني تنسيقها وألوان مجلداتها ، ولكم جلست أتمتع بالنظر إليها فقط ، ولا حظ أخي مني ذلك فاستخرج منها كتيباً مشكولاً في حروف كبيرة لا عنوان له ، وبدأ يعتني بي حتى درجت في القراءة ، وعلمني مباديء الكتابة فتقدمت فيها ، ثم كتبت وكتبت وكتبت ، ما أحسسته ثم ما استفدته من مطالعاتي) .

وقالت في صفحة أخرى : " لا أدري ماذا يقول عني بني (هكذا !) وبنات جنسي ! أيسموننني شاذة ويصموننني بالخروج مادمت احتفظ برأي الحجاب على أن تتعلم المرأة ولا بأس من أن تكتب ولا بأس من ترفع صوتها برأيها في المجتمع من وراء ما يصونها" هذه نفثات قليلة آثرنا نشرها وعسانا نستطيع نشر غيرها في فرصة مواتية " .

ونجده بعد فترة يلاحق هذه القضية بالكتابة وذلك من خلال مقالين نشرهما في عدد واحد من أعداد (صوت الحجاز) .

أحدهما تحت عنوان : (حول تعليم الفتاة)[1] وكتبه باسم مستعار (متعلمة حجازية) ومضمونه يتلخص في مطالبة تلك المتعلمة الحجازية بالسماح للمرأة بالتعليم في مدارس حديثه واصفة ما حصلت عليه من علم من خلال الطرق الحديثة هو مرغبة في الوقت نفسه بنات جنسها في ذلك العلم وطرقه الحديثة .

والمقال الثاني كتبه تحت عنوان (أم أبي عابد)[2] رامزاً إلى اسمه بـ (أ.س)[3] وصدرها بمقولة لعائشة رضي الله عنها : " نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن حياؤهن من أن يتفقهن في الدين ((مبيناً فيه مبلغ تأثير جهل الأم على حياتها وحياة أبنائها رابطاً بين انتشار الخرافات في محيط الأسرة والمجتمع وبين جهل المرأة . كل ذلك من خلال نموذج (أم أبي عابد) التي وصفها السباعي هي وابنها بقوله : " أبو عابد هذا مخلوق على الفطرة ،

---

(١) صوت الحجاز ع ١٢٢ في ١٩٣٤/٥/١٦م ، ص ٥ ، ورجحت أن هذه المقالة باسم (متعلمة حجازية) هي للسباعي اعتماداً على اسلوبها الذي يشير بأنه للسباعي ، وعلى قول السباعي السابق ذكره في هلمش ١ ، ص٤ : (حتى رئيس التحرير كنت إذا كتبت يكتب معقباً بما يعارض هذه الأفكار ..) حيث سنجد رئيس التحرير يكتب معقباً ومعارضاً لما ورد في مقالة (المتعلمة الحجازية) كما سيتضح لنا أعلاه مما دفع السباعي للرد على رئيس التحرير .

(٢) المصدر السابق ، ص ١

(٣) انظر : يوسف داغر : (معجم الأسماء المستعارة وأصحابها) ، مرجع سابق ، ص١٥٥

ما لمست الحياة ذهنه إلا من الناحية التي فيها أمه ، وأمه من الطراز القديم .. عرفت الأشياء وخواصها والأيام والشهور وتأثيراتها ، فهي تعرف السبت وحلاقة الرأس فيه تؤدي إلى الإعدام ، والاثنين والغسيل فيه فقد للبنين ، ... هذه أم أبي عابد في أحضانها نشأ ... ومن لبان علومها تغذى ...)) .

ثم يأخذ السباعي في محادثة أبي عابد أثناء زيارته له في إحدى الليالي عندما وجده مهموما ليتضح له أن سبب همه يعود إلى خلاف بينه وبين أمه إذ يريد أن يتزوج في شهر جمادى لسنته تلك ولا يستطيع الانتظار إلى ما بعده بينما أمه لا توافقه على الزواج في ذلك الشهر :

((إنني لا أوافق على زواجك في جماد ، يكفينا جمود الحال الذي نحن فيه " ، فيخاطب السباعي أباعابد معلقا على ذلك كله بقوله :

" هي جناية جناها أبو أمك على أمك وجاءت بدورها تجني عليك ؟ أتدري لو عني أبوها بتعليمها مبادئ الدين لا جتثت هذا الجهل من قواعده ولما وجد التحريف إلى عقلها سبيلا ، ولو علمها مبادئ التربية الصحيحة لاستطاعت أن تصوغ منك رجلا غيرك في سذاجتك هذه ، وجهلك الذي أسلمك إلى الخرافات والشعوذة التي ضربت فيها أمك بسهم وأفر .

قلت هذا ، وأبو عابد يسمع إلى في صمت ... وقمت في هدوء أدلج في طريقي إلى الحرم حيث وقفت هناك متعلقا بأستار الكعبة مبتهلا إلى الله أن يلهمنا الرشد واتباع السراط السوي في الحياة الدنيا والأخرة)) أ- هـ

أما مقال المتعلمة الحجازية السابق ذكره والذي رجحت أنه للسباعي فقد أثار حفيظة رئيس تحرير صوت الحجاز - في ذلك الوقت - (محمد علي رضا - [1] فهاجم في افتتاحية أحد أعداد صوت الحجاز[2] تلك المتعلمة الحجازية مبينا أنه لا يوافقها على مطلبها بتعليم البنات في مدارس عمومية وذلك لخوفه (كما تبدا له) على فتياتنا أن يندفعن عن طريق التعليم إلى ما اندفعت إليه الفتيات المتعلمات في البلاد المجاورة لنا من تقليد للمرأة الغربية والمطالبة بالسفور والمواساة فلا يستطيع أحد ردهن عن ذلك . وهذا دفع بالتالي السباعي إلى الرد على

---

(١) كاتب تلقى تعليمه في الحجاز وهو يعد من كتاب الرعيل الأول أسهم في كتاب (أدب الحجاز) وفي كتاب (المعرض) ... ورئس صوت الحجاز في فترة من الفترات . يذكر د. علي جواد الطاهر أنه من الكتاب الذين اجتذبتهم التجارة فيما بعد بعيدا عن الأدب ، معجم المطبوعات العربية ، مرجع سابق : ١٥٥٨/٤ ، رئيس (صوت الحجاز) من العدد (٩٥) الصادر في ١٣٥٢/١٥/٢٧هـ - ١٩٣٤م إلى العدد (١٤٧) الصادر في ٢١/ ١١/ ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م . انظر : عثمان حافظ : تطور الصحافة (مرجع سابق) ص ، ١٣٠ .

(٢) ع ١٢٥ ، في ١٣٥٣/٨/٧هـ - ١٩٣٤ م ص ١ ، وانظر محمد العوين ، فن المقالة ، ٦٤٣/٢- ٦٤٤

رئيس التحرير فكتب مقالا تحت عنوان : (تعليم المرأة لا يكون مدعاة لفسادها رد على مقال افتتاحية العدد الماضي ، بقلم الكاتب الاجتماعي الأستاذ أحمد السباعي "[1] . بين فيه السباعي أن مقال رئيس التحرير السابق ذكره كتب بدافع الغيرة على فتياتنا فأثنى في بداية مقاله على غيرة رئيس التحرير يقول : " أكبرت غيرته عندما أرسلها في العدد الفائت كلمة (حول تعليم البنات) تدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور "

وفعل مثل ذلك في نهاية المقال : " لا أحسب الكاتب الغيور إلا أنه أحتدم تحت مفعول الغيرة فراح يشد خناق المرأة ويسد المجال في وجهها وعندي أن الغيرة شئ يحمد صاحبه عليه ويستحق من أجله العفو والتقدير " .

أما عرض المقال فقد خصه السباعي لمناقشة ما أورده رئيس التحرير في مقاله ، فبين السباعي أنه لا يوافقه على غيرته تلك باطلاقها إذ إنها تقوم كما يرى على أساس من العادات والتقاليد في دراسة موضوع ((تعليم البنات)) يقول : ((ذلك نوع من الغيرة أكبره من حيث هو غيرة ولا أرتضيه من حيث هو خضوع للتقاليد والعادات ، وكم كنت أتمناه لو دعا إلى هذا الدرس على ضوء الدين .. والدين - بارك الله فيك - يفرض العلم والتعلم على المسلمة كما يفرضه على المسلم ويطالبها بفروض كما يطالبه . "

أما ما يختص بالمدارس العمومية فيقول السباعي :-

" لم يا بن أخي هذا الغضب ، نحن لا نريدها تتعلم إلا ما يليق بها كامرأة محتشمة وهذه كتاباتنا وكتابة (المتعلمة الحجازية) بنوع خاص مترعة المعنى بهذا ، وإننا بعد هذا لا نشترط المدارس العمومية فالعبرة بالغاية .. نريدك أن تعلمها إذا استطعت في خزانتك أو مخدعك أو في أي مخبأ شئت علما يجعل منها مربية تعرف الدين وتنبذ الخرافات ، وتحسن تربية أولادها ، علمها في مدرسة أو غير مدرسة "

أما من يشتطون في دعوتهم إلى تعليم المرأة فالسباعي لا يوافقهم يقول : " وأما أن يشتط البعض فيسرف في توسيع النطاق في طلب التعليم ويركب رأسه إلى مناهج لا تقرها وظيفة المرأة في الحياة فأولئكم المفرطون لا نبغي لهم قولا ولا نسمع منهم رأيا "

وأما الخوف على فتياتنا أن يندفعن إلى ما اندفع إليه جيراننا بسبب التعليم فيقلدن المرأة الغربية في اللباس والحرية والمساواة فليست المدارس هي السبب في نظر السباعي ، وإنما هو سوء التوجيه لتلك المدارس : " فلا يمكننا أن نقول إن المدارس عند جيراننا دفعت البنات

---

(١) صوت الحجاز ع ١٢٦ في ١٣٥٣/٦/١٥هـ - ١٩٣٤م ، ص١، ٢

إلى هاويتهم التي وقعوا فيها ولكننا نقول إن سوء التوجيه في تلك المدارس هو السبب المباشر الذي أنتهى بهم إلى هذه النتيجة "

ويدلل السباعي على وجهة نظرة السابقة بأمر حسي واقع وملموس في الحياة : " إنك عندما تشاهد عشرات الخريجين من فتيان مدارسنا عاطلين لا يمكنك أن تنسب هذا إلى التعليم لأنه شيء لا يقرك عليه عاقل ولكنك تستطيع أن تنسبه إلى عدم حسن توجيه التعليم فيها "

وبالتالي : " فمدارس البنات وتعليم البنات إن شئت لا يأتي بمثل النتائج التي تخاف منها إذا نحن احسنا استعماله وعرفنا كيف نوجه) .

أما قضية كتابة الفتيات في الصحف واستنكار رئيس التحرير لمطالبة (المتعلمة الحجازية) بذلك فيقول السباعي عن ذلك :-

"لا أدري على أي قاعدة بنى إستنكاره هذا وهو الضليع بتاريخ العربيات في الإسلام أولئك اللاتي وقفن خطيبات ومحاضرات على مسمع ومشهد من الرجال يبثثن الحماسة ويقومن الأخلاق " ويلحظ على هذا العدد (١٢٦) من صحيفة صوت الحجاز الذي ورد فيه مقال السباعي السابق ذكره اختيار أبيات من قصيدة لحافظ إبراهيم[1] وضعت تحت مقال السباعي مباشرة (في الصفحة الأولى) وعنون لها بـ (أزهار مقتطفة) وجاءت الأبيات تلك كما يلي:-

" من لي بتربية النساء فإنها . في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أ عددتها . أعددت شعبا طيب الأعراق
ربوا البنات على الفضيلة إنها . في الموقفين لهن خير وثاق
وتوسطوا في الحالتين وانصفوا . فالشر في التعقيد و الإطلاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا . بين الرجال يملن في الأسواق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا . عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة . كشؤون رب السيف والمزراق " أ - هـ

وفي هذا دلالة على وقوف وتأثر السباعي بدعوة حافظ إبراهيم وغيره من أدباء العالم العربي إلى تعليم الفتاة .

كما نجد السباعي يعرض لهذه القضية في مقالة أخرى بعنوان :-

---

(١) وتلك القصيدة ألقاها حافظ في حفل أقيم لإعانة مدرسة البنات ببور سعيد في ٢٩ مايو ١٩١٠م ، انظر ديوانه ضبطه وصححه أحمد أمين وآخرون ، دار العودة ، بيروت (د.ت) ، جـ ١ /٢٧٩ - ٢٨٣ .

" حاجتنا إلى تعليم البنات شئ يقره المنطق " ضمها كتاب (وحي الصحراء) الذي ظهر في طبعته الأولى في منتصف الخمسينات الهجرية[1] ، وبين السباعي في مقاله ذلك مدى حاجة الأمم إلى تعليم المرأة إذا أرادت الأمة النهوض والتقدم وذلك لما تلعبه المرأة من دور رئيس في بناء الأسرة وتربية الأبناء الذين هم عماد مستقبل الأمة ولا يتأتى لها القيام بذلك الدور إذا كانت جاهلة ، بل إن جهلها حينئذ يكون سببا بارزا في تردي المجتمع والأمة ..

ثم يقول :-

" إذن فما بالنا نغضي عن إعداد الأمهات وتعليمهن على الأقل ما يلائم وظائفهن كمربيات وربات أسر ، ويتطاول بعضنا فينادي بالثبور، ويصم أنصار الفكرة بوصمة التفرنج والخروج على الدين ، وينسى أن من مبادئ دينه فريضة طلب العلم على المسلم والمسلمة ، ثم يتناسى تلك الصفحات من التاريخ المفعمة بأخبار أقطاب السيدات العربيات المسلمات المتعلمات وأثرهن البعيد في حضارة الإسلام . . . ويشدد النكير قوم يخافون من وراء تعليم البنت رفع صوتها كما لو كانوا يجهلون أخواتها في صدر الإسلام ، أولئك اللاتي كن يخضن الصفوف ويتخللن الرجال في حومات الوغى فيستثرن حماسهم ، وبنات أبيهم أولئك اللاتي كن تضرب إليهن أكباد الإبل (هكذا)[2] للاغتراف من مناهل علمهن ومنابع فضلهن ! وتهلع قلوب فريق عندما تحدثه عن مدارس البنات كأن بدعا من الأمر أن يكون للبنات مدارس وما مدارس البنات سوى كتاتيب (الفقيهات) القائمة اليوم بيننا مع تعديل في طرقها الملتوية وأساليبها العقيمة وقواعدها الضاربة في الفوضى ، وسن مناهج لها جديدة تدرج بالعقل فتربية تربية صحيحة وتعده لتفهم مبادئ الدين على حقائقها ومحاربة الخرافات والخزعبلات التي يتوارثها البنات عادة في بيوتهن من العجائز مخلفات القرون المواضي، ومن ثم تهيئهن للحياة العائلية وتعدهن لسياسة البيت ، وتخصصهن في أصول التربية .. هي ذي حاجتنا التي تهيب بنا لتعليم البنات ، وهي كما يراها العادل ، حاجة ماسة لا غنى لبلادنا عنها إذا كنا نريد لها رجالا نافعين وقوادا عاملين !! " أ- هـ

وكما تبدى لنا من مقالات السباعي السابقة حول هذه القضية فإنه يتكيء في مناقشتها بالدرجة الأولى على موقف الإسلام منها ويحيل من يناقشه في هذه القضية إلى استنطاق التاريخ الإسلامي وبخاصة في عصوره الأولى .

---

(١) انظر المقالة في الطبعة الثانية للكتاب الصادرة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم ٨٦ ، تهامة ، جدة ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ص (٩٢- ٩٥) .

(٢) وردت العبارة السابقة (هكذا) وتبدو غير مستقيمة والصحيح (اللاتي كانت تضرب ..)

هذا خلاف بيانه للإيجابيات والسلبيات المترتبة على تعليم المرأة من عدمه .. لتكون النتيجة بالتالي هي الإقرار بأحقية المرأة في التعليم، يدل على ذلك الواقع والدين الإسلامي الذي يحق له أن يفخر بأنه كان : " أول نظام في التاريخ نظر إلى المرأة على أنها كائن بشري ، لايستكمل مكونات بشريته حتى يتعلم ، شأنها شأن الرجل سواء بسواء ، فجعل العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل ، ودعاها أن ترتفع بعقلها ، كما ترتفع بجسدها وروحها عن مستوى الحيوان ، . . . "[1]

وبعد فترة من الزمن أخذ بعض أولياء أمور الفتيات السعوديات الحاصلات على شهادة الثانوية بأرسالهن إلى بعض الدول المجاورة لمواصلة تعليمهن وذلك قبل إنشاء كليات خاصة بالفتيات في المملكة، فكان موقف السباعي من ذلك الأمر يتمثل في رفضه لذلك التوجه وعبرعن ذلك الموقف - كما بدا لي - من خلال قصته (متى يستقيم الظل) محذرا فيها من المخاطر التي تنشأ بسبب ذلك التوجه كالاختلاط ونحوه ، وهو ضمن يدعو من خلالها إلى فتح باب التعليم العالي للفتاة السعودية داخل بلادها . معبرا عن ذلك بلسان بطلة القصة التي عايشت تلك التجربة بنفسها[2].

٢- عملها :

حينما كان السباعي يطالب بتعليم المرأة في أوائل الخمسينات ، لم يعرض للحديث عن عملها .. ولم يشر إلى ذلك إلا في السبعينات الهجرية ، واتضح لي ذلك من إحدى مقالاته في كتابه (يوميات مجنون)[3] وفيه يرحب بعمل المرأة فيما هي مؤهلة له بطبيعتها .. ذلك العمل الذي يحفظ لها كيانها بعيدا عن الاختلاط ومزاحمة الرجل ..

ومما جاء في ذلك المقال قوله :-

" كنت مرة في سيارة عامة ببعض مدن الشرق العربي ، وكنا مزدحمين بصورة لا تترك متنفسا لأحدنا .. ولكن السيارة كان لا بدلها أن تقف في محطاتها الخاصة ... وأهلت علينا في إحدى المحطات سيدة من الشباب العصري (المودرن) واستطاعت أن تجد بين المزدحمين فرجة لا تكاد تتسع لوقوفها .. فحشرت جسمها في الفرجة ، وأخذت تتأرجح بين الواقفين بتأرجح السيارة بين الخفض والرفع . وأطالت النظر في أقرب الجالسين بجوارها ، ثم شرعت تترحم على أيام زمان .. عندما كان شمم الرجل يأبى عليه إلا أن يؤثر السيدة في مثل هذا

---

(١) محمد قطب : شبهات حول الإسلام ، دار الشروق ، بيروت ، ط ١٦ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص١١٥

(٢) انظر الفصل الخاص بالقصة ص (٣٣٨-٣٣٩ ، ٣٤٤ -٣٤٥) من هذا البحث .

(٣) فقرة (٤٣) ، ص ص (١٢٩ - ١٣٢)

الزحام ، وأن يفضلها على نفسه فلا يقبل الجلوس دونها ، ولا يرضيه أن يتركها تتأرجح في مثل هذه الأوضاع . وسرى تقريعها بين الركاب مسرى الكهرباء فاستجاب لها أكثر من واحد ، ونشطوا واقفين يعرضون عليها الجلوس في أماكنهم . لقد كانوا عقلاء استجابوا لداعي الشمم في دمائهم ، ولو كانوا مجانين لا ستعصوا على نداء الدم ، والتمسوا رأي الفلسفة فيما تقول السيدة (المودرن !!) ، إن المجانين أمثالي يعلمون أن للمرأة عندهم حقوقا تأتي في طليعتها حماية ذمارها ، والذب دونها بالمال والنفس ، وتأتي في نهايتها إيثارها بالمركب السهل ، والعيش اللين صونا لأنوثتها وإبقاء على نعومتها .

ولكن أي امرأة ؟ إنها امرأة الأجيال التي كانت تعيش فيها فخورة بحماية الرجل ... أما اليوم وقد تحولت إلى (مودرن) تنادي بالمساواة فمن العدل أن تتساوى معه في مزاحمة الأقدام ، وأن لا تعترض على ما يصادفها بجواره من ظروف قاسية ، وأن تتقبلها بنفس الروح التي يتقبلها بها الرجل . قد يتبادر إلى ذهن عاقل أن المجانين في مثل هذا الموقف يحاربون نهضة المرأة وينكرون عليها رقيها ، ولا يرضيهم أن تساوي الرجل في نصيبها من الحياة السليمة ، والواقع لا يؤيد هذا ، فرقي المرأة دليل على نهضة الأمة التي تحيا فيها ... ولكننا نتمنى ألا تنسى المرأة أن سبيلها إلى الرقي لا يعني المساواة الشاملة التي تلغي الفوارق بين أنوثتها الناعمة ورجولتنا الخشنة . . . حيهلا بها مدرسة أو ممرضة أو طبيبة أو عاملة في كل ما يتفق وطبيعة وظائفها في الحياة ، أما أن تساوي الرجل في جميع أعماله ... فذلك مردود إلا إذا شاءت أن تطلق أنوثتها وأن تنسى حفاوتها بالرقة والفتنة تلكم آراء مجنون فإذا بدا للعقلاء غيرها فالعقول طبقات كما أن الجنون فنون " أ- هـ

وفي الحقيقة أن حق العمل بالنسبة للمرأة : " هو حق لا شبة فيه ، وكانت النساء في صدر الإسلام يعملن حيث تقتضي الظروف منهن العمل ، ولكن المسألة ليست مسألة تقرير الحق في ذاته ، فالواقع أن الإسلام لا يستريح لخروج المرأة تعمل في غير الأعمال الضرورية التي تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى ، فتعليم البنات ، والتمريض ، وتطبيب النساء ، وما إلى ذلك من أمور ينبغي أن تقوم بها المرأة فهي إذن وظائف يحتم المجتمع أن يشتغل بها النساء . . . وحاجة المرأة إلى العمل لعدم وجود عائل لها ... حاجة تقرر حق المرأة في العمل لأن ذلك أصون لها من الابتذال في سبيل العيش ، ولكن هذه وتلك ضرورة والإسلام يبيحها على هذا الوضع . . . "[1]

ويمكن أن ندرج تحت هذا ، كتابتها في الصحف ، فقد تبين لنا بأن السباعي لا يعارض كتابة المرأة في الصحافة من خلال رده السابق على رئيس تحرير (صوت الحجاز) وكان

---

(١) محمد قطب : شبهات حول الإسلام : ص ص (١٣٧- ١٣٨)

هذا في الخمسينات الهجرية . . . ولهذا نجد السباعي في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات يفسح المجال للمرأة للمساهمة في التحرير الصحفي ، حيث خص المرأة بصفحة أسبوعية في جريدة الندوة بعنوان (رواق السيدات) ويقوم بتحريرها بعض السيدات أو من يكتب على ألسنتهن فيما يختص بشئونهن وفعل الشيء نفسه في مجلة قريش ، وأسند الإشراف على تلك الصفحة إلى فؤاد عبد الحميد العنقاوي .

ولإيمانه بأحقية المرأة في التعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها من خلال الكتابة نجده يكتب مقالا يرد فيه على مقال نشره أحمد محمد جمال عرض فيه بمجلة (قريش) ولام القائمين عليها وذلك لسماحهم بنشر مقال على صفحاتها ، بقلم سيدة عبرت فيه عن أحاسيسها ومشاعرها ، تجاه زوجها ، مبينة لما للدفء العاطفي من دور بارز في توثيق العلاقات الزوجية فعد أحمد جمال ذلك الأمر غير مقبول لا دينا ولا عرفا .

فرد عليه السباعي بذلك المقال الذي كان تحت عنوان :-

" أيثير غيرتك يا ولدي أن تشكو فتاة . . ؟ "[1]

ومما جاء فيه قوله :

" أخي أحمد جمال : وإذا أبيت فدعني أسميك (ولدي) مشايعة لرضاك بشرط أن لا تطلق كلمة (الأب) مجردة ، فربما اختلط الأمر بذلك على الآباء اليسوعيين ، ولدي أحمد : تلذ لي غيرتك لما تعتقد أنه الحق !! ويلذ لي أن أراك تتفجر حماسا في كل مناسبة ترى فيها مساسا بدينك ، أو تجريحا للمبادئ العالية التي تعتنقها ، ثق أني لا أكذبك ولا أرائيك ، فكل من حولي يعرفون فيك الشاب العالم طاهر الذيل . أجل الشاب العالم !! ولا فضل لي فيما أدعي من هذا فهذه مؤلفاتك الدينية ،وهذه بحوثك المستفيضة تتحدى من ينكر غزارة علمك . وأقول طهارة الذيل ولا جديد في هذا فأنت في نظر من يعرفك عن خبرة مثل لما يتمنى الناس أن يكون عليه علماء الدين لا في فهم العقيدة الصحيحة فقط ، بل مضافا إلى هذا حرصك على صدق التطبيق في وقت كدنا أن نفتقد فيه هذا اللون من الناس ، وبعد أفهذا كل شئ .. ؟

لا ياصاحبي . وأقول لا بملء فمي .. ورزقي بعد هذا على الله فأنت إنسان لا يعجبني فيك حدة الإحساس !!

ستظنني أريدك لترضى الدنية فيما تعتقد أو التهاون فيما تعتنق أبدا .. ولكنني كمجرب استطيع أن أدعي أن أصحاب الأحاسيس المرهفة ينسون أحيانا أن الصواب في هذه الحياة كثيرا ما تتعدد جوانبه وأنه لولا ذلك لما اختلفت الأئمة والمجتهدون في كثير من مسائل

---

(١) مجلة قريش ع ١٦٤ ، س ٤ في ٤/٩٤٣٨٢هـ ، ص٢

الإسلام ... أيثير غيرتك – ياولدي - أن تشكو فتاة مما فقدت من زوجها في صحيفة سيارة ، إنها غيرة لها وجه من الصواب ، ولكنك تعلم أن ثمت وجها أو وجوها أخرى تستحق عنايتك:

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبتسم لمن جاءت تشكو زوجها وهي تقول:

(ليس معه إلا مثل هدبة الثوب) !! وتشير بطرف ثوبها إلى ارتخاء فيه ، وزوجها حاضر يكذبها ويقول : والله إني أجهدها جهدا .. ويعاود النبي صلى الله عليه وسلم الابتسام وهو يسألها ، أتريدين زوجك الأول .. ؟ .. لا حتى تذوقي عسيلة هذا ويذوق عسيلتك .

أو كما قال ، ستقول مقاضاة في مجلس محدود ، ولكنك تدري أنها قصة عاش ملايين المسلمين يتداولونها بعد الملايين طوال ١٣٥٠ سنة ، يتداولونها في مدارسهم وحلقاتهم ، وعاشت تتشرها ملايين الكتب بعد الملايين ليستشهدوا بها على حق الزوجة في خلوة الرجل . إنها مثل واحد من آلاف الأمثلة والشواهد التي اكتظ بها تراث الإسلام في عهوده الذهبية ، وفيها ما يعطينا فكرة عن المبدأ الشائع : (لا حياء في الدين) وهو نشر كما ترى لم يتكتم الأسماء والأشخاص ، بل يعلنها صريحة واضحة ، أنت تدري - يا أستاذ -أن ألوانا مما نسميه الحياء شاعت بيننا من أجيال قريبة دون مبرر ، فالمخطوبة اليوم لا يقبل أهلها عرضها على خطيبها ، بل بالغنا في هذا الحياء حتى بتنا نخفيها عن أعين السيدات من ذوي قربى الخطيب لا تظنني أنكر عليك الغيرة وأنت المعروف بتقواك وإيمانك ، ولكني أعيذك من الحساسية المرهفة التي تصور أمامك أنواع المخاوف . لقد كانت منك وجهة نظر أؤمل أن يتسع بعدها خيالك لما عند غيرك من وجوه أخرى . فقد أرهق المسلمين كما تعرف تشبث بعض فقهائهم بما يستنتجون وما يفسرون لأنفسهم أو تلاميذهم ! ولو اتسعوا لما عند غيرهم على غرار ما كانوا يفعلون في صدر الإسلام لا ستغنى الإسلام عن كثير من مآسي المسلمين في التاريخ "

أ-هـ

وهناك قضايا أخرى تتعلق بالمرأة ، ألمح إليها في مقالاته كحق التملك المبني على الوراثة المقرر شرعا . فيبدو أنه يغمط حق المرأة المقرر لها شرعا من خلال الوراثة في بعض الجهات حتى أصبح ذلك عرفا متداولا ، اكتسب مع مرور الوقت شرعيته الزائفة فعرض السباعي إلى ذلك عرضا سريعا وغير مباشر في إحدى مقالاته ، وجاء على النحو الأتي:

" عشت أتحاشى المرور من طريق (المارستان) خشية أن يعرفني سجان بعلامات فارقة فيقبضني إليه !! ولكني ذهلت اليوم عن نفسي .. فقادتني قدماي من حيث لا أشعر إلى باب المارستان وراعني صوت تكسرت في نبراته الحروف ينادي : (يا عمي ألا تتفضل فتتسامح لي من عمي) قلت وأنا أطالع فيه وجها ذابلا تنطق الأحزان في قسماته : ما خطب عمك يا فتى ؟؟

قال : قاضيته في ميراث أمي فكاد لي حتى أسلمني إلى الحال الذي ترى !!

قلت : وهل تستطيع أن تعدني ؟ ؟

قال : في أي شئ أعدك يا عمي ؟

قلت : ألا تعود إلى مكابرة الأعمام والأخوال .

قال : وهل أكابر بعد ما حدث ؟

قلت : فأنت منذ اليوم عاقل !! وسأكون من الشاهدين "[1]

وكحق اختيار الزوج وعالج ذلك من خلال قصته (خالتي كدرجان)[2] .

وفي ختام هذه الفقرة يمكننا القول بأنه قد تحقق للمرأة كثير مما تصبو إليه فقد دخلت المدرسة والجامعة طالبة وأستاذة ، كما تم لها التحرر من قيود العادات القديمة التي قد تسلبها حقوقها الشرعية كحق القبول أو الرفض لمن سيشاركها حياتها الزوجية ، وكذلك حقها الشرعي في الميراث ، بالإضافة إلى مشاركتها في الحياة العملية من خلال مجالات عدة كالتدريس والطب والخدمة الاجتماعية ، وأسهمت أيضا وتسهم في مجال الكتابة صحافة وتأليفا .

ثانيا : قضايا التربية والتعليم :-

قضايا التربية والتعليم كانت تشكل هاجسا للسباعي ولهذا شغلت حيزا من كتاباته المتعددة .. ومن ذلك مقالاته وهي التي تهمنا هنا .

وطبيعي أن يستوقفه التعليم وقضاياه إذا انتسب إليه فترة من الزمن تلميذا فمعلما ثم شغله أمره والدا يصدر في ذلك عن تجربة ومعاناة : " كان التعليم إلى عهد قريب في بلادنا قوامه ذهن مغلق في سحنة جبارة عاتية تدينك باستظهار كل ما وضع لبرامج تعليمك لا تستثني شاردة ولا واردة .. في قفاك عصاها وقد قدت من الجنة - وفي وجهك أب ليس له منك إلا العظم أما (لحمك) وأما بقية جسمك بالأصح فهدية مختارة مقدمة لمذبح الفقيه المحترم ؛ كل هذه المعاناة قاسيناها إلى عهد قريب . . . ((كنت وثيق الصلة بها يوم كنت كثب منها (يعني المدارس) ذاك عهد عرف الناس فيه قلمي وقفا عليها يديح .. عشرات الفصول فيها .. ثم تلاه عهد بعدت فيه الدار .. حتى إذا مشت من كبدي إلى أعتابها فلذات صغار عاد الاتصال يستأنف رابطته بيننا في هون ورفق . فإذا شهدت أولادي اليوم يتفزرون في نومهم ويهذون بألفاظ يكررونها مرات ومرات علمت أنه الاستظهار في المدرسة باق سيرته الأولى وأنها

---

(١) يوميات مجنون : فقرة ١٩ ص ص (٥٨ -٥٩)

(٢) انظر الفصل الخاص بالقصة ص (٣٣٣) من هذا البحث

روح التقليد تتجاوب بين حناياهم وأن الإعداد المتكلف لغرف الامتحـــان لا زال فـــي مكانـــه يصوغ لنا جيلاً رخيصاً فاشلاً في الحياة "[1]

هذا بالإضافة إلى أنه كان مدركاً بأن هناك علاقة جدلية بين تقدم التربية والتعليـــم وتقـــدم الأمم :-

" إن كنا نزمع الزحام ، وملاحقة الأمم التي نعاصرها فلنزاحمها بناشئة ليس فيها من خرجتـه العصا ، أو أنجبه الاستظهار التقليدي فالببغاوات لا تفهم سر التزاحم في الحياة ، والببغـــاوات لا تبني مجد أمة .. وعبيد العصا إن ضربوا حرنوا أو أطلقوا بطروا !! علينـــا أن نزاحمـــهم بناشئة تشعر بحيويتها وحقها في الحياة وتعرف قيمة تفكيرها المستقل في إثبات كيانها ، فـــهل تضطلع مدارسنا اليوم بإنتاج ناشئتنا على هذا النحو . ؟ ؟ "[2]

والسباعي عرض لقضايا التعليم في وقت مبكر جداً حيث تناول عدداً من تلـــك القضايـــا في مقالات تحت عنوان (مدارسنا) بدأ نشرها في صحيفة (صوت الحجـــاز) ثـــم (البـــلاد السعودية) بالإضافة إلى ما عرض له بعد ذلك في (الندوة) و (قريش) عدا ما تناوله منـــها في كتبه وقد أطنب في الحديث عنها .

ويمكن القول بأن فكره التربوي يقوم على الركائز الآتية :

١-المطالبة بتعليم البنات : وسبق أن عرضنا لذلك .

٢- أساليب وطرق التدريس :

تتمحور دعوته حول هذا في نقد الأساليب القديمة والدعوة إلى الأخذ بالأســـاليب الحديثـــة العصرية داعياً المسئولين عن التعليم إلى تبنيها[3]

وأبرز ملامحها تتمثل عنده في :-

أ- محاربة التلقين والاعتماد على الإفهام :-

ومما قاله في ذلك :-

" إن التعليم اللفظي المبني على قواعد وتعاريف يعتمد فيها على التلقين والاستظهار مـــن غير إعمال العقل معناه السيطرة .. على دماغ التلميذ ومسخه من صورة الآدمية العاقلة إلـــى صورة أخرى (آلية) ... وإنك لفي غنى عن أن أعرفك أن التربية النافعة والتعليم الإســـلامي الصحيح : هو تكوين عقلية مستقلة لا تقبل القضايا كمسلم بها ولا تخضع للتلقين الأعمى بـــل...

---

(١) البلاد السعودية : مقالة (مدارسنا) ع ٦٣٣ ، س ١١ ، ١٣٦٦هـــ / ١٩٤٦م ، ص١

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) انظر مقالته التي بعنوان (خطاب مفتوح إلى سعادة مدير المعـــارف) ، البـــلاد الســـعودية : ع ٦٥١ ، س١٢ في ٣٠ / ٥ / ١٣٦٦هـــ / ١٩٤٧م ص ١

تحكم عقلها وتفحص المسائل ... حتى يتميز الخبيث من الطيب لها ، أو ليس القـــرآن الكريـــم خير هاد لهذا ؟ إننا إذا استنطقناه وجدناه يأبى إلا أن يؤمن المؤمن بعد أن يحكم عقله فقد كـــان يهيب بالكفار أن يفكروا ويتدبروا ويسيروا في الأرض لينظروا إلى غير ذلك ممـــا لا يتفـــق والتلقين الأعمى "[1]

ويقول في موضع آخر : " إننا اليوم أحوج ما نكون إلى مدارس تعنى بالكيفية أكـــثر ممـــا تعنى بالكم ... إننا نريد مران صغارنا على الفهم والاستنتاج أكثر مما نريدهم لتلقي ما نلقنـــهم كقواعد ثابتة وعلوم مقرره "[2]. ويلحظ أنه في نهاية كل دعوة من هذا القبيل يحاول أن يعطـــي أمثلة كنماذج تطبيقية لدرس قائم على الاستنتاج والفهم . ومن أمثلة ذلك النموذج الذي ضربـــه لطريقة تدريس التاريخ وفيه يقول :-

" هذا الشيخ محمد يبدأ حصته في الدرس بقراءة أكثر ما أورده الكتاب المقرر في شأن قيـــام دولة العباسيين بالصورة التي قامت عليها ويذكر تاريخ خطواتها باليوم والسنة ، ثم يتلـــو مـــا ترتب على هذا القيام في ألفاظ ميتة رصفت حروفها المطبعة. ما أحرى الشيخ محمد أن ينســـى الكتاب إلى حين ، وأن يناقشهم - يعني التلاميذ - في الأسباب التي قضت على الأمويين .. ثـــم يتركهم يستنتجون ما يجب أن يترتب على سقوط الأمويين ، بعد أن يشعرهم بمكان الجماعـــة التي أسمت نفسها بالعباسيين ليصور الخطوط الأولى التي يجب في رأيهم أن تتجمـــع لتكـــون نهضة جديدة على أنقاض ما سبقها ، إذا تركهم يجمعون هذه الخطوط ويستعملون خيالهم .فـــي ترتيبها كيفما اتفق .. فإن آراءهم ستتضارب في هذا الإعداد وستتسع خيالاتهم فـــي تصويـــر الموقف وسوف لا يجيدون حبك القصة التي لم يطلعوا على نتائجها . ولكنهم ســـيتمرنون فـــي هذا على النقاش ، وتتفق أفهامهم على بحث المقدمات في الحيـــاة وترتيـــب النتـــائج عليـــها ، سنتركهم يخطئون ما اتسع الخيال لأخطائهم لأننا سنظفر لهم في خلال هذه الأخطـــاء بمـــا لا تساويه جميع دروس التاريخ ، وسنشوقهم إلى نتائج ينتظرون سماعها منا ، أو مـــن الكتـــاب بفارغ الصبر . وعندئذ فقط نستطيع أن نقرأ عليهم مـــا قـــال الكتـــاب.. ونتركـــهم يعجبـــون للمفارقات العجيبة بين ما تخيلوه في شأن العباسيين وما وقع عمليا في التاريخ .. "[3]

---

(١) صوت الحجاز : مقالة (بمناسبة الفحوص في المدارس) ع : ٥٠) في ٢٣/ ١١/ ١٣٥١هـ ص٥ .

(٢) دعونا نمش ص (١٦- ١٧)

(٣) دعونا نمش: ص(١٧ - ١٨) وانظر نموذج آخر مثل به على طريقة تدريس التاريخ : البلادالسعودية :ع ٦٣٣، مصدر سابق، ص ١، ٣ وانظر المثال الذي ضربه كنموذج لتدريس النحو:البلاد السعودية: مقاله : (في مدارسنا) ، ع ٦٩١ ، س ١٢ ، في ٢٢/ ٣ / ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م ، ص ١. وهوفي هذا النقد لأساليب التعليم يذكرنا بما كان يطرحه أحمد أمين انظر مثلا: فيض الخاطر، مكتبة النهضة، القاهرة ، ط (٧) ، ١٩٩٥ م ، ٤/ ٤٤ ومابعدها

ودعوة السباعي السابقة في محاربة التلقين والاعتماد على الإفهام هو ما يقول به المتخصصون التربويون :- " لعل أخطر الأساليب التي يتبعها المدرسون . .. هو تركيزهم على الاستظهار والحفظ الببغائي للمواد التي يدرسونها .وقد تشارك وزارة التربية والتعليم في هذا الأسلوب بحشو مناهجها المقررة بالتفصيلات الدقيقة ، وتركيزها في امتحاناتها الحكومية على الأسئلة التي تتطلب حفظ هذه المعلومات التفصيلية دون التركيز على المبادئ العامة وتكوين المفاهيم "[1]

ب- الرفق في معاملة الناشئة ونبذ القسوة :-

التعليم يقوم بالدرجة الأولى عند السباعي - كما مر بنا - على الاستهواء والإيحاء ، أكثر منه إلزاماً وتقريراً وبخاصة في مراحله الأولى ، فهو لا يقول بالعقاب البدني على إطلاقه ويذهب إلى أن نتائجه في الغالب قد تكون عكسية .

ومن ذلك ما كتبه تحت عنوان : (ليس للعصا قيمة تربوية)[2] يقول :

" إن اتخاذ العصا كوسيلة معتمدة للتربية أسلوب فاشل في الحياة ، فهيبة العصا إذا أعطت أثرها مرة أو أخرى فإنها لا تلبث أن تصبح مألوفة للطالب يفقد فيها مرارتها . وإذا فقد الطالب مرارتها استهان بها واستخف وأصبح لا يعبأ بما يناله منها ، وللعصا بعد هذا ما هو أعمق من هذه المساوئ فهي مظهر من مظاهر القسوة وليس كالقسوة شئ يثير عناد الطالب ويحفزه للعصيان والمشاكسة ويهيئه لكثير من السيئات التي يأباها الفتى المهذب .

التربية اليوم قوامها شخصية تعرف كيف تحترم نفسها وتبني لذاتيتها وقاراً له قيمته في نظر من تربيهم فنحن نناقشهم عند كل سيئة يخالطونها وتفلسف لهم في أناة وهدوء كل خطأ يرتكبونه . . . إذا استطعنا تمريسهم على هذا النوع من الحياة لانت قناتهم للتربية وعرفنا كيف نحسن توجيههم "

ومع هذا فهولا يمانع من استخدام العقاب البدني ولكن في حدود وبطريقة معينة : " ومع هذا فلربما استهوتهم هواية حادة ضاعت معها كل أساليبنا من الحكمة ، وعندئذ فلا غنى لنا عن العصا في صورة عاقلة متزنة لا تثأر لنا أو تذيقهم بأسنا بقدر ما تشذب طفرتهم وتعالج غلطتهم " .

وهذا ما يقول به بعض أصحاب المدارس التربوية[3] .

ومن الأمثلة التي ضربها كنموذج لتدريس الحساب انظر :- البلاد السعودية : مقاله مدارسنا) ع ٦٣٥ ، س ١١ في ١٣٦٦/٢/٦، ١٩٤٦م ، ص : (١، ٣) ، ودعونا نمش : ص (١٨ - ١٩) .

(١) د. السيد محمد خيري وآخرون : علم النفس التربوي أصوله وتطبيقاته ، مطبوعات جامعة الرياض ، رقم ١٢ ، ط١ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٥ ، ص ١٦٨

(٢) قال وقلت : ١/ ١٢٧- ١٢٨

(٣) يقول د. محمد إبراهيم كاظم : (مشكلة العقاب مشكلة قديمة . . . نشأت بنشوء المجتمعات الإنسانية .. والمدرسة مجتمع ومجتمع له ظروفه الخاصة . . . والعقاب فرض في البدء .. لحل مشكلة الفرد (التلميذ)

ومما يندرج تحت هذا دعوته إلى إعداد الجو المناسب من قبل الأستاذ قبل الشروع في الدرس :

" التعليم في أحدث نظرياته اليوم يعني مناقشة البحث قبل إلقائه والتمهيد له بالأمثال المبسطة قبل إيراده وإن استهلال الفصل بحوار مرح يوطئ لموضوع الدرس ويهئ له الجو المنعش في إدارة حكيمة لهو براعة لا تدانيها كل الوسائل الشائعة عند أصحاب الحياة المعقدة والأنيلب المكشرة والعصا المسلولة وإن مطاولة الطالب بمثل مضحك وإعداده لعلاج فكرة الدرس بدافع من نفسه يهيئه لفهمه أكثر ما تهيئه كل وسائل التلقين والتحفيظ و . . . "[1] .

ومما يندرج تحت هذا أيضاً دعوته إلى بناء العلاقة الطيبة بين المعلم والتلميذ القائمة على الولاء والحب : " التعليم بعد هذا وقبله لباقة وظرف وآصرة من الولاء والحب بين المعلم والتلميذ أكثر منه شكيمة وصرامة وجداً "[2]

جـ : تطوير المناهج :-

دعا إلى استبدال تلك المناهج القديمة القائمة على الشروح والحواشي بمناهج حديثة ، قائمة على الاختصار المفيد المناسب لفهم وذهنية الناشئة ، بعيداً عن الحشو والتكرار الذي لا فائدة منه .

وفي الوقت نفسه طالب - بإدخال المناهج الحديثة إلى المدارس كالرياضيات ، والهندسة ، والجغرافيا .

وذهب إلى أن المعارضين لدعوته إنما هم من المغالين في حب كل قديم إلى حد التقديس لا لشيء إلا لأنه قديم ، ورأى أن هذا لا يتفق وسنة التطور في الحياة[3]

وتنبه السباعي المبكر إلى أهمية تطوير المناهج الذي هو موضوع الساعة وكل ساعة، لهو أبرز دلالة على ما يتمتع به من نظرة ثاقبة بعيدة المدى[4] .

= عندما كان العقاب إحدى الوسائل التربوية المعنية على التحصيل والمقومة للسلوك . .) العقوبات المدرسية ، مكتبة الأنجلو ، د. ت ، ص٢٢٠ .

(١) البلاد السعودية : مقالة (علمونا . ثم زيدونا علماً) ، ع ٩٤٤، س، ١٤ ، في ٦/ ١١/ ١٣٦٩/ ١٩٥٠م ، ص ١

(٢) البلاد السعودية : ع ٦٣٣ ، مصدر سابق .

(٣) صوت الحجاز : مقاله ، (مدارسنا) ، ع ٧٦ ، في ٦/ ٥/ ١٣٥٢هـ ، ١٩٣٣م ، ص ٢

(٤) يقول د. حلمي أحمد الوكيل : (لتطوير المناهج أهمية كبرى ومكانة بالغة ، ولكن نكون مبالغين إذا قلنا بأن له أهمية تفوق أهمية التطوير في أي جانب من جوانب الحياة وذلك لأن تطوير المناهج معناه في الواقع تطوير في بناء وإعداد إنسان المستقبل ورجل الغد ... وبهذا يكون تطوير المناهج أساساً لكل تطوير ونواة لكل تقدم وتغيير) ، تطوير المناهج : أسبابه وأسسه ، مكتبة الأنجلو ، ط٧، ١٩٨٢م .ص: ٣

وتجاوزت دعوته هذه المجال النظري إلى المجال العملي التطبيقي حينما أسهم في التأليف المدرسي بكتابه (سلم القراءة العربية) والذي دخل به لأول مرة عالم التأليف ، و كتاب (سلم القراءة العربية) .

هو كتاب للمطالعة : يقع في ستة أجزاء صدر في منتصف الخمسينات الهجرية من القرن الرابع عشر ، قررت مديرية المعارف آنذاك تدريسه في مدارسها ولهذا طبع ست طبعات فيما يقارب العامين فقط ، وهو يعد أول مؤلف مدرسي بقلم كاتب سعودي يقرر تدريسه في البلاد[١]

أما الدافع إلى تأليفه فقد أبان عنه بقوله في مقابلة أجريت معه :

" جربت أول ما جربت قلمي في تأليف كتب (سلم القراءة العربية) وقد كنت مدرسا لسنوات طويلة ، فكان الطلبة يقرءون أمامي في كتب المطالعة فصولا عن مديريات الوجه البحري والقبلي في مصر ، وعن الأهرام وأبي الهول ونهر النيل ، فسألت نفسي لم لا تكون لنا كتب للمطالعة نقرأ فيها عن أبواب المسجد الحرام والمسجد النبوي ومزارع الطائف وأسماء المدن في نجد وجيزان وعسير ... هزني الأمر فشرعت فيه حتى أنجزت ستة أجزاء قررتها المعارف يومها للمطالعة بالسنوات الابتدائية الست ، كان هذا من نحو أربعين سنة ... "[٢]

إذن فهو صادر عن تنامي الحس الوطني لديه :-

وبالتالي فالكتاب يستقي من البيئة السعودية مادته وموضوعاته .

وباستعراض أحد أجزائه الذي يقع في ٤٨ صفحة[٣] ,

---

(١) انظر : حسن مصطفى الجوادي وزميله : تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية : الجزء الأول التعليم الابتدائي ، دار الاصفهاني ، جدة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٥م ، ص ٣٠١ .

و د. علي جواد الطاهر : معجم المطبوعات العربية ، مرجع سابق ، ١/ ٣٧٧- ٣٧٩ . وإبراهيم هاشم فلالي : المرصاد ، النادي الأدبي الرياض ، كتاب الشهر ، رقم ٢٣ ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص ٢١٤

(٢) جريدة المدينة في ٢٨/ ٧/ ١٣٨٦هـ ، نقلا عن : علي جواد الطاهر (المرجع السابق ، ١/٣٧٨- ٣٧٩ وقد أشار إلى ذلك أيضا في أكثر من مقابلة انظر ، مجلة العرب ، جـ (٩، ١٠) ، (مرجع سابق) ، ص٧٣٧.

(٣) الجزء الثالث ، ط٦، دار الكتاب العربي بمصر ، (د، ت) .

ومما جاء في مقدمته قوله : (.. حمدا لك اللهم على آلائك وصلاة وسلاما على سيد أنبيائك .. وبعد : فهأنذا للمرة السادسة أتقدم إلى بني وطني بمجهودي الذي استطعت ، راجيا أن يشفع الحب والاخلاص في كل ما اعتوره من خلل أو نقص ، أقدمها طبعة سادسة بعد أن جرى القلم بما جرى فيها من حذف أو زيادة أحسبها تفي اليوم بغرض الكتاب الأساسي الذي يتلخص في أن يتدرج التلميذ في القراءة فيما يناسب محيطه..) ص : ٢ .

يمكن القول بأنه سعى إلى غرس الانتماء الوطني في وجدان الطالب من خـــلال تعريفــه على أبرز المعالم الجغرافية والتاريخية والدينية في بلاده ، عدا تكريسه لكثير من القيم والمثــل الإسلامية .

أما الموضوعات التي اشتمل عليها فهي كالتالي :-

م	الموضوع	الصفحة
١	عين زبيدة	٣
٢	الخروف	٦
٣	وصف المسجد الحرام : شكله	٧
٤	مشتملات الحرم	٩
٥	صادق	١١
٦	أصل المسجد الحرام والزيادات فيه	١٢
٧	نعم الله (نشيد)	١٤
٨	مقام إبراهيم	١٥
٩	منبر المسجد الحرام	١٦
١٠	الله المرشد (نشيد)	١٨
١١	آداب الفسحة واللعب	١٩
١٢	النجاة في الصدق	٢٠
١٣	الله (خالق الكون ومدبره (نشيد)	٢١
١٤	بئر زمزم	٢٢
١٥	أحياء (حارات مكة)	٢٤
١٦	المباني العامة في مكة	٢٥
١٧	قلاع مكة	٢٧
١٨	أحياء المدينة المنورة	٢٨
١٩	إكرام الحجاج	٢٨
٢٠	آداب المحادثة	٢٩
٢١	الملابس الصحية	٣١
٢٢	نشيد الأطفال	٣٢
٢٣	الكعبة المشرفة	٣٣

٢٤	الطائر في البستان	٣٥
٢٥	من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم	٣٦
٢٦	عين العزيزية	٣٩
٢٧	الحجر الأسود	٤٠
٢٨	دار الندوة	٤١
٢٩	كسوة الكعبة المعظمة	٤٢
٣٠	المسجد النبوي	٤٣
٣١	جدة	٤٥
٣٢	ميناء جدة	٤٦
٣٣	الطائف	٤٧

ويمكن تقسيمها من حيث المضمون إلى ما يلي :-

أ. موضوعات تهدف إلى التعريف بأبرز المعالم الدينية والتاريخية الجغرافية :

كالموضوع رقم : (١، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ، ١٨ ، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣)

ب. موضوعات تعالج بعض السلوكيات :

كالموضوع رقم (٥،١١، ١٢، ١٩، ٢٠)

بالإضافة إلى تقديم نماذج من أخلاقيات وسلوك نبينا صلى الله عليه وسلم كالموضوع رقم (٢٥)

ج. موضوعات تهدف إلى التثقيف :-

كالموضوع رقم : (٢، ٢١)

د. أناشيد :-

مضمونها يتمثل في بيان عظمة الخالق ومقدرته جل ثناؤه مع السعي إلى غرس عقيدة التوحيد في قلب الطالب

انظر رقم (٧، ١٠ ، ١٣، ٢٢، ٢٤)

ومما يلحظ على الكتاب من الناحية التربوية والتعليمية :-

١-التقديم بين يدي كل موضوع ، بكلمات متناثرة ، مختارة من متن نص الموضوع .

٢-تزويد بعض الموضوعات بالصور :

كالموضوع رقم (٣، ٨، ٩، ١٤، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣٠)

وبعضها الآخر بالرسوم التوضيحية :

كالموضوع رقم (١، ١٥، ٢٤)

٣-ختم كل درس بأسئلة قائمة في مجملها على الفهم والاستنتاج .

أما من الناحية الفنية :

فقد جاء في أسلوب سهل مشوق ، يعتمد في بعض موضوعاته على السؤال والجواب القائمين على الحوار ,

ومثاله موضوع (عين زبيدة) والذي جاء على النحو الأتي :

عين زبيدة

بلى - جبال الثقبة - مجارى - يوازي - المبرة - القنوات - سلطت

عثمان : هذا الماء الذي نشربه في مكة أتدري من أين ينبع وكيف يأتي إلى هنا ؟

يحي : نعم إنه ينبع من جبال وراء عرفات مما يلي الطائف تسمى جبال (الثقبة)

عثمان : إن هذه مسافة كبيرة يا أخي ولا بد أن عمل مجاريها تكلف شيئاً عظيماً من المال .

يحي : نعم يا أخي إنها تكلفت ما يوازي ثمانمائة وخمسين ألف جنيه .

عثمان : ومن قام بهذه المبرة العظيمة ؟

يحي : قامت بها صاحبة الخيرات السيدة زبيدة زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد .

عثمان : هل تعرف كيف كان ذلك ؟

يحي : نعم إنها حجت فرأت أهل مكة والحجاج يقاسون أشد التعب في الماء فقام في نفسها أن تعمل هذه المبرة العظيمة فجلبت لها المهندسين والبنائين وأنشأت لها القنوات فأجرتها فيها إلى مكان قريب من مكة ثم سلطت عليها عيوناً كثيرة ، وفي عام ٩٦٥هـ أمر السلطان سليمان بإيصالها إلى مكة فأوصلوها ومن ذلك الحين والناس يشربون منها في مكة - جزاها الله أحسن الجزاء .

عثمان : ألم يحدث فيها تغيير أو إصلاح منذ ذلك العهد ؟

يحي : بلى ، كثيراً ما طرأ عليها الخلل والخراب فكان الخلفاء والأمراء ينفقون على إصلاحها وأخيراً تألفت للإشراف عليها هيئة مخصوصة أجرت بها إصلاحات كثيرة . أسئلة : من أين تنبع ماء عين زبيدة ؟ من الذي بنى لها المجاري والقنوات ؟ من الذي يتعدها بالإصلاح والتعمير ؟))

ويعتمد في البعض الآخر على الوصف والسرد .

كموضوع (منبر المسجد الحرام) والذي جاء على النحو الآتي :

"منبر المسجد الحرام

قائم ، وقوف ، الخلفاء ، الراشدون

هو منبر من رخام قائم بجانب مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام يخطب عليه الخطيب في أيام الجمع والأعياد . لكنه لم يكن موجوداً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في أيام الخلفاء الراشدين ، بل كانوا يخطبون على مرتفع من الأرض ثم بنى أمير المؤمنين معاوية منبراً من خشب ، وخطب عليه ... وصار الخلفاء من بعده تجدده كلما تخرب . إلى سنة تسعمائة وست وستين هجرية بعث السلطان (سليم خان) بهذا المنبر الذي نراه "

كما ضمن بعض الموضوعات آيات من القرآن الكريم[١] وأحاديث نبوية شريفة[٢] وكلام للعرب[٣]

أما الأناشيد التي ضمها الكتاب فقد جاءت في أسلوب نظم سهل يعني بإيضاح الفكرة بأقرب الطرق ، مخاطباً العاطفة والعاطفة الدينية على وجه الخصوص .. في ألفاظ مفهومه بسيطة ليكون استظهارها وإلقاؤها ميسوراً .

ومن أمثلة ذلك نشيد : (الله المرشد) وجاء على النحو الآتي :-

" من علم العصفور أن يبني عشاً في الشجر
محصناً شيده بغير ماء أو حجر؟
من علم النحلة أن تجني من الزهر العسل
قوتاً لأيام الشتاء تجمعه بلا ملل

من علم البلبل أن يتلو أناشيد الهناء
يطرب كل سامع بكل لحن وغناء

من علم النملة أن تجمع في الصيف الطعام
تخزنه في حجرها لوقته على النظام

الله قد علمها ذاك وأعطاها الهدى

---

(١) كالموضوع رقم (٨)
(٢) كالموضوع رقم : (٨، ٢٥، ٣٠)
(٣) كالموضوع رقم : (١٢ ، ١٩)

وهو لكل مرشـــد لكل خيـــــر أبـــــدا "[1]

والأمر الذي لا ينكر أن السباعي بذل جهدا كبيرا في تأليفه لهذا الكتاب المدرسي ، فبخـلاف ريادته وأسبقيته ، يستوقفنا أمر بارز وهو أن السباعي أنفرد بتأليفه ، بينما يحتاج - في الغـالب - مثل هذا المؤلف الدراسي المتخصص إلى جهد أكـثر مـن شـخص وبخاصـة إذا علمنـا الإمكانات المحدودة وقت تأليفه[2]

٣- التعاون بين البيت والمدرسة :-

التعاون بين البيت والمدرسة في نظر السباعي هو أمر حتمـــي كـي تتحقـق الفـائدة المرجوة من العملية التربوية إذ كلاهما متمم للآخر ، ولا يتم ذلك بدايـة إلا بإيجـاد الأسـرة الواعية وهذا مرتبط بتعليم المرأة ، إذ هي عماد الأسرة وحينما ينتفي هذا التعاون فإن الضحيـة هو الطالب[3] .وحينما شرعت وزارة المعارف في إقامة ندوات تجمع من خلالها بين الأسـاتذة وأولياء أمور الطلبة ، شجع السباعي هذه الخطوة ، ودعا إلى تأصيلها وتوسيعها وبخاصة فـي المناطق النائية مع تزويد تلك الندوات بمتخصصين في مجال التربية إثراء لها لتصبـح أكـثر عمقا وفائدة[4]

---

(١) لم أستطع البت هل تلك الأناشيد هي من نظم السباعي أو من نظم غيره .. ؟ يقول عبد العزيز الرفاعي : (كنت ... أحد ... الذين درسوا هذا الكتاب - يعني كتاب سلم القراءة العربية للسباعي - فوجدوا فيـه ثقافـة متنوعة ، ومعلومات قيمة ، بل أذكر أن به قصيدة من الشعر الحديث وقد تكون هـذه المعلومـة عجيبـة ، بالنسبة لذلك العهد ، بل قد يكون الأعجب أن يكون صاحب القصيدة هو الأستاذ السباعي نفسه كما أرجح ، وبذلك فإن من حق السباعي أن ينافس في أولية الشعر الجديد ، أو يدلنا على قائلها ، .. وما زالـت ذاكرتـي الضعيفة تحتفظ بأبيات من تلك القصيدة الحوارية :-

- أستاذ يا أستاذ .. ؟
- نعم
- هذا أخي يضربني !
- أنت .. ؟ ومن أنت أجب ؟
- أنا بان أغنى من هنا .
- وإن كان فقف الكل إخوان هنا .

كانت هذه القطفة الحوارية المبتكرة من كتاب (سلم القراءة) الذي قرأناه في الابتدائية) :
انظر ، مجلة العرب ، جـ (٩، ١٠) ، مرجع سابق ، ص ٩٥١ .

(٢) يقول د. حلمي الوكيل عن الصعوبات التي تواجه مؤلف الكتاب المدرسي :
" إن من يتولى تأليف كتاب دراسي يتعرض في الواقع لعدة جوانب متداخلة تتمثل في الجانب العلمي والجـانب التربوي والجانب الفني ، والمؤلف إذا كان بمفرده ، فإنه مهما أوتي من العلم فإنه غير قـادر علـى تحمـل الأعباء العلمية والتربوية والفنية ، ومن ثم تدعو الحاجة لأن تتولى عملية تأليف الكتـاب المدرسـي جماعـة متعاونة من العلماء والخبراء والمتخصصين والفنيين ، على أن يتاح لهم الوقت الكافي للقيام بهذه العمليـة وأن توضع كافة الإمكانيات تحت تصرفهم)
تطوير المناهج : (مرجع سابق) ، ص ١٧٨

(٣) صوت الحجاز : مقالة :(الطفل مظلوم فهل ننصفه ؟) . ع٦٩ في ١٣٥٢/٤/١٦هـ - ١٩٣٣م ، ص٢

(٤) قال وقلت : مقالة (في سبيل التطوير التربوي) ، ١/١٠٣- ١٠٤

٤- الدعوة للاهتمام بوسائل التعليم المساعدة :-

دعا الكاتب إلى تشجيع التلاميذ على القراءة اللامنهجية ؛ لما لها من فوائد لا تخفى على الجميع ، مع إرشادهم إلى الكتب النافعة التي تنمي مواهبهم وتصقل شخصياتهم[١] .

ومن هذا المنطلق دعا إلى **الاهتمام بإنشاء المكتبات المدرسية :-**

" كان يحدثني عن أمنيته في أن يبني لقريته مدرسة ينفق عليها من دخله الخاص ويتكلف بإطعام طلبتها وكسوتهم ، قلت : إنك سوف لا تثمر جيلاً نافعاً إلا إذا ألحقت بمدرستك قاعة للمطالعة ، وهيأتها بأحسن الكتب وأغناها مادة ، وأوفرها نفعاً . ولو زاد فخيرني بعد بناء مدرسته بين إطعام طلبته ، أو إسدائهم مكتبة عامرة بالعلوم والفنون لما ترددت في رجائه بأن يلغي نفقات الأكل ليوفرها لبناء المكتبة . إن في استطاعة الطالب الفقير أن يشبع جوعته في بيت ذويه مهما كان لون الشبع ، ولكنه ربما عجز عن الظفر بكتاب واحد يغذي أفكاره ويغني حاجته إلى المعرفة ؛سيقال عني مجنون لا يعرف قيمة الغذاء الصحي لطالب العلم ، وما علي ألا يفهم العقلاء أن الغذاء الصحي إذا كان لازماً للطالب فإن الغذاء الفكري ألزم منه . إنني لا أعرف قيمة للتعليم المحدود بمناهج الدراسة وكتبها المقررة .. إن التعليم في معناه الرفيع ليس إلا إعداداً يهئ الطالب للخوض في معمعة الحياة الشاسعة ويهيئه لدراسة الأفكار .. شدما تخطئ المدارس التي لا تنشئ طلابها على حب المطالعة ، وتغرس فيهم غرام الإطلاع ، وتربي فيهم ملكة التطلع إلى أبعد آفاق الفكر وأغزر مآتيه ، حبذا لو عنيت مدارسنا بغرف المطالعات فيها وزودتها بأقدم ما أنشأته الأفكار ، وأحدث ما أنتجته المطابع ودربتهم على الاحتكاك بأغرب الآراء ، ومدارستها في أسلوب البصير الذي ينقد الحقائق ، ويجيد فرز الغث من السمين فيها . إذا لاستقام لنا نشء قوي بيقظته الفكرية ، عظيم بحصيلته الذهنية التي تؤهله لمجاراة الحياة وتعده لسباق الأمم الناهضة فيها . وهذه تمنيات مجنون يرجو أن يشاركهم العقلاء فيها وأن يبذل القادرون في سبيلها ما يسعهم البذل "[٢]

ومما يندرج تحت هذا مطالبته في وقت مبكر جداً بإيجاد عطلة للتلميذ في نهاية كل عام دراسي بالإضافة إلى ساحة لكل مدرسة يقضي فيها التلميذ برهة من الوقت تتخلل دروسه اليومية ليمارس فيها الرياضة والألعاب ، ويتحدث عن كل ذلك حديث الخبير المتسلح بالنظريات التربوية الحديثة فكتب تحت عنوان : (مدارسنا - ٦ - تحتاج إلى العطلة والهواء

---

(١) مقالة : (مدارسنا - ٧ - حرية التلميذ الفكرية) ، صوت الحجاز : ع ٨٥ في ١٠/ ٨ / ١٣٥٢- ١٩٣٣م ، ص٤ .

قال وقلت : مقالة : (إذا عودناهم القراءة الحرة) ، ١/ ٣٧- ٣٩

(٢)يوميات مجنون - فقرة ٤٦ ، ص ص (١٣٦- ١٣٨)

والشمس والرياضة)[1] ، فهو يبين في بداية مقالته أنه إذا كان الفراغ مفسده فإن الانهماك في الأعمال عقلية كانت أو جسمية تجربة نهايتها الكلل فالضعف فالفناء ثم يسترسل في الحديث شارحاً أهمية استقطاع جزء من الوقت للراحة لكل إنسان صغير أو كبير :

" فطبيعة تركيب جسم الإنسان تستدعي التوازن وإعطاء الأعضاء حقوقها من الهدوء والسكون بعد العمل " .

وانطلاقاً من هذه القاعدة التي يسلم بها الجميع ينتقل السباعي بقارئه إلى نقطة الخلاف التي يبحثها معه :

" إذن يجب أن نعتقد أننا نسيء إلى التلميذ عندما ندفعه إلى الكد ، ونرغمه على استقاء المعلومات بهمة نسميها (عالية) .. إننا نجعل من التلميذ صندوقاً نصب في جوفه العلوم ونريد منه قطعة حديدية لا تنثني ولا تلين صلابتها ، ونريد منه رقاصاً أشبه برقاص الساعات ... لا تفتر ولا تتوقف حركته ، وفي هذا ننسى أنه إنسان تؤثر الحركة فيه ... وتفنيه الأعمال إذا خرجت به عن الحد الذي يستطيعه ، وننسى أنه عاقل ينشط للعمل ما دام مخه مرتاحا وحواسه هادئة "

إذن لماذا لا : " نقتطع له من شهور السنة الدراسية جعلاً وافراً يتصرف فيه إلى المرح ونسيان الواجبات ، ليرتاح مخه وتنشط حواسه ويستطيع أن ينتفع بالقليل الذي تعلمه " .

ويبدو لنا مما سبق أن هذه الدعوة كانت تعد جديدة في وقتها وربما لم تلق القبول الكافي ، لذا يقول السباعي :

" وما يخالفونك أسيادنا أعداء العطلة إذ يخالفونك فيها لا لأنها عطلة فحسب بل لأنها تمثل فكراً جديداً ، ولأن انتصارها في رأيهم انتصار للجديد المكروه على القديم المحبوب عندهم "

ومن جهة أخرى طالب بإيجاد ساحة لكل مدرسة تكون :

" واسعة جداً يستنشق التلميذ فيها الهواء نقياً ويأخذ من حرارة الشمس لجسمه القسط اللازم لنموه "

ويبين أهمية ممارسة التلميذ للرياضة :

" هذه التمرينات البدنية التي أثبتت التجارب أنها جزء مهم في التربية العامة وأساس قوي يهئ الطفل من نعومة أظفاره للرجولة الحقة ، أمن قائل الآن أنها ضياع للوقت ... لا أظن ذلك فبهذا النوع من التربية نمنع وجود أجسام هزيلة ووجوه مصفرة وظهور محدودبة بيننا .. "

---

(١) صوت الحجاز : ع ٧٩ في ٢٧ / ٦/ ١٣٥٣هـ - ١٩٣٣م ، ص ٢

٥- التوسع في التعليم ومحو الأمية :

مر بنا إدراك السباعي لأهمية التعليم ودوره في بناء وتقدم المجتمعات فهو الأساس الـــذي يمكن أن ننطلق منه في بناء نهضة جديدة في شتى المجالات[١] ومن هذا المنطلق كانت دعوتـه إلى التوسع في نشر التعليم في البلاد وإلى القضاء على الأميه . خاصة أن البلاد تعـــاني مـــن تفشي الأمية والجهل منذ قرون عديدة ، وذلك لا يتفق مع مركزها الذي أراده الله لها إذ هـــي مهد الرسالة المحمدية ومنها انطلقت أنوار العلم والإيمان إلى كل أرجاء الدنيا .

يقول تحت عنوان : (علمونا ثم زيدونا علماً)[٢]

" ما منيت هذه البلاد في تاريخها الطويل من قبل ألف سنة بأفدح ما منيت بـــه مـــن مصـــائب الجهل . والذي يعرفه المطلع أنها ظلت منذ أنبثق العلم تضطلع بتثقيـــف العـــالم وتفقيهـــه .. وعندما ورثت دمشق ثم بغداد مجد هذه البلاد بالشكل الذي قرأناه في عهد بني أميـــة وعصـــر العباس ظلت الحركة العلمية في مكانها من النشاط تغص بها أروقة الحرمين ...

واستمر رواد العلم ... ردحاً طويلاً من الزمن يحجون هذه البلاد ضاربين إليـــها آبـــاط[٣] الإبل لينهلوا من منهل ابن عباس حبر الأمة ... أو يغترفوا من فرات خلفائه جبر وعطـلء و... ودالت الأيام فخلف الخلف الذي هادن في مجده العلمي بعد أن ضاع سلطانه الروحي ، ثم جاء المغرضون في أعقاب هذا فاصطلحوا على إعداد هذه البلاد إعداداً ضعيفاً .. فـــهيئوا شـــعبها للغفلة وعلموه كيف يتواكل ويمد يده لصدقاتهم ... وما انطوت قرنان من هجرة النبـــي صلـــى الله عليه وسلم حتى كانت العوامل المغرضة قد أدت أثرها في تكوين البلاد ... وحـــل محـــل الأشاوس الصيد حملة المشاعل ومؤسسو القواعد ، أقوام بلغ بهم الهزل غايته ، والجهل نهايتـه ، لا يعرفون من الحياة إلا خدمة الموسم ولا يفهمون غاية فيـــها إلا أن تبـــدو أســـماؤهم فـــي سجلات المتصدقين ودفاتر أصحاب الميراث وتطور الجهل فبدت أعراضه مروعة مخيفة فـــي مستهل القرن الثالث ينطق بها أجلاف البادية الذين أعماهم الجهل وأضلتـــهم الحاجـــة فوقفـــوا يترصدون الحاج ويسلبونه في رابعة النهار لا يخشون الله ... ولا يحتالون لعيشهم بغير هـــذا السطو ...

والواقع أن نشر العلم بأبعد ما يسع النطاق الواسع وتوزيع بيوته لا في المدن والدساكر بـــل في فيافي بواديه وصغار قراه وبين القبائل في مهابط الوديان وملتويات الشعوب النائيـــة هـــو الكفيل بإنشاء هذا الشعب من جديد إنشاء يتفق مع قدسيته ومقامه تحـــت الشـــمس . وإن كـــل

---

(١)انظر الفقرة السادسة من حديثنا عن الأسس التي قامت عليها مقالته الاجتماعية (هذا البحث ، ص

(٢) البلاد السعودية : ع ٩٤٤ ، مصدر سابق ، ص١

(٣) يقال : (أكباد لا آباط)

محاولة للاصلاح وتمدن البلاد وبناء أمجادها لا تسبقها نهضة علمية شاملة يمكـــن اعتبارهـــا محاولة عابثة لا تفيد البلاد ولا تقدمها خطوة واحدة ... لا شك أن البلاد وضعت اللبنة الأولـــى لدور العلم ... إذن بدأنا نصيب سبيلنا إلى الهدف إلا أن مهابط البدو فـــي بواديـــهم الســـحيقة وقراهم النائية هي الأخرى تطالبكم بنصيبها .. بعد أن أفنتها أحداث التاريخ الطويل وأعمتـــها أغراض الظالمين ... فارع اللهم هذه المقاصد وأدفع بأصحابها إلى ســـبيل التنفيـــذ الصـــادق رحمة بجيرانك ومواطنيهم من الحدود إلى الحدود ... وبالجملة فلسنا اليوم في حاجة إلى شـــئ حاجتنا إلى أن تعلمونا ثم تعلمونا ثم تزيدونا علماً . "

ويقول تحت عنوان : (اعلنوا الحرب على الأمية في بوادينا)[1]

" لا ننكر جهود وزارة المعارف في نشر التعليم ولكننا بالنسبة لبوادينا نطلب المزيد من العنايـــة فالبادي لا يزال في مكانه يجهل دينه ولا يتذوق شيئاً من معارف الحياة التي يعيشـــها ونحـــن جماعة الحاضرة مسئولون أمام ضمائرنا إذا تركناه يشارك السائمة في جهلها . وقد بدت لـــي فكرة إذا تناولناها بالعناية والتنظيم ، كما اعتقد أن في استطاعتنا عن طريقها أن نحارب الأميـــة ... بين الخيام وفي أقصى القرى وبين مفاوز الجبال .. "

وتتلخص فكرته التي طرحها هنا في أن تتولى وزارة المعارف تجنيد الشباب المتعلم مـــن درجة التعليم الثانوي فما فوق أوقات العطلة الصيفية لتعليم أبناء المناطق النائية كباراً وصغـــاراً . من خلال برنامج مرسوم تخططه الوزارة ، ليتم بعد ذلك توزيـــع الطـــلاب الراغبيـــن فـــي الالتحاق بذلك البرنامج على تلك المناطق النائية ، وتنسق الوزارة ، ذلك مع رؤســـاء القبـــائل والبطون ، مع مراعاة اختيار كل طالب للمنطقة التي يرغبها مع توفـــير الســـكن والمعيشـــة المناسبة له . وفي ختام ذلك البرنامج يتم مكافأة أولئك الطلاب المشاركين فيه ماديـــاً ومعنويـــاً إلى غير ذلك من المقالات التي تناول فيها هذا الموضوع .[2]

والأمية في نظر السباعي لا تقف عند حد القراءة والكتابة فحسب .

ومن هذا المنطلق كانت دعوته الموجهة إلى أبناء بلده الحاصلين على الشـــهادة الجامعيـــة بمختلف درجاتها للمساهمة الفعالة في نهضة بلدهم .

---

(١) مجلة قريش : ع ٦٩ في ٢٠ / ٩ / ١٣٨٠هـ ، ص ٣

(٢) انظر على سبيل المثال :-

مشاركته في الندوة التي أقامتها مجلة المنهل والتي كان محورها : (خير الطرق لتعميم التعليم بين الحاضرة والبادية) ، المنهل المجلد ٨ الجزء ٦ ، جمادى الثانية ١٣٦٧هـ ، ص ص (٢٢٧ - ٢٣٠)

ومقالة : (انتشار التعليم هو الكفيل الوحيد بشيوع الروح التقدمية) : ، مجلة قريش : ع١٩٧ في ١٣٨٣/٥/١٣هـ ، ص١

ومن أبرز المساهمات الفعالة في نظره هو نشر المعرفة والثقافة التي تحصلوا عليها - في محيط مجتمعهم أياً كان نوعها . وذلك من خلال التأليف ، والكتابة الصحفية ، وإلقاء المحاضرات ، والمشاركة في الندوات وذلك للإرتقاء بالوعي لمختلف طبقات المجتمع ؛ وفي الوقت نفسه شنع بأولئك المتعلمين الذين وقفوا عند حدود وظائفهم ودعاهم إلى أن يتركوا بسطة العيش التي ينعمون بها في ظل الكراسي والمكاتب - كما يقول - ويسهموا في خدمة مجتمعهم بحسب الوسائل المتاحة لهم . ومن ذلك ما قاله تحت عنوان : (إلى شبابنا الجامعي)[1] .

ومما جاء فيه :

" إلى هولاء أريد أن أتوجه بكلمتي فقد أنفقنا الكثير والكثير جداً وجالدنا طويلاً وطويلاً جداً ، وباتت مجتمعاتنا تنتظر أن يعود الغائبون ليبثوا ثقافتهم ويوحوا إليها بالكثير الذي يقضي على ترهاتها التقليدية ، ويتولوا قيادها إلى الطرق السليمة التي تنتهجها الأمم الحية إلى غاياتها في الحياة ، لقد طال هجوعنا واستكانت مجتمعاتنا بمرور الأجيال إلى تقاليد أورثتنا ألواناً من التخلف جمدنا عليها وبتنا نستلهمها في كثير من مقدرات حياتنا ، فإذا استبشرنا اليوم بهذه اليقظة الجديدة التي بدأ التعليم يبني أساساتها ويهدينا نحو الجديد لتدعيم ركائزنا فليس معنى هذا أن تنسى الركائز وظائفها في البناء الجديد وتعيش على الهامش هانئة بما ظفرت لنفسها من شهادات خولتها للحياة الناعمة . إن أكثر اختصاصاتهم العالية لا نفقه من دقائقها إلا النزر وبلادنا في أشد الحاجة إلى توعية عامة تتفتق لها الأذهان ، لتستجيب لما تفهمه من معانيها ،وتستطيع أن تساير القافلة في أحدث خطواتها ، يجب أن نقرأ لكل صاحب اختصاص من شبابنا فيضاً من البحوث في سلسلة متصلة ، فهم قبلنا مسئولون عن التوعية العامة .

يجب أن تكون لهم نواد عامة تفتح أبوابها لكل متعطش يتمنى أن يستمع إلى آخر ما أحدثه العلم من أفكار ... يجب أن يعتمد الشاب الجامعي نفسه مندوباً ثقافياً في عائلته ، وأهله وسكان حيه من الجيران ، ليترك طابعه في أذواقهم ويهيئهم لفهم الحياة على غير النحو الذي عاشوا يألفونه ، لا نريد قشوراً لا معه مما شاع لونه بين بعض الشباب الصفيق في أوربا وأمريكا ، فوقتنا أضيق من أن يتسع لمثل هذه السماجة ، وحاجتنا أشد إلى أن نتأسى بالبناة الذين أقاموا الصروح وشيدوا الأمجاد "

وبالمثل دعا السباعي السيدات المثقفات إلى ممارسة مثل ذلك الدور الذي طالب به الشباب المثقف ، باعتبارهن قدوة للمرأة السعودية وبخاصة فيما يخص المرأة وشئونها[2]

---

(١) سباعيات : ١/ ١٥٣ – ١٥٨ .

(٢) انظر : سباعيات : مقالة : (إلى سيداتنا المثقفات) ، ١/ ٨٧– ٩٣

٦- الدعوة إلى الاهتمام بالتعليم العملي / المهني :-

من الدعوات المبكرة التي تحسب للسباعي دعوته إلى الالتفات والاهتمام بالتعليم العملي أو ما نسميه اليوم بالتعليم المهني . ويعد ذلك ثمرة لما تميز به فكره من نظرة مستقبلية .

وقد بدأ مناقشة هذه القضية في الخمسينات الهجرية على صفحات (صوت الحجاز) فكتب مقالة تحت عنوان (مدارسنا تهيئ التلميذ للوظائف الكتابية ، فهل يكفي ذلك)[1]

وفيها يربط بين البطالة والتعليم العملي - بمعنى - أنه إذا وجد برنامج للتعليم العملي ضمن مناهج التعليم لدينا انعدمت بالتالي البطالة في مجتمعنا ، والعكس صحيح أيضاً .

ولهذا فهو يحذر من خطر البطالة الذي سيجتاح البلاد ، أما السبب في تلك البطالة فهو كما يقول : (مدارسنا) إذ إنها : " تهيئ التلميذ للوظائف الكتابية وما إليها فحسب ، وخريج مدارسنا اليوم إذا لم يتوظف أصبح عالة على المجتمع لأنه لا يتصل بالحياة العملية بشيء ، ولأنه لا يجيد إلا التأنق ... بزة حسنة يزينها القلم المحبر تحته جيوب مفعمة بالأوراق وإن كان ليس فيها قرش واحد ... وعندي أن مدارسنا إذا استمرت على هذا الحال فستسيء إلى مجموع الأمة بقدر ما تفيده .. ولو كنت أجيد الحساب لتركت لك الأرقام تنطق عن العدد السنوي لخريجي كل مدرسة ولأريتك إلى أي حد في النسبة المئوية تزودنا المدارس بالعاطلين ، ولو استطعت لذهبت بك إلى عشر سنوات أمامنا ؛ لأوقفك على إحصاء العاطلين الذين تقدمهم المدارس إلينا ... نتيجة تصعق لها ولا تلبث أن تبكي منها وتجدف على التدريس والمدارس والمدرسين ، ولكن ما بالنا نذهب بعيداً وبين أيدينا اليوم حوادث واقعية لا تدخل تحت حصر تلمس فيها ما يدمي القلب ويفطر الفؤاد ...

فلان من عائلة كريمة أودعه أبوه المدرسة فاقتطفت من حياته تسع سنوات طوال ، حشرت دماغه بالمتون والشروح ثم لفظته بعد أن زودته بصفحة مزوقة سمتها شهادة وظنها المسكين كل شيء في الحياة ، حتى واجه الحياة ونزل إلى ميدانها مررت به يوماً وهو يصعد آهة طويلة حسبت فؤاده انتزع لها .

قلت : علام أيها الشاب ؟

فقال : إنني أحسد الجاهل الفدم يبكر إلى : (مركن الطين أو دوار البرشومي) فيعمل بما يقيم أود بيته بينما أظل أنا .. أنا المتعلم - يا ابن أبي - واقفاً كالمشدوه فاغر الفم خاوي الوفاض ..

---

(١) نشرت على مرحلتين .

الأولى ، ع : ٧٣ في ١٥/ ٥ / ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م ، ص٢

الثانية ، ع : ٧٤ في ٢٢/ ٥/ ١٣٥٢- ١٩٣٣، ص ٢

أقضي سحابة يومي بين التثاؤب والتمطي أصعد الآهات حتى يربد الجو بفحمة الليل أعود إلى بيتي (بادي الانفضاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة) .

وبالتالي فإننا إذا لم نتلاف هذا الخطر :

" فسوف لا تكون عندنا مادة من هذا العلم صالحة لأن تكون أساساً إلا إذا أردنا أن نبني صروحاً من ورق "

ويقترح لتلافي ذلك الخطر - بحسب معطيات عصره آنذاك - بأن يتكاتف المجتمع وعلى رأسه أغنياؤه ومفكروه .

أما دور المفكرين فيتمثل في تعديل نظام التعليم القائم في ذلك الوقت فيكون على سبيل المثال :-

" التدريس حصصاً خمسة إلى الظهر فقط ، نترك التلاميذ بعدها إلى العصر يستفيدون شيئاً في أسباب الحياة تحت إشراف المدرسة "[1]

أما دور الأغنياء فيتمثل في مشاركتهم في لجنة مع المفكرين :

" تبتدئ باستصدار أمر حكومي على عموم الحرف الصالحة لهذا الغرض ، بأن يقبلوا في أعمالهم - يعني الأغنياء - عدداً من التلاميذ تبعثه المدرسة وتفرض عليهم تعليمهم في سبيل وطنهم ، وللجنة بعد هذا أن تشرف على سير التعليم ومقدار نجاحه ، والمعلمين وحسن سلوكهم ، فلا تسلم التلميذ إلا لمن تعرف فيه الأخلاق الشريفة والسجايا الفاضلة ، وفي بلادنا كثير مثل هذا .. "

ثم سرد عدداً من الحرف الموجودة في ذلك الوقت والصالحة لأن تكون مجالاً لتدريب التلاميذ كالبيطرة والسباكة والحياكة وميكانيكا المطابع ، وبيوت التجارة ، والمحاكم الشرعية وغيرها .

ثم بنظرة عميقة وإدراك لما طرح ، وكأني به يرد على من رأى في طرحه قصوراً وضيق نظر يقول :-

" دعونا نمش كما تيسر لنا ، حتى يأتي اليوم الذي نكون فيه فنيين بالمعنى الذي تريدون ومالا يدرك كله لا يترك جله "

واستمر في الحديث حول هذه القضية وأسهب في ذلك داعياً المسئولين عن التعليم إلى التنبه لها ودراستها ومرغباً الشباب في الالتحاق بدراسة الأعمال المهنية وممارستها[2] ومن

---

(١) يبدو أن أوقات الدراسة في ذلك الوقت تمتد إلى صلاة العصر ، والصواب في عبارته السابقة قوله : (حصصاً خمساً) .

(٢)عن التعليم المهني في المملكة انظر :

عبد الوهاب عبد الواسع : التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراف مستقبله ،تهامة ، جدة ، الكتاب العربي السعودي رقم ٧٩ ، ط٢ ، ١٤٠٣هأ - ١٩٨٣م . ، ص ص (٩٥- ٩٧)

ذلك أيضاً الانخراط في مجال الأعمال الحرة بعد إنهاء التعليم النظامي وترك مجال الوظيفة الحكومية إدارية أو تعليمية ، مبيناً ما تدره تلك الأعمال الحرة على أصحابها من الرزق الوفير ، منبهاً في الوقت نفسه إلى مخاطر استئثار الأجانب الموجودين داخل البلاد بها حتى أصبحت حكراً عليهم[1] .

ومما يدخل تحت هذا دعوته إلى تأهيل المعاقين من خلال إلحاقهم بمراكز للتدريب المهني وما شابهها ، ليكتسب المعاق من خلالها مهنة ، يعتمد عليها كمصدر للرزق - بعد الله سبحانه وتعالى - وبالتالي لا يكون المعاق عالة على مجتمعه ، بل يصبح بذلك عضواً فاعلاً وإيجابياً في مجتمعه داعياً إلى أن نحتذي في هذا المجال ما تفعله الأمم المتقدمة بمعاقيها .

ومما قاله في هذا ما جاء تحت عنوان : (ما أعجلك يا رجل)[2] .

" دعونا نمش في نشاط وقوة ، فقد انبلج الصبح ، وأوشكت الشمس أن تغمرنا من الحدود إلى الحدود ، وتكوي مضاجع المسترخين منا ، كنت في نقاش لي من يومين مع بعض أصحابي فجاء ذكر الناهضين من أمم الحياة ، وطفقنا نقارن بين تواكلنا ونشاطهم حتى استطرد الحديث بنا إلى ذوي العاهات والعاجزين ، إنهم هناك لا يعترفون للعاجزين بعجزهم ، ولا للناقصين والمكسورين بما نالهم ، لا لأن لكل حالة عندهم علاجاً فقط ، بل لأن لكل ناقص لديهم محاولة يستطيع أن يعوض بها ما ناله من نقص ! ... دعونا نتوسع في إصلاح ما أفسدته الأمراض ، ونتابع غيرنا فنهيء من هذه الأعضاء المشلولة شيئاً نافعاً في حقل الوطن ، وبذلك لا نحسن إلى بلادنا فقط بل نحسن بجانب ذلك إلى معنوية هؤلاء المرضى ونبث فيهم من الروح المعنوية ما يعينهم في حياتهم ويساعدهم ، كما نحسن بذلك إلى سمعتنا كأمة يقظة ... كما نثبت بذلك رقة أحاسيسنا وشعورنا الرفيع بمعاني الإنسانية ، بما في الإنسانية من كرم وعطف وحب للخير . ولا تكلفنا العناية بهؤلاء المرضى شيئاً مستحيلاً ، فالمعروف أن الأبكم لا يعجزه العمل في أي حقل من حقول الحياة يستطيع الاستغناء فيه عن الكلام فجميع الأعمال اليدوية لا يعجزه إذا تدرب عليها أن يبرز فيها ... ولا يبعد شأن

---

(١) انظر : جريدة الندوة : مقالة (ليت شبابنا ينسى زهو الوظيفة) ، ع ٥١ في ١٩/ ١/ ١٣٧٨هـ ، ص ١ ومقالة : (شرعنا نحفل بالعلم ولكنه علم نظري لا يهيء لغير الوظيفة) ، ع ٥٧ في٢/١ / ١٣٧٨هـ ص١
وانظر :- دعونا نمش :
مقالة : (نحلم بالوظيفة وأن تهل قوافل الحجاج) ، ص ص (٨٤- ٩٠)
مقالة : (شجاعة هيأها التقدير السخي) ص ص (١١٣ - ١١٨)وانظر :- سباعيات : مقالة : (التعليم والوظيفة الحكومية) ١/ ٢٠ - ٢٢ومقالة (حرفة السباكة وشبابنا) ١/ ١٢٠ - ١٢٢ ؛ ويبدو أنه في طرحه هذا متأثر بأحمد أمين، انظر: فيض الخاطر، مرجع سابق ٤ / ٢٣٢ - ٢٣٧

(٢) دعونا نمش : ص ص (٩١ - ٩٧)

الأعمى كثيراً عن شأن الأبكم فإن شعوره بنقصه عن المبصرين يحفزه للعمل والعمل المنتج في كثير من ميادين الحياة .. وإذا علمنا أن محنة النوعين أبلغ من محنة غيرهما من أصحاب العاهات ظهر لنا أن معاناتنا مع غيرهم سوف لا ترهقنا نصباً كبيراً ولا تكلفنا عناء جسيما ... دعونا نتابع غيرنا من أمم الأرض الناهضة فنندب منا من يستقصي أحدث ما وصل إليه ابتكار المتمدنين في مساعدة هؤلاء لنقلده في بلادنا ... أيقول بعد هذا متحذلق إننا لم ننته بعد من شؤون الأصحاء فما أعجلك أيها الرجل ؟ إنها حذلقة لا يقرها عدل ولا منطق ، لأننا لا يجب أن نجرؤ على تصنيف الناس ، ولا نقدمهم إلى الحياة إلا صنفاً بعد آخر ، فالناس في نظر العدل سواسية وإذا وجب أن نخطو فلنبدأ بضعفائنا ، أو يشملنا السير بجميع أصنافنا، وإنها حذلقة لا يقرها منطق ، لأننا لا يجب أن نستبعد نبوغ أصحاب العاهات بصورة تزيد نسبتها عما عرف بين غيرهم من الأصحاء ... نعلم أننا أشد ما نكون حاجة في خطوتنا هذه إلى النصيحة والتذكير فسيروا بنا سيروا بنا خفضاً ورفعاً ، سيروا بنا عنفاً وشداً "

وغير ذلك من المقالات في هذا الجانب[1]

٧- إعداد المعلم الكفء وتقديره :

كما التفت السباعي - وفي وقت مبكر أيضاً - إلى العنصر الرئيس الذي تقوم عليه العملية التربوية ألا وهو (المعلم) .

فدعا إلى إعداده إعداداً جيداً حتى يصبح قادراً على العطاء المتميز ، ولا يتحقق ذلك إلا باختيار المعلم الكفء الجدير بهذه المهنة ، التي تعد أشرف وأنبل وأخطر المهن في وقت واحد[2]

ومن أبرز سمات المعلم الكفء في نظره :-

القدرة على إدارة الفصل ، وخلق روح المحبة والتقدير بينه وبين التلاميذ ، بالإضافة - وهذا هو الأهم - إلى إلمامه الجيد بالمواد التي يدرسها ، على أن يكون تدريسه لها قائماً على الإفهام والمناقشة وبث روح الحوار والاستنتاج بين طلابه لا على التكرار والحفظ ، وفي الوقت نفسه يرى السباعي ضرورة دعم المعلم الكفء وتقديره معنوياً ومادياً ، منبهاً إلى أن عدم الالتفات إلى هذا الأمر سيكون سبباً في خسارة مهنة التعليم للمعلمين الأكفاء ، إذ أنهم يشعرون أن حقوقهم مغموطة ، فيتركون هذه المهنة إلى غيرها ، وأعدادهم في ازدياد :

---

(١) انظر مثلاً قال وقلت :

مقالة : (كيف يعنون بعجزتهم) ١١٣/١ .

(٢) تعد هذه القضية التربوية من أبرز المشاكل التي واجهت المسئولين عن التعليم في المملكة - انظر عبد الوهاب عبد الواسع : المرجع السابق ، ص ص (٥٩ - ٦١)

ومما قاله حول هذا :

" إننا أهملنا شأن المدارس ، وأعرضنا عن المدرس فيها ولبثنا ننظر إليه نظرنا إلى (فقيه الكتاب) قبل نصف قرن بالرغم من تطور وظيفته بتطور الحياة فليس بعيدا أن نخلق اليوم أزمة مدرسين أكفاء في بلادنا – أفهمت . إننا يا صاحبي ما نظرنا إلى المدرس كما ينبغي ، ولا علمنا أن وظيفته اليوم من الأهمية بمكان . وظيفته تستلزم حكمة وحنكة وقوة عارضة وصفاء ذهن . . .

ثم ناحية أخرى في المدرس جديرة بالاهتمام تلك هي نظرة المجتمع إليه اليوم بالنظر الذي لا يليق به ، فمركزه اجتماعيا معتبر كأبسط عامل في أحقر مركز ، الأمر الذي لا يجعله يرضى بالمدرسة إذا كان كفء إلا كعمل وقتي ينتهز إبانه الفرصة لخلو مركز حكومي حتى إذا خلا أنسل يجري إليه ، وهكذا اتبعه غيره فغيره حتى ليأتي اليوم الذي تصفو فيه المدارس على مثلي من المدرسين (جريدك) . بعد هذا أريد أن أقول لك إن في بلادنا اليوم مدرسين أكفاء ، لكنهم يربأون بنفوسهم عن مهنة التعليم ، هذه الوظيفة الصغيرة في نظر المجموع ، مهرولين إلى الوظائف الحكومية ، حيث الكراسي العالية والرواتب الضخمة ... بودك طبعا لو تحبس هؤلاء الأكفاء على المدارس – هذا سهل – تعال نغضب لغبن المدرس الكفء ونقوم من فورنا فنبني له مركزا يغريه بالبقاء فيه ، ثم نعكف فنخطب أولئك الأكفاء في خارج المدارس ، ونمنيهم بما تصبوا النفوس العالية إليه ، إذا فعلنا هذا فسنوجد للمدارس أساتذة أكفاء ، ومن ثم على مثلي (جريدك) ألف سلام "[1]

---

(١) مقالة : (مدارسنا – ٤ – المدرسون)

صوت الحجاز : ع ٧٧ في ١٣/ ١٣٥٢/٦هـ – ١٩٣٣م ، ص ٢

وانظر :-

مقالة : (مدارسنا – ٥ – مساوئ التدريس) : صوت الحجاز : ع ٧٨ في ٢٠ /٦ /١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م ، ص٢

مقالة : (شبابنا في حقل التعليم) : سباعيات : ١/ ١٣٨– ١٤٠

ثالثا : تشجيع مشاريع النهضة :-

سبق وأن بينت موقف السباعي من العمل وأهميته ، ودوره في النهوض والتقدم ، وتشجيعه للدولة من جهة وأصحاب رؤوس الأموال من جهة أخرى للمساهمة في مشاريع النهضة المختلفة ، وجعلت ذلك أسا من الأسس التي قامت عليها مقالته الاجتماعية[1]

ومن هذا المنطلق أسهب في الحديث عن كثير من مشاريع النهضة مشجعا ومقترحا وناقدا وفيما يلي نشير إلى أبرزها وبإيجاز :-

مشروع القرش :-

كان السباعي من أبرز أدباء جيله الذين تحمسوا لمشروع (القرش) الذي ظهرت فكرته في أوائل الخمسينات الهجرية ، فأسهم فيه عملا وكتابة[2] .

---

(١) انظر ، الفقرة الخامسة من الأسس التي قامت عليها مقالته الاجتماعية ، هذا البحث ، ص
وانظر مقالة : (حيهلا بها خطوة لها ما بعدها) ، مجلة قريش ، ع٢٠٠ في ٤/ ٦ /١٣٨٣هـ ص ١
ومقالة : (الأمل كبير في الخطوة الجديدة الموفقة) ، سباعيات ، ٢/٦٣- ٦٥

(٢) مما قاله السباعي عن تجربته في مشروع القرش :-

(بذلت والأخ محمد سعيد [رحمه الله] جهدنا في إنجاحه ، حيث قررنا طباعة أوراق وبيعها بقرش للورقة ، وكنا ندور بالأوراق ونبيعها بقرش ونجمع هذه المبالغ .. غير أن المشروع توقف في السنة الثانية من العمل به والدعوة إليه وأودعنا النقود في بيت البوقري على أن تكون محفوظة باسم مشروع القرش ثم انتقلت إلى التوفير والاقتصاد ، لقد حاولنا أن نقدم لوطننا ومجتمعنا شيئا ما ، ولكن الظروف لم تكن مواتية والحالة ليست كاليوم فهناك فرق كبير) ، كتاب الأثنينية ، مرجع سابق ، ص ٣١٤ . ويقول محمد العوين :

(من الأعمال الجليلة ، سعى بعض الوطنيين إلى إقامة جمعية مشروع القرش لتتولى الإنفاق على المشارع الضرورية في البلاد ، ودعم الأفكار الخيرية التي يقترحها المصلحون لتطوير الحياة الاجتماعية ، والفكرة التي قام عليها المشروع هي : جمع ما تيسر من التبرعات التي يجود بها المواطنون والمحسنون ، واختيار مجلس إدارة يتولى .. أعمال الجمعية .. وقد قلد الحجازيون في هذا المشروع سعي المصريين إلىجمع ما تيسر من من مال في مشروع (القرش) لاستكمال مصالح بلادهم ورعت هذا المشروع الأديبة (مي زيادة) وقد اقتدى مثقفو الحجاز بمي في هذا .. ووجدت هذه الفكرة الوطنية من الأدباء القبول والتأييد ، وتولى الإعلام عنها والدفاع عن مراميها وأهدافها محمد سعيد عبد المقصود ، وأحمد السباعي ، وطاهر زمخشري ، وعزيز ضياء ، وعبد القدوس الأنصاري ، وغيرهم ، وظهر هذا التأييد على هيئة مقالات يكتبونها في شرح الفكرة ، وفي هيئة إشراف على جمعية القرش وفي التحدث عنها أمام الناس في المحافل والمنتديات) ، المقالة في الأدب السعودي ، ٢/٦٣٤- ٢٣٥ .

ويمكنني أن أضيف هنا إلى الذين أسهموا بالكتابة في هذا المشروع الشاعر (أحمد قنديل) . حيث وجدت له كثيرا من القصائد الشعرية في صحيفة صوت الحجاز بأسلوبه الحلمنتيشي المعروف . انظر مثلا قصيدته :- (مشروع القرش) ، ع٢١٨ في ١٦/ ٥/ ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م ، ص٢ .

ويقول هاشم يوسف الزواوي عن هذا المشروع :-

(وعلى أثر ما قامت به لجنة الشباب العربي السعودي من ندوات في منى كان يحضرها زعماء في العالم الإسلامي والعربي توشجت بيني وبين السباعي أواشج الصلة وكثرت الاجتماعات ونجم عن بعض تلكم =

ومما كتبه السباعي عن هذا المشروع مقالته التي بعنوان : (أيـــا مـــوت زر إن الحيـــاة ذميمة)[1]

وذلك حينما رأى أن هذا المشروع يكاد يسقط وهو ما يزال في مهده ، فأخذ ينحـــو فيـــه باللائمة على أصحاب رؤوس الأموال وعلى المجتمع وهو أحد أفراده ، وذلك لتخليهم عن هـذا المشروع ساخراً من ذلك الموقف السلبي لهم يقول :

" نفشل في كل مناحي الحياة ونطعم حتى عصارة الخشب حقاً إننا لمغفلـــون ، مشـــت الأمـــم شوطاً بعيداً في هذا الحياة وجلسنا نحن هادئين نرقب (الحبوب) و(الصـــــرر) والإعانـــات والمبرات من ذوي البر والنجدة والإحسان ... وسارت الأمم صناعياً واقتصادياً وبقينـــــا فـــي مكاننا نشحذ منهم الكبريت والإبرة وما دون الكبريت والإبرة ، حقاً إننا لمغفلون !!

نعم في بلادنا رؤوس أموال مبعثرة ولكن .. ولكن - يا ابن أخي - تنقصنا الشجاعة ، ينقصنـــا أن تكون أفكارنا جبارة وأيادينا بطاشة - وأقول بطاشة - ولا غرو في الناحية العملية فالضعف اليوم وقبل اليوم أحد سبل الموت ، وينقصنا أن تكون النفوس الغـــيرة فينـــا باســـلة لا تـــهاب وأصحاب رؤوس الأموال عندنا جريئون إلى أبعد حد يتصوره العقل البشري :

فأما حياة تبعث الميت في البلى

وأما ممات لعمري لم يقس بممات[2]

أتبكي يا أخي ؟ أيتصدع فؤادك ؟ أيدمى قلبك ؟ ، تعال ورائي ...

هذا حديث (مشروع القرش) ... آمن أنني وإياك لا نفلح .. ومشروع القرش (يامولانـــا) طفل ما استهل صارخاً حتى تردى صريعاً .. هل في مآقيك صبابة دمع لم تجد بـــها بعـــد إذن أسمع أيرضيك أن توصم بين جيرانك بالتغفيل أو تعرف عندهـــم بـــالجبن أو الضعـــف ، أو الخمول ، أم أنت تبكي إذا وصمت بشئ من هذا . ألا أعلم أنك موصم بها جميعـــاً .. وإلا لـــم

الاجتماعات فكرة مشروع القرش ، حيث تقدمنا بطلب تأسيس للمشروع ، أ سهم في التوقيع على ذلك الطلـــب ، محمد عبد المقصود خوجه ، وأحمد السباعي ، وعبد الله المزروع ، وهاشم الزواوي ، رحم الله من توفـــى وعفا عن كاتب هذه الذكرى) ، مجلة اقرأ : ع ٦٨٠ ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

انظر حديث د. محمد سعد بن حسين عن هذا المشروع في كتابه : (محمد سعيد عبـــد المقصـــود ، حياتـــه وآثاره) ، تهامة،جدة ،ط١،١٤٠٤ه ١٩٨٤م ، ص ص ١٦١- ١٦٣) .

(١) صوت الحجاز : ع ٦٣ ، في ٤/٣/ ١٣٥٢هـــ - ١٩٣٣م ، ص ٤

(٢) الشطران من بيتين مختلفين من قصيدة حافظ إبراهيم الشهيرة على لسان اللغة العربية وهما في الأصـــل كما يلي :-

فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي

وإما ممـــــات لا قيـــامة بعده ممات لعمري لم يقس بممات

ديوان حافظ إبراهيم ، مرجع سابق ،١/ ٢٥٥

تقعد حتى الآن عن مشروع القرش الذي عرفت تسابق أدنى الناس منك إليه ... وبعد ألا ترى أنك تستحق البكاء ؟ وإن كنت لا ترى ذلك فـ (هيء هيء هاي) وشر البلاء ما يضحك .. أفلا تبك ؟ أم تريد أكثر من هذا ، اسمعني - يا ابن أبي - أتعرف عصارة الخشب ؟ الخشب القذر ، والخشب المسوس ، والخشب الذي يوطأ بالنعال ... إنهم يجهزونه لك طعاماً تعافه النفس (ونفوسهم قبل كل شيء) ويبعثون به إليك سمناً في صفائح محكمة الرتاج ، يبعثون به إليك وحدك لأنك المغفل الفذ في نظرهم والعاجز الوحيد الذي تتخاذل لهم وتدوس بجهلك على بلادك وسمعه بلادك ثم تقبل بصدر رحب طعناتهم - ألا رحمة بك - أفق - يا ابن عمي - ونادني وهات يدك إلى يدي نعتصم في سبيل الله وسبيل بلادنا ونخوض دون كرامتنا الصعاب وإلا .. وإلا فتعال وقدني إلى القبور المهجورة ندس فيها أنفسنا ثم نهيب بعزرائيل :

أيا موت زر إن الحياة ذميمة))

وفي مقال تحت عنوان : (مشروع القرش صفحة جديدة في تاريخ البلاد العربية)[1] تحدث فيه عن أهمية هذا المشروع وقام بشرح فكرته وأهدافه وما يمكن أن يعلق عليه من آمال لتقدم البلاد ، ويرد على من يشكك في ذلك ويهيب في ختام مقاله بالجميع إلى المشاركة الفعالة فيه ويعدها جهاداً :

" إذا كان النهوض لا يقوم عادة إلا على أساس من العناء والنصب ووفرة التكاليف ، فنهضتنا هذه لا تكلف سوى قرش واحد يتفضل به الوطني على بلاده الفقيرة ليغنيها ، بلاده المجدبة ليخصبها يدفعه ثلاث مرات في العام الواحد ليشتري لبلاده مجداً صناعياً ، يدفعه ليقتني لها عظمة وغناء ، يدفعه ليضمن لها الحياة والعمران والسعادة ، قد يدهش بعض القراء ويسميها أحلاماً ذهبية ، أجل (مجد البلاد عظمتها ، غناها ، حياتها ، عمرانها ، سعادتها) كل هذا في قرش واحد أو قروش ثلاث يقدمها الوطني في العام الواحد ، حقاً إنها آمال أشبه ما تكون برؤى النائم السعيد بخيالاته وأحلامه ، هذا ما يبدو لأول وهلة لكن الواقع يقر كل ما في هذه الأحلام من آمال ويضفي عليها ثوباً من الحقيقة لا يدع بعدها شكاً لمرتاب ، هذه مصر جارتنا العزيزة تتمتع اليوم من نتاج القرش بمؤسسات واسعة يربو عدد دورها على أبنية(منى) ومساحتها واسعة . شهد كاتب هذه السطور عشية انصراف العمال منها من أربع سنين فخالها نفرة الحجيج وتمنى مثلها لجيوش العاطلين في بلاده ... هذا مشروع القرش وهذا هو نتاجه في مصر . لا احسبنا في حاجة بعده إلى تدليل ، كما ليس لمكابر أن يدعي أن هذا كان في مصر وليس ثمت تناسب بين البلدين فإن القرش لا يستعصي دفعة على فقير أو ذي متربة،

---

[1] صوت الحجاز : ع ٢١٧ في ٩/ ٥/ ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م ، ص (١، ٢)

وفي تكرار الاستحصال في السنة من ثلاث مرات إلى أكثر ما يعوض عن قلة السكان وصغر قيمة القرش في بلادنا ، وأحسبني بعد كل هذا في حاجة إلى استعراض بسيط أوضح فيه الطرق المنوي اتباعها في المشروع ثم مآله وغايته . سيبدأ المؤسسون باستدعاء رجال الرأي في بلادنا إلى اجتماع عام ينتخبون فيه ٢٦ عضواً ليشكلوا جمعية عامة إلى جانب المؤسسين وبذلك تتكون الجمعية العامة من ٤٠ عضواً ، ٢٦ منتخبون و ١٤ المؤسسون ، حتى إذا انتهى تشكيل الجمعية وكل إليها أن تنتخب من بينها إدارة تتولى العمل وجمع المبالغ وصرفها في الطرق اللازمة تحت إشراف الجمعية العمومية السالفة الذكر . ويتلخص جمع المبالغ في أن تقرر الهيئة أسبوعاً في السنة لجمع القرش ثم تزود كل من يتبرع للجمع من الشباب والفتيان وتلاميذ المدارس بكميات من طوابع مخصوصة يستعرضون بها المارة وأصحاب الحوانيت يوزعونها مقابل قرش واحد للطابع ، ويتكرر هذا الأسبوع ثلاث أو أربع مرات في السنة فيكون ما يدفعه المواطن سنوياً ثلاث قروش أو أربع[1] ، لا ربح فيها خاصاً به، إنما هو يتبرع بها لقاء

نفع بلاده وتأسيس مؤسسات ، فيها تشغيل الأيادي العاطلة أو أحياء أرض موات يحيا بها البدو وترعى خصبها مواشيهم وأنعامهم ، أفعزيزة كل هذه المنافع على ثلاث قروش أو أربع يقدمها الفرد لها ؟ اللهم لا . والمشروع في وضعيته هذه قابل - كما ترى - لاطراد النمو وتضخم رأس المال ... إلا أن المسألة مسألة حياة أمة بأسرها ، مسألة فرصة تاريخية لا تحققها جهود ألف جبار ، عامل مسألة سعادة لا ولن يسمح التاريخ بمثلها فلنهتبلها . الله أكبر اليوم يوم المخلصين اليوم يوم العاملين ، اليوم يوم الجد ، يوم الفصل ...

فيا للرجال يا للشباب المخلصين ، يا للشباب الناهض ، يا للناشئة المتحمسة ، يا للمتطوعين في سبيل أمة كاملة أسمعونا أصواتكم ، هلموا إلى نادي القرش يوم القرش انتظموا في صفوف الجهاد ، وأعملوا متبرعين لبلاد أقلتكم أرضها وأحياكم ماؤها . دعونا ننصب الموازين فتعرف الوطنية الصادقة والحب الخالص ونميز بينها وبين كل غث :

(يشرب الماء ويضيق المحل) ما يمنع رؤساءنا أن ينزلوا يوماً واحداً ويقودونا في جمع القرش ، ويعلمونا كيف التطوع لنستمرئه ، وكيف العمل في حدود الديمقراطية لنستذوقها . ما يمنع شبابنا الممتاز أن يمشي في يوم القرش في مهرجانات صاخبة داعياً إلى المشروع في كل ميدان وعلى رأس كل شارع ، ببليغ قوله وفصيح بيانه ، ليعرف عامتنا كنهه ويتبينوا ميزاته . ما يمنع فتياننا في المدارس وخارجها أن يهرعوا إلى نادي القرش معلنين تطوعهم ليدللوا على صدق حبهم لشعب انجبهم . اللهم إني من المتطوعين فاكتبني عندك في أم الكتاب

---

(١) هكذا في الأصل والصواب : ثلاثة قروش أو أربعة .

من المجاهدين ، واعصمني بفضلك أن أكون من المجرمين الذيـــن رضـــوا أن يكونـــوا مـــع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " أ- هـــ

أشار السباعي في مقاله السابق إلى أن ما يعلقه على مشروع القرش من آمال ، قد يراهـــا المتلقي ، أشبه ما تكون برؤى النائم السعيد بخيالاته وأحلامه .. ومن هنا جـــاء مقالـــه الـــذي بعنوان (قرش قرش) والذي كتبه للعدد الخاص الذي أفردتـــــه صحيفـــة صـــوت الحجـــاز للتعريف بمشروع القرش ، وتحدث فيه عدد من المسئولين والأدباء[1]

ففيه يحاول السباعي استشراف المستقبل ، فيتخيل ما سيكون عليه الوضع بعد مـــا يقـــارب الثلاثين عاماً من ظهور فكرة مشروع القرش ومبلغ النجاح الذي حققه ، وجـــاء المقـــال فـــي أسلوب درامي خيالي كالآتي :-

" الزمن : ليلة من خريف عام ١٣٨٥ هـــ .

المكان : قاعة مستطيلة في قصر مشروع القرش الضخم القائم في شارع ابن الوليد في مكـــة الجديدة خلف قشلاق جرول القديمة أشخاص الرواية :

١- محمد سرور الصبان: (شيخ استقبل العقد السابع) .

٢- أحمد قنديل : (كهل أشيب أشعث ، تطالعك في جبهته المزدحمة بمرسلات شعر الـــرأس ، ومستنفرات نبت الصدغين صورة من صور بؤساء الشعراء)

٣- عبد الوهاب آشي : أشيب خفيف شعر اللحية ، في قامة ناشئ تغالط الأعوام وتتكر عليـــها عملها ، وتكذب على الشباب فتوهمهم خبرة صاحبها وحداثة سنه .

٤-جمهور متراص على مقاعد مزدحمة في نظام وترتيب وهدوء ومنصة عالية أشرفت إلـــى جانبها قامة مديدة تطاولها ارتفاعاً ..

٥- قامة ابن عبد المقصود ، يقدم خطيب الحفل في صوت أجش ، يقطعه سعال السن المتقـدم : إليكم السيد محمد حسن فقي يتحدث لكم عن مشروع القرش في ثلاثين سنة ...

.. ويعلوا المنصة الخطيب : شيخ مرسل اللحية بيضاؤها ويبدأ حديثه في صوت رقيق .

" سيداتي (!!!) سادتي :

لأول مرة في حياتي (!!) اضطلع اليوم بمهمة الخطيب لأتحدث لكم عن مبلغ النجاح الـــذي صادفه مشروع القرش في مدى ثلاثين سنة ، وإذا أردت أن أقدم لذلـــك فـــلا أكـــثر مـــن أن أصارحكم بما يأتي : كنت فتى في ريعان الشباب يوم بدأت الفكرة تتخمر في رأس أترابـــي ، والحق الذي أصارحكم به أنني كنت أسر في أعماق نفســـي بعـــض تعليقـــات ســـلبية علـــى

---

(١) ع: ٢٤٥ في ٥/ ١٢ / ١٣٥٥هـــ - ١٩٣٦م ، مقالة السباعي نشرت على الصفحة الحادية عشـــر (١١) منه .

الموضوع لكنني - رأيت أن لا مناص من أن اندفع مع تيار الشباب ... ويشاء الله أن أكون اليوم ، وأنا في مركز السكرتارية العامة أظهر الناس على الأرقام الناطقة وأكثرهم اتصالاً بالحقائق البارزة وإذا شئتم أن أتلو عليكم نموذجاً :

في آخر تقرير لمدير معامل العظم ، أنهم انتهوا إلى استخراج ثلاثة عشر نوعاً من العظلم التي كانت تلقى في المزابل .

وفي آخر إحصاء مرفوع من غرفة صناعة الجلود أن عدد العمال المنتسبين للمعامل المشمولة بإشرافهم بلغ حتى الخريف الحالي مائة ألف نسمة يعولون أكثر من ربع مليون نسمة يظلهم فضل القرش .

وفي محليات جريدة – وادي إبراهيم - من يومين أن أحد الأهالي في مكة رفع دعوى ضد أحد الحجاج ، لأن هذا الحاج دفع إليه ثلاثة جنيهات كتبرع أو صدقة أو إكرامية فاعتبرها الأخير إهانة لا يغسلها إلا الدم .

وفي محليات إحدى أعداد مجلة (العقيق) المدعو عيظة الراجحي تبرع لمدرسة الفنون الجميلة بنصف محصوله الزراعي في سنة ، فبلغ ذلك ٣٤٥٧جنيهاً عربياً .

وفي آخر إحصاء للمجلس البلدي بمكة الجديدة المنشأ على أنقاض الهنداوية القديمة أن طول الشوارع التي انتهى رصفها حتى آخر هذا الشهر ١٣٨ كليو ، وأن طول المواسير التي تم تمديدها : (٩٠٠٠) متراً ، استهلكت معظمها شركة (ب) للتعمير في الشواهق التي شيدتها لحساب القرش على سيف الوادي .

وفي قرار الغرفة الزراعية من أسبوع أن منابت الكادي والورد في وادي زهران وجبال غامد ارتفعت أجورها إلى عشرة أمثال ما يقابلها قبل ثلاثين سنة ، وأن مشاتل البرتقال واليوسفي في الزاهر وحقول الحنطة والحبوب على طول الساحل الغربي إلى ينبع شمالاً صادفت موسماً جيداً دل على التطور الزراعي المطرد .

واستطرد الخطيب في سرد خطابه المطول ساعة ، أذكى فيها حماسة النظارة وما كاد يأتي على آخره حتى استعجلته دوية هائلة رجت أركان الغرفة ، والتفت الحاضرون في دهش إلى مصدر الصوت فإذا ابن عبد المقصود يترنح ويرسل في تشنج عصبي صيحات داوية :

يحي القرش[1]

تعيش بلادنا في حياة القرش .

يدوم غنانا بدوام القرش

إلى الأمام ... إلى الأمام بقرش .

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (يحيا)

وكأنما سرى روح هذا الترنح في النظارة ، وطغت على أرواحهم فأرسلوها صيحات عالية شاركوا فيها هتاف المترنح ، وجاوبتهم أصوات الجمهور المجتمع تحت شرف القصر ، حتى استحال الأمر إلى شبه الزلازل المدوية في أذني فهبيت مذعوراً ، وانتبهت من حلمي الطويل ، فإذا أمامي ساعي مكتب القرش يقدم لي رسالته في التماس موضوع أكتبه بمناسبة العدد الخاص "أ ــ هـ

وتحدث عن الصناعة مبيناً أهميتها داعياً إلى تشجيعها ، ومن ذلك ما جاء تحت عنوان : (هذه التبرعات علة تأخرنا)[1] .

" دعونا نمش .. ولا يكون المشي صحيحاً حتى تشمل حركته أهم نواحينا في الحياة . ولعل فكرة تصنيع البلاد من النواحي البارزة التي تعتد بها الأمم في نهوضها ، وتوليها من العناية أكبر قسط وعندما أقول (لعل) أقحم هذا الحرف في غير موضعه المناسب لأن التصنيع شيء لا غنى عنه للأمم ، ولا يجوز بحال أن نسبقه بلعل .. " ثم ينبه إلى مساوئ الاستيراد على الوطن والمواطن ، والذي لا يستفيد منه سوى : " خزائن المستوردين ، أما مجموعة الأمة ، وأما ثروتها القومية فإن ضررها من اتساع الاستيراد لا يكاد ينتهي عند حد ! .

وإن الأمم الحية اليوم لا تبيح لموازنتها العامة أن تتوسع في بنود الاستيراد كما تتوسع في بنود التصدير . . "

ويضرب عدداً من الأمثلة التي تبين كيفية تعامل بعض الدول في تشجيعها لصناعاتها المحلية ومحاربتها لمختلف الإنتاج الأجنبي سواء في مجال الضروريات أو الكماليات .

ثم يدعوا أصحاب رؤوس الأموال الوطنية إلى استثمارها داخل وطنهم : " في إنشاءات تدر عليهم الأرباح التي تعودوها وتغني بلادهم عن الحاجة إلى تقيدهم للأجنبي المستغل . إن إنشاء معامل للزجاج ، والحديد ، والجلود ، والقماش ، والخزف ، والكبريت ، وكثير من مستلزماتنا الأولية في الحياة لا يكلف أصحاب الملايين منا ،إلا لفتة فيها شيء من العزم وشيء من الدأب . . . إن في بلادنا من الحديد ، والنحاس ، والقصدير ، والفضة ، والذهب ، والزجاج ما يهيئنا للغنى الواسع وإن في بلادنا متمولين لاتعجز أموالهم عن تمويل أضخم مشروع من هذا القبيل ولكن ينقصنا أن نفهم هذا . نحن لا نريد أن ننكر مستوانا العلمي . .. ولكننا نستطيع أن ندعي أن لدينا من الأموال ما نشتري به العلماء المتخصصين من آفاق الأرض كما نشتري الأيدي العاملة ، والآلات المنتجة التي تكفي اليوم مؤقتاً لتأسيس نهضتنا آلياً ، حتى إذا اندمجنا فيما ننشئ تفتحت أمامنا الآفاق وسهل علينا إنتاج العلماء والمختصين

---

(١) دعونا نمش : ص ص (٣٧ - ٤٢)

... " ويوجه خطابه إلى أصحاب التبرعات ناقدا لأعمالهم تلك ويوضح ما تسببه تبرعاتهم من تواكل وتأخر للبلاد : " هل جاء هؤلاء المتبرعين أن عطفهم على فقير بلادهم في الصناعة والزراعة أقرب إلى مثوبة الله وإحسانه من كثير من تلك الميادين التي يختصونها بتبرعاتهم في أرقام تدوي بها الصحف وتضج ؟ هل جاءهم أن علة بلادنا في قرون هي التبرعات التي كان يغمرنا بها المحسنون في الإسلام ؟ وأن هؤلاء المحسنين لو فكروا قبل اليوم في إنشاءات صناعية لأحسنوا إلى البلاد بتشغيل الأيادي العاملة فيها ؟ "[1]

ويعرض أيضا في مقالة السابق **للزراعة وتشجيعها :**

" الواقع أنه ليس بيننا وبين الزراعة إلا أن ننشط لها ، ونسلمها جزءا من ملايينا في نظام اقتصادي فيه من الإنفاق ، والخبرة الفنية ما يضمن لنا نجاحا مطردا . لقد جرب غيرنا إحياء الصحاري والقفار القاحلة فأنتجت التجربة خصوبة طيبة وإنتاجا عاليا فما يمنعنا أن نجرب ما جربه غيرنا ، ما دامت إمكانياتنا من المال لا تضيق عن مثل هذه التجارب أو أضعافها ؟

لنحفر في كل بقعة بئرا ، ونقارب بين هذه الآبار في مسافات تضمن لنا الإنتاج الزراعي ، لنبحث عن المياه المغورة ، والعيون المطمورة ، ونبني السدود حيث تتجمع المياة ، لنوزع هذه الأراضي بالمجان على من يحييها ، أو نعرض تأجيرها على المتمولين عرضا بأسعار رخيصة مغرية ، حتى إذا أجتمع لديهم ما يعوض ما فقدوه وربحوا من ثمارها ما يتكافأ مع ما بذلوا من جهد استعدناها ، وأعلنا بيعها على من نثق في كفاءته الإنتاجية . إذا توسعنا في هذا ، وبذل المتمولون من أموالهم في سخاء منظم وعلى ضوء الخبرة الفنية المستحدثة في آخر ما انتهى إليه علم الزراعة من ابتكار .. فسنظفر بنتائج تغنينا غدا عن كثير مما نستورده من مواد طعامنا وسنستطيع في أحد الأيام أن نقف إلى جانب من يعاصرنا من الأمم موقف الند للند . . .

وإذا توسعنا فيما نزرع فسوف لا نعجز في المستقبل عن إيجاد المواد التي نفتقدها اليوم لنبني على أسسها مجدا صناعيا يهيئنا لمواجهة الحياة . . . إن خطوتنا الأولى إلى إحياء الأراضي الزراعية رهينة بيقظة الوعي في صفوف المتمولين في بلادنا وهم كثير ، وإقناعهم بأن ما يبذلون من أموالهم في مثل هذا السبيل أفضل بكثير مما يبذلونه باسم التبرعات ..

فهل يعي المتمولون مقدار حاجتنا إلى بذلهم في أمثال هذه المجال ؟ وهل يقدرون مبلغ مانيط بهم من آمال بلادهم وآمانيها ؟؟ .

---

(١) وللاستزادة انظر :

يوميات مجنون : فقرة ٣٩ : ص ص (١١٧ - ١٢٠)

نأمل أن يسمعنا المتمولون وأن يهيئونا . . . لنمش "[1] أ- هـ

وتحدث عن مشاريع المواصلات وأهمية ربط أجزاء المملكة ببعضها من خلال شبكة طرق حديثة وذكر منافع مثل هذا العمل ومن ذلك ما جاء تحت عنوان (لنقارب بين أسفارنا)[2] :

" ما انتفعت الممالك بشيء انتفاعها بتقريب المسافات بين أجزائها الواسعة وربط آفاقها بشبكة من المواصلات محكمة الحلقات في تنظيم شامل . . . فنتمنى إلى مجلس وزرائنا الوقور أن يدرس شؤون مواصلاتنا في دقة واستقراء ، وأن يربط أجزاء بلادنا من أدناها إلى أقصاها بشبكة محكمة معبدة المسالك تعبيدا فنيا يتسلق الجبال الشامخة ويطأ الأغوار السحيقة ويصل الواحات في أبعد آفاقها بسائر القرى والمدن . . . إننا إذا فعلنا ذلك ساعدنا القروي على استثمار أرضه ونشطنا أعماله في كافة الحقول والبساتين ، واستطعنا أن نهيء الفرصة لجميع الخواص المدفونة في آفاقنا الشاسعة وساعدنا كافة البلاد في البادية والحضر على تبادل المنتجات والسلع من كافة أنواعها ، ويسرنا الأمر للتصنيع الشامل الذي لا يعجزه الانتقال من أطراف المملكة إلى أطرافها وفتحنا بابا لرواج ربما أغنانا عن كثير مما نستورده من وراء البحار "

ومن هذا المنطلق دعا إلى تشجيع السياحة الداخلية مبرزا دور الموصلات في ذلك ومن ذلك ما جاء تحت عنوان (ماذا بعد الفتح الجديد)[3] : " قلتها يوم بدأ العمل في تمهيد جبل كرا قال العربي وهو يزهو بكبرياء جبله :

لنا جبل يحتله من يجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

أصله تحت الثرى وسحابه ... إلى النجم فرع لا ينال طويل

ترى هل دار بخلد العربي يومها أن جباله المنيعة (التي ترد الطرف وهو كليل) ستتطامن وتستخذي ؟ ؟ وأن فروعه التي سرت إلى النجم حتى لا تنال باتت رهينة العلم الجبار والإرادة الحديدية التي تعصف بأعتى الجبال وتنفذ إلى أبعد ما يتسع له الخيال ؟ لقد أثبت الفيصل

---

(١) وللاستزادة عن أحاديثه حول الزراعة انظر :

مقاله : (قل سيروا) مجلة قريش ، ع ٥٠ في ٤/ ٥/ ١٣٨٠هـ ، ص ٣ ومقاله : (وادي خليص يثبت فشل نهضتنا الزراعية) مجلة قريش ، ع ١٦٢ ، ١٩/ ٨ / ١٣٨٢هـ ، ص ١ ، ٨

ومقاله : (الإكتفاء الذاتي) ، أوراق مطوية ، ص ٢٧١ .

(٢) سباعيات ، ٢ ص (٧٧ــ ٧٨)

وانظر مقاله (خط البلدة مفخرتنا) ، سباعيات ، ١ ، ص٣٤

وانظر مقاله (المواصلات في بلادنا) مجلة قريش ، ع ١٤٤ ، في ١٢ / ٣/ ١٣٨٢ هـ ، ص١

(٣) سباعيات ، ١ ، ص (٨١ – ٨٣) ، وانظر مقالة (على أكتاف جبال السودة) ، سباعيات ، ٢، ص(١٠٧- ١١٠)

عزيمته وحقق العلم كفاءته ولم يبق إلا أن يؤكد المسؤولون عن عمران الطائف جدارة الفتح الجديد ، إنه فتح سيجتذب إليه ألوف المتطلعين ليشهدوا ما بنت أيدينا وشادت عزائمنا ويستعرضوا مصيفنا الذي شغل حيزا واسعا في التاريخ ، وتسامع الناس في حاضرنا بالكثير الذي يميزه عن أمثاله من المصائف ، فهل أعددنا ما يصافحهم فيه من الجمال والتنسيق أم سنتركه ليصدم آمالهم فيه ويجعلنا أضحوكة بين المصائف ؟ !)

وتحدث عن الخدمات الصحية وطالب بالتوسع فيها يقول تحت عنوان : (إلى معالي وزير الصحة)[1]: (لقد بذلت الحكومة في سبيل الاستشفاء عشرات الملايين وعنيت وزارة الصحة باستقدام الأطباء أفواجا وندبت من شبابنا عشرات وعشرات ، عاد إلينا أكثرهم يحملون شهاداتهم العالية ويحتسبون العمل لبلادهم في مجال الصحة العامة . كل هذه الأفضال لا ننساها للحكومة ، ولا ننكره على وزارة الصحة ، ولا نغمطه لشبابنا العامل على رأسهم وزيرهم الكبير ولا نجحد للمستقدمين ما يبذلونه في سبيل المجال الصحي . ولكن المشاهد أن كل هذه الجهود تحتاج إلى كثير من التوسع ذلك أن الوعي الصحي الذي تفتق في البلاد على أثر نهضتنا بات أوسع من أن يغطيه ما بذلنا إلى اليوم من جهود فلم يعد للوصفات البلدية شأن بين طبقاتنا ولم يعد لدجاجلة الطب ومجربي الحكمة في البادية والحاضرة أية قيمة بين ظهرانينا بعد أن تفتق وعينا . . . "

ومما يندرج تحت هذا أيضا **حديثه عن الاهتمام بالصحة النفسية** من قبل المسئولين في وزارة الصحة[2] .

وعرض أيضا لبعض القضايا الاقتصادية فتحدث مثلا عن ارتفاع الأسعار وأزمة الخبز التي ظهرت في ذلك الوقت[3] .

أما أبرز القضايا التي شغل بها السباعي هنا فهي قضية العمالة الوافدة فبين آثارها السلبية على الوطن ودعا – في وقت مبكر – إلى أهمية سعودة الوظائف مهنية وكتابية في القطاعين الحكومي والأهلي ، يقول تحت عنوان : [ما معنى هذا ؟ !!][4] ((في بعض

---

(١) سباعيات ، ١ ، ص ص (١٩١- ١٩٤) .
وانظر : مقالة (في ركني) البلاد السعودية ، ع ٧٤٨ في ٤/ ١٠ / ١٣٦٧هـ ، ص ٤
ومقاله (لا ننكر جهود الرقابة الصحية .. لكن نطلب المزيد) ، مجلة قريش ، ع ٢١٤ ، ١٤/ ٩ / ١٣٨٣هـ ، ص ١

(٢) انظر مقاله : (أيقال أنه ليس في بلادنا مجانين لنحفل بهم ونعتني بشؤنهم) ، الندوة ، ع ٧٣ ، ٩/ ٣/ ١٣٧٨هـ ، ص ١ والصواب : نعنى .

(٣) مقالة : (أزمات المواد الضرورية وكيف نتجنبها) ، سباعيات ، ١ ، ص ص (٧٤- ٧٧) وانظر ((في ركني)) : البلاد السعودية ع ٧٢١ ، ١٨ / ٧ / ١٣٦٧ هـ ، ص ١ و ع ٧٤٨ ، ٤ / ١٠ / ١٣٦٧ هـ ، ص ٤ .

(٤) سباعيات ، ١ ، ص ص (٥١ – ٦١)

الإحصائيات أن عدد الأجانب المقيمين في سويسرا بلغ ١٥ بالمئة بالنسبة إلى سكانها ويعلق بعض الباحثين الاجتماعيين على هذه الاحصائية فيقولون : إن الأهالي في سويسرا أخذوا يضيقون بهذا العدد ويعتبرون نسبته هائلة وخطيرة لا تبعث على الإطمئنان وربما أحالت اقتصاديات سويسرا إلى حالة تعيش فيها تحت رحمة الأجانب ويقولون : إنها فرصة جيرانهم من الإيطاليين فقد أمتاز العمال في إيطاليا بالنشاط فوجدوا مرتعهم خصباً بين السويسريين الذين يميلون أكثر ما يميلون إلى الأعمال الإدارية والخدمة في البنوك ويتاحشون أن يزاولوا من المهن مايخدش أياديهم الناعمة !! تذكرت هذا وأنا أمر بالأمس بعمارة لا تزال في دور الإنشاء فراعني منها أنه ليس بين عمالها مواطن ، تعمدت الوقوف على كثب منها لأطيل النظر بينهم فإذا حاملوا الحجر من التكارنة وإذا العاملون في البناء من العدنيين وإذا الواقفون للأشراف والهندسة من إخواننا المجاورين أصحاب البنطلونات ورأيتني أسأل نفسي ترى لو تمت أعمال الإنشاء في العمارة وعقبتها أعمال النجارة والبلاط والبياض والتسليك وسائر ما يلزم لأعمال (التشطيب) أكنا نجد من بين الوطنيين من يتناول كل هذه العمال ؟ وتبادر الجواب إلى نفسي كما يتبادر الآن إلى نفس كل قارئ بأننا قد لا نجد بين مزاوليها وطنياً واحداً ! ترى ما معنى هذا ؟؟...))

ويقول تحت عنوان : (لنحارب الفقر)[1] " لقد زحفت الأيدي العاملة من سائر الآفاق إلى بلادنا تجتذبها سمعة هذه الملايين ويغريها بنا جهلنا بالانتفاع بما نملك ، وأهملنا تقنين ما يلزم لحدودنا فاستطاع هذا الزحف أن يستوي على تسعة أعشار ما يبذله البند فلو فرضنا له من اللوائح ما يحدد علاقتنا بالعامل الأجنبي ويلزمه بإباحة ما يحترف لعملنا ، ويلزم عمالنا بتوزيعهم على محال الاحتراف في نظام مقدر لاستطعنا أن نربح لعمالنا ألوف المهن التي تغنيهم عن التسكع وتحميهم من غائلة الفقر ، ولو استطعنا أن نحدد إقامة كل وافد محترف أو متخصص بمدة كافية للاستفادة من خبرته لما عجزنا عن تسليمهم إلى طريق العودة مشكورين وتوفير مجالاتهم لاصحاب الشفعة المغلوبين في بلادهم . "

ومن هنا كان تشجيعه لمشروع توطين البادية لما لذلك من أثار إيجابية أبرزها الاستفادة من أبناء البادية في النهوض بمشاريع البلاد المختلفة ، يقول تحت عنوان : (حرام ألا نراعي

ومقاله : (معظم الشركات والبنوك باتت تزدحم بالمجاورين وهم لا يتميزون عن أي مواطن عادي إلا بالرخص) ، الندوة ، ع ٦٦ ، ٢٢/ ٢ / ١٣٧٨هـ ، ص ١

ومقالة : (لا يملك المواطن حيلة للعيش بين الأجانب) قريش ،ع١٣٠ ، ٣ / ١ / ١٣٨٢ هـ ، ص ١ ، ٧.

مقاله (الباعة من كل جنس يحتلون شوارعنا) ، قريش ، ع٢٠١ ، ١١ / ٦/ ١٣٨٣هـ ، ص ١

مقاله (هل تسمعني وزارة العمل) ، قريش ، ع ٢٠٣ ، ٢٥ / ٦ / ١٣٨٣هـ ، ص١

(١) سباعيات ٢، ص ٧٣ – ٧٦

ميزة البدوي)[1] : " إنه إذا انفتق ذهن العربي البادي في خيمته وأتسع إدراكه بتأثير ما تنشره مدارسنا اليوم من وعي ، فسوف لا يعجزه أن يتفهم الأشياء على حقائقها ، ويدرك أن التصنيع بكافة أنواعه وفي مختلف مجالاته من أقوى دعائم النهوض بالأمم ، وإنه لا يخل بشرف الرجل أو أصالة محتده أن يزاول أي عمل في دنيا الصناعة يغني حاجته ويضيف به إلى بلاده لبنة ذات أثر فعال ، وإذا كان المشاهد الملموسة أن في ذكاء البدو في بلادنا وتوافرهم على الجلد والعزيمة مالا يقل عن طاقة أي عامل منتج فحرام ألا نراعي مثل هذه الميزات ونستغلها لنفعهم وصالح مواطنهم ، إن آمالنا معقودة بهذه الخطوة الجدية التي خطوناها في سبيل ثقافتهم ورجاؤنا ألا يطول الشوط حتى نراهم وقد اتسعت مداركهم لفهم الحياة على حقائقها . واقبلوا بروح رياضية يصافحون مجالات الأعمال الحرة في كافة وجوهها "

ومما يندرج تحت هذا بعض مقترحاته كإنشاء نقابات لبعض المهن كالصحافة والطوافة لحماية حقوق المنتسبين إليها وذلك بأن يؤسس أصحاب كل نقابة لهم صندوقاً : (يسند ضعيفهم ويقيم عاجزهم ويتولى أيتامهم وفقراءهم ولا يكلفهم الصندوق إلا قروشاً ضئيلة يفرضها يومياً على كل فرد منهم . . . ونظام الصناديق في المهن يمرن أصحابه على التعاون ويدربهم على التنظيم الجماعي ويساعدهم على التعاون وتبادل الآراء في المفيد النافع ، ويجنبهم كثيراً من العبث الذي يزجون به أوقاتهم الفارغة وهو وسيلة من وسائل المجتمعات الحية يستطيعون أن يهيئوا بواسطتها لهم كياناً له قيمته في الأوساط والمجتمعات على اختلاف طبقاتها .. ويستطيع الصندوق إذا صينت أمواله وضبطت حساباته أن يساهم في رقي البلاد فيؤسس بها مشروعات تفيد البلاد وتعود عليه بالربح الذي يوسع على أصحابه ويغدق عليهم من خيره ومنافعه "[2] ضارباً الأمثلة بما يوجد في بعض الدول المتقدمة من نظام لهذه الصناديق ويسترسل في بيان منافع مثل هذا المشروع على المجتمع والفرد مذكراً بالمساوئ العديدة التي يمكن أن يتفاداها المجتمع إذا أحيا مثل هذا المشروع .

والحقيقة أن السباعي قد أسهب في الحديث عن شؤون الطوافة والمطوفين مبرزاً كثيراً من سلبياتها موضحاً طرق المعالجة لتلك السلبيات خاصة وأنه

---

(١) قال وقلت : ١، ص ٩٧- ٩٨)

وانظر :

مقاله (مزيداً من العناية بالبدوي في خيمته) قال وقلت ، ١ ، ص (٢٧ – ٢٨)

مقاله : (نستطيع أن نبني على كواهل قبائلنا) ، قال وقلت ١ ، ص (٢٩ – ٣٠)

(٢) مقاله (وأهملناهم .. فأعددناهم للسجون) ،دعونا نمش ، ص (٧٠ – ٧٦)

عايش تلك المهنة وأصحابها عن قرب عندما كان يعمل بها لفترة من الزمن حتى بلغ به الأمر أنه خصص إحدى رواياته لمعالجة هذه القضية[١]

(١) بخلاف ما كتبه من مقالات عدة حولها[٢] .

ودعا السباعي إلى الاستفادة من لحوم الأضاحي وذلك بتبريدها وعدها ثروة مهدرة بل قد تكون سبباً للأمراض إذا ما بقيت ساحات منى معرضاً لتلك اللحوم المتعفنة[٣] .

كما اقترح على المسئولين في وزارة الصحة الاستفادة من بيئة المملكة التي تضم أنواعاً عدة من الأعشاب التي قد تصلح في صنع بعض الأدوية[٤]

وتحدث السباعي عن ضرورة النهوض بالمستوى الاجتماعي للأفراد والجماعات ومن هنا طالب بسرعة تنفيذ مشروع الضمان الاجتماعي[٥]

ومن المشاريع الثقافية والإنسانية التي تحدث عنها السباعي وسعى إلى تشجيعها الاهتمام بالآثار وإقامة المتاحف لحفظها يقول تحت عنوان : (ألسنا مطالبين بهذا لتاريخ)[٦] : " أنا شخصياً أرى أننا مطالبون للفن والتاريخ أن نولي الأمر حقه من العناية فالأمم اليوم تتسابق بصورة جادة إلى العناية بتراثها الأثري . فالتراث الأثري تاريخ ناطق كثيراً ما يغني عن

---

(١) رواية (مطوفون وحجاج) انظر (فصل الرواية من هذا البحث)

(٢) من مقالاته الكثيرة حول ذلك :

(في ركني) البلاد السعودية ع ٦٣٩ ، ٥ / ٣ / ١٣٦٦هـ ، ص٢

(في ركني) البلاد السعودية ع ٦٤٠ ، ١٢/ ٣ / ١٣٦٦هـ ص١

(في ركني) البلاد السعودية ع ٦٤١، ١٩ / ٣ / ١٣٦٦هـ ص١

(في ركني) البلاد السعودية ع ٦٤٢، ٣/٢٦/ ١٣٦٦هـ ص١

(في ركني) البلاد السعودية ع ٧٢٥، ٢٦/ ٦/ ١٣٦٧هـ ، ص١

مقاله (مستقبل التطوف) ، البلاد السعودية ، ع ٦٤٣، ٣/ ٤/ ١٣٦٦هـ ، ص٣ .

مقاله خطاب مفتوح إلى سعادة مدير إدارة الحج) ،البلاد السعودية ، ع ٦٥٢، ١٣٦٦/٦/٧هـ ص ١

مقاله (كلمة ونصف) ، البلاد السعودية ، ع ٦٧٦، ٦/ ١٢/ ١٣٦٦هـ ، ص٤

مقاله (ألوان من دفاتر المطوفين) ، البلاد السعودية ، ع ٦٨٧، ٢٣/ ٢/ ١٣٦٧هـ ، ص١ .

مقاله (ألوان من دفاتر المطوفين) ، البلاد السعودية ، ع ٦٨٨ ، ١/ ٣/ ١٣٦٧هـ ، ص١

مقاله (ألا نعمل شيئاً من اجل الطوافة) ، سباعيات ، ١ / ١٦٢ .

(٣) مقاله (لما لا نقتبس من هذا) قال وقلت ١ ص (٩٣ – ٩٤)

(الذبائح في منى) ، سباعيات ١ / ص (٦٢ – ٦٤)

(٤) ألا نستخلص الأدوية من أعشابنا ؟) قال وقلت ، ٢ / ٢٣٩ .

(٥) انظر (تعليقه على بيان لمجلس الوزراء الصادر في ذلك الوقت) ، قريش ع ١٥٣ ، ١٦/ ٦ / ١٣٨٢هـ ، ص (١ ، ١٠)

(٦) سباعيات ١ ، ص (٣٧ – ٣٩)

عشرات المجلدات ، وهو إلى جانب هذا مدعاة للاعتزاز والمباهاة بين شعوب العالم فـــأنت لا تكاد تجد اليوم بلدا واحدا لا يعني باثاره ويبذل الكثير في سبيل صيانتها وتنسيق عرضها"

والعناية بالآثار ــ عند السباعي ــ لا يعني التمسح بها كما ألف بعض الجهلة يقـــول : "ولا عبرة في رأيي ببعض الجهلة الذين ألفوا التمسح بالآثار أو جدرانها فقد تقشعت الغياهب التـــي كانت تغشى أكثر بلاد الإسلام بعد أنتشار التعليم في عصر النهضة الأخيرة ، وبـــاتت أجيالنـــا الجديدة تفهم روح فكرة تخليد الآثار والحفاوة بها ، كتذكار ينطق بما سلف من أمجاد نســـتطيع أن نباهي بها دون أن نتمسح بها ونجعل منها نبراسا يبعث الأمل في ناشئتنا ليستعيدوا ماضيـهم التليد "[1] . ومن ذلك حديثه عن بعض أمور الصحافة

فبما أن الصحافة تعد من أبرز الوسائل في الدعاية للبلاد فقد دعا السباعي المسئولين عنـــها إلى دراسة فكرة تصدير صحفنا إلى الخارج ودعم هذه الفكرة يقول تحـــت عنـــوان (لـــم لا نصدر صحافتنا)[2] : " فكرة تصدير الإنتاج أي إنتاج إلى خارج الحدود موضوع لـــه قيمتـــه بين المهام التي ترتكز عليها سمعة الدولة . . . مفهوم التصدير يعني أن صحافتنـــا يجـــب أن تغمر سائر الأسواق في سائر البلاد العربية ، يعني أن تنادي بها الباعة فـــي يـــوم صدورهـــا وتعرضها جميع المكتبات الكبيرة في واجهاتها إلى جانب جميع الصحف التي تتخطى الحـــدود إلى كبريات المدن في العالم العربي ... ، أيقال أن صحفنا لا تســـتطيع أن تزاحـــم فـــي تلـــك المجالات أبدا فصحفنا إذا قيست بكثير من زميلاتها في البـــلاد العربيـــة تســـتطيع أن تثبـــت جدارتها على أن الأمر ليس كله جداره فإن الصحف الرائجة لا تروج لجدارتها بقدر ما تـــروج بحركة المد التي تتولاها .. إن صوتنا يجب أن يبلغ أسماع العالم وإن موقفنـــا مـــن السياســـة العامة والأحداث الخطيرة يجب أن يكون مبذولا للقراء بين سائر طبقات الشعوب والأمم التـــي يعنينا أمرها ولا يتهيأ هذا ما لم تتحمل الموازنة العامة عبئه[3] وتعمـــل علـــى توفـــير جميـــع الإمكانيات التي تساعد عليه)) .

ومن الموضوعات الإنسانية التي تندرج تحت **هذا حديثه عن السجون والمطالبة** بتحســـين نظامها[4]

---

(١) مقالة (القبان دار أبي سفيان) ، سباعيات ، ١ ، ص (٩٨ – ١٠٠)

وانظر مقاله (يعنون حتى بآثار الإسلام) قال وقلت ١ ، ص (٩٩– ١٠٠)

مقاله (عودا إلى أرض القبان) ، سباعيات ، ١ ، ص (١٩٥ – ١٩٧)

(٢) سباعيات ١، ص ١٧٣– ١٧٥ .

(٣) هكذا وردت والصحيح (عبأه)

(٤) انظر : =>

رابعاً : العادات والسلوكيات الخاطئة :

عرض السباعي في مقالاته لنقد كثير من العادات والسلوكيات الخاطئة على مستوى الفرد والجماعة فبين أضرارها وعدها معوقاً من معوقات التقدم والرقي وكان ذلك النقد يأتي مباشراً حيناً وممزوجاً بالسخرية في أحيان أخرى هذا من جهة ومن جهة أخرى نبه إلى أهمية غرس كثير من العادات والسلوكيات الحميدة .

ومما شمل نقده هنا ما يلي :-

أ- محاربة الخرافات والشعوذة :-

" المعنى اللغوي للخرافة يشير إلى اسم رجل من عذرة استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه فقالوا : حديث خرافة والخرف يشير إلى فساد العقل من الكبر ويشار إلى الخرافة بالخزعبلة .. والخرافة هي الأفكار والممارسات والعادات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي ، ولا تخضع لأي مفهوم علمي ، سواء من حيث النظرية أو التطبيق ، وعلى ذلك تكون العقلية الخرافية هي التي يكون للخرافة فيها دور بارز في تفسيرات الأحداث وتعليلها وفي نقل المعلومات وهي التي تحاول تحقيق أهداف الفرد والمجتمع بأساليب بعيدة عن العلم والعقل والمنطق ... ومما يساعد الخرافة على الانتشار احتماؤها وراء بعض المفاهيم الدينية وتسترها خلفها "[1]

وبالتالي فإن محاربة الخرافة يعد اصلاحاً للفكر بالكشف عن الأوهام التي تعكر صفاءه والسباعي عدها من معوقات التقدم ومن هنا نقد بعض مظاهرها ، وسلاحه في ذلك كله نداؤه بالرجوع إلى العقل وإلى الشرع الحنيف .

ومن الخرافات التي نقدها الاتصال بالجان والأرواح كما حمل على الكتب التي تروج لمثل ذلك[2] ، يقول : "في سبيل الشيطان آلاف الأفكار التي أنجبناها في عصور مظلمة، نظمنا في خلالها قواعد للاتصال بالجان واستخدام الشياطين وغيرها مما نستلهم فيه النجوم

=> مقالة : (عاشت السجون عصوراً طويلة تهين كرامة المذنب وتطعن آدميته) ، الندوة ، ع ٧١ ، ١٣٧٨/٣/٤هـ ، ص ١

ومقالة (السجين لا تهدر آدميته لأنه سجين) ، قريش ، ع ١٢٥ ، ٢٠ ، ١١، ١٣٨١ هـ ، ص ١ .

(١) انظر الدكتور عبد الرحمن عيسوي : (سيكلوجية الخرافة والتفكير العلمي) ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ط ، ١٩٨٢- ١٩٨٣ ، ص ١٢ – ١٤ .

(٢) (والسباعي كان محقاً في حملته على تلك الكتب إذ إن البحث العلمي يؤكد مساهمتها في نشر الخرافات يقول د. عبد الرحمن عيسوي ((ويسهم في انتشار الخرافات مثل السحر والدجل والطلاسم والتنجيم ما يرد في قصص الأدباء العرب من ذكر لهذه الأمور وخاصة تحضير الأرواح ومعرفة الطالع واستشارة الفلكيين ..الخ)) ، المصدر السابق ، ص٢٨ .

والكواكب وعناصر الكون وراء المجهول ، أترانا كنا من السذاجة والغفلة بمكان ممتاز حتى استطاعت الشياطين أن تستهوينا بترهاتها وأباطيلها ، أم كنا حاذقين فلم نعجز عن امتلاك الجان واستخدامهم ؟ ! كنت أتمنى لو يصادفنا شخص واحد من ذلك الرعيل المجد الذي أفنى حياته في الهمهمة والدمدمة ليثبت لي بدليل محسوس أنه استطاع أن يحتكم على جني واحد لا يزيد على حجم دويبة صغيرة يسخره ، لشئونه ويتحكم في مقدراته ... لا يعلم إلا الله كم ورثنا من آلاف الكتب التي بحثت عن قبائل الجن الأحمر والجن الأصفر وملوكهم المتوجين وخدمهم المسخرين ولا يعلم إلا الله كم دونت هذه الكتب من (أوفاق للجلب والجذب) وخدمة العاشقين والمندفين وسجلت طلاسم بلغة من غير لغات الأرض ، بعضها يعالج الأسقام والعلل وبعضها يعالج الجنون وأوهام النفس ، وبعضها يفتح الكنوز المخبوءة ، ويسهل الأرزاق المعسرة ، وبعضها يحول دون فتك السيوف والرماح ، وبعضها يساعد على امتطاء بساط الريح أو يعين على تجميد المياه للراكب والماشي ، وبعضها لخدمة جميع الغايات ومختلف المآرب . ترهات أضاعت عمر الأجيال في بلاد الشرق وضيعت من فرص الحياة عليه ما لا تعوضه الأجيال ، ورثنا هذه الكتب من عصور الظلمة ، وعكفنا عليها عكوف المجانين فتركنا غيرنا يتحين الفرص ويكتسب الوقت . لعلهم لم يرزأوا بالشعوذة التي رزئنا بها ولم يرثوا هذه الارتال من التدجيل الذي ورثناه فاستطاعوا أن يحتفظوا بأذهانهم صافية وعقولهم صحيحة استطاعوا أن يمرنوا تلك الأذهان على الاستنتاج والبحث ، وأن يتركوا عقولهم تحتك بما يصقلها ويزيد في حرارة طاقتها فابتكروا لنا في الحياة ما يعجز عنه الجن ، واخترعوا في مرافقنا ما يقوى عليه الشياطين أكانوا يستخدمون الجان عندما نقلوا أصواتهم في الراديو من أقصى الأرض إلى أقصاها ؟ أم كانوا يمتلكون المردة عندما ذللوا الهواء لطائراتهم ، أو البحار لماخراتهم وأعملق المحيطات لغواصاتهم ، وآفاق الأرض لتجاربهم الجهنمية التي أتاحت لهم امتلاك ناصية العلم وسودتهم في جميع القارات ؟ أكان هذا من عمل الأبالسة وإيحاء الجن وتعليمهم ، أم كان نتيجة لتمرين العقول واحتكاكها بالأمور الجسيمة والحاجة الملحة ؟ ماذا صنع الجان لنا في عصور طال دهرها كنا فيها نهمهم بأسمائهم وندمدم ، ونقسم عليهم بالأيمان المحرجة والتوكيدات المغلظة ونهتف بأسماء كبارهم وألقاب ملوكهم ؟ ؟ أبنوا لنا طائرة واحدة نطوي بها أبعاد السماء ، أم صنعوا لنا رصاصة واحدة نقتل بها الأعداء ؟ ؟ أنجادل بعد هذا في ترهاتنا ويتبجح بعضنا فيغرينا بإلغاء عقولنا لنستمع إلى أحاديثه في مبلغ استفادتنا من امتلاك الجن وتسخير العفاريت وضرورة استعانتنا بالطلاسم والأوفاق ؟ أم نقنع اليوم بما جربنا ونكتفي بما نلنا ونحاول أن نجعل من مآسينا دروساً ننتفع بها في مآتي أيامنا ؟ "[1]

---

(١) دعونا نمش : ٥٨ - ٦١

وهذا لا يعني أن السباعي ينكر وجود الجان ولكنه ينكر الادعاء العريض من قبل بعض المشعوذين في الاتصال بهم يقول : " نحن لا ننكر وجود الجان وقد حدثنا القرآن عنهم ولا ننكر طاقتهم وقد روى الله عن أحدهم أنه يأتي بعرش بلقيس[1] ، { أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وقال الذي عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك }[2] لا ننكر هذا بعد أن حدث به القرآن وبعد أن قامت آلاف الأدلة على وجوده في المجامع المعنية بالروحيات في هذا العصر والأكاديميات المتخصصة لدراسة هذه العلوم ، أقول لا أنكر هذا ولكني لا أستطيع البت في أمر هؤلاء الذين نراهم يشتغلون باستحضار الجن واستخدامهم ولا أجزم بصدقهم ما لم تؤيدهم براهين ملموسة . . . إننا ننكر هذا التعميم ونرفض أن نتلقى جميع مقدراتنا عن تصرفات الجن ، وأن تناط جميع حركاتنا بمشيئة الأبالسة ، وأن نضع عموم مقاليدنا في أيدي المشعوذين ففي ذلك تعطيل لسنن الكون وفيه تواكل يصرفنا عن العمل في دنيانا بالأسلوب الذي شرعته الحياة للعاملين فيها !! ... إننا لا ننكر وجود الجان ولا ننكر سخرتهم فيما يتعلق بمشيئة الله ، ولكننا ننكر الدعاوي العريضة التي كثر المتبجحون بها وتطاول المزيفون فيها ونزيد أن يبرز إلينا أحدهم ليثبت لنا أنه موهوب وأن الله قد منحه الكفاءة اللازمة لاستخدام العفاريت ، ولا يثبت لنا دعواه في هذا حتى يجند أمامنا عدداً ولو ضئيلاً منهم يستطيع أن يترك أثره في أي ناحية صغيرة يرد بها عتو العادين من المستعمرين في أقطار الإسلام)) ويسخر منهم فيقول: ((لا أدري ولا الدجاجلة أنفسهم يدرون لماذا ننسى الهمهمة والدمدمة عندما تحم الحاجات وتدلهم الأمور ، لماذا يقصرون أعمالهم في تسخير الجن على الآعيب تافهة ولا يوسعون اختصاصهم ليساعدوا على علاج ما ينتاب بلادنا من أمور جسام ؟ إننا نسمعهم يتبجحون بقدرة شياطينهم على خرق العادات ، وقوتهم على امتلاك أعتى النواصي !! فما بالهم يسكتون عن خصومنا من رجال الاستعمار ؟ لماذا لا يسلطون سحرهم على قلوب الظلمة فيزيلوها ، ويرسلون شياطينهم على الفجرة منهم فيؤذوها ؟ لماذا لا يجندون عفاريتهم وأبالستهم ليدفعوا جيوش الغاصبين عن أي بلد إسلامي مغلوب ؟ ولماذا لا يرسلون عبر السحاب ليقاتلوا الطيارات النفاثة والقاذفات الفتاكة ، ويأمرونهم فيخوضوا قيعان البحار والمحيطات ليطاردوا آلات الدمار تحت الماء ، ويبثوا معاني الهلع في قلوب المعادين والغاصبين، وإذا كان دجاجلتنا لا يريدون أن يتعبوا عفاريتهم كثيراً في الدفاع دوننا فلا أقل

---

(١) هي بلقيس بنت شرح بن ذي جدن ، ملكة سبأ ، كانت ذات عقل راجح ورأي صائب ، تركت أثراً حميداً في الحضارة والعمران من أشهر أعمالها ترميمها لسد مأرب وصرحها الذي ذكر في القرآن الكريم ، وخبرها مع سليمان الحكيم عليه السلام ، أشهر من أن يذكر ، انظر : عمر رضا كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م ، ١/ ١٤٢- ١٤٨ .

(٢) يشير هنا إلى سورة النمل آية (٣٩ ، ٤٠)

من أن يسخروهم في بناء الآلات التي تستطيع أن تقابل بها أعداءنا أو يندبوا بعضهم على الأقل ليختلطوا بعلماء الذرة فيسرقوا منهم أسرارها وينقلوها لننتفع بها وبذلك يعوضوننا بعض ما أفقدونا من حيويتنا "[1].

ومن الخرافات التي نقدها قول العامة بأن عين زبيدة تتبع من بغداد، يقول على لسان أحدهم ساخراً منه، حينما جاءه ليحدثه بما روته له أمه عن تلك العين: ((وأن مصدرها دجلة أو الفرات، هكذا بإختلاف في الروايات كما تقول أمه، وأنها جاءت إلى مكة عن طريق قنوات أحكم وضعها بالمردة والعفاريت بناءً على طلب السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد...)) ثم قال معلقاً: ((أرأيت في حياتك خرافة تختلط بالتاريخ، فتعمل على تشويهه، كما فعلت خرافة السيدة والدة هذا. لا يعلم إلا الله كم سنظل متأخرين مادامت بعض الأمهات عندنا جاهلات إلى هذا الحد ــ : أجب أخاك))[2] ومن ذلك الحجب التي تعمل لإنجاب الذرية يقول : " خطب أحد الوعاظ المسلمين في باريس يدعو إلى تعاليم الإسلام ، فوقفت إحدى المستمعات ترجوه أن يكتب لها حجاباً يعينها على إنجاب الذرية أسوة بما يفعله المسلمون في مثل هذه المناسبات فقال : (يا سيدتي إن عمل المسلمين لا يكون حجة على الإسلام في جميع الأوقات . كما أن أعمال اليهود والنصارى ليست حجة على تعاليم ما أنزل إليهم) ثم قال : (وإن في موضوعك يا سيدتي ما أشار إليه القرآن في صراحة لا تحمل اللبس فقال تعالى : { يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أويزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً }[3] فلا محل إذن للحجب التي يصطنعها بعضهم لينجب الذرية إذا كان قد سبق في علم الله أنه سوف لا ينجب، وليس في هذا ما يمنع من مباشرة الأسباب، لأن الأسباب المشروعة لا يطعن فيها الإسلام ولا يمنعها بل يوصي بها ويلزم، ولكنه يمانع بل ويحارب جميع الأسباب غير المشروعة مما لا يقره عقل أو دليل محسوس ولو سايرنا ديننا فتجنبنا جميع الترهات مما لا يقره عقل لوفرنا للمسلمين أوقاتاً طويلة بددناها في مئات مضت من السنين سعياً وراء أباطيل لا حقيقة لها "[4] .

ومن ذلك أيضاً الإيمان بأن لبعض الأيام والأزمنة خواصاً وتأثيراً يقول : "أبو عابد .. مخلوق على الفطرة ما لمست الحياة ذهنه إلا من الناحية التي فيها أمه ، وأمه من الطراز القديم الذي عرفت الأشياء وخواصها والأيام والشهور وتأثيراتها . فهي تعرف السبت وحلاقة

---

(١) دعونا نمش ، ص ٥٨ – ٦٦

(٢) صوت الحجاز ع (١٢٧) ١٣٥٣/٦/٢٢هـ ص :٢

(٣) سورة : (الشورى ، آية ، (٤٩ – ٥٠)

(٤) دعونا نمش ، ص (٥٧ – ٥٨)

الرأس فيه تؤدي إلى الإعدام، والاثنين والغسيل فيه فقد للبنين ، وجماد والزواج فيه جمود للحال ، ولا أدري كيف تعرف كل هذا ولا تعرف أربع ركعات الصبح أفرض كلها أم سنة وفرض، هذه أم (أبي عابد) في أحضانها نشأ أبو عابد ومن لبان علومها تغذى ، فشب ولا أريد أن أصفه بعد أن قلت لك أن الحياة ما لمست ذهنه إلا من ناحية أمه هذه "[1] .

ومن ذلك الخرز والتمائم التي تعمل للأطفال بدعوى دفع الحسد والجان عنهم يقول :

" ترى ما يقول مثلك لو رأى ما يطوق إحدى ساقي طفله أو ساعد يده بحديدة الحرز أو أسورة من نحاس ، ويقول لو شهد الأطفال في كثير من بلاد العالم تنذر لها النذور حفظاً من الشياطين ويناط بها الخرز وما في معنى الخرز من تمائم تضليلاً للجان وحرزاً منها "[2] .

ومن ذلك **نقده قصص البعبع وهول الليل** والدجيرة التي تحكى للأطفال بهدف إسكاتهم لينصاعوا لأمر والديهم ، منبهاً هنا على دور الأم السلبي في بث مثل هذه الأفكار المريضة في عقول أبنائها رابطاً ذلك بجهلها مبرزاً دور التعليم في اجتثاث تلك الأفكار من عقل المرأة يقول : " لم تقتصر أمي على صيانتي من الحر والبرد وحيازتي بعيداً عن مناطق الظلام المجهولة ؛ بل تفضلت المسكينة فغذت خيالي بمئات القصص التي تمثل البعبع وهول الليل والدجيرة في أساليب أخاذة وصور مثيرة تركت أثرها في نفسي، فإذا رأيتني اليوم أتخيل البعبع وراء كل خطوة لم أتعودها، وأخشى أن يفاجئني الهول مختبئاً خلف كل فكرة أرتادها في شؤون حياتي، ورأيتني أتصور الدجيرة آلاف الصور كلما غشتني غاشية من صعاب الأمور ومدلهماتها ؛ وبالجملة إذا رأيتني اليوم أتردد في المواطن التي يعوزها الإقدام ، وينتابني الوجل في كل خطوة أخطوها إلى مالا أعرف ، وإذا رأيتني لا أطمئن إلى ما أطمأنت إليه أمي قبلي فثق أنني لا أستحق لومك لأن حياتي لا تزيد في نظر الفلسفة الصحيحة عن كونها امتداداً طبيعياً لحياة أمي !! فهل يرضينا اليوم ونحن على أبواب نهضة جديدة أن ننشئ أبناءنا مثل هذه النشأة العقيمة ؟ إننا إذاً لغافلون "[3]

ولهذا يرى السباعي أن الطفل مظلوم في هذا من أمه إذ إنها المصدر الأول الذي تلقى عنه كل تلك الخرافات ، يقول : تحت عنوان (العائلة مدرسة الطفل الأولى)[4] " على الأم أن تعلم أن هناك ناحية تعنيها وحدها وهي أهم من كل تلك النواحي ، تلك هي الخرافات التي توحيها الأمهات الجاهلات إلى أطفالهن في سن البكورة وعندما تكون ذهنية الطفل قابلة لأن تنطبع فيها

---

(١) انظر مقاله (أم أبي عابد) صوت الحجاز : ع ١٢٢ ، ١٦/ ٥/ ١٣٥٣هـ ، ص١١ (بتصرف)

(٢) انظر مقاله (أم جميل) ، صوت الحجاز ، ع ٢٤٨ ، ٣/ ١/ ١٣٥٦هـ ، ص ١-٤

(٣) دعونا نمش ، ص٨ – ٩

(٤) صوت الحجاز ، ع٢٨ ، ١٦ / ٦ / ١٣٥١هـ ، ص ٧

انظر مقالة (الطفل مظلوم فهل ننصفه) ، صوت الحجاز ، ع ٦٩ ، ١٦/ ٤/ ١٣٥٢، ص٢

كل صورة ، لذلك عليها أن لا تسترسل في الاوهام ، فتنهاه عن الجلوس (على المكنسة) لأنها (مجلبة التهم) وعن النظر في المرآة ليلاً لأنه (يورث العمى) فتجد الأوهام إلى قلبه سبيلاً وعليها أن لا تحدثه عن (العفاريت) ، والدجيرة ، وهول الليل ، وترهبه (بالبعبع) و (الهمي) وما إلى ذلك توصلاً لإسكاته أو أنصياعه. فيجب أن تعلم أنها من جراء ذلك تؤصل فيه عقائد قد لا يستطيع النزول عنها . وإذا استطاع فبعد شقاء كبير، والطفل الذي يخاف الأشباح والأوهام يخافها لأنها في اعتقاده قوة أكبر منه، ثم إذا نشأ واستطاع في عناء أن يزيل من نفسه هذه الاعتقادات ستبقى مكانها آثار لا يقوى على إزالتها، تجعله يخاف كلما يتوهم فيه القوة ويستشعر من نفسه الضعف في منازلته . فهل تضحي الأم بمستقبل طفلها مقابل توصلها إلى سكوته وانصياعه ؟ وهل لا يكلف الوالد نفسه عناء تربية أبنه ليكون خير خلف ؟ "

وما ذكره الكاتب يُعد حقيقة تؤكدها الأبحاث العلمية : " إن العقلية الخرافية لا تختفي بمجرد الانتقال من بيئة حضارية متخلفة إلى بيئة حضارية متقدمة ولا تختفي بمجرد الحصول على شهادة جامعية ، وإنما هي جزء أساسي من التركيب الذهني والنفسي للفرد ، ولذلك يلزم الاهتمام بتربية الأطفال تربية علمية منذ الصغر "[1] .

كما نقد تقديس بعض الأفراد لاعتقاد أمر ما فيهم ، كسعة العلم أو الفقه في أمور الشريعة والذي كان شائعاً لدى بعض العامة في بعض المناطق معرضاً بمحنة الغرور التي قد يقع فيها البعض ومن هذا ما أورده في شكل حكاية يقول : " حدثني الأستاذ عبد الله خوجه[2] فيما حدثني من قصصه المضحكة الرائعة التي لا أعرف مصدر روايتها فقال : ذكروا أن قروياً أتم دراسته في المدينة وتسلم الشهادة التي عاش يتمنى الحصول عليها فبيت العزم على ترك المدينة لينشر علمه بين مواطنيه، ولكن أستاذه كان لا يرى التعجيل بالعودة حتى يستكمل فهم الحياة ودراستها إلى جانب ما تحصل له من علوم الكتب، ولم يقتنع القروي برأي أستاذه وأستهجن بأن يعترف بحاجته إلى جديد بعد أن أضحى العالم الفهامة . فشد رحاله إلى قريته في غفلة من أستاذه فلما كان في بعض الطريق أدركه وقت صلاة الجمعة فدخل إحدى القرى ليؤديها في مسجدها، فاستمع في المسجد إلى الخطيب يلحن في قواعد اللغة ولا يحسن قراءة الآيات فثارت ثائرته واهتاج غضبه ووقف في حماس يغلظ القول للخطيب ويعلن جهله بين المصلين في فظاظة قاسية ، وترك الخطيب له مجال القول حتى أخذ منه الإرهاق مآخذه وشرع الضعف ينتاب صوته ، وعندئذ استطاع الخطيب أن يتوجه إلى المصلين في تؤدة الرجل المدرب ليؤكد لهم أن هذه الثورة من أخلاق الكفار الذين يهاجمون الإسلام في أشخاص

---

(١) الدكتور . عبد الرحمن عيسوي ، سيكلوجية الخرافة، مرجع سابق، ص ٢٨

(٢) لم أجد له ترجمة

علمائهم وخطباء مساجدهم وأن عليهم أن يتقربوا إلى الله بضرب هذا الرجل ، وإبعاده عن المسجد، فهاج المصلون غاضبون لدينهم منتصرين لشيخهم ولم يتركوا علامتنا الفهامة حتى أثخنوه جراحاً وأوجعوه ضرباً ثم سحبوه إلى خارج المسجد في أشنع صورة يمكن وصفها . وعندما أفاق مما غشيه واستطاع أن يتحامل على نفسه ندم على تهوره وتمنى لو كانت له حنكة خطيب المسجد ودربته على اكتساب المواقف ، وعندئذ أدرك أن علمه الواسع لا يصلح أن يكون كل شيء في مواقف الحرج، وذكر نصيحة أستاذه في المدينة فأسف على غفلته عن دراسة الحياة كما أوصاه فعول على أن يستأنف العودة إلى أستاذه القدير، علّه يستطيع أن ينتفع من مواهبه في فن الحياة، وقضى عاماً في المدينة لا شغل له إلا أن يدرس الحياة كما يشرحها أستاذه حتى إذا استوفى نصيبه من ذلك، وأذن له أستاذه بالرحيل غادر المدينة في طريقه الذي عاد منه، وتفتق ذهنه عن حيلة يتنكر فيها بغير الزي الذي عرفه به أهل القرية ، الذين تنكروا لنقده قبل اليوم ، ليصادفهم في يوم جمعة ويستطيع أن يواجه خطيبهم بغير الأسلوب الذي واجهه به من قبل، وبذلك أنضم إلى جمهور المصلين في المسجد ، حتى إذا فرغ الشيخ من خطبته وقف في مكانه بعيداً عن المنبر يعلن سروره بهذا التوفيق الذي تجلى في خطبة الشيخ ويبشر الجمهور بأنه أغفى إغفاءة قصيرة أثناء الخطبة رأى فيها أحد الملائكة يشير إلى الخطيب؛ ويؤكد أنه من أهل الجنة، وأن من ملك شعرة واحدة من جسمه كانت كافية لحاملها أن يجوز بها إلى الجنة !! ثم بكى ورجا الشيخ أن يمنحه شعرة واحدة من لحيته يجوز بها إلى الجنة فلم يبخل الشيخ وقطع شعرة من لحيته وسلمها إليه ممنوناً، فتسارع المصلون إلى الشيخ كل يرجو لنفسه شعرة ، فاستطاع الشيخ أن يقطع شعرة بعد أخرى ليهديها إلى الطالبين؛ ولكنه لم يستطع أن يستمر في قطع الشعر ، فبدأ يعتذر إليهم إلا أن طلاب الجنة لا يرضيهم الاعتذار فتكالبوا عليه وهجموا على لحيته ينتفون شعرها بين أنين الشيخ وصرخاته ولم يتركوه حتى استحالت لحيته إلى لحمة حمراء تنزف الدماء، وحمل الشيخ إلى بيته في حال يبعث على الرثاء ولكن المصلين لم يظفروا جميعهم بأمنيتهم من شعره ، فلحقوا به إلى بيته يرجون أهله شعرة من ساقه أو إبطه أو مما تيسر من جسده وتسامع السكان في القرية من غير المصلين ، فأصبح بيته محجة طالبي الشعر (جوازات الجنة)، وأمسى جسمه عرضة للضعف والمرض ، واستطاع بطلنا أن يغتنم فرصة مرض الشيخ فيجتمع برواد المسجد وفيهم من طلبة الشيخ عدد كبير، وشرع يقرأ لهم ويعلم بعضهم قواعد اللغة العربية حتى استقامت لغتهم ثم ما لبث أن تطرق إلى بعض الكلمات التي كان شيخ المسجد ينطقها ملحونة كان يستعرضها في هدوء الباحث ، ويحاورهم ليناقشوا على ضوء ما تعلموا مواقع الصواب والخطأ فيها ، حتى إذا استبان لهم مبلغ جهل الشيخ ، تركهم يستجرون دهشتهم في أفواه فاغرة وعيون زائغة ، وشاعت أخبار جهل الشيخ في القرية ، فلم يتماثل إلى الشفاء من

مرضه حتى كان قد فقد ثقة القرية في علمه ، وتجرد أمام أهلها من ألوان الزور التي كان يتجمل بها)) . ثم يعلق الكاتب على هذه القصة بقوله: ((إنها قصة لا أعتقد أنها تعدو الواقع في شيء ولكن معانيها تمثل جزءاً له قيمة بين وقائع الحياة !! وأروع ما يعجبني في القصة محنة الغرور التي يبلى بها كل ناشئ أكمل دراسته، وشرع يضع خطوته الأولى في مدرسة الحياة. إنه لا يستطيع أن يتخيل أن علومه في الكتب لا تعني كل الحياة التي يعيشها، وأنه ليس فيها ما يهيء لملاقاة جميع أحداثها... حتى يضيف إليها دروساً جديدة يستخلصها من واقع الحياة، ولقد بلينا في فتوتنا بمثل هذا الغرور فتعرضت مقدراتنا لأحداث كنا في غنى عن لأوائها لو جانبنا كبرياءنا على الحياة واعترفنا بحاجتنا إلى دروسها "[1] .

وبالرغم من أن القصة التي أوردها قد طالت ونحن بنقلنا لها كاملة لم نهدف إلى الإطالة ولكن بدا لنا أن تلخيصها سيخل بها لا من حيث المضمون ؛ وإنما من حيث أسلوبها حيث تبين لنا من خلالها قدرة الكاتب على هذه الصياغة القصصية البارعة من جهة ؛ وعلى أسلوب لتشويق الممزوج بسخرية راقية من جهة ثانية . . . كما نلحظ أن هذه الحكاية التي أوردها الكاتب تشبه في أسلوبها أسلوب المقامة من حيث إسناد الخبر في الحكاية إلى راوٍ ما... كذلك في مضمونها من حيث استخدام بطل الحكاية للحيلة والمكر والدهاء ، لتحقيق هدفه الذي يسعى إليه[2] .

ب- نقد تربية الأبناء :-

من حيث الإفراط والتفريط في تدليلهم أو في معاقبتهم . فبين ما يترتب على مثل هذا السلوك الخاطئ من آثار سلبية ، تنطبع بها شخصية الطفل ، في مستقبل أيامه حتى ليصعب عندئذ علاجها .

يقول تحت عنوان : (عندما تدوس أمه على رجولته المبكرة)[3]

" .. إننا نعاني أمراضاً مزمنة ، تأصلت أدواؤها في أعماقنا من ألف سنة ، فليس من اليسير السهل أن نتخلص من كل أدوائنا طفرة واحدة ... لنبدأ ببيوتنا ، فبين جدراننا تدرج فلذات أكبادنا ، في مدارج لا تهيئهم للآمال التي نعقدها على رؤوسهم : (يا حبوبتي ، يا بنتي تعالي هنا يا قمر ١٤ ، يا بنتي ! ؟) أتدرون ما بنتها هذه ؟ ؟ لعلكم تحسبونها فتاة رقت أعطافها ، ودقت أطرافها ، ودار القمر في وجهها الفاتن ، لو كان الأمر كذلك لهان الخطب ، ولكن

---

(١) يوميات مجنون ، ص (١٤٣- ١٤٨) ، فقرة ٤٩ .

(٢) حول هذه التقنيات الفنية في المقامة انظر د. يوسف نور عوض: فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ط (٢) ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م ص ١٢ـ١٤ ، ٥٩ ـ ٧٤

(٣) دعونا نمش ، ٥

حبوبتها هذه هي ولدها ، ولدها الذكر بكل ما في الذكورة من جفاف ، إنها تريد أن تدللـــــه ، فلا يكفي أن تسميه حبيبتها ، بل تأبى إلا أن تؤنثه (حبوبتي) . . هذه خســـارة لا تعوضـــها الأمة في فتاها الحبوب أو الحبوبة .. داست أمه من حيث لا تشعر على رجولته المبكـــرة ... فإذا استوى مائعاً ، سائل الأعطاف ، ضعيفاً عن مواجهة الحياة فلا تثريب عليه ... وليس فـــي الأمم الناهضة أم تدلل ابنها بمثل هذه المعاني المائعة ، لأنهم يتحاشون الإساءة إلى رجولتـــه ، ويأبون إلا أن يحاولوا بناء أطفالهم بأساليب فيها من مظاهر القوة والبأس أكثر مما فيـــها مـــن معان أخرى ... " وهكذا يسترسل فيستقصي صوراً سلبية أخرى من صـــور التدليـــل للأبنـــاء كتقديم عدد من النصائح للطفل تتمثل في تربيتة على عدم مواجهة المخـــاطر والمصـــاعب ، فينشأ الطفل عليلاً ويشب خاملاً ويدرج على: " الأوهام التي تتسع آفاقها للعفـــاريت والأشـــباح ...فإذا رأيتني اليوم رتيباً أميل إلى الدعة ، وأخلد إلى السكون... لا أجرؤ على الحركـــة... ولا يتسع ذهني لغير ما ألفت... ورأيت غيري من الناهضين في الحياة يتكلف الصعاب ، في ســـن ضاحك ، ويجوب الآفاق إلى ما وراء المجاهل ... يقحم حياته في أشـــد الزوايـــا ظلامـــاً إذا رأيتني كما أسلفت ففتش عما تحت أثوابي إنك ستجد أمي ، وستسمع صوتها يهيب بـــي : (.. صمد رأسك من البرد ، زر صدرك من الهوا ..) وإذا رأيت صاحبي الناهض فيما رأيـــت ، فتطلع خلفه لترى أمه ، و تسمع صوتها ... "[1]

وكما أن الإفراط في تدليل الطفل مضر ، فالأسوأ منه الإفراط في العقاب :

" إن تساهل الوالدين فيما يجب بالنسبة لابنهما كالشدة العاتية في معاملتـــه . كلاهمـــا مدعـــاة لسوء التربية وفسادها , وهناك حد وسط يجب أن يقف الوالدان على كثب منه ليحزمـــا أمـــور الصبي فلا يحرمانه في غلظة وقسوة ، ولا يجاريان رغباته في خـــور وضعـــف ، لأن قـــوة الوالدين تطبعه على احترام الطغيان والطغيان وحده ، وبذلك نعده إعداد مـــهنياً ، ونعلمـــه ألا يسلس إلا لمن يركب عنقه بالعصا ، وبذلك نفقد فيه غداً كرامته واستقلاله الذاتي وإن مجـــاراة الوالدين لرغبات الطفل في خور وضعف تدربه على العناد ، وتعلمه الإصرار على ما يعتقـــد ويرى ، لا يثنيه إقناع وبذلك ... نهيئه ليكون وبالاً على نفسه وأمته ، فالأمم لا تمتحن بشـــيء كما تمتحن بالعنيدين من رجالها ، والمستبدين بآرائهم .. . والوالدان بعد هـــذا يســـتطيعان أن يمنحا أمتهما رجالاً ، لهم قيمتهم في المروءة والنبـــل والســـمو الإنســـاني ... كمـــا إن فـــي استطاعتهما أن يزودوا أمتهم بالمتمردين والطغاة والمجرمين إذا اشتطا فيمـــا يعـــاملان بـــهما

---

(١) المصدر السابق : ٧- ٨ .

أبنائهما . . . هذه حقائق أقرتها أحدث النظريات في التربية فهل نعقلها اليوم ونحن على أبواب نهضة جديدة ؟ "[١] .

ونجده يلاحق هذه الظاهرة في مقالات أخرى ، وبأساليب متعددة[٢] .

والسباعي في كل هذا الطرح يصدر عن تجارب شخصية ، فهو حديث المجرب[٣] كما إنه بهذا الطرح يذكرنا بما كان يطرحه كبار الكتاب العرب على وجه الخصوص في مصر حول هذه القضية التربوية . كالرافعي مثلاً[٤] .

جـ – نقد بعض سلوكيات البيع والشراء

كبيع المأكولات في الأسواق مكشوفة مما يجعلها عرضة للذباب والغبار فتصبح مصدراً للأمراض والعلل يقول : " إن الأمم التي قضت على الذياب لا تبيح رغم ما فعلت للمأكولات المعروضة في الأسواق أن تعرض مكشوفة أخذاً بالاحتياط فما بالنا نحن نترك الجزارين والتمارين وأمثالهم يعرضون بضائعهم مكشوفة دون خوف أو مبالاة "[٥] .

وعرض بطريقة البيع في محلاتنا من خلال مناظر الفوضى وعدم تنسيقها والاهتمام بنظافتها يقول : " لا تزال محال الأكل عندنا يندى الجبين خجلاً عند رؤيتها ولا تزال المشارب العامة والمقاهي لا تصلح لاستقبال زبون محترم ... دعونا يا قوم نمشي في خطى ثابتة شاملة تستغرق كل مرافقنا من محالنا العامة وبيوتنا الخاصة إلى مؤسساتنا... لنثبت للحياة أننا جديرون بها وأن أهليتنا للنهوض والتقدم لا تقل عن أهلية غيرنا من الأمم التي تعاصرنا وإذا كانت حكومتنا قد بدأت تنفق الكثير في سبيل تهيئة شوارعنا وشتى مظاهر بلادنا لما يليق أن نبدو به أمام الصديق والعدو على السواء، فما يمنعنا أن نساير هذه الحركة ونتضامن وإياها على إبراز شوارعنا وما يبدو من ظواهرنا في أوضاع لائقة وصور مشرفة؟ أرأيتم بعض باعتنا وكثير من أصحاب الحوانيت بيننا يبرزون ببضائعهم إلى مسافات تمتد بعيداً عن حوانيتهم فيتخذوا من مساحة الشوارع وأرصفتها حوانيت جديدة يضيفونها إلى حوانيتهم ؟ إنهم بهذا يعصون قواعد الحضارة ولا يبالون بتجميل بلادهم ومساعدتها على الظهور في المظهر اللائق المشرف ... الوفي المستيقظ ، في أمة يهيء نفسه للتضحية في

---

(١) دعونا نمشِ ، ١١– ١٣

(٢) انظر مثلاً : مقالته التي بعنوان : (علينا أن ننشئهم على الاعتدال) ، قال وقلت : ١/ ٣٥– ٣٦

(٣) انظر ما كان يعانيه في تربيته بين الإفراط والتفريط ، أيامي ، ص ١١٥ ، النقطة الخامسة

(٤) انظر على سبيل المثال مقالته (الطفولتان) ، وحي القلم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ١ ٧٠– ٧٧

(٥) سباعيات ، ١/ ٤٨ – ٥٠

سبيل التجميل العام ويعلمها كيف تضغط على مصالحها الخاصة لتمنح بلادها فرصة تليق بما تتمناه لها من سمعة طيبة "[1]

وعرّض بطريقة بعض الباعة في المساومة والبيع القائمة على الغش والخداع والأيمان الكاذبة بقوله : " لا يجب أن ننسى طريقتنا في المساومة والبيع فهي لا تزال تأخذ أشكالها العتيقة التي بليت ببلى الأجيال. لا يزال الزبون الحاج يساومنا فيما نبيع ثم يشتري منا بأقل من نصف الثمن الذي عرضناه وتلك أساليب أصبحت تزعزع الثقة بين التاجر والزبون وأصبحت قواعدها تتنافى مع الاحترام والكرامة ، إن تحديد التاجر أسعار بضاعته، في محيط دكانه أصبح اليوم ضرورة لازمة لاحترام التاجر واحترام أسعاره ، ... إن الحاج المحترم لا يسيئه في بلادنا شيء كماتسيئه هذه الأساليب العتيقة التي يزاولها باعتنا وتجارنا، فما يمنعنا من أن نشرف بلادنا في نظره وأن نصطنع الأساليب التي تعلمه احترامنا، ما يمنعنا من أن نتعلم الوضوح في جميع معاملاتنا التجارية في ذات بيننا أو مع الوافدين من ضيوف أو حجاج ، وأن نصون كرامتنا ونكبر بها على الغش؛ إذا كان فينا من يعرف غش البضاعة أو يستمرئ الخداع، وأن نرتفع على اقتناص الزبون بالأيمان المحرجة مهما كان لونها من الصدق... سيهزأ بنا الآن قوم ألفوا أساليبهم العتيقة وسوف لا نبالي بما يهزأون فهلموا بنا ودعونا نمشي !! .."[2]

ومن هذا المنطلق نقد أساليبنا في المناقصات[3]

د- نقد سلوكيات المناسبات :

عرض المؤلف لبعض سلوكياتنا في المناسبات فرحاً وترحاً كمناسبات الزواج واستقبال الأعياد والضيوف ومناسبات المآتم فعرّض بمظاهر الإسراف والتكلف فيها أكلاً وشرباً ولبساً وغير ذلك وعدها دليلاً على البدائية في التفكير عند الرجل والمرأة وهو في عرضه لتلك المظاهر السلبية يقدم في المقابل صوراً مناقضة لها مستمدة من المجتمعات الراقية تبين وتوضح تعامل أفرادها مع تلك المناسبات يقول : " لا تزال سمات البدائية تلوح واضحة على كثير من مظاهر حياتنا الاجتماعية، إن الرجل البدائي يتكلف لحياته أكثر مما يتكلف الرجل الراقي، فالألوان الزاهية والأردية الموشاة بالمطرز والمقصب، والأثواب المحلاة الفضفاضة والمجلس المكتظ بقطع الأثاث الفخمة كل هذه ميزات الرجل البدائي الذي يتكلف لمظهره مالا يتكلف رجل اليوم، فهو يتعشق البساطة بكل ما فيها من رشاقة وظرف ، فإذا ادعينا إن بيننا

---

(١) دعونا نمش ، ص ٣٤ – ٣٥

(٢) دعونا نمش ، ص (٣٥ – ٣٦)

(٣) سباعيات ، ١ / ١٨٥ – ١٨٧

اليوم من يعيش عيش البدائي فإن دعوانا لا يعوزها التماس الأدلة في أقرب المظان لأن طابع التكلف الذي يسود أكثر مقدراتنا في الحياة يكاد ينطق بما يؤيد ذلك ويثبته، نحن لا نستطيع إلى اليوم أن نحيي ضيفاً أو نكرمه إلا إذا وضعنا السكين في عنق خروف أو أكثر، وتركنا مدخل دارنا الضيق يستعر بالحطب الملتهب تحت القدور المنصوبة ... وتضيق مائدتنا بالسمن والدسم في صورة لا تختلف عما كان يفعله أجدادنا يوم كانوا يعيشون في ظلال الخيام على حواف البادية . وهي خلال لا يعرفها الرجل الراقي ولا يقر أسلوبها بحال لا لأنه يجحد واجبات الضيف أو ينكر حقوقه على المضيف بل لأن الضيافة في أرقى درجاتها لا تعني هذه (العفاشة) بقدر ما تعني التعبير الرقيق في تقدير الضيف وإيناسه وإبداء شعور الولاء نحوه . ولا يعجز الراقي أن يعبر عن كل هذا بمائدة عائلية تجمع إلى بساطتها ألوان لذيذة فيها من الظرف والجمال أكثر مما فيها من البذل (العفش) أو أن يدعوه إلى حفله مختصرة في أول مطعم يصادفه . .))[1]

ثم يضيف قائلاً : " ولا يقل شأننا عن هذا في عموم ولا ئمنا واحتفالاتنا إن لم تزد عليه في مناسبات الأفراح أو مآتم الأتراح، فحفلات العرس عندنا مظهر صارخ من مظاهر البدائية يتجلى فيه تكلفنا؛ في صور لا يرضاها مجتمع شذب الرقي طباعه ، وهذب ذوقه وأعده لتفهم الجمال في صوره الرشيقة الجذابة، أي تكلف هذا الذي يزين لسيداتنا ارتداء الفساتين من ذات الأثمان الفاحشة ؟ أهو حب الظهور أمام لداتهن بمظهر الغنى الكامل ؟ أم فرحتهن بلمعته ؟ ؟ إن كان الأول فما أشد غرورهن فيما يظنين، لأن الفتيات في سائر الأوساط الراقية يضحكن من سذاجة محبات الظهور، وإن كان الثاني فلا آدل منه على البدائية والتأخر لأن البدائيين وحدهم هم الذين يستنسبون الألوان اللامعة ويتذوقون زخرفها المبهرج... فدعونا يا قوم نستشعر حقائقنا ،ونفهم الأمور على أوضاعها الصحيحة ، ونسمو بأذواقنا إلى الحد الذي سمت إليه أفكار العصر . . . فيمَ كل هذا التكلف والزيف ؟ . . . إنها البدائية في أثقل صورها وإنها السذاجة في أسمج أشكالها ، إن المجتمعات الراقية لا تحفل بهذا التكلف المصطنع ولا يرهق أفرادها أنفسهم بهذا الزيف المقيت .. "[2]

وأصبحت مظاهر الإسراف والتكلف هذه وأمثالها – في نظره – من أبرز العوائق التي تمنع الشباب عن الإقدام على الزواج يقول : " لا ينكر أحد أن أغلبية شبابنا الساحقة لا تجرؤ على البحث فيما يكمل عليها دينها ويضمن لها الشطر المتمم لسعادتها ذلك لأن السبيل إلى هذا الغاية محفوف بتقاليد لا نهاية لتكاليفها المرهقة ونفقاتها الطائلة . لا يكفي أن يعرف الشاب

---

(١) دعونا نمش ، ص (١٢٤ – ١٢٥)

(٢) دعونا نمش : ص (١٢٥ – ١٢٩)

طريقة إلى بيت مخطوبته ليقدم إليها ما نصحت به السنة ورضي به وضعه المالي في حدود لا ترهقه نصباً ولا تكلفه من أمره عسراً . إن مثل هذا السبيل لم يخلق بعد ليسلك الشباب فيه طريقاً ناعماً، يقضي بهم إلى استقرار سعيد، وعيشة هانئة فإذا أحجم الشباب عن سلوكه فالذنب في هذا ذنب الترهات التي تركتها تقاليدنا تنبت على حفافي الطريق كما تنبت الطفيليات في أحواض الزهور فتأخذ عليها نصيبها من النمو والازدهار، وتحيل أحواضها الجميلة إلى منابت للشوك والعوسج . إن الشاب بيننا لا يبلغ سن الزواج حتى تقحمه تقاليدنا في مآزق لا يدري كيف يضع قدمه فيها . . . إن من التكاليف المفروضة أو الفروض المتكلفة ما لا يقوى على احتمالها كاهل فوا رحمة للشاب الممتحن في عفافه وشبابه أمام اصرارها العنيد وفروضها القاسية . . .))[1] .

والأمر لا يقف عند ذلك الحد حيث يقول : " إن الشاب الذي زج بنفسه بين هذه المآزق من تقاليدنا المرهقة لا ينتهي نصبه بإنتهاء أيام الفرح، فثمة مراسيم تتسلسل بتسلسل المناسبات التي نجدها، هناك ما نسميه(السابع) وهو يوم مشهود لا يقل في عنته وتكاليفه عن عنت وتكاليف غيره من أعياد المناسبة، وهناك (البداية) التي يستعد فيها أهل العروس وأقرباؤهم بما يرهق جيوبهم ويستنزف أموالهم، ويستعد العريس بما يجمل عروسته في نظر أهلها، حتى لو اضطر إلى الاستدانة وسؤال الناس ، وتتوالى الأيام فتتوالى النكبات كلما تجددت مناسبة "[2]

ومما ذكره عن مظاهر العزاء والمأتم قوله : " حضرت في إحدى المرات مأتماً من المآتم التي نقيمها إحياء لذكرى الميت فاستغربت البذل السخي الذي رأيته بين موائد الطعام، رغم ما أعلمه من فقر الأيتام الذين تركهم الميت، فملت إلى إذن صديق لي كان يجاورني في المجلس استوضحه معاني ما أرى فتنهد عن حسرة مكتومة فقال : إن والدة الأطفال كلفتهم الاستدانة ليشيعوا والدهم بما يليق في نظرها، ثم كلفتهم فاستدانوا مرة أخرى ما يكفي لهذه المآدب التي تراها في وقت لا يعلم إلا الله مبلغ حاجة الأولاد إلى كل قرش من هذه المبالغ الباهظة يقيمون به أودهم ويشبعون بطونهم، أي مأساة هذه التي تتحكم في مقدراتنا وتوجهنا إلى أسوأ ما يتجه إليه الصم البكم العمي الذين لا يفقهون ؟ . لا مراء في أن الجهل المطبق مهما بلغ إساره لا يفضي إلى مثل ما أفضت إليه تقاليدنا الجائرة وعاداتنا المجنونة "[3] .

---

(١) دعونا نمش : ص (١٣٢ – ١٣٣)

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٧

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٠

ولذلك دعا إلى التخلص من تلك العادات والمظاهر السلبية وخص بـــالدعوة (المثقـف) الذي يستطيع أن يكون مثلاً في مجتمعه حينما لايبالي بمثل تلك التقاليد السلبية يقول : " فمـــن العيب أن نترك حياتنا الجديدة تتلاعب بها عواصف التقـاليد الموروثـة وتبيـح للترهـات أن تعصف بمادياتنا في وقت ارتفع فيه مستوى العيش، وأصبحنا نحتاج إلى كـل قـرش نربحـه لمستلزماتنا الضرورية، وإذا كان لأجدادنا عذر فيما مضى بما ران على بلادهم مـــن جـهل، وعذر بما اتسع أمام أوقاتهم من فراغ . . . فما هي أعذارنا بعد أن أنتشر التعليم فـــي آفـاق بلادنا وبدأت الافهام تتفتق لتفهم الحياة على حقائقها ؟ . . . لا يجب أن تحكمنا عادات كـــانت تحكم عجائزنا من غير المتعلمات، ولا تأسرنا تقاليد ابتكرتها أول ما ابتكرتها الخرافـــة التـــي كانت تعيش في ظلال وارفة من الغباء والجهل . وإلا فما هي ميزة نهضتنا الجديدة ؟ وما هـــي قيمة التعليم الذي سطع ضياؤه في آفاقنا من الحدود إلى الحدود ؟ ؟ ... إننا قد نعذر الجاهل إذا أسلس قياده لما ورث من تقاليد العجائز واحترام عاداتهم احترمه لشيء مقدس... ولكـــن مـــا عذر المثقف المطلع الذي يملك من طاقة التمييز ما يؤهله لفرز الحقائق ونقدهـــا ؟ مـــا عـــذر المثقف إذا شوهد وهو يحتفي بعادات بلغت ذروتها من السخف، فيبيح في بيته إنفاق الأمـــوال في مراسيم يأباها العقل، وتقاليد لا يقرها الدين، وبذلك يترك عنانه لسيدات جاهلات يعبثن بـــه ويصحن في وجهه صارخات : (وي بلاش هتايك شوف بيت فلان !! أيش سووا سوي زيـــهم مو تفضحنا بين الناس وتخلينا سيرة !!) إذا استطاع المثقف أن يمتاز بقوة العارضـــة وثبـــات الجنان، واستطاع أن يستعصي على التقليد الشائع ولا يبالي بالفضـــائح المزعومـــة فـــي رأي الجاهلات فقد أتيحت لبلادنا الخطوة الأولى نحو الحياة الصحيحة التي يحياها العالم الراقـــي... فتعالوا يا بني قومي إلى هذه الكلمة ودعونا نمش... "[1]

هـ – نقد سلوكيات بعض الموظفين :-

عند انتقال المجتمع من مرحلة إلى أخرى تبدأ تظهر بين بعض أفراده ســـلوكيات جديـــدة سلبية مناقضة لما عرف عنهم من مبادئ ومثل، وما سبب ذلك إلا محاولة أولئك النفر تحقيـــق مآربه غير المشروعة ولا يتم لهم ذلك إلا بالتنكر للمبادئ والمثل . . . ومـــا الموظـــف فـــي سلوكه إلا نموذج لأولئك النفر ، وهذا ما حاول أن يعبر عنه المؤلف بقوله : " ما أجمع النـــاس على امتداح شباب كما أجمعوا على امتداح الأخ (ج) كان معروفاً بالتواضع والأدب وكـــانت غيرته على الضعفاء من أصحاب الحقوق ونزاهته في معالجة قضاياهم لا تعدلـــهما غـــيرة أو نزاهة فيما عرف بين صفوف العاملين في مواكب الحياة .. بـــدأ الأخ (ج) عملـــه الجديـــد بالروح الطيبة التي تليق بما كان معروفاً عنه ، ولكنه ما كاد يفرغ من خطواته الأولى حتـــى

---

(١) دعونا نمش ، ص (١٣٨- ١٤٠)

بدأ الناس يتهامسون بالقصص التي أمسى الرجل ينكر فيها المبادئ وتناقلوا عنه أنه بات يشغل الكثير من وقته في التماس العطايا التي يدرها عليه استجداء الكبار، فالتمس له المحبون وهم كثر آلاف الأعذار ، وقالوا إنها لوثة الغنى، ولا بد مما ليس منه بد، وتتابعت خطواته التالية فتسامع الناس أنه انطلق يصفي المنسوبين والمحسوبين فيبرهم ويعينهم، فالتمس المحبون آلاف الأعذار وقالوا إنها لوثة من مستلزمات العظمة، ولا بد مما ليس منه بد، وانطلقت الخطوات بعدها فتسامع الناس أن غيرته انحبست إلا على الأذناب والمقربين، وأن نزاهته أنطفأت إلا في هوى جامح أو غرض واضح . فخجل المحبون وتركوا رؤوسهم تميل يمنة أو يسرة دون أن تجيب أو تفصح، وتداول الناس على أثر هذا سيرته بآلاف القصص التي تدلل على سيئات ما يقترف أما أنا .. أنا المجنون فلا أزال في مكاني أدرس الفكرة في مظانها الأساسية أكان مهذباً متواضعاً قبل أن يتكبر اليوم على أوضاع التهذيب ؟ أكان غيوراً نزيهاً قبل أن يتغير اليوم على أشراط النزاهة ؟ ؟ أكان عادلاً من أنصار الحق قبل أن يعدل اليوم عن مناصرة الحق ؟ أكان قوياً متين الأخلاق قبل أن يمتحنه المركز أم كان قصير الذيل ؟ أكان معدنه أصيلاً أم هو الزيف غشى سمعته بألوان من الطلاء قبل أن يتعرض الطلاء لاختبار الحك وأعمال التجارب؟؟ إنها دراسات تغمض على أمثالي من المجانين "[1] .

و - نقد سلوكيات بعض الأغنياء ومحدثي النعمة :-

المتمثلة في الطرق غير المشروعة لكسب المال أو في الإسراف والتبذل وهي تصور مرحلة من مراحل تطور المجتمع والصراع بين القديم والجديد داخله ، لا يقتصر ذلك على الماديات فقط إنما على بعض السلوكيات والمبادئ ومما قاله في ذلك: " لوثة الغنى حمى شاعت عدواها في صورة لم يسبق مثلها في جميع ما منيت به البلاد من أنواع العدوى، أيام الكوليراء والطاعون وعقد الركب أكاد ألمس الغنى يسيل في كل عطفة أدخلها أو بيت ألجه إذا استثنيت المتورعين أو قصار الهمم من الباعة والقائمين وعامة الناس من المحدودين القانعين . إنني أقتعد شباك نافذتي فأشهد السيارات من أحدث (الموديلات) ، وأعلى (الماركات) تدرج في أرتال تتلاحق كما يتلاحق النمل في خطوط لا نهاية لأبعادها فأسائل نفسي : أليس لهذا البطر نهاية ؟ رحم الله أبي يوم كان يعرف قدر الرجال من نظره إلى (حمار الربيطة) المشدود إلى مذود القصر ، أو منظر البغل في أردافه العريضة داخل الإسطبل، أما اليوم ففي كل عطفة أرتال في الربائط لا تدري كيف تميز بين أقدار أصحابها أو تتعرف إلى الفوارق بين مراكزهم من الجاه والغنى... حبذا الغنى الشائع بشرط ألا تتطور عداوه فينسى المحمومون ومسائله المشروعة ويتهافتون عليه دون أن يفرقوا بين الجائز والمكروه، كنت

---

(١) يوميات مجنون ، ص (٣٣- ٣٥) ، فقرة (٥)

أعرف صديقاً يتقاضى من عمله ما يكفيه أود بيته ثم رأيته يثري فجأة ويتألق ثراؤه في قصر يبنيه وسيارة يقتنيها وخدم يصطفون لإنتظار ما يأمر فسألت جاره فقال : إن دخله مما يعمل لا يسد حاجة الخدم فضلاً عن ألوان الترف الأخرى قلت : إذاً فالأمر مكشوف ولا آمن أن تتفتح العيون عليه قال : إنه قد أعد عدته لما يمكن أن يكون فهو لا يخشى منذ اليوم لأن في خزائنه الجديدة ما يغنيه إذا أدلهم الخطب .. وعرفت بعدها رجلاً كان يعلم أنه من المنسيين في العلاوات والترقيات ولكن عزة نفسه تأبى عليه أن يعترف بما ناله من النسيان، وكان طابعه الذي يتميزبه بين زملائه ترفعه عن الدنايا ... وظل على هذا إلى أن خطبته جهة معينة لعلها كانت ممنونة بما خطبت، ولعلها كانت تشعر بحاجتها إلى الكفء الرفيع عن دنايا الحياة وغبت عن صاحبي سنوات زرت بعدها الجهة التي أنتقل فيها عمله فعن لي السهر في بيته فما كدت أسلم عليه حتى راعني الجو السائد في قاعته وقضيت ساعتين أدركت فيها مبلغ الطيش الذي انتهى إليه صاحبي، ورأيت من مباذله المكشوفة في غير خجل ما تهون بجانبه جميع مباذل الطيش التي كان يعيبها على غيره قلت لزميل له يرافقه في العمل : شد ما أسأتم إلى الرجل في أخلاقه فقال : إنه بطر الغنى وإساءته قبل أن تكون إساءتنا . هذه ألوان شائعة في آفاقنا فإذا عز على المجنون مثلي أن يناقشها في فهم وأناة فهل يعز على جماعة العقلاء أمر نقاشها ؟ "[1]

ز- نقد سلوكيات بعض الشباب :

يعد الشباب عماد الأمة فهم رجال المستقبل . ومن هنا يأتي اهتمام المربين والمختصين بهذه الفئة . والأمم منذ القدم أولت هذه الفئة عناية خاصة .. وقد حرصت كل أمة على أن تربي شبابها على مبادئها ومثلها التي تتوافق ومنهجها في الحياة وتعكس خصوصيتها وحضارتها .

عليه فشباب الأمة العربية والإسلامية - وشباب مجتمعنا جزء منه - له مبادئه ومثله التي تتوافق وعقيدة أمته ومنهجها في الحياة ، وحينما تظهر في سلوكيات بعض شباب مجتمعنا ما يخالف تلك العقيدة والمبادئ. يأتي هنا دور المصلحين الاجتماعيين وعلى رأسهم الأدباء والكتاب ، للحديث عن تلك السلوكيات المخالفة ، وعن خطورتها ، وتحذير الشباب منها وتذكيرهم بمثل أمتهم ومبادئها ، وتقديم نماذج لما لكن عليه شباب تلك الأمة من سلوكيات فاضلة ، وأخلاق حميدة ، وأمجاد تثير في النفس الإعجاب والاعتزاز .

وهذا ما حدا بالسباعي للكتابة في هذا الموضوع ومن ذلك نقده لذلك التقليد الأعمى من قبل بعض الشباب في مجتمعه لكل ما هو غربي، وبخاصة فيما يتعلق بالأخلاق والسلوك ، مذكراً

---

(١) يوميات مجنون ، ص (٣٩ - ٤٢) ، فقره ٨ .

في الوقت نفسه أولئك الشباب بما كان يتصف به أجدادهم من أخلاق وسلوكيات ، ضارباً على ذلك عدداً من الأمثلة والنماذج مستشهداً بأبيات من الشعر يقول : تحت عنوان : (الرجولة بين مضارب البادية القديمة)[1] " تطربني قصص الرجولة ، وربما هزت أعطاف كل شاب تابع حوادثها المثيرة بين مضارب العرب ومنازلهم... إنها فكرة ستروقكم ، تروق شبابنا أحفاد أولئك الأشاوس ، حري بهم أن يستعيدوا ذكر الرجولة رجولة أجدادهم ليعرفوا إلى أي حد بلغت بهم هذه الشمائل التي كانت تتمثل في إبائهم، في نخوتهم، في مروءتهم، في صبرهم على المكاره، في مقاومتهم لأعتى الشدائد ابتداء من مضاربهم وخيامهم التي كانوا ينزلونها في أحضان الجبال أو معارج الوديان؛ إلى أن انطلقوا يركزون رايتهم فوق أعلى حصون الدنيا ويفرضون كلمتهم على أقوى دولتين كانتا تقتسمان العالم لا نريد أن نكون عظاميين نفخر بأحداث عفا عليها الزمان، أو عظام باتت نخرة، ولكنه درس يتعين علينا أن نتعرف على ضوئه نوع المكان الذي يجب أن نتبوأه لندلل على أهليتنا كورثة لأولئك الأشاوس الأبطال لقد غزتنا مدنية الغرب بنفايتها، حتى شاع الانحلال بين كثير من صفوفنا، ونسينا كثيراً من معاني النخوة والمروءة وقوة الكفاح، وهي من أهم شمائل الرجولة التي ازدهرت يوم كان أجدادنا يعتزون بحيويتهم ولا يحبون الخمول الذي يسودنا اليوم . . . لقد فتن الغرب بما هيأت له اختراعاته من ظفر فأضطربت بين يديه المقاييس وظل سبل الخير والجمال ، أصبح مبلغ فهمه في الحياة أن يعبث بما في الحياة من فضائل فانحلت أخلاقه واستباح لشهوته أكثر مما ينبغي ، واستطاع أن يغرينا بما يلمع من حضارته وما يتألق من كفاءته فأكبرنا مع كل أسف لمعته والقه فمظاهر القوة تغري كل ضعيف وتهيئه للإقتباس والتقليد وربما أنسته ضعفه وما يقاسيه من طغيان القوى، لا بل بيننا من يقلد حتى أوباشه في سفاسف الأمور، فالشاب الغاوي يترك سوالفه تطول وشعره يتنافر كقطن منبوش ، لماذا ؟ ليقال إنه خنفس . مسكين يا هذا، ألا تدري أن الخنفس الأصلي يعيش سبهللا، يحرم على نفسه الصابون والماء وينام عند أول رصيف مهما كانت قذارته، وربما صادفته في الطريق فأزكمت أنفك رائحته، تنبعث من ثيابه بشكل لا يطاق ، لم كل هذا لأنه فيلسوف يرى أن يعيش الحياة على طبيعتها دون أن يتكلف أي شيء . مسكين يا هذا ، إن ثوبك المصقول وبزتك المكلينة لا تتفق مع الشعر المنبوش . وهو أسلوب لا يقره أستاذك الخنفس ، أخشى ما يخشاه كل غيور أن تنسى أمة العرب ما مضى من أمجادها تحت تأثير التقليد الأعمى... أين رجولة العربي، أين حميته، أين شمائله التي كانت لا تخضع للهوان ولا تقبل الصغار؟ أين منا رجولة الرجل الجزل عمروابن

---

(١) أوراق مطوية ، ص (١٥٥- ١٦١)

كلثوم[1] الذي ثارت ثائرته لصوت أمه عندما شعرت بالذل وهي ضيفة عمرو بن هند[2] قالوا : إن أم ملك الحيرة تركتها تجلس في صفوف الخدم ونسيت إنها ضيفة ، وقالوا : إنها شعرت إنها أشارت إليها لتؤدي خدمة من نوع ما، وكأنها جهلت أنها أم عمرو بن كلثوم فلم تتمالك الأم أن صرخت غاضبة : يا لتغلب واذلاه . فوثب ابن كلثوم إلى سيفه وأسرع يستوضح أمرها فلما علمه، لم يتوان ولم يتردد حتى وضع السيف بين لحيي عمرو بن هند فقتله وفي هذا يقول ابن كلثوم :

بأي مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
فإن سيوفنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[3]

. . . فعودة يا شباب العرب إلى شمائل أجدادكم عودة إلى التقشف وإلى مواجهة الحياة في شجاعة الباسل وقوة الرياضي وصبر الكشاف . . . " واستمر في سرد عدد آخر من الأمثلة إلى أن قال :

" هي ذي بعض شمائل المعروفين بالرجولة بين خيام العرب ، تمرسوا عليها من نعومة أظفارهم ، فنشأوا على الرجولة ، فليت شبابنا وهو يتمرس على ألعاب الكره على الأقل يقدر أنها ليست لعبة ، وإزجاء للفراغ بقدر ما هي تمرين على الرجولة ، بأرقى معانيها ، وفي أسمى مجالاتها "

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن تغلب ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ، ولد في شمال الجزيرة ، ساد قومه وهو فتى ، عمر طويلاً ، له أربعة من الأبناء وله ديوان ، وأشهر شعره معلقته التي كانت في نحو ألف بيت كما يقال ، توفي نحو سنة (٤٠) قبل الهجرة ٥٨٤ م انظر :
ديوانه بتحقيق : أيمن ميدان ، منشورات النادي الأدبي الثقافي ، بجده ، سلسلة من كنوز التراث ، رقم (٢) كتاب النادي ، رقم (٨٠) ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢ م .
الاصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، ص .ص (١٧٣- ١٩٤) ، ١١/ ٥٤ – ٦٣ .
الزركلي ، الأعلام ، ٥/ ٨٤

(٢) هو عمرو بن المنذر اللخمي : ملك الحيرة في الجاهلية ، عرف بنسبته إلى أمه هند تمييزاً عن أخيه عمرو الأصغر ، كان شديد البأس كثير الفتك ، يلقب بالمحرق الثاني ، لإحراقه بعض بني تميم ، وهو صاحب صحيفة المتلمس ، قتله عمرو بن كلثوم الشاعر أنفة وغضباً لأمه ، نحو سنة ٤٥ قبل الهجرة ، ٥٧٨م ــ انظر :
الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، ٥/ ٨٦

(٣) الأبيات من معلقة عمرو بن كلثوم ، مع بعض الاختلاف ، انظر ديوانه ، مرجع سابق ، ص ص (٣٣٠ – ٣٤٩) .

ونشير هنا إلى أن هذه المقالة هي في الأصل محاضرة ، ألقاها الكاتب في أحد المنتديات ، وبطبيعة الحال يفترض أنها موجه إلى جمهور أغلبه من فئة الشباب ، والحال هذه فقد حاول الكاتب استثارة أولئك الحضور من الشباب ، من خلال تركيزه على العنصر النفسي للحاضرين ، ليشاركوه استحسان ما استحسنه وتقبيح ما استقبحه من أخلاق معتمداً في ذلك على بعض العبارات والجمل المؤكدة للايجابيات أو الساخرة من السلبيات ، وعلى الاستشهاد بالشعر لإثارة وجدان الحاضرين . . .

و كل ما تقدم لا يعني أن السباعي من أولئك الذين يريدون أن يصادروا كل جديد ، لمجرد جدته حتى في محيط الشباب ، إنما هو يعارض هنا كل جديد تثبت رداءته ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالسلوك ، ويتضح لنا هذا من خلال ما قاله تحت عنوان : (شبابنا الموضة)[1] يقول : " إنني لا أحبذ كل جديد أفتتن به الشباب وإنني أرى أنه يتعين علينا أن ندقق بين الجديد الذي خضع للتغيير والتبديل كما خضع أمثاله في سائر الأجيال قبله، وبين الرديء الذي نستطيع أن نحلل نوع رداءته وأريد أن أقول اليوم إنه مر بنا عهد كان ضعيف النظر لا يجرؤ على لبس النظارة لأنها شيء مقيت مائع في نظر القيم الاجتماعية يومها...وأذكر أني في أول عهدي بالشباب لبست الساعة في معصم يدي أول ما لبستها وكان وضعها جديداً علينا. فسخر مني شخص كان من أشد المحافظين على ما تعارف عليه الناس من قيم ، وراح يمسخني بكلمات تعافها الآذان إلى أن قال لي : وما ما يمنعك أن تلبسها في رجلك... قدمت كل هذا لأقول : ليست كل (موضة) ميوعة وليس كل جديد على القيم التي تعارف عليها جيل سابق يصح أن يستحق مقتنا أو ازدراءنا ... علينا أن نحقق ما نمقته فلا نخلط بين ما نكرهه لبعده عما تواضعنا وبين آخر نكرهه لعلة ثبتت رداءتها. إننا ونحن نفعل هذا نعلّم الشاب كيف يقدر تميزنا وسعة آفاق الفهم عندنا . كما نعلّمه كيف يحترم آراءنا ولا يستهين بها فيعصيها ويتمرد عليها ، علينا إذا أردنا التوجيه الصحيح أن نقتصد جهد الإمكان في أوامرنا فنقصرها على الرديء ولا نتعرض (لموضاتهم) ونتعصب ضدها لمجرد أنها (موضات) لا تقول بها قيمنا الاجتماعية في جيل سابق "

أما فيما يتعلق بحياة الشاب الخاصة وحريته في ذلك، فالسباعي يرى أن التوسط في معالجة مثل هذا الأمر هو العلاج الناجع ومن ذلك ما قاله تحت عنوان : (لا نطلق الحرية ولا نقيدها)[2] ، يقول : " قال صاحبي : ألا تستنكر معي أعمال من ينكر على أولاده الفتيان حريتهم ويأبى إلا أن يمارسوا حياتهم الخاصة تحت إشرافه. قلت : إذا كنت أنكر الكبت وقيد

---

(١) سباعيات ١/ ١٢٩- ١٣٤

(٢) قال وقلت / ١ / (١٣٥ - ١٣٦)

الحريات لما يترتب على ذلك من ردود الفعل التي تعطل حيوية الفتي وتفقده شخصيته ككـــائن له قيمته في الحياة فإني أنكر في الوقت نفسه إطلاق الحرية إطلاقا تاماً وأن يترك للفتى حبلـــه على غاربه، لا تحده مقاييس، ولا يقف دون هواه حاجز، ما أروع التوســط فــي مثــل هــذه الحالات فلا نكبت فتانا كبتاً يضيق على أنفاسه، ويطعن كرامته، ويضرب على طاقاته كإنســان حيوي، ولا نطلقه لهواه في كل ما يشتهي، ففي شهوات الشباب مزالق إلى أســوأ الدركــات ، وليس لسنه من تجارب الحياة ما يحول دون ترديه في المهاوي ... "

فشباب الغرب اليوم بما أتيح له تحت مسمى الحرية :- " شباب مراهق مجنـــون تســتيح حريته كل شيء إنه لا يكتفي اليوم بإرسال شعوره على الكتفين، ولا بتهاديه في ثياب أنثويـــة ولا بتخطيه كل حدود اللياقة والأدب في الشوارع والمجامع والمقاهي، بل تعــدى ذلــك إلــى العبث بكل محتشمة أو محتشم صادف طريقه، كما تعدى إلى الاخلال بأمن الناس في بيوتـــهم أو فتاجرهم أو مصارفهم، بدأ أمرهم كتقاليع مازحة كان التقدميون يضحكون لها ويعتمدونـــها بداوات للعبث اللاهي لا يجب أن تكبت حريتهم فيها. ولكن هذه الحرية ما لبثـــت أن تمــادت وتمادت حتى عبثت بكل مقومات الأخلاق واستهانت بكثير من ألوان الأجرام وبات المــهيمنون على أمن الدولة عاجزين عن رد عادياتهم " .

وهكذا نرى السباعي يعنف الشباب أحياناً ويلاطفهم حيناً ، بهدف التوجيه والتسديد ، ومـــا أشبهه في بعض القضايا التي عرض لها هنا بالمنفلوطي[1] الذي عرض في بعض مقالاته لفئــة من الشباب : " متبذلين في شهواتهم ، مستهترين في ميولهم وأهوائهم ... لا هم له في حياتـــه إلا أن يتجمل في ملبسه ويتكسر في مشيته ، ويرقق من صوته .. "[2] .

ح – نقد بعض سلوكيات السفر ونقد ظاهرة التسول :-

نقد الكاتب بعض سلوكيات السفر، ودعا إلى المحافظة على سمعة البلاد التي ننتمي إليـــها، فالمسافر (عاملاً أو سائحاً) يعد سفيراً لبلاده كيف والحال إذا كان من بلاد الحرميـــن ؟ لـــهذا حمل على سلوكيات نفر من المسافرين من أبناء هذه البلاد تسيء لسمعتها يقول : " ونضيـــف إلى بعض طبقاتنا من السوقة صغار الباعة والمرتزقة الذين لم يتهيأ وعيـــهم لفـــهم علاقتـــهم بكرامة بلادهم صنفاً أخر، لا يقل عنهم جهلاً بواجباته أولئك نفر تعودوا التنزه أو الاصطيـــاف

---

(١) هو مصطفى لطفي المنفلوطي نسبة إلى منفلوط ، من أقاليم أسيوط في صعيد مصر ، ولد عام ١٢٨٩هـــ ١٨٨٢م وتوفي عام ١٣٤٣هـــ / ١٩٢٤م . له عدد من المؤلفات العربية والمعربة كالنظرات والعبرات وغيرها ، كان له دور بارز في نهضة النثر العربي الحديث كما أن له شعر جيد .. انظر ترجمة حياته في : الزركلي ، الأعلام ، ٧ / ٢٣٩- ٢٤٠ ، كامل محمد عويضة : مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١٤١٣١هـــ ، ١٩٩٣م ، ص ص (١١ – ٧٥)

(٢) النظرات دار الشروق العربي ، بيروت ، (د. ت) ، مقالة (الآداب العامة) ، ٣/ (١٣٦ – ١٤٢)

أو السياحة في آفاق الأرض، وساعدتهم إمكانياتهم الخاصة على التبذل في النفقة، فنسوا علاقتهم ببلادهم ونسوا أن لبلادهم مركزاً دينياً خاصاً لو تضافرنا على صيانته ، واتفقنا على الحرص على كرامته في جميع البلاد التي نغشاها؛ لهيأنا له مركزاً ممتازاً في نظر المسلمين والأجانب واستطعنا أن نحتل بين فئات الشعوب التي تتجه في صلاتها نحو بلادنا مقاماً له حرمته وله قداسته التي لا تضاهى "[1] .

ومما يندرج تحت هذا حملته على أولئك النفر الذين اتخذوا (السؤال والتسول) مصدراً للعيش والتكسب في داخل البلاد أو خارجها يقول : ((ومأساة المآسي في نفر من المرتزقة يجوبون بلاد الشرق العربي يرتزقون باسم الكعبة والحرم، وينسون أن الحرم لا يقرهم على ما يبذلون من كرامتهم، وأن الكعبة لا يشرفها أن ينتسب إليها إلا المجد العامل في ميادين حيوية لها قيمتها، ومن الغريب أن تغتني بلادنا في سنينها الأخيرة ويفيض الخير في آفاقها وتتسع مجالي العمل لكل مجد نشيط ويجد جيراننا على اختلاف أجناسهم في ربوعها ما يدر عليهم أخلاف الرزق ...بينما يهجرها بعض أصحابها إلى مختلف الأصقاع ينشدون الإحسان ويستدرون العطف، في حياة يمرغها الذل، وهامات تطأطئها المسكنة إنهم لا يستطيعون إدراك مبلغ الإساءة التي لا يسيئون بها إلى أنفسهم فقط بل ينالون فيها بلادهم بما يشوه سمعتها... ولعل هذا الشر كان محدوداً قبل سنوات؛ ولكنه في أيامنا الأخيرة شرع يتفاقم لغير باعث معقول ، المنتظر بعد هذا الثراء الفائض أن يستغني الأهلون وفي مقدمتهم طبقات ما تحت الوسطى عن أعمال لا تشرف ، لأن الأبواب التي فتحت للمجاورين والغرباء أحرى بأن تتسع لأصحاب البلاد لو استعملوا حذقهم في النافع المجدي)).

ويوجه نظره إلى داخل البلاد فيقول : " إن الرجل الحر سيندى جبينه خجلاً لمرأى هذه الطوائف تلاحق الحجاج والزوار في الشوارع والأزقة والبيوت وفي مسجد الله الحرام، في صور مزرية، ومناظر مؤلمة، ويتمنى لو ملك الحكم والنفوذ ليقضي على وبائهم، ويطهر وجه البلاد من سيئاتهم ولكن مثل هذه القسوة ليس لها من العدل ما يبررها، فالجاهل معذور في كل مكان حتى تعلمه ما جهل، فدعونا نتوسع فيما ننشر من ألوان العلوم لنخدم بلادنا في سمعتها وما يليق بمركزها ونخدم كيانها بما نهيئ له من وسائل الحياة الشريفة وأخيراً دعونا نمش)[2]

---

(١) دعونا نمش ، ص ٢٩

(٢) دعونا نمش ، ص ص (٢٩ – ٣٢)

ومن هنا دعا إلى محاربة هذه الظاهرة مركزاً على استبدال ذلك الكسب الـــهين والمـــهين بالعمل الجاد الكريم ويلحظ أنه في خطابه هنا يركز على العنصر النفسي من خلال محاولتـــه استنهاض العزة والكرامة فيمن يمتهن هذا العمل يقول تحت عنوان : (اربأ بنفسك)[1]

" اللهم إن هذا لا يرضيك فشهامة العربي وشممه وإباؤه لا تزال تلوح فوق جباههم ... رغـــم جميع الطوارئ التي تعرضوا لها .. " إلى أن يقول مخاطبا من يمتهن ذلـــك العمـــل " فأربـــا بنفسك عن الامتهان وتمرن على الكسب من العمل " ، ثم يختتم مقالته بقوله : " أتمنـــى إلـــى وزارة العمل أن تعير هذه القبائل لفتة خاصة تنقذهم بها من الجهل الـــذي يغمرهـــم، فتفـــرض عليهم العمل وترشدهم إلى الوسائل العملية التي تصون شممهم وعروبتهم من ذل المسكنة "[2]

وكما عرَّض السباعي بمن يمتهن التسول من أبناء بلاده فليس غريباً أن يحمل على بعـــض الأجانب الذين يستوطنون بلادنا ثم يتخذون من التسول مصدراً للرزق، ويبين مدى تأثيره علـــى سمعة البلاد وبخاصة في موسم الحج، ومن ذلك ما جاء تحت عنوان : (خدم الزرانيـــق)[3] يقول : " والصورة التي لا يبلغ مداها فظيع هي صورة أخواتنا نساء خـــدم الزرانيـــق ، فقـــد أصبحن بارعات في فن التسول ، وأعمالهن لا تقتصر على موسم الحج ، بل نحن نعاني مـــن سوئها طوال أشهر السنة)) فلقد ((شوهدن في عرفات ومنى أفواجاً تعجز عـــن إحصائـــها، يتخللن خيام الحجاج ويتجمعن في طريقهم إلى جبل الرحمة في عرفات، أو إلى رمي الجمـــار في منى)) ((يشاهدهن الحاج فيعجب لثراء هذا البلد الذي يترك نســـاءه يتســـولن فـــي هـــذه الصورة الفظيعة)) ولكن الحاج لا يعلم : ((أن ٩٠ % من المتسولين الذين يشهدهم ليســـوا إلا حجاجاً يتحملون مشاق الطريق لا في طلب الغفران بل في ســـبيل أن يملـــؤوا جيبوهـــم مـــن صدقات الحجاج)) ((إنها لصورة تسيء إلى سمعتنا من حيث لا يعلم الحاج مبلغ ما نبذلـــه في سبيلها فليتنا نعيد النظر في مضاعفة الجهد فلا مستحيل مع الجهد ، ولا ينجينا من عبثـــهن في رأيي إلا أن نلزم رجالهن بتعهدات صارمة قاطعة بـــأن لا يـــتركوهن يختلســـن الفـــرص فيتسللن إلى الأسواق متسولات)) .

وهناك عدد آخر من السلوكيات الخاطئة التي نقدها السباعي ولكن فيما قدمنا الكفاية إذ إنـــها تفي بالغرض وهي أيضاً تعد أبرز ما كتبه في هذا الجانب. **أما السلوكيات الحميدة التي نبـــه إليها ودعا إلى غرسها** في مجتمعه فهي عديدة ويمكننا أن نتلمسها بالإجمال في دعوتـــه إلـــى الوضوح والنزاهة والصدق في التعامل يقول تحت عنوان : (مـــا أحلـــى أن تخـــالفني فـــي

---

(١) سباعيات ١/ ١٦٩- ١٧٢

(٢) سباعيات ١/ (١٦٩ - ١٧٢)

(٣) سباعيات ١/ ١٨٨- ١٩٠

شرف)[1] "ما أحلى أن نمشي في نظافة تؤهلنا للعيش الصحيح في الحياة، والنظافة التي نتمناها هنا ليست في الماء والصابون، وليست في الوجه والجسد، وليست فيما يؤكل أو يشرب وإنما هي نظافة من غير هذه الأنواع، نظافة مركزة في مواطنها من الضمائر والنفوس، ما أحلى النظيف الذي يعرف ما عليه لنفسه وما عليه لبلاده، وما عليه لأولاده وجاره وصديقه وما عليه لشريكه وعميله وقرينه، وما عليه لرئيسه ومرؤسه وزميله، ما أحلى النظيف الذي يتحرى ما وعد، فلا يماطل في الوفاء، ويتحرى ما أدعى فلا يتكلف الخداع، ما أحلى النظيف دائنا ومديناً، والنظيف غنياً وفقيراً، والنظيف سائلاً ومسئولاً، والنظيف قوياً وضعيفاً، والنظيف رئيساً ومرؤوساً، ما أحلى النظيف تاجراً وصانعاً، ما أحلاه مصدراً ومورداً، ما أحلاه بائعاً وشارياً، ما أحلاه قاضياً ومشرعاً، ما أحلاه على أي حال وفي كل حال... ما أحلاك نظيفاً وأنت تخالفني في شرف، وتخاصمني في حق، وتحاجني في براءة، ما أحلاك نظيفاً وأنت لا تبيت قهري في باطل، ولا تتكلف دحضي في ظلم، ولا تتعمد إساءتي في طغيان، ما أحلاك نظيفاً وأنت تعرف أخطاءك فلا توارب فيها، وتعرف مواطن ضعفي فلا تستفيد منها، وتعرف وجوه الحق فيما أدعى فلا تأخذك العزة ، ما أحلاك نظيفاً على أي حال وفي كل حال، أحلى نظافتك وأنت لا تستغل وجاهتك لكيد الضعيف، ولا يخدعك مركزك فتشايع القوي، ولا يغريك ثقة أصحابك فيك فتنسى كل شيء إلا منافعك وتهمل جميع المصالح إلا ماله علاقة بثرائك .

كن نظيفاً وثق أن الأيام دول، وأن ما تستفيده اليوم بوجاهتك أو منصبك ستخسر أضعافه إذا فاجأتك الأحداث أو عاكسك التيار . كن نظيفاً وضع في حسابك أن وفاء الصدف للمحظوظين ما عاشوا لا يخدع التاريخ المنصف ، ولا يزيف حقائقه مهما بولغ في الطلاء وأجيد الغش ، فكن بريئاً للبراءة وكن نظيفاً في كل حال وعلى أي حال ... لم نكن ملومين في أحد الأيام في جميع ما فرطنا في الحياة ذلك لأن شهرة بلادنا بالفقر في عهودها الماضية كانت وحدها كافية لما ننتحل من أعذار لأنفسنا كنا نقول أو يقول غيرنا : إن الفقر مطية جميع الشبه سياسياً واجتماعياً وأدبياً فماذا نقول اليوم عن أنفسنا، وقد تفجرت الأرض عن ينابيع الغنى، وجادت بالملايين التي أوشكت أن ترفعنا إلى مصاف الأمم من الدرجة الأولى ؟؟ ماذا نقول اليوم إذا أتهمنا متبجح في ترهاتنا أو أخلاقنا ؟؟ أ نقول الغنى أبطر بلادنا ؟ وإن الثراء الذي يخدم أهداف الأمم ويفتح عيونها على حقائق الحياة عاد إلينا برد الفعل، وهيأنا لأسوأ ما تخشاه الأمم من أخطار ؟ ؟ .. لهذا فإنني لا أستطيع أن أستبعد أن ما نعانيه اليوم من فورة لا يعدوا أن يكون أثراً من آثار الغنى المفاجئ، وأن الأيام القريبة القادمة ستكفل لنا حياة الاستقرار وتساعدنا على الخطوات الوئيدة الرزينة، وتفتح عيوننا على أفضل ما في الحياة من

---

(١) دعونا نمش ، ص (١٤٥ – ١٤٨)

سبل وأنظف ما فيها من أخلاق، وأحلى ما فيها من جمال، وعندئذ سيكون أهلاً للمركز العالي الذي يجب أن نحتله بين أمم الأرض "

ومن هذا المنطلق نبه إلى أهمية الاعتناء بتهذيب الأرواح وتنمية إحساسها بمعايير الجمال والحق والخير والعدل ومن ذلك ما جاء تحت عنوان : (لنعدهم إعداداً فنياً)[1] يقول : "دعونا نمش في جمال وتناسق وفن، كما نمش في علم وقوة وعقل، إننا إذا خدمنا نهضتنا كما – نؤمل – بعلومنا وعقولنا وقوتنا فليس من حقنا أن نهمل في هذه الخدمة نواحي الفن والتنسيق والجمال، إن الحياة في عهود ما قبل التاريخ عرفت الفن، واستهواها الجمال قبل أن تعرف العقل وتسترشده في مجالي الإنتاج والعمل، فقد لذت لها زينة السماء، وإشاعات الكواكب، وانتشار الغيوم، وسطوع البدر، ووهج الشمس، لذ لها كل ذلك واستهواها جماله قبل أن يسترعى أنتباهها كشف ما فيها من حقائق، وتفسير ما يحيطها من علوم، والإنسان بفطرته فنان قبل أن يكون عالماً يستعذب زقزقة العصافير، وهديل الحمام، وخرير المياه، وأناقة الروض، وجمال الزهور، قبل أن يستعذب البحث في كنهها، والتعمق في أسرارها، ولا يقولن قائل إن هواية الفن ترف لا لزوم له في أمة تتوثب للأعمال الجدية، وإن استرواح الجمال كماليات يتشاغل بها الفارغون، فذلك ضيق في الذهن لا يتسع لدراسة الحقائق ... إن الأمة التي ينشأ أفرادها من طفولتهم على تذوق الفن في غرفة رشيقة، وخزانة مرتبة وبيت جميل، وشارع نظيف، ومدرسة منسقة، وحديقة يفوح عبيرها، وميادين تأخذ العين مناظرها سوف تعرف في مستقبل أيامها كيف تتذوق الحقائق، وتفهم دقائقها، وتعرف كيف تهذب طبائعها وترقق مشاعرها وإن الأمة التي تعلم أبناءها كيف يتذوقون الفن في قصيدة عامرة، ولوحة ناطقة، وجلسة رائعة، ونزهة شائقة تستطيع أن تهيئهم للسمو الروحي والميزة العقلية وتربي فيهم ملكة الفهم والنقد ... كان النبي صلى الله عليه وسلم جميلاً عندما أحب الجمال، وفرض النظافة، والوضوء، وسن السواك والتطيب والاكتحال، وشدد النكير على النجاسات بأنواعها، وأوصى بالزينة عند كل مسجد وعين الأعياد، وقرر لها الثياب النظيفة البيضاء . ولا تعنى أمة بأمثال هذه الخلال إلا إذا رقت مشاعرها، ودقت أحاسيسها، واستعذبت الجمال الفني في كل رشيق منسق، واستوحت الحب السامي من مظاهر الحياة الرفيعة ... دعونا نهذب طباعنا، ونصقل عواطفنا، ونرهف أحاسيسنا، لنشعر بشعور الغير، ونحس باحساسه، ونتودد إليه في عطف وإخلاص، دعونا نتعلم كيف نحب الخير للخير، ونتعشق الإحسان للإحسان، ونصبوا إلى الطيبات. لا لما نرجو في عواقبها أو نخشى من مغبتها ولكن صبوة للطيب في ذاته، وبذلك نعد أنفسنا خير إعداد ظفر به غيرنا،ونهئ أمتنا لأسمى خلال تشرفها أمام الله والتاريخ"

---

(١) دعونا نمش ، ص ١٥٣ – ١٥٧

ونلحظ أن حديثه الأخير حول السلوكيات التي تدخل في باب الوجدانيات ينحـــو فيـــه منحـــىً شاعرياً إلى حد كبير يتفق والموضوع المطروح .. وهذا ما أغرانا على الإطالة في الاقتبـــاس منه . . .

٤- المقالة التاريخية :

ونعني بها المقالة التي تتناول أحداث التاريخ بالعرض أو تتعرض لشخصيات تاريخية بالوصف[١] .

وهي تعتمد على جمع : " الروايات والأخبار والحقائق وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها وللكاتب أن يتجه في كتابتها اتجاهاً موضوعياً صرفاً تتوارى فيها شخصيته ، وله أن يضفي عليها غلالة إنسانية رقيقة فيوشيها بالقصص ويربط بين حلقات الوقائع بخياله ... "[٢]

والسباعي كتب هذا اللون من المقالة وأبدع فيه كما سيتضح لنا لاحقاً ، ومنهجه في الكتابة التاريخية يتضح لنا من خلال الوقوف على بعض ما جاء في مقالة له بعنوان :

" التأليف التاريخي اليوم تعليل واستنتاج "[٣] . ومما جاء فيها قوله :

" على مؤلف التاريخ الجديد في رأيي أن يقسم موضوعه إلى عناصر، ليشرع في قراءة أكبر عدد مما كتب عن عنصر واحد عينه لنفسه من تلك العناصر . وليسجل ما استنتجه في رؤوس تساعده على معاودة البحث عند الكتابة ، والاستعانة بما يرى نقله أو نقصه أو الإشارة إليه ... على أن نجعل ما نكتبه سرداً لنصوص قرأناها ما دام في استطاعتنا أن نهضم الموضوع ونكتبه بأسلوبنا ثم ندلل عليه إذ شئنا بكلمات أو جمل ننقلها من النص حرفياً أو نضمنها في أضيق حيز ونشير إلى أصحابها ، ولا ننسى أن نعقب على كل ما يصادفنا برأي له طابعه المستقل ... "

وللسباعي عدد من المقالات التاريخية المتناثرة بين الصحف والمجلات وكتبه المقالية ..[٤] إلا أن أبرز أثر له في هذا الباب هو كتابه (تاريخ مكة) .

والحقيقة أن السباعي كان مهتماً بتاريخ مكة منذ وقت مبكر وبخاصة عن جوانبه الاجتماعية ، حيث أبان عن هذا الاهتمام في مقالة له بصوت الحجاز جاء فيها قوله : - بعد أن تحدث عن بعض من كتب عن تاريخ الحجاز - :-

---

(١) د. عبد اللطيف الحديدي : فن المقال في ضوء النقد الأدبي (د.م) ط (١) ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ص :٥٦

(٢) د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، مرجع سابق ، ص١٣٣ .

(٣) مجلة قريش : ع ٢٣ ، في ١٦ / ١٠ / ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م ، ص٦ .

(٤) انظر مثلاً مقالة : ٠ عيون تاريخية) ، مجلة الحج ، جمادى الأول ، ١٣٦٨هـ ، ص (٦٢ - ٦٧) ومقالة : (لمحة خاطفة من تاريخ المسجد الحرام وعمارته) ، المصدر السابق ، صفر ، ١٣٦٨هـ ، ص(٥٧ - ٦٠) ، ومقالة : (حياة مكة الاجتماعية في عهد قريش) ، المصدر نفسه ، صفر ، ١٣٧٠هـ ، ص(٣٥- ٣٩) ... الخ .

" أقدر لمؤلفينا هؤلاء مجهوداتهم ، واعترف لهم بالفضل من النواحي التي الفّوا لـــها ، ومـــن أجلها ، ولكنني أبغي غير هذا ، أبغي أن أتعرف حالة الوسط العام لأجدادنا وأتعرف ما يتخلـــل ذلك من عادات وتقاليد وأخلاق ... "[١] .

وبعدما يقارب العشرين عاماً حاول السباعي أن يحقق بغيته التي أشـــار إليـــها فـــي مقالـــه السابق من خلال مؤلفه الضخم (تاريخ مكة) .

وهو كتاب طبع عدة طبعات ، وبين يدي الطبعة السابعة[٢] مكون من جزأين فـــي مجلـــد واحد ، يقع في نحو (٧٢٥) صفحة من القطع المتوسط . يبـــدأ الجـــزء الأول منـــه – بعـــد المقدمات – بالحديث عن موقع مكة الجغرافي وتضاريسها ، ثم قدوم ســـيدنا إبراهيـــم وابنـــه إسماعيل عليهما السلام إليها .. ص (١٥) وينتهي بالحديث عن قصة لإمام الحرم المكي مـــع السلطان الشركسي قايتباي . ص (٣٣٨) .

ويبدأ الجزء الثاني بتمهيد عن الأتراك العثمانيين وعلاقتهم بمكة ، ص (٣٤٠) .

وينتهي بإشارة المؤلف إلى دخول الملك عبد العزيز جدة عام ، عام ١٣٤٤هـــ ، ص (٦٥٨).

وألحق به ذيل للمكاتبـــات الســـرية التـــي تمـــت بيـــن الشـــريف الحســـين والإنكلـــيز ، (ص .ص(٦٦٠- ٦٧٩)) .

وعليه فالكتاب يشمل فترة زمنية تقرب من ثلاثـــة آلاف عـــام ... حـــاول الســـباعي أن يستقصي في تاريخه ذلك أهم الأحداث التي حدثت في مكة المكرمـــة سياســـية واجتماعيـــة واقتصادية وثقافية خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة ... وقد وفق فيه إلى حد كبير[٣] .

وقد كتب عن مكة المكرمة كثير من المؤلفات قبل مؤلف السباعي هذا ، ولكن ممـــا يمـــيز هذا المؤلف عمن سبقه :

" شخصية صاحبه القوية ... ويبدو لنا أن هذا الكتاب خلاصة وافية جمعت ما قالـــه القدمـــاء والمحدثون وزادت عليهم حرص المؤلف على تصحيح الأخطاء التي وقعوا فيها .. "[٤] فبـــهذا

---

(١) صوت الحجاز : ع ١٢٧ في ٢٢/ ٦ / ١٣٥٣هـــ / ١٩٣٤م ، ص ٢

(٢) صدرت عن نادي مكة الثقافي ، عام ١٤١٤هـــ ، ١٩٩٤م .

(٣) يشير أحد الباحثين إلى أنه جاء في آخر الجزء الثاني من الكتاب في طبعته الثالثة عن دار قريـــش عـــام ١٣٨٥هـــ – قول المؤلف :

" وفي الجزء الثالث نفصل الحديث عن السلطان عبد العزيز وبيعته بالملك وما كان من أمر المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة وأهم الحوادث في العهد الأخير ومبلغ الخطوات التي خطتها البلاد) ولم يصـــدر الجـــزء الثالث هذا " : د. علي جواد الطاهر ،معجم المطبوعات ، ١/ ٣٨٠ .

(٤) د. بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، ص ٦٢٥ .

المؤلف : " يخط السباعي سطر الخلود لنفسه إذ إن كتابه يعتبر من أجمل المراجع ومن أوفى الكتب التي تتحدث عن مكة بأسلوب مشرق .. "[1]

ويقيم أحد المتخصصين في التاريخ عمل السباعي هذا بقوله " ليس من المبالغة ولا المغالاة القول بأن الأستاذ السباعي في مؤلفه عن مكة استخلص للباحثين صفوة ممتازة مما في جميع مؤلفات المتقدمين التي أطلع عليها مما يتعلق بتاريخ مكة ... فإن كتاب تاريخ مكة يعتبر أول دراسة عصرية مستوفاة عن تاريخ البلد الحرام ، وإن لم يكن حتى الآن حاز من المهتمين بدراسة البلد ما هو جدير به من دراسة وتقدير .. "[2]

ونشير فيما يلي إلى عدد من الملاحظات تتعلق بهذا المؤلف :

١- **يحفل الكتاب بكثير من خصائص الصياغة الأدبية** إذ يتسم بجمال التعبير ورقية وحسن العرض، علاوة على ما يثيره في نفس القارئ من رغبة شديدة في تتبع سير الأحداث والأخبار لما يتميز به الكاتب من قدرة على الاستحواذ على مشاعر وأحاسيس المتلقي ... فأسلوبه قائم على السرد الذي يتخلله استنتاج وتعقيب وتدليل ... أسلوب : " مرسل سهل وسيال ... "[3]

ومن هذا المنطلق كان يطعم المؤلف أحاديثه وأخباره ببعض أبيات الشعر التي رويت فيما له علاقة بما يتحدث عنه ..[4]

ومن أمثلة ذلك قوله ، وهو يتحدث عن مكة في عهد خزاعة : " ولما انتهى أمر مكة إلى عمر بن لحي سيد خزاعة تمنى عليه .. مضاض الجرهمي أن يأذن له في السكنى بمكة فأبى عليه ذلك ونادى في قومه من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر. ونزعت أبل لمضاض تريد مكة بعد جلائه عنها فخرج في طلبها حتى وجد أثارها قد دخلت مكة فمضى إلى الجبال ... فأبصر الإبل تنحر وتؤكل، ولا سبيل إليها فخاف أن هبط إلى الوادي أن يقتل فولى منصرفاً إلى أهله ، وأنشد يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولم يتربع واسطاً فجنوبه إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر

---

(١) إبراهيم فلالي : المرصاد ، النادي الأدبي ، الرياض ، كتاب الشهر ، رقم ٢٣ ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، ص٢١٥

(٢) حمد الجاسر : مقالة : " السباعي مؤرخاً " مجلة اقرأ ، ع ٦٨١ ، في ٦/ ١/ ١٤٠٩هـ ، ص .ص(٣٨ - ٣٩) .

(٣) د. بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية .ز مرجع سابق ، ص ٦٤٠.

(٤) بلغ عدد الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب نحو : (١٠٥) أبيات .

بـــلى نحـــن كنا أهلـــها فأزالنـــا صروف الليالي والجدود العواثر "

ولا يكتفي السباعي بإيراد هذه الأبيات دون تعليق عليها حيث يقول معقباً :

" في قصيدة أوردها كثير من المؤرخين ولا أجدني جريئاً كل الجرأة في الأخذ بصحة نسبتها إلى مضاض؛ إلا إذا صح لدي ما يثبت أن لغة الجرهميين كانت في مثل هذه الألفاظ السلسة ، ومثل هذه المعاني الواضحة "[١]

وغير ذلك من الأمثلة[٢]

وليس بدعاً أن تغلب على السباعي في كتابته لتاريخ مكة الصياغة الأدبية ، فالتاريخ الإسلامي نشأ في البداية نشأة أدبية ومكث على هذا الحال فترة طويلة من الزمن[٣] حيث إن الأدب والتاريخ يتداخلان في كثير من النواحي[٤] ، والدارسون اختلفوا حول التاريخ هو علم أم أدب[٥].

٢- **بروز شخصية المؤلف بشكل لا فت للنظر** ، وهذا يدل على تمكنه وإحاطته بموضوع كتابه ، وعدم تسليمه المطلق بكل ما يقع تحت يده من روايات وأخبار ونحو ذلك ..

وتتضح ملامح هذا البروز في مثل قوله – بعد أن أورد الروايات التاريخية حول الفتنة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :-

" وإذا كان لمثلي رأي فلا أكثر من أن أقول إنها كانت سابقة أعطت للحياة دليلاً قوياً على تعدد الجوانب في كل شيء، فهذان رعيلان اشتدا في سبيل الحق الذي يعتقد انه، ولسنا نعقل أن الحق كان متعدداً في هذه الفتنة فقد كان حقاً واحداً، ولكنه متعدد الجوانب بتعدد وجهات النظر .. إنه درس إسلامي ثمين ليت المسلمين في كل زمان يتعلمون منه ألا يشتطوا فيما يرون وأن تتسع آفاقهم لآراء مخالفيهم ، وأن ينظروا إلى مواطن الخلاف بنظره غيرهم إليه، عسى أن تتقابل النظرات وتتقارب الاتجاهات ، تتسكت عائشة في المدينة على أثر ما حدث منقطعة

---

(١) تاريخ مكة ، ص ٢٢

(٢) انظر مثلاً الصفحات التالية :

١٦، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٥١ ، ١٠٥، ١١٢ ، ١١٥، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٦، ١٣٩، ١٧١، ١٧٣، ٢٠١، .. الخ .

(٣) د. عثمان موافي : في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م ، ص (١٧٩ – ١٨٠) .

(٤) انظر المصدر السابق ، ص . ص (١٨٢ – ١٩٧) .

(٥) انظر ، أحمد الشايب : الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٨٨م ، ص .ص (٩٦-٩٨) .

للعبادة والصيام والاستغفار، وبلغ من ندمها على ما سلف أنها كانت تتمنى لو ماتت قبل يـــوم الجمل بعشرين سنة ، نسأل الله أن يسعهم جميعاً بعفوه وأن يهبهم لحسناتهم ورضي أعمالـــهم إنه غفور رحيم . "[١]

وكقوله معلقاً على مقولة لأحد الدارسين المحدثين :

" يقول الأستاذ عبد الوهاب النجار في تاريخه عن الخلفاء : (إن علياً لم يكن القوي على جنـده ، المالك لزمام عسكره ، الحذر لكل ما يخاف ، الواقف على ما يحدث) وكان خيراً في رأيـــي أن يقول : إن جند علي لم يكونوا جنوداً بالمعنى المعروف في عسكر معاوية يدينون بطاعـــة قائدهم ولا يناقشونها ، بل كان مجموعة هائلة متطوعة من أصحاب دين نفروا لنصرة إمامـــهم ... خرجوا لأنهم وجدوا لأنفسهم في القرآن ما يدفعهم إلى الخروج ، وأصحاب تقوى وصـــلاح اقتنعوا بالدفاع عن مبدأ رأوه ، ولسنا بهذا نريد أن ننفي الدين والتقوى والصلاح عـــن جميـــع جيش معاوية وإنما نريد أن نقول إن هذه الخصال كانت أوضح في جيش علي وإن العســـكرية بمعناها المعروف كانت أظهر في جيش معاوية .. "[٢] .

وكقوله :

" وهم بعض المؤرخين في إدراج مكة مدارج القبائل من أحياء العرب ، وحسب آخـــرون أنها كانت نزلة يمضي عليها ما يمضي على نزل العرب ... ولكن شيئاً من الاستقراء ينتـــهي بناء إلى غير هذه النتيجة ، فالقرآن سماها في أكثر من مرة (أم القرى) وفي هذا مـــا يشـــير إلى ميزتها ... "[٣] .

وكحديثه عن الأمية في العصر الجاهلي ثم تعليقه بعد ذلك بقوله :

" ولست أرى رأي من يقول بشيوع الأمية شيوعاً مطلقاً في هذه البيئة التـــي ندرســـها ، ولا ممن يرى أن وسائل الكتابة يومها كانت ... "[٤] ، ويتحدث تحت عنوان : (مجوسي في مكـــة) عما أوردته بعض المصادر من استقدام أحد العباسيين إلى مكة مجوسياً من العراق ليصنع لـــه سقف بيته من الساج وكان بيته يقع في المروة فيعلق عليه بقوله : " لا أستبعد أن يكون الخـــبر من تلفيق بعض الأمويين ضد أولاد العباس "[٥] . ومن ذلك ترجيحه لبعض الأخبار على بعض كقوله : " وإنني أميل إلى الرأي الأخير واعتقد أن ... "[٦] .

---

(١) تاريخ مكة ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص٤٠ .

(٤) المصدر السابق، ص ٤٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٥٥٤ ، وانظر ، ص (١٢٣ - ١٢٤)

وكقوله مثلاً بعد أن يورد عدداً من الروايات التاريخية عن الحدث الذي يوثقه :-

" وعلى كل فإن الذي نستنتجه من أقوال المؤرخين ... "[١]

ومما يضاف إلى هذا بعض الاستنتاجات التي يعول فيها على الجانب اللغـــوي وبخاصـــة في تعليله لبعض المسميات وأعني بذلك مثل قوله :-

" وقسم المؤرخون ديانة العرب الجاهلية إلى قسمين حلة وحمس ، والحمـــس هـــم أصحـــاب التشدد فيما يتدينون ، وربما دلت اللفظة على معنى التحمس كما يبدو من اشتقاقها ... "[٢]

وكتعليقه على تسمية أحد المواضع في مكة : (الجودرية) ، بقوله :

" الجودري عند أهل الحجاز لحاف من قطن ملبس بالقماش وكان جزءاً رئيسياً من أثاث كـــل منزل إلى عهد قريب ، وقال لي أحد المعمرين : إن شارع الجودرية كان مبيعاً للجوادر "[٣]

وكتعليله لسبب تسمية موضع الشبيكة بذلك بقوله :

" لأنها كانت موضع اشتباك وقتال عدة مرات في الهجوم على مكة والدفاع عنها . "[٤] .

٣- ومما يلحظ على الكتاب أن المؤلف زوده بكثير من الصور والرسوم المتعلقة بموضـــوع البحث ، وربما عد ذلك مصدراً من مصادر المعرفة التاريخية التي قد تثري موضوع البحـــث بالمعرفة .

ومن أمثلة ذلك :

رسم توضيحي للكعبة كما بناها إبراهيم عليه السلام[٥]

رسم توضيحي لبناء الكعبة في عهد قريش[٦]

نموذج كان يستعمل للكتابة من الحجر والفخار [٧]

درهم ضرب في دمشق في عهد بني أمية[٨] ، وغير ذلك[٩]

كما أن المؤلف اعتمد التاريخ الهجري في جميع فصول كتابه وعلل ذلك بقوله: ((لأنه التاريخ المناسب مع وقائع التاريخ في مكة، وهو ما يستعمله المكيون إلى اليوم "[١٠]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٨ .
(٢)المصدر السابق ، ص ٣٨ .
(٣) المصدر السابق : هامش ، ص ١٢٤ .
(٤) المصدر السابق : هامش ص ٢٥٨ .
(٥) المصدر السابق : ص ١٩ .
(٦) المصدر السابق : ص٢٨ .
(٧) المصدر السابق: ص٦٥ .
(٨) المصدر السابق: ص١٢٦ .
(٩) انظر مثلا الصفحات التالية : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ... الخ
(١٠) المصدر السابق : هامش ص ٥٦ .

ومن ذلك أيضاً إيراده لبعض الأخبار التي لا تخلو من طرافة وفكاهة كقوله تحت عنوان: (فيل عون) : " وأهدى أحد عظماء الهند للشريف عون فيلاً فكان الفيل ينطلق في شوارع مكة يصحبه مروضه وكان يصيف في الطائف إذا صيف الشريف عون "[1] .

وكان السباعي مغرماً بتصيد مثل هذه الحوادث التاريخية الطريفة[2].

٤- **تكمن أهمية الكتاب وقيمته** على وجه الخصوص – فيما يبدو لي – في تاريخه لمكة من العهد العثماني الثاني كما سماه إلى نهاية عهد الشريف الحسين بن علي ، ص . ص(٥٢٨ – ٦٧٩) فالكتاب لهذه الفترة يعد مصدراً أساسياً لكل من حاول التاريخ لها .. في شتى المجالات ولا سيما في حديثه عن النواحي العامة في مكة والحجاز عموماً خلال هذه الفترة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ...

ومما يسجل للسباعي هنا وصفه لحياة الحجاز وبخاصة مجتمع مكة ، بمختلف جوانبها فوصف طبقات المجتمع الحجازي وقسمها إلى طبقتين أشراف وأعيان ، ثم عمال وأولاد حارة كما سماهم ، كما وصف أزياء الرجال وأزياء النساء وأسهب في ذلك .

كما تحدث عن القبائل والعوائل والأسر في مكة. وأعادها إلى أنسابها العربية أو الأجنبية رابطاً بين عادات وتقاليد وأزياء وألعاب وترفيه كل قبيلة أو عائلة وبين جنسها الأصلي عربي أو أجنبي .

وفي حديثه عن الترفيه ووسائله في المجتمع الحجازي قسمه إلى قسمين ترفيه عقلي (كيرم ، ورق ، شطرنج) وترفيه بدني (كرة ، سباق ، ..) فاصلاً بين عادات الكبار في الترفيه وعادات الأطفال والصغار .. كما وصف خروجهم إلى المنتزهات والحدائق .

وفي حديثه عن المعيشة وصفها وصفاً دقيقاً من حيث ارتباطها بالطبقة الاجتماعية ونوع الطعام والشراب وأوقات تناول الأطعمة وغير ذلك ...

كما تحدث عن الحياة الثقافية في الحجاز فأشار إلى حلقات العلم التي كانت تعقد في الحرمين الشريفين، كما وصف الكتاتيب ونظم تعليمها ، وأشار إلى بعض الكتاتيب الخاصة بالفتيات خلال تلك الفترة .

كما تحدث عن التعليم النظامي (تركي ، أهلي ، هاشمي) ، وأشار إلى الصحافة ونشأتها في الحجاز ...

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٥٥ ، وانظر أيضاً ما جاء تحت عنوان (جمل فوق المنبر) ، ص٣٨٤ .

(٢) انظر مثلاً ما جاء تحت عنوان :

(طرائف من تاريخ مكة) أوراق مطوية ، ص. ص (١٢٩ – ١٤٠) ، وتحت عنوان : (طرائف من تاريخ جدة القديم) ، أوراق مطوية ، ص. ص (١٤١ – ١٥٤) .

ومن هذا المنطلق أصبح الكتاب مصدراً لكل باحث يدرس تلك الفترة فالكتاب استطاع أن يسد ثغرة ربما عانى الدارسون منها لولا وجوده بعد أن أصبح الكثير من ملامح تلك الفترة التاريخية باهتاً أو مجهولاً .

٥- **من طرائق منهجه في كتابه أنه كان يمهد للمراحل السياسية المختلفة** في التاريخ الإسلامي العربي بحديث موجز ومركز يعرف فيه بتلك المرحلة السياسية من خلال حديثه عن الأنظمة الحاكمة وامتداد حكمها وإبراز أعمالها السياسية بعامة قبل أن يشرع في الحديث عن علاقتها بمكة وأعمالها فيها .

كتمهيده مثلاً عن العباسيين[١] وعن الفاطميين[٢] وعن الأتراك العثمانيين[٣] وعن الثورة العربية الكبرى في عهد الشريف الحسين بن علي[٤]

وهذه في رأيي طريقة إيجابية إذ توقف المتلقي على أهم الأدوار السياسية التي مر بها تاريخ أمته وتهيء ذهنه لتلقي ما يرد بعد ذلك من أخبار تتصل بمكة ، فهي من ثم تساعد الكاتب على ألا يقدم للمتلقي (تاريخ مكة) مبتوراً عن سياقه التاريخي الإسلامي العربي العام

٦- **المصدر الشفهي :**

رجع الكاتب إلى عدد كبير من المصادر والمراجع تجاوزت (المائة) مصدر ومرجع ، منها ما هو مخطوط ، ومنها ما هو مطبوع° ومن مصادر كتابه أيضاً ما هو شفهي :

ولا شك أن هذا المصدر يزيد من قيمة الكتاب فقد عمد السباعي في تحقيق بعض الأخبار قريبة العهد إلى من عاصرها. فنقل عن طريق بعض المعمرين روايات عدة لبعض الحوادث وكان ينص على ذلك كقوله :

" وأخبرني بعض المعمرين أن أعمال العنف شنها عبد الحميد ضد خصومه من الاتحاديين بمكة وأنها أنشبت أظفارها أول ما أنشبت بأمير مكة لذلك العهد ... ولم يشر أحد ممن أرخ لمكة إلى هذه الفترة التي ذكرها هذا المعمر .. " ، ص (٥٤١- ٥٤٢) .

وكقوله :

" ومما يؤيد صلة عبد المطلب (الشريف) بفكرة الملكية وإخلاصه لعبد الحميد ما أخبرني به الشيخ حسن عشي وكان من المقربين في قصر الأمارة في مكة فقد ذكر أن ... " ،ص(٥٤٦)

---

(١) تاريخ مكة ، ص. ص (١٣٣- ١٣٥)

(٢) المصدر نفسه، ص .ص (١٨٩ - ١٩١)

(٣) المصدر السابق، ص. ص (٣٤٠ - ٣٤٣) ,

(٤) المصدر السابق، ص . ص (٥٩٧ - ٦١٦) .

(٥) لم يزود الكاتب مؤلفه بفهرس للمصادر والمراجع، ولكن بتتبعي إشاراته إليها في المتن والهامش وجدتها تزيد على (مائة) مصدر ومرجع

وكقوله : " وأخبرني بعض المعمرين أنهما قتلا بضغط الخصيتين ضغطاً شديداً حتى ماتا.." ، ص (٥٤٦)

والحقيقة أن السباعي كان شديد الحرص على توثيق الخبر الذي ينقله لا سيما إذا كان قائماً على الرواية السماعية .

فهو قد يلجأ إلى أقرب الناس صلة بالحدث وأكثرهم ثقة من معاصريه ليتثبت من صحة الخبر ويعلله ويفسر وقوعه ومن أمثلة ذلك حديثه عن حادثة قتل : (الحسين بن محمد بن عون) أمير مكة طعناً بخنجر مسموم وهو يترجل عند باب منزل الشيخ محمد عمر نصيف في جدة عام ١٢٩٤هـ حيث كان مدعواً لحضور وليمة .. فالرواية تذكر أن القاتل كان من بعض جواسيس السلطان العثماني عبد الحميد ، بدافع أن الحسين كان من أنصار ثورة الدستوريين ، ولكن السباعي بعد أن أورد رواية هذا الحدث التاريخي لم يكن – بوحي من حدسه التاريخي – ليطمئن لصحة تلك الرواية ولهذا يقول بعد أن أوردها :-

" قد تراءى لي وأنا أكتب عن الحسين الشهيد في تاريخ مكة أن باعث الجريمة فكرة مغلقة وأنه ربما ترتب عليها سبب سري يحسن أن يكشف عنه التاريخ ، فعن لي أن أزور كبير جدة ووجيهها فضيلة الشيخ محمد نصيف، لعلي أجد عنده ما يفسر معميات الأمر ، وهو دون شك خير من يستطيع تفسيره ، فقد كانت الوليمة في بيت عمه عمر نصيف ، وإذا كان هناك ما يمكن استنتاجه فإن آل نصيف أقرب لصحة الاستنتاج من غيرهم، ولم يبخل الشيخ محمد علي برأيه في الموضوع وشرع يحدثني بما يعتقده باعثاً للجريمة كما فهمه من بعض المختصين قال : (إن عبد الله بن محمد بن عون شقيق الشهيد كان في عهد إمارته قد أغتال محمد باشا الداغستاني والي مكة ، فأراد المقتول أن يثأر لأخيه ، فلما انتهى إلى مكة كان عبد الله بن محمد بن عون قد توفي ، فطعن أخاه الحسين أخذاً بالثأر) . "[١]

والمؤلف تكبد مشاقاً عدة في سبيل الحصول على بعض مصادر كتابه[٢] فالجهد الذي بذله في جمع واستقصاء مادة الكتاب لم يكن : "بالأمر الهين لأن ما ورد عن تاريخ مكة في المصادر القديمة خاصة ، لم يعد أن يكون إشارات مندسة في ثنايا الفصول والمواضيع المختلفة ... فكان الأمر يحتاج إلى باحث متأن صبور .. يجمع تلك المادة المفرقة المشتتة ليصنع منها نهاية المطاف وجهاً واضح القسمات لتاريخ البلد الأمين .. "[٣]

---

(١) أوراق مطوية ، ص . ص (١٥٣ – ١٥٤)

وانظر تفصيل ذلك في كتابه : تاريخ مكة ، ص. ص (٥٤١ – ٥٤٣)

(٢) انظر حديثه عن ذلك في كتابه سباعيات ، ٢ / ٨٣ – ٨٥ .

(٣) د. مصطفى حسين : أدباء سعوديون ترجمات شاملة لسبعة عشر أديباً ،دار الرفاعي ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، ص ٢٨ .

٧- **فقه المواضع :**

لا يعني ذلك أن نعرف أسماء المواضع بوصفها نقطاً سواءً بارزةً على الخريطة أو مجرد مكان من الأمكنة تضم جبالاً ورمالاً وأشجاراً ؛ فقه المواضع يعني أن المكان يكتسب قيمته من تقاطع الإنسان معه فيتحول المكان من جغرافية صماء إلى تاريخ حيّ ...[١]

وهذه الخاصية لا تتضح في كتابه ((تاريخ مكة)) . حيث كان قائماً على السرد . لكنها تتضح لنا في مقالاته التاريخية الأخرى التي تعتمد على البناء القصصي الحكائي التصويري والقدرة التصويرية مردها بالدرجة الأولى إلى ما يمتلكه الباحث من ملكة تخيلية ، بينما أسلوب البناء السردي يعتمد على ملكة العقل التي تساعد الباحث على التحليل والتعليل ...

وفقه المواضع بهذا المفهوم يتضح لنا في مثل قوله واصفاً بعض الأماكن التاريخية في مكة :

" أنت الآن على أبواب مكة !

لقد نهبت السيارة بك الأرض نهباً فلم تستغرقك المسافة من جدة إلى حيث انتهيت من مشارف مكة إلا نحو ساعة .. وكانت تستغرق آباءك من قبلك يومين كاملين ، فحمداً لله على سلامتك ستضع الآن قدميك حيث وضع النبي صلى الله عليه وسلم قدميه وستمشي في الدروب التي مشاها ، فحاول أن تكون أكثر خشوعاً مما أنت عليه . حاول أن تستغرقك الذكريات العظيمة التي لا بست حياته عليه صلوات الله وسلامه ، وأن تستذكر جهاده الفذ وما قاساه بين هذه الأزقة التي تتلوى أمامك وتتعطف . هذا فم الشعب شعب الهواشم وأنت تنظر فإذا (مكتبة الحرم) تقوم اليوم على أنقاض الحجرات التي ولد النبي فيها . خفف الوطء، وأنت تزور مدخل الباب ، فعلى هذا المنبسط الصغير حبا النبي أول ما حبا قبل أن تحمله حليمة السعدية إلى منازل قبيلتها ... من هذه الثنية كان ينحدر بعد أن يقع ، وعاد إلى مسقط رأسه .. هو ذا يأخذ طريقه بين مباذل قريش وترهاتها على حوافي سوق الفاكهة ، فيمتعض لما يسمع ويألم لما يرى فيغذ في سيره على أمل أن يشرف على الكعبة فتنفتح لها مغاليق نفسه ... وبنى على خديجة ، فتغير دربه من طريق سوق الفاكهة .. وإذا لذّ لك أن تعرف بيت خديجة فلا أكثر من أن تعرج على سقيفة (اللبانين) وهي اليوم سوق الصاغة ، هناك تطالعك مدرسة تحفيظ القرآن ، وقد بنيت اليوم في المكان الذي كانت تسكنه خديجة ... فما أروع هذه الذكريات وما أشجاها للنفس المؤمنة ... هذا جبل حراء ما أعلى ذروته وأشق مصعده .. هنا على كنفه الأقصى ، الذي تنشق الصخور منه عن فجوة مشربة نسميها غار حراء ، وجد

---

(١) د. عثمان صيني : فقه المواضع ، جريدة المدينة ، ملحق الأربعاء في ١٩ / ٨ / ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦ م ، ص٣ .

النبي صلى الله عليه وسلم راحته النفسية فيه ... حسبك مني أن أقف بك في ذيل الصفا على البيت الذي كانت الفواجع تدفعه إليه أشد أيامه قسوة وأعنفها ضراوة ، هو ذا دار الأرقم ... "[1]

وعلى مثل هذا الأسلوب البديع يكمل السباعي بقية مقالته هذه ، وغيرها من المقالات[2] ويندرج تحت هذا أيضاً ، قدرته على تحديد المواضع التاريخية في مكة من خلال معالمها الجديدة المعاصرة ، استمع إليه مثلاً حينما يقول :

" أتسألني ؟؟

أنا على استعداد لأن أرسم لك مكة القديمة في عهدها الجاهلي ، يوم كانت عاصمة قريش ، سأرسمها لك على لوحة ما تشاهد اليوم من معالمها الجديدة ، فهل تبيح لخيالك أن ينطلق إلى أبعد ما يتسع له الخيال ؟ .

أترى موقفنا .. ؟ إننا في ظل باب بني شيبة ، وأحسبك تعرف أنه (شيبه بن عثمان) لم يكن باباً بالمعنى الذي نشهده اليوم بل كان ممراً إلى صحن الكعبة بين البيوت ، إلى جانب ممرات غيره جعلوها تتخلل بيوتهم كمدخل إلى الصحن ، ولكنه كان موضع ارتكاز الحركة العمرانية في مكة ، وكان مفروضاً على الحاج – في جاهليتهم – ألا يصافح الكعبة يوم قدومه إلا من هذا الباب ... وامض : إذا شئت بما نسميه اليوم شارع القشاشية ، فهناك سوق الفاكهة تنحدر منه إلى سوق الرطب ... ودعنا نقطع المساحة أمامنا لنسير في شعب ابن يوسف ، ونسميه اليوم شعب علي ... وإذا : شئت أن نترك الطريق يمضي بنا قدماً فليس أمامنا إلا الحجون الجاهلي على يمين الطريق أو المدنيين في يساره ونسميها اليوم ريع الحجون اعتباطاً... دعنا نتخلل الخيام إلى سوق الغنم المكان الذي قيل إن النبي صلوات الله عليه اقتعده في إحدى رواحاته من أعالي مكة وستشهد أثر المكان على يسارك قبيل المدعاة وقد أحيط ببعض الحجارة واتخذه الناس اليوم مسجداً .. الخ "[3] .

٨- **وبالرغم من كل ما تقدم فالكتاب لا يخلو من بعض المآخذ** وهي لاشك لا تمس قيمته بأي حال من الأحوال ولا تنتقص من قدره .

نذكر منها :-

---

(١) أوراق مطوية . ص (٥١ – ٥٢)

(٢) انظر مثلاً :

أوراق مطوية ، ص . ص ١٣ –٢٨

(٣) أوراق مطوية : ص .ص (١٣– ١٧)

وانظر : تاريخ مكة : ص .ص (٣٠ – ٣٦) ومقالة : (منازل القبائل والأفخاذ في مكة) ، سباعيات ، ٤٩/٢ – ٥٣ .

أن المؤلف قد يقع في تناقض . فمثلاً حينما يتحدث عن الحالة الدينية للعرب في جاهليتهم ذكر أن المؤرخين يقسمونها إلى قسمين حلة وحمس وذكر أن الحمس هم أصحاب التشدد فيما يتدينون وأشار إلى أن قريشاً من أبلغ من تشدد في ديانة الحمس وضرب على تشددها عدداً من الأمثلة[١] .

ثم ناقض قوله هذا حينما تحدث عن الناحية الفنية في مكة لذلك العهد ويعني بها حياة الفن والملاهي حيث يقول :

" لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب ، ولاشك أن قريشاً في مكة كانت وجه العرب البارز فلا بد أنها برزت في الغناء يساعدها على ذلك ثراؤها وأرباحها وانعدام الرباط المقدس الذي يحد من حريتها "[٢]

ومن ذلك أن بعض الأخبار التي ينقلها لا يحيل إلى المصادر التي استقاها منها وإنما يلجأ إلى عبارات التمريض نحو (لم يثبت ..)[٣] .

ونحو " نُقل عن قريش أنها .. "[٤] ، ونحو " وقال قائلهم في ذلك .. "[٥] .

ومن ذلك أنه لم يشر في هوامش كتابه إلى رقم الطبعة أو تاريخها أو الناشر لها وأحياناً الصفحة فيما يتعلق بإحالته إلى مصادره ومراجعه المطبوعة ... ويندرج تحت هذا عدم تزويده لكتابه بفهرس للمصادر والمراجع .

وغير ذلك من المآخذ التي كما أسلفت لا تنتقص من قيمته[٦] .

---

(١) انظر ، ص (٣٨ ، ٣٩)

(٢) انظر ، ص ٤٨ .

(٣) انظر ، ص ٣٦ .

(٤) انظر ، ص ٣٧ .

(٥) انظر ، ص ٣٩

(٦) انظر مثلاً المآخذ التي ذكرها إبراهيم الفلالي على الكتاب : المرصاد – مرجع سابق – ص .ص(٢١٦-٢٢٩) ، ود. بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية – مرجع سابق – ، ص ٦٢٥ .

٥- المقالة الدينية :

من المقالات القليلة التي كتبها السباعي المقالة الدينية وهي تلك المقالة :- التي يهتم صاحبها بإبراز عاطفته الدينية نحو أمر يمس العقيدة أو يعرض لبعض المذاهب الهدامة التي تحاول النيل من أمر الإسلام والمسلمين .. فيبين فيما هو بصدده مستنداً على ذلك المنبع العظيم الثر المتمثل في الدين الإسلامي ومعطياته ...[١]

ومما يندرج تحت هذا **كتاب السباعي الموسوم بـ : (المرشد إلى الحج والزيارة) :-**

يقع في نحو ١١٢ صفحة من القطع الصغير طبع عام ١٣٦٨هـ[٢] ، وقد قسمه المؤلف إلى قسمين :

القسم الأول : أسماه بالقسم الديني ص . ص (٣ – ٤٠) وهو يهتم بحركة الحاج ومناسكه على المذاهب الأربعة وشمل الموضوعات التالية :-

- حركة الحاج من بيته إلى مكة .
- الإحرام وكيفيته .
- مناسك الحج وأعماله .
- محظورات الحج وجزاءاته .
- أعمال العمرة .

القسم الثاني من الكتاب :

أسماه القسم الوصفي التاريخي : ص- ص : (٤١- ١١٠) ، وعنوان هذا القسم يدل على مضمونه فقد شمل موضوعات عدة منها :-

وصف لمكة المكرمة نحو / موقعها ، أحيائها ، سكانها ، وصف للمسجد الحرام : شكله وأبوابه ومنائره وموجز عن تاريخ عمارته ، وصف للكعبة المشرفة ، وحجر إسماعيل والحجر الأسود ومقام إبراهيم .. الخ .

وقد أدرج ضمن هذا القسم حديثاً عن الزيارة وشعائرها بالإضافة إلى وصف لبعض المواقع في المدينة المنورة كالمسجد النبوي وتاريخ عمارته وبعض المساجد التاريخية الأخرى في المدينة : كمساجد القبلتين ، الإجابة ، قباء ، الجمعة ... الخ .

---

(١) انظر :

محمد العوين : المقالة ، مرجع سابق ، ص ١/ ٢٠٦ . ، د. عبد اللطيف الحديدي : فن المقالة ، مرجع سابق ، ص٤٠ .

(٢) بمطبعة العالم العربي بالقاهرة .

بالإضافة إلى بعض المواقع التاريخية في المدينة المنورة : كسقيفة بني ساعدة ،وجبل أحـد ، ووادي العقيق .. الخ .

ثم ألحق بهذا القسم حديثاً موجزاً عن مديرية الأمن العام في المملكة وآخر شبيه بسابقه عـن مديرية الصحة العامة .

وللكاتب عدد من المقالات المتناثرة عن الحج (شعيرة دينية) ذات أهداف ومعان سـامية تتجاوز مجرد القيام بحركات والانتقال من مكان إلى آخر، حاول السباعي تلمسها في بعض مـا كتبه عنها ، ومن ذلك ما جاء في مقالته التي بعنوان (لبيك)[1] .

والتي جاءت في أسلوب يسيل رقة وعذوبة ، متدفق أقرب ما يكون إلى الشعر ، اتضحـت من خلاله عاطفته الدينية المتأججة ، في صورة مناجاة للخالق عز وجل ، تتلمس معاني تلبيـة ندائه عز شأنه ، والمعاني المتعددة التي يوحي بها التجمع في تلك الأماكن الطاهرة وأبرزهـا معنى التضامن وأهميته بين المسلمين ... يقول :

" فيم كل هذا ؟؟

فيم هذه الحشود يموج بها البحر ؟؟

فيم هذه الطائرات يزخر بها الجو ؟

فيم هذه الناقلات تسيل بها الوديان ؟

إنه نداؤك يا رب .. فلبيك ..

لبيك اللهم لبيك ..

تركوا نعيمهم وجاءوا لموعدك شعثاً !!

خلعوا زينتهم .. وهرعوا إلى بابك عرياً !!

سلخوا راحتهم .. وأقبلوا على أعتابك غبراً !!

فيم كل هذا

---

(١) سباعيات ١/ ٩ - ١٠

وانظر أيضاً مقالاته عن الحج :-

- كيف يكون الحج عظيم الأثر ؟! قال وقلت ١/ ١٧ .
- هل يتعين على المعدم أن يحج ؟! قال وقلت ١/ ٨٣ .
- إلى أي حد فهمنا معاني الحج ؟! قال وقلت ١/ ١٢٥ .
- رجماً للشيطان : سباعيات ، ١١/١
- أهذه فكرة الحج الصحيح ..؟ سباعيات ٢/ ٤٣
- هل يسمع هذا حجاجنا .. ؟ ، سباعيات ، ٤٧/٢ .

هل الحج سباق إلى حيازة لقب حاج .. ؟ ، ٢/ ١٢٣ .

إنه نداؤك يا رب .. فلبيك .

لبيك اللهم لبيك ..

ليت توفيقك يشملنا فنعرف كل الطرق إليك .

ليتنا ننفر إلى كل من يتجهمنا في مثل هذا الزحام !!

ليتنا نواجه كل من يغتصبنا في مثل هذا الحشد !!

ليتنا نثبت أمام كل من يستضعفنا بمثل هذا الزحف .

ليتنا نهتف في كل ميدان توعدنا إليه : لبيك .. " .

ومما يدخل في هذا بعض مقالاته التي تحدث فيها عن سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وتقديمه من خلالها نماذج من أخلاقه وصفاته ودعوته، للتحلي بها والسير على خطاه عليه الصلاة والسلام[1] .

ومن ذلك أيضاً حديثه عن الحضارة الإسلامية وأعلامها في شتى فروع المعرفة بهدف أحياء ما أندثر من أمجادها واستنهاضاً للعزائم لكي تستعيد الأمة مكانتها اللائقة بها كما كانت في غابر الأزمان[2] .

أما مقالاته هذه والمقالات اللاحقة فإننا نجدها تأتي في أسلوب مباشر واضح الفكرة .

ومنها المقالات التي كتبها ليدافع بها عن الإسلام ويهاجم خصومه الذين يحاولون النيل منه كأكثر المستشرقين .

" الذين يأبون أن يناقشوا مبادئ الإسلام إلا بالصورة التي تمليها أهواؤهم و .. إذا كان البعض قد خدم النقاش بروح علمية بحتة فإن كثيراً منهم أضلهم الهوى فناقشوا أكثر مباحثهم بروح

---

(١) انظر مثلاً المقالات التالية :

- إلمامه ساذجة بحياة صفوة الخلق وسيد المرسلين : صوت الحجاز ، ع١١٣ . ، ١٣/ ٣/ ١٣٥٣هـ ، ١٩٣٤م ، ص (١ و ٤)
- عزيمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : مجلة الحج ، ع٤ ، شوال ١٣٦٦هـ ، ص (١ – ٤)
- عفو النبي صلى الله عليه وسلم ، المصدر نفسه ، ع (ربيع الأول) ، ١٣٦٧ .
- محمد الرسول والزعيم ، مجلة قريش، ع ٣٤ ، ١٠ / ١ /١٣٨٠ ، ص٣ .
- فجر النبوة ، أوراق مطوية ، ص : ٣٧ .
- عزم وثبات ، أوراق مطوية ، ص ٤٣ .

ليس الشديد بالصرعة ، قال وقلت ، ٢/ ١٩٥ .

(٢) انظر مثلاً مقالة : من أبطال علماء الإسلام ، أوراق مطوية ، ص (١١٣ – ١١٧) ، حضارة الإسلام : أوراق مطوية ، ص (٢٠١ – ٢٠٦) ، نهضة الإسلام في الأندلس ، أوراق مطوية ، ص (٢٠٧ – ٢١٦) علوم الإسلام في أسيا الوسطى ، قال وقلت : ٢/ ١٤٣ ، أبو عبد الله البخاري كعلم من أعلام السلف ، قال وقلت ، ٢/ ٢٠١ ، ألم يأتك نبأ ما بنينا للحضارة . ؟ سباعيات ، ٢/ ٥٥ ، وانظر هذا البحث ، ص : ( )

تتنافى وحقائق العلم، فثمة نظريات أكدوها كمبادئ وراحوا يؤولون في تفسيرها عشرات النصوص ، ويحرفون من معانيها ما يدعم تأويلهم، وبذلك أوهموا كثيراً من شباب المسلمين بأن مفاهيم الإسلام لا تتماشى مع الحياة، فضللوا بذلك طوائف لا يحصى عددها زلزلت بعض عقائدهم، ولو تحرى هؤلاء الشباب ما زيف به عليهم، وكلفوا أنفسهم دراسة الحقائق في مظانها الصحيحة لكان لهم شأن غير هذا الشأن ، إن في المكتبة الإسلامية ألوف المجلدات التي عاشت مدفونة .. لقد نسينا كل هذه الذخائر وتقاعسنا عن نبشها وتركنا لخصومنا من كل لون وجنس أمر العناية بها فاطلعوا وتوسعوا في الإطلاع وعرفوا كيف تؤكل الكتف واستطاعوا أن يخرجوا علينا بما استنتجوه في أساليب لحمتها التشويه وسداها الزيف . غضبة يا قوم تفتح عيونكم على حقائق ما ضللوا وزيفوا "[1]

ومما يضاف إلى هذا بعض مقالاته التي قدم من خلالها اقتراحات وحلولاً لبعض القضايا ذات الخصوصية الدينية .

كاقتراحه بنقل مقام إبراهيم عليه السلام من موضعه رحمة بالطائفين مورداً عدد من الروايات التاريخية الدالة على أنه كان يعمل (أي بنقله) في عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية ومن أتى من بعدهم[2] .

وكاقتراحه بتوحيد زي المطوفين في المسجد الحرام والتنبيه عليهم بعدم رفع أصواتهم إلا بمقدار يسمعهم من خلاله من يطوف خلفهم على أن يقوموا هم بدورهم بتنبيه من يطوفونهم بعدم رفع أصواتهم، وترديد ما يسمعونه في صوت هامس كل ذلك حفاظاً على الخشوع والطمأنينة التي يجب أن يتصف بها المصلي والطائف والذاكر لله في صحن المسجد الحرام وهذا ما ينتقض بفعل الضوضاء والصخب الصادر من بعض المطوفين والطائفين ..[3]

وكدعوته المسئولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اتباع الحكمة والموعظة الحسنة في عملهم والبعد عن أساليب القسوة والتسلط التي لا تتناسب مع هذه الوظيفة السلمية ، والتي قد يتبعها بعض من ينتسب إليها[4] وتمثل مقالاته هذه الأخيرة جرأة منه في الطرح والمناقشة لاسيما وقت كتابتها. .

---

(١) انظر مقالة : (علينا أن نواجه مقدراتنا بفهم حصيف) ، قال وقلت ، ٢/٢١٣ - ٢١٦ .

(٢) انظر مقالة : (مقام إبراهيم) ، سباعيات ، ١/ ٢٦- ٣٣ .

(٣) انظر مقالة : (مطوفو صحن المسجد) ، سباعيات ١/ ٧١ - ٧٣ . ومقالة : (في الطواف) ، سباعيات ، ١/ ١١٤ - ١٦ .

(٤) انظر مقالة : (حامي الأخلاق الذي نسي بعض واجباته) ، قريش ، ع ٦٤ في ١٤ / ٨ / ١٣٨٠هـ ، ص ٣ . ، ومقالة : (الأمر بالمعروف) المصدر السابق ، ع ١٥٣ في ١٦ / ٦ / ١٣٨٢هـ ، ص١٠ . ومقالة : (السيد باشميل في قاموس ألفاظه ! ما هكذا يا سعد !) ، المصدر نفسه ، ع ١٨٦ في ٢٦ / ٢ / ١٣٨٣هـ ، ص ١ .

الفصل الثاني
الخصائص الموضوعية والفنية

أولاً: الخصائص الموضوعية لفن المقالة

أشرنا فيما سبق إلى أبرز الأسس التي قامت عليها المقالة الاجتماعية عند السباعي والتي تبدت لنا من خلال التأمل في طرح تلك المقالة مع ربط ذلك الطرح بسياقه التاريخي ..

نشير هنا إلى أبرز الخصائص الموضوعية التي تميزت بها مقالاته وعلى وجه الخصوص المقالة / الاجتماعية ، مع التذكير بأن تلك الأسس السابق ذكرها وهذه الخصائص التي سنذكرها هنا يكمل بعضها بعضاً :

١- الواقعية :-

ولا نعني بالواقعية هنا أياً من تلك الواقعيات التي عرفها الأدب العربي حديثاً بعد اتصاله بالثقافة الأوربية والتي تقوم على فلسفات ونظريات وايدلوجيات مرتبطة بتلك الثقافة ...

وإنما نعني بالواقعية هنا ذلك الاتجاه الأدبي الذي يقوم على تصوير الواقع وتفسيره ، ليصبح الأدب بذلك سجلاً صادقاً لمختلف القضايا التي عرفتها الحياة ، وهذا الاتجاه عرفه الأدب العربي منذ القدم وعلى مر عصوره فهو ليس وليد العصر الحديث[١]

ولهذه الواقعية حسب ما أشرت أعلاه ملامح عدة في مقالة السباعي الاجتماعية يمكن أن نوجزها فيما يلي :

أولاً : من حيث المضمون :-

يمكن أن نعد مقالاته سجلاً صادقاً للحياة في عصره لنواحٍ كثيرة أظهرها ناحيتان :-

- نواحي الأسرة والتربية والعلاقات الاجتماعية بمختلف مظاهرها
- نواحي التعليم وقضاياه التربوية المتعددة .

فمقالته الاجتماعية في هذا الخصوص لم تكن إلا صدى حقيقياً لواقع الحياة في عصره من خلال رؤيته الشخصية لها .

ومن خلال تلك المقالات وكتابات السباعي الأخرى يمكن أن نعدها شاهداً على عصره ... فمقالاته الاجتماعية هي بمثابة وثيقة تاريخية عن أحوال مجتمعه . يمكن أن تتكئ عليها الدراسات الاجتماعية المتعلقة بتلك الحقبة التاريخية، ومن ملامح الواقعية في تلك المقالات الاجتماعية أن السباعي كان يكثر فيها من ضرب الأمثلة المستقاة من الواقع المعاش لمجتمعه المصورة لمختلف مظاهر حياته .[٢]

---

(١) يا سين الأيوبي : مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ص (٣٦٩ – ٣٨٣) .

(٢) انظر الأمثلة على ذلك في عرضنا للقضايا الاجتماعية التي عالجها السباعي ، هذا البحث ، ص: ٨٣-٩٤ ، ١٣١-١٥٠

ثانياً : من حيث الشكل :-

وتلك الملامح الواقعية من حيث المضمون انسحبت على بعض مظاهر الأسلوب المقـــالي وتمثلت في :-

- سهولة الأسلوب وخلوه من التعقيد والبعد عن التكلف[1] إذ إن هذا النوع من المقالات موجه إلى الجماهير فهو لا يحتاج إلى التأنق في كتابة العبارة بقدر مـــا يحتـــاج إلـــى الوضوح في نقل الفكرة من أقرب الطرق المؤدية إلى ذلك .
- استخدام العامية استخداماً محدوداً من خلال :

ـــ الحوار في بعض مقالاته القائمة على ذلك حيث أنطق بعض محاوريه بلغتـــهم الخاصة بهم كل ذلك لتكون أكثر إيحاء بالواقعية من جهة وللتأثير في المتلقي من جهـــة ثانية ليقلع عن أمر ما أو يلزمه به .

ـــ ومن خلال وصف أحوال مجتمعه يعمد أحياناً إلى لغة عصره وبيئته فيختار منـــها عبارات عامية يضمنها مقالته .

- استخدام الأسلوب القصصي إذ سبق أن ذكرنا أن السباعي في مقالتـــه الاجتماعيـــة يكثر من ضرب الأمثلة المستقاة من واقع مجتمعه وكان يعتمد في نقل تلك الأمثلة علـــى الأسلوب القصصي ، وذلك الأسلوب في تقنياته وشخصياته نابع من بيئته ويعـــبر عـــن أحوال مجتمعه .

وإمعاناً في تحقيق الواقعية والموضوعية كان يلجأ السباعي في كتابة بعض مقالاته وبخاصـــة الاجتماعية إلى أسلوب الرسالة .

وأعني بذلك أنه حينما يريد أن يعالج قضية اجتماعية كارتفاع الأسعار مثـــلاً فإنـــه يبيـــن أسباب تلك الأزمة وطبيعتها وعلاجها على لسان أحد التجار من خلال رسالة بعث بـــها ذلـــك التاجر إلى الكاتب / السباعي فيقول مثلاً : " وصلتني رسالة من أحد الأصدقـــاء واســـمه أبـــو عبدالوهاب الشيخ الذي شاب واكتهل في ميدان التجارة ... لقد أبدى لي أسباباً لأزمـــة المـــواد الضرورية التي تفاجأ بها بلادنا ... وأستطيع هنا أن ألخص ما يراه ويقترحه لعلاج الحال :

إنه يرى العلاج ...

ويرى أن ...

كما يرى ... ثم يشير إلى ... وعندما يأتي على ... ويقول قبل أن يختم كلمته ... "[2]

---

(١) محمد العوين : فن المقالة ، ٢ / ٦٥٦ .

(٢) سباعيات ، ١ / ٧٤ – ٧٧ . وللاستزادة ، انظر نفس المصدر ، ١/ ٢٠ – ٢٢ ، ١ / ٣٧ – ٣٩ .
وحول هذه الملامح والأساليب الفنية في مقالة السباعي ، انظر الدراسة الفنية للمقال

ولتحقيق تلك المعادلة الموضوعية في مقاله الاجتماعي كان يلجأ أيضاً إلى أسلوب المحادثة والحوار وقد تكون الشخصيات التي يحاورها أو يحادثها ويناقشها أو يطرح الرأي على لسانها حول قضية اجتماعية (ما) واقعية وهذا نادر، أو متخيلة وهذا الأغلب[1] .

ومن مظاهرها أيضاً – الخطابية والوعظ المباشر في بعض مقالاته داعياً إلى نبذ سلوك ما وإلى الأخذ بسلوك آخر أو ناقداً وضعاً ما وداعياً إلى تعديله .. وتجلى على وجه الخصوص في مقالاته الصحفية في جريدة الندوة أولاً[2] ثم مجلة قريش ثانياً[3] .

إن واقعية السباعي التي سبق وأن أشرنا إليها لم تكن واقعية تسجيلية حرفية تنقل مشاهد الواقع كما هي فحسب ، بل تعدت ذلك إلى نقد ذلك الواقع في مظاهره السلبية ومن ثم إلى إعادة إنتاج ذلك الواقع من جديد من خلال ما يطرحه الكاتب / السباعي من آراء وأفكار تحيل ذلك الواقع القائم إلى واقع جديد مأمول في المستقبل كما يتخيله فموقف السباعي من قضايا مجتمعه لم يكن موقفاً سلبياً يكتفي بتسجيله وتصويره إنما كان موقفاً إيجابياً تمثل من خلال الموقف الفكري من تلك الأعراف والتقاليد السلبية بتسليطه الضوء عليها ونقدها فهي مقالات تبني وتهدم في آن واحد . فالواقعية لا تعني أن تنحدر الرؤية في نقل البعد الاجتماعي وقضاياه إلى السطحية والسذاجة ومثل ذلك في معالجته . فلا بد من العمق في الرؤية والدقة في التناول .

والسباعي حاول قدر استطاعته أن يجعل نفسه مصلحاً اجتماعياً، يتناول المشاكل الاجتماعية محاولاً وضع حل لها من وجهة نظره، ومن خلال رؤيته الخاصة لتلك المشاكل . ولهذا قد يحالفه التوفيق في بعض الحلول التي يقترحها،وقد يجانبه الصواب في البعض الآخر. بيد أنه يكفيه على أي حال محاولته علاج مفاسد مجتمعه والقضاء عليها بوازع من دينه ووطنيته . فالقدرة على الإصلاح والتقويم : "سمة يجب أن تتوافر في الكاتب ، خاصة في المجالين الاجتماعي والسياسي إذ ما معنى أن يقوم الكاتب في مقالته بعملية توصيف فقط ... عليه أن يقدم أيضاً العلاج المناسب للقضايا والمشكلات في هذين الجانبين ، وعليه أن تكون

---

(١) انظر مثلاً:

سباعيات : الجزء الأول ، ص .ص : ١١- ١٣ ، ١٤- ١٦ ، ٤٦- ٤٧ ، ٥٧- ٦١ ، ٨٧- ٩٣ ، ١٢٦- ١٢٨ ، ١٤١- ١٤٣ .

(٢) انظر مثلاً جريدة الندوة : (ليت شبابنا ينسى زهو الوظيفة) ، ع ٥١ ، ١٩ / ١/ ١٣٧٧هـ ، ص١ ، (الخبز وشكوى الناس من هذا الموضوع) ، ع٣٣ ، ٣٠ / ١١/ ١٣٧٧هـ ، ص ١ .

(٣) انظر مثلاً مجلة قريش : (أعلنوا الحرب على الأمية) ع ٦٩ ، ٢٠ / ٩ / ١٣٨٠هـ ، ص ٣ ، (لا يملك المواطن حيلة للعيش بين الأجانب) ، ع ١٣٠ ، ٣/ ١/ ١٣٨٢هـ ، ص (١، ٧)

مقالاته دعوة للإصلاح ... وهذا يتطلب من الكاتب قدرة على الرؤية العميقة والنظر الطويل الذي يمكنه من حسن قياس الأشياء . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون أن يقدموا وسائل الإصلاح والتقويم أو القضاء على ما فسد من عادات وتقاليد ... لأن هذا يتطلب كتاباً يتميزون بصفات خاصة ورؤية بعيدة ... وحس صادق وعاطفة قوية تجاه أوطانهم ومجتمعاتهم "[١]

والسباعي جاء نتاجه المقالي صورة لحياة مجتمعه .. يحدد بلسان صدق الأدواء ويصف في تعاطف وإشفاق الدواء حرصاً على إصلاح ما فسد وتصحيح سيرة من انحرف .

٢- الأصالة :-

ويجب التنبه هنا إلى أن ما ناقشه السباعي من قضايا اجتماعية كان يتميز في طرحه ومعالجته لها – انطلاقاً من واقعيته – بالأصالة فهو ينطلق في طرحه ومعالجته من خلفية ملمة بمكونات مجتمعه العربي الإسلامي وخصوصياته الثابتة والصحيحة عقائدياً واجتماعياً وثقافياً .. ولذلك لم يدع إلى الأخذ بما يخالف كل ذلك ، أو بأن يسقط على قضايا مجتمعه حلولاً مستوردة لا تناسبه أو تخالف ثوابته الصحيحة ..[٢] .

وهذا المزلق وقع فيه أغلب دعاة النهضة والإصلاح العرب في العصر الحديث ، حيث رأوا أن التقدم لمجتمعاتهم إنما يكون بالسير في الطريق الذي سارت فيه المجتمعات الغربية .. ناسين أو متناسين ما بين المجتمعين العربي الإسلامي والغربي من فروق جوهرية وأساسية في شتى مناحي الفكر والحياة .

٣- الصدق وقوة العاطفة :-

فالسباعي حينما يطرح بعض القضايا الاجتماعية للنقاش أو ينقد بعض السلوكيات والعادات والأعراف فإنما يدفعه إلى ذلك كله حبه لوطنه، وصدقه مع نفسه، رغبة منه في تقدم مجتمعه ورقيه، ولذلك عانى السباعي كثيراً في مناقشته لبعض القضايا الاجتماعية التي طرحها ؛ ولولا التزامه بمبدأ اتخذه لنفسه لكان في مندوحة عن تلك المعاناة[٣] .

وذلك الصدق وتلك المعاناة كانا مصدرين من مصادر قوة المقال الاجتماعي عند السباعي إذ أكسباه حرارة في العاطفة؛ مما أدى إلى تعاطف القارئ معه في كثير من طرحه الاجتماعي. فالسباعي كان صادقاً فيما يدعو إليه، وهدفه الذي كان يسعى إليه واضحاً، لا يماري فيه أحد وهذا ما يفسر لنا لجوء السباعي في بعض مقالاته الاجتماعية إلى الإكثار من استخدام العبارات الحماسية لإثارة الوطنية في وجدان قارئه .

---

(١) د. عبد اللطيف الحديدي : فن المقالة في ضوء النقد الأدبي ، ص ٩١ .

(٢) انظر مثلاً موقفه من قضايا المرأة : هذا البحث ، ص : ٨٣ – ٩٧ .

(٣) سبق أن أشرنا إلى ذلك كما مر بنا في معالجته لقضايا المرأة وغيرها.

وصدق السباعي مع نفسه ومجتمعه ميز كتابته أيضا بالجرأة والشجاعة في الطرح والمناقشة وربما تكون هذه الصفة في الكتابة مرجعها يعود إلى شخصية (السباعي) ذاته .

وتمثلت تلك الجرأة في الطرح في موقفه الناقد لذلك المجتمع الذي يعد الخروج على تقاليده أمرا غير مبرر فما بالك بنقدها وتعريتها .. وتمثلت شجاعته في غمزه لبعض المسئولين وتحميلهم تبعة المسئولية في بعض ما ناقش من قضايا لها صلة بهم كل فيما يخصه ، الصحة ، التعليم ، التجارة ،...[١]

وإن كان اعتمد على الرمز في البدايات[٢] إلا أنه عدل إلى الأسلوب المباشر وبخاصة في فترة صحافة الأفراد . حيث كانت الصحافة تتمتع بهامش واسع من الحرية .

حيث كانت صحيفة (الندوة) أيام السباعي ومن بعد ذلك مجلته (قريش) من أبرز الصحف والمجلات التي اتخذت المصارحة والمكاشفة مع المسئول والمواطن مبدأ لها[٣] .

يقول السباعي : " ما أحلى أن نخلص القول للمسؤولين عن نهضتنا وأن نصارحهم الرأي ما دمنا قد عقدنا العزم حكاما ومحكومين على أن نتعاون في سبيل العمل على تقدم بلادنا "[٤]

ويلحظ أن هذا الصدق وهذه القوة في العاطفة قد سيطرا على أقلام الكتاب والشعراء السعوديين في بداية توحيد المملكة : " فظهر الإنتاج يعبق بأعراف هذه النفحة العاطفية الصادقة "[٥].

٤- الثراء كما وكيفا :

ونعني بذلك تنوع مادة المقالة الاجتماعية من جهة، وكثرتها من جهة ثانية . يمكن القول بأن السباعي لم يكد يترك أمرا ذا بال من أمور المجتمع الظاهرة أو الباطنة إلا وتناوله في

---

(١) انظر مثلا مقالاته الآتية :

خطاب مفتوح إلى سعادة مدير المعارف : البلاد السعودية ، س١٢ ، ع ٦٥١ ، ٣٠/ ٥/ ١٤٦٦هـ ، ص١

خطاب مفتوح إلى سعادة مدير إدارة الحج : البلاد السعودية ، س١٢ ، ع ٦٥٢ ، ١٣٦٦/٦/٧هـ ، ص١

سجلناها عليك يا شيخ عبد الرحمن : الندوة ، ع ٥٣ ، ٢٢/ ١ / ١٣٧٨ هـ ، ص١

أيقال أنه ليس في بلادنا مجانين .. إننا نطالب وزير الصحة : الندوة ، ع ٧٣ ، ٩/ ٣/ ١٣٧٨هـ .

حامي الأخلاق الذي نسي بعض واجباته : مجلة قريش ، ع٦٤ ، ٨/١٤/ ١٣٨٠هـ ، ص٣ .

السجين لا تهدر أدميته لمجرد أنه سجين : مجلة قريش ، ع ١٢٥ ، ٢٠/ ١١/ ١٣٨١هـ ، ص١ .

السيد باشميل في قاموس ألفاظه ما هكذا يا سعد ، مجلة قريش ، ع١٨٦ ، ٢/٢٦/ ١٣٨٣هـ ، ص١

(٢) كبعض مقالاته في كتابه يوميات مجنون ، انظر الدراسة الفنية للمقال من هذا البحث ، ص:١٨٤-١٩٤

(٣) انظر حديثنا عن جريدة الندوة ومجلة قريش في التمهيد من هذا البحث ، ص:١٦-١٨

(٤) سباعيات ، ٢ / ٧٤ .

(٥) عبد الرحيم أبو بكر : الشعر الحديث في الحجاز ، ١٩١٦م - ١٩٤٨م ، من منشورات نادي المدينة المنور الأدبي ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ٢٣١ .

مقالاته موضحا إيجابياته إن كان نافعا، ومنبها إلى مضاره إن كان عكس ذلك . متوخيا النفع العام والإصلاح المنشود .

كما أن بعض القضايا الاجتماعية كانت تمثل له هاجسا ، كقضايا التربية والتعليم والقضايا الأسرية المتعددة وقضايا الطوافة والمطوفين ، وقضايا النهوض والتقدم ؛ فأكثر من الإلحاح عليها معيدا ومزيدا ويمكن أن نتلمس بعض الأسباب التي ترجع إليها كثرة المادة المقالية الاجتماعية عند السباعي :-

فأولها : موهبته الكتابية واستعداده الفطري لمعالجة هذه القضايا .

وثانيها: عمله بالصحافة بداية بصوت الحجاز فالندوة فقريش؛ إذ أوقفه ذلك على كثير من مظاهر حياة مجتمعه بمختلف شرائحه وطبقاته، وما تبع ذلك من قضايا متعددة بتعدد تلك الشرائح والطبقات ؛ كما أن عمله بالتدريس جعله ألصق بالأمور التربوية والقضايا التعليمية وأكثر الناس خبرة بذلك المحيط سلبياته وإيجابياته .

وبالتالي انعكس ذلك العمل بالصحافة وبالتدريس على مقالاته ومضامينها .

أما عمله في فترة من الفترات بالطوافة فقد جعله يطرح قضايا شريحة من شرائح مجتمعه مارست ذلك العمل كمصدر وحيد لدخلها؛ مبينا كثيرا من خبايا تلك الشريحة التي خبرها وما يسود بين أفرادها من صراع واحتكار وأساليب ملتوية للكسب. داعيا المسئولين وأفراد تلك الشريحة في وقت واحد إلى التعاون فيما بينهم، وتنظيم أعمالهم تنظيما يعود من خلاله الكسب والخير على الجميع، كبار المطوفين وصغارهم، بل عامة المجتمع .

وثالثها : يعود إلى مزاج السباعي وشخصيته .

فالسباعي اجتماعي بطبعه.. ولهذا وجه وجهته إلى الحياة الاجتماعية لبيئته فاتخذها ينبوعا لأفكاره ومصدرا لإلهامه ، وكل ذلك التنوع في المادة كان مدعما بثقافة متنوعة أيضا تبدت من خلال ذلك الطرح، كإيراده للعديد من الشواهد التي يستدل بها على رأيه سواء كانت إسلامية عربية أو أجنبية، شعرا أو نثرا، وفي اقتباسه من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال السلف وأقوال المعاصرين عربا أو أجانب[1]

٥- الريادة والأسبقية :-

إذا كانت أعمال السباعي الأدبية : (رواية وقصة وسيرة ذاتية ومحاولة تأسيس أول مسرح) تكتسب أهميتها بالدرجة الأولى من خلال ريادتها الفنية في الأدب السعودي ؛ فإن مضامين مقالاته وبخاصة الاجتماعية لا تقل أهمية في الريادة، وذلك من حيث طرحها

---

(١) انظر الدراسة الفنية للمقال ، اقتباساته وتضميناته ، هذا البحث ، ص : ٢١٤-٢١٩

ومعالجتها للعديد من القضايا . فالسباعي كان رائداً و سباقاً في طرحه ومعالجته لعدد من القضايا الاجتماعية من خلال المقالة .

بل إن كثيراً من القضايا الاجتماعية المحلية التي هي مدار الحديث الآن في محيطنا الثقافي نجد أن السباعي قد عرض لها منذ وقت مبكر جداً كقضايا (السعودة ، وتطوير مناهج التعليم والتعليم المهني ، والبطالة ، ومكانة المعلم الاجتماعية ، وإشكالية المتخلفين من الحجاج والمعتمرين ، ومشاريع النهضة ..) .

وهذا مما جعل كتاباته تنبض بالروح والحيوية – بالرغم من مضي زمن طويل عليها – وذلك لما تميزت به من رؤية مستقبلية بعيدة المدى . وهذه الميزة من أبرز خصائص فكر السباعي ؛ هذا عوضاً عن أن من يقرأ للسباعي من خلال كتاباته التي صدرت قبل أربعين أو ثلاثين عاماً يراه في كثير مما تشهده الساحة التي نعيشها تطوراً وتقدماً كتعليم البنات على سبيل المثال . إذ من أبرز القضايا الاجتماعية التي كان سباقاً في طرحها ومعالجتها من خلال المقالة :-

المطالبة بتعليم الفتاة ، المطالبة بتطوير مناهج التعليم ومساهمته في ذلك مع الاهتمام بالتعليم المهني ، المطالبة بسعودة الوظائف ، مطالبة القطاع الخاص بالمشاركة في دعم النهضة ، المطالبة بإنشاء نقابات لبعض المهن، المطالبة بتشجيع مشاريع النهضة ومشاركته العملية في بعضها ، إثارته للعديد من القضايا الأسرية والتربوية ، نقده المبكر للضار من العادات والتقاليد كنقده ومحاربته للخرافة . وغير ذلك .

هذا مع الأخذ بعين الاعتبار إلى أن بعض القضايا الاجتماعية التي أثراها السباعي وعلى وجه الخصوص التي ناقشها في وقت مبكر (والتي سبقت الإشارة إلى بعضها) قد تخفى علينا قيمتها وأهميتها إذا ما نظرنا إليها بمقاييس عصرنا، وهذا من الإجحاف والظلم فنحن في الحقيقة لا نتبين قيمتها وريادتها إلا بوضعها في سياقها الزمني والتاريخي والمكاني

فمثلاً قضايا المرأة وعلى وجه الخصوص الدعوة إلى تعليمها، تفتقد هذه الدعوة أهميتها وريادتها إذا ما حكمنا عليها من خلال تصورنا لواقعنا المعاش، بينما تتضح ريادتها وأهميتها إذا ما درسنا الواقع والظروف التاريخية التي كانت معاصرة لتلك الدعوة وبالأخص وضع المرأة والموقف من تعليمها في ذلك الوقت .

ومثل ذلك حديثه عن بعض مشاريع النهضة كمشروع القرش مثلاً، فلا قيمة لحديثه عن هذا المشروع إلا من خلال ربطه بالسياق الزمني الذي ظهر فيه، والوقوف على الوضع الاقتصادي للبلاد في ذلك الوقت .

أما إذا تصورناه من خلال سياقنا الزمني الذي نعيش فيه ووضعنا الاقتصادي الحالي فستفقد أحاديثه عن ذلك المشروع وما شابهه قيمتها ودلالاتها .

٦- الخلفية التربوية والنفسية :-

يلحظ الدارس لمقالات السباعي الاجتماعية وبخاصة تلك المقالات التي تتناول فيها أمراً من أمور التربية والتعليم أو سلوكاً ما وقوفه على بعض مفاهيم ونظريات علمي التربية والنفس ويعد هذا الأمر – من جهة أولى – انعكاس وتأثر بقراءاته في هذا المجال بل لقد تعدى هذا التأثر كتاباته إلى واقع حياته الشخصية وقد أشار هو بنفسه إلى ذلك في بعض ما كتبه كقوله :

" كان من المتعارف عليه أن نجاح المدرس رهين بحذقه في استعمال العصا ومهارته في أخذ تلامذته بأقسى أنواع الرهبة، في صور ورثناها من آبائنا وشيوخنا، ودرجنا على احترامها في بيوتنا ومدارسنا، وصادفني في أحد الأيام حصة توترت لها أعصابي وكان يقف على السبورة طالب تعودت نباهته، ولكن الحظ أبى إلا أن يخونه في تلك الحصة فانهالت عليه عصاي (فين يوجعك) !! ويبدو أن الضرب زاده ارتباكاً ... فضاعف ذلك من توتر أعصابي، ورأيتني لا أرفع العصا إلا لأضعها في صورة تركت أثرها في جميع أطرافه، واتصل ولي الأمر بمدير المعارف فهالته هذه الفظاظة ... ورأيتني بعد هذه الغلطة في أشد الحاجة إلى مراجعة ما ورثته من ألوان التربية، فاطلعت على أحدث ما ألف في شأنها، وساقني ذلك إلى تعشق الدراسات النفسية والتربوية، فتوسعت في قراءة الكثير من كتبها، واستطاعت هذه الدراسات أن تحيلني إلى شخص جديد، لا يمت بأي صلة إلى الشيخ القديم الجافي، بدأت أصادق الطلبة وأزيح أكثر الحواجز التي كانت تفصلني عنهم ... ولعل من حسن حظ أولادي أنني لم أنجبهم إلا بعد أن تخطيت هذه التجربة، فعشت أعاملهم كأصدقاء إلا في ظروف خاصة، كثيراً ما كنت اصطنعها لاستبقي لنفسي وقار الأب لا أكثر "[١]

وزهير السباعي أكد بأن كتب التربية وعلم النفس كانت تحتل حيزاً مميزاً من مكتبة والده وبخاصة إذا ما قورنت بما كان يمتلكه أقرانه من تلك الكتب المتخصصة، كما أشار إلى انعكاس تأثير تلك القراءات لوالده في ذلك المجال على طريقة تعامل والده معه ومع أخيه أسامه داخل المنزل وخارجه[٢] .

وهو – من جهة ثانية – صادر عن تجاربه الشخصية في مجالات الحياة المتعددة طفل وطالب، وزوج، ورب أسرة، ومعلم، ومطوف ... الخ .

ويتبدى لنا هذا التأثر بنظريات علم التربية والنفس في مقالات السباعي من خلال أمرين :-

---

(١) الندوة في ٢/ ٥ / ١٣٧٨ هـ ، ص٣

(٢) محاضرة (الجوانب الأخرى من حياة الأديب أحمد السباعي " .مصدر سابق

- أما بإشارته المباشرة إلى ذلك في عرض المقال كقولـــه : " كلنـــا يحـــب الســـمو ويتعشقه ... هذه ناحية مسلمة يدعمها المنطق ويقرها علم الطبائع .. "[١]

وكقوله بعد أن أورد عدداً من النظريات التربوية الخاصة بتربية الأطفـــال أو طريقـــة التعامل معهم وهم ما يزالون في سن مبكرة : " هذه حقائق أقرتها أحدث النظريات فـــي التربية فهل نعقلها ونحن على أبواب نهضة جديـــدة ؟ .. حدثـــت ســـيدة أجنبيـــة مـــن المتخصصات في علوم التربية عن نفسها فقالت : .. "[٢]

- وإما أن يستدل القارئ على ذلك ضمناً من خلال المقال، دون أن يشـــير الســـباعي إلى ذلك إشارة مباشرة، وهذا هو الغالب، فجل مقالاته الاجتماعية لا تخلو من ذلـــك إذا دققنا فيها النظر، وسأقتبس فيما يلي بعض العبارات من مقالاته تدل على ذلك وإن كان لا يغني ذلك عن الوقوف على المقال بجملته إذ تكون الرؤية حينئذ أكـــثر وضوحـــاً وأكثر دلالة على المراد .

فهو عندما يتحدث عن تعامل الوالدين مع أطفالهم يذكّر في البداية الوالدين بأن التعـــامل معهم يجب أن يكون وفقاً لمزاج وطبع كل طفل، لاختلاف الأمزجة والطبائع .

يقول : " ودراسة طباع الطفل ليست من الصعوبة بالمكان الذي نتوهمه ، فالواقع أن كـــل طفل عندنا معروفة طباعه من والديه بالاختبار .. هذا حاد المزاج وذاك رقيقة ، هـــذه عنيـــدة وتلك لينة الحواشي إلى آخر ما هنالك . حتى إذا تم لهما ذلك عاملا كلاً على حدته بما يقتضيـــه طبعه الخاص ، بينما يراعيان في كل ذلك التوسط بين القساوة واللين ... "[٣] .

ويتحدث عن أساليب التعليم الحديثة فيقول :-

" التعليم اليوم استهواء وإيحاءاً أكثر منه إلزاماً وتقريراً، والتعليم اليوم تمارين تنمـــي الإدراك أكثر منه قواعد ومتوناً، والتعليم تبسيط الحقائق وإغراء الطفل باتخاذ موقفة منها مستقلاً عـــن أستاذه ، أكثر من جملة مسبوكة بقلم علامة أو فيلسوف يستظهرها الطالب عن ظهر قلب ...

والتعليم بعد هذا و قبله لباقة وظرف وآصرة من الولاء والحب ، بين المعلم والتلميذ أكـــثر منه شكيمة وصرامة ... "[٤]

ويتحدث عن الغيبة وهي سلوك سلبي فيقول :

---

(١) صوت الحجاز ، مقالة (القوة ، القوة ، ع ٢٥٣ في ٩ / ٢ / ١٣٥٦ هـ ص١ .

(٢) دعونا نمش ، ص ، ص ١٢ – ١٣

(٣) صوت الحجاز : (العائلة مدرسة الطفل الأولى) ، ع ٢٨ في ١٦ / ٦ / ١٣٥١هـ ، ص ٧ .

(٤) البلاد السعودية : (مدارسنا ، ع ٦٣٣ ، في ٢٢/ ١ / ١٣٦٦هـ ، ص ١

" قال لي صديق : أترى صاحب هذه الدكانة ؟ إنه ...وقال لي آخر : ...وقال لي غـــيره :... إنها أحاديث عابرة نستمع إلى كثير من أمثالها في كثير من المناسبات وهي في رأيي لا تـــدل على حقائق من نغتابهم أو ننقل عنهم بقدر ما تدل على حقائقنا المكبوتة ، إن في اسـتطاعتك أن تقرأ جميع أفكار زملائك من مبادلتهم في الحديث، فالنفوس المطوية على خبـــث أو خـــداع أو أفكار فاجرة لا تراقب من أعمال الناس إلا ما يتفق مع ميولـــها أو يصلـــح تفســـيراً لرغبـــات مكبوتة في ضمائرها ، وليس كذلك النفوس المطوية على الطيبة، والفضل، والأمل الباسم لأنـــها لا تراقب في الناس إلا ما يفسر بالطيبة والخير، ولا تلاحظ من أعمالهم إلا ما يتفق ونزعاتـــها في الحياة .. "[1]

وغير ذلك من الأمثلة[2]

---

(١) يوميات مجنون ، ص . ص (٧٣ – ٧٤)

(٢) انظر مثلاً :

مقالة (الاتصال الروحي بين المطوف والحجاج) مجلة الحج العدد الممتاز رقم (١١– ١٢) جمادى الثانيـــة ١٣٦٧ هـــ ، ص . ص (٩٢ – ٩٧) .

ودعونا نمش : ص. ص : ، (٥ – ٩) ، ص . ص (١٢ – ١٣) ، ص ص (١٥ – ١٩) ، ص ص (٣٣ – ٣٦) ، ص ص (٥٧ – ٦٩) ، ص ص (١٤١ – ١٤٥) ، ص ص (١٣٦ – ١٦٨) .

ثانياً: الخصائص الفنية

١-مقاربة لجماليات العناوين ودلالاتها

العنوان لغة :-

عنّ الشيء يَعِنُّ ويُعَنُّ عنناً وعنواناً ظهر أمامك . . . وعننت الكتاب وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه ... وتقول : عننت الكتاب تعنيناً وعنّيته تعنية إذا عنونته ... وسمي عنواناً لأنه يعن الكتاب من ناحيته وأصله عُنّان فلما كثرت النونات قلبت إحداها واواً[١]

وفي الاصطلاح :-

يقصد به الاسم الذي يدل على موضوع الكتاب ... ويوضع عادة على الصفحة الأولى (الغلاف) من الكتاب [٢] .

والدراسات النقدية والأدبية الحديثة تولي العنوان اهتماماً كبيراً : " باعتباره مصطلحاً إجرائياً ناجعاً في مقاربة النص الأدبي ومفتاحاً أساسياً ... للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها ... والنثر – علمياً كان أم أدبياً – يتوفر دائماً على العنوان فالعنوان من سمات النص النثري كيفما كان نوعه لأن النثر قائم على الأصول والقواعد المنطقية.."[٣]

فالعنوان هو : "بمثابة سؤال إشكالي ، بينما النص هو بمثابة إجابة على هذا السؤال ، إن العنوان يحيل على مرجعية النص ، ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته ... "[٤]

وعليه فالعنوان يقدم لنا معونة كبرى لضبط النص وفهمه إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه ويحدد هوية النص[٥]

---

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، دار الفكر ، بيروت ، (د. ت) ، ١٣ (٢٩٠ – ٢٩٤) . والمنجد في اللغة ، دار المشرق ، بيروت ،ط٣٣ ، ١٩٩٢م ، ص (٥٣١- ٥٣٢) . ، ود. أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٦م ، ص (٥٣٥- ٥٣٦)

(٢) مجدي وهبة وزميله : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١٩٧٩م ، ص١٤٥ .

جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص١٨٥ .

(٣) جميل حمداوي ، (السيميوطيقا والعنونة) ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس والعشرون ، العدد الثالث ، يناير مارس ، ١٩٩٧م ، ص (٩٦ – ٩٨)

(٤) المصدر نفسه . ص ١٠٨ .

(٥) د. محمد مفتاح : دينامية النص : تنظير وإيجاز) ، المركز القافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص٧٢ ، بتصرف .

ومن هذا المنطلق سنحاول – فيما يلي – الوقوف على جماليات عناوين الكتب المقالية ودلالاتها أولا، ثم نعرج على ما حملته تلك الكتب بداخلها من عناوين لمقالاتها المتعددة، بالإضافة إلى عناوين بعض المقالات التي نشرت له في بعض الصحف ولم تضم إلى كتبه تلك ثانيا : –

أولا : عناوين الكتب :

أ– يوميات مجنون :

العنوان مركب من مضاف ومضاف إليه. أولا المضاف : (يوميات) ، واليوميات لغة : جمع يوم ، واليوم معروف : مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يراد به الوقت مطلقا ، لا يختص بالنهار دون الليل . . .[1]

واليوميات في الاصطلاح الأدبي : هي عبارة عن قالب فني يسجل من خلاله الكاتب مشاعره وانطباعاته وملاحظاته عما يدور حوله في الحياة، ولليوميات قدرة على المزج بين الذاتي والموضوعي في العمل الفني[2] .

وكتاب السباعي : (يوميات مجنون) هو عبارة عن سجل لمشاعر الكاتب، وانطباعاته وملاحظاته، عن كثير من أحوال مجتمعه في عاداته وتقاليده، وعلاقاته الاجتماعية، وأمور تربوية وتعليمية وغير ذلك . وسجلت تلك المشاعر والانطباعات والملاحظات في شكل أرقام متسلسلة بلغ مجموعها ٤٩ رقما . ولم يضع السباعي لأي منها عنوانا ما عدا الرقم (الثلاثين – ٣٠ ، ص ٨٧) حيث عنون له بـ: (أعيان الحياة مجانين) ، ويلحظ أنه قد يطول ما يندرج تحت الرقم وقد يقصر ، فمثلا ما أندرج تحت الرقم٢٣ بلغ عدة صفحات (ص.ص ٦٢ – ٧١ في حين أن ما أندرج تحت الرقمين (١– ص. ٢٧) و (١٤ ، ص.٥١) ، لم يتجاوز بضعة أسطر . ويلحظ أيضا إلى أن هناك رقما ساقطا من بين تلك الأرقام المتسلسلة وهو الرقم السابع (٧) . ربما سقط أثناء الطباعة أو أسقط لسبب من الأسباب ونشير هنا إلى أن ما أندرج تحت الرقم السابع والثلاثين [(٣٧ – ص. ص ١٠٥– ١١٣)] هو في الأصل عبارة عن قصة قصيرة ، ضمها السباعي بعد ذلك إلى مجموعته القصصية (خالتي كدرجان) تحت عنوان : (أخطأ العفريت ولم أخطئ)[3] .

وتلك الأرقام المتسلسلة إنما تدل على الترتيب فحسب، وهذا كما هو واضح أمر شكلي وظاهري ولا يكاد ينطوي على أية دلالة .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ١٢ / ٦٤٩– ٦٥٠ .

(٢) مجدي وهبه : معجم المصطلحات الأدبية ، ص ٢٤١ .

(٣) انظر هذا البحث ، ص : ٣٣١ ، ٣٣٨

ثانياً : المضاف إليه – (مجنون)

الجنون في اللغة : الاستتار ، تقول العرب : جن الشيء يجن جنوناً إذا استتر ، وأجنة غيره إجناناً إذا ستره ... ومنه المجن الذي يستر المحارب من ضربات السلاح .. ، والليل إذا جن فإنما يستر الأشياء بظلامه .. والمجنون هو المستور العقل ...[١] ، والجنون هو : " اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً .. "[٢] .

والمجنون عند الناس : " من يسمع ويسب ويرمي ويخرّق الثوب ، أو من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون، ولذلك دعت الأمم الرسل مجانين لأنهم شقوا عصاهم فنابذوهم ، وأتوا بخلاف ما هم فيه . . . "[٣]

ومن خلال الجزء الثاني الذي ورد في التعريف السابق للمجنون ، نجد أن الجنون بتلك الصفة ورد في القرآن الكريم : " في أربعة عشر سورة وترددت – هذه الصفة – في عشرين آية وهي تحمل معنى الجنون كصفة يطلقها المجتمع على الفرد بقصد التشكيك فيما يدعو إليه من أفكار تخالف ما اعتاد المجتمع عليه... وقد وجهت هذه التهمة إلى الرسل ، فقد وصف الرسول بالجنون في ثلاثة عشرة مناسبة، سواء أكانت هذه الصفة منسوبة إليه، أم منفية عنه، وقد كذب القرآن الكريم تلك المزاعم وفندها .. "[٤] ولم ينفرد : " الرسول بهذه التهمة بل أتهم من قبله نوح وموسى وتكرر هذا الزعم على مر العصور "[٥] .

وانطلاقاً من هذا المفهوم (للجنون والمجنون) وظفهما الأدب توظيفاً فنياً ، يتلخص في أن يتخذ المبدع من الجنون والمجنون قناعاً يطرح من خلاله أفكاره وآراءه .. والتي بطبيعة الحال – تخالف ما اعتاد عليه مجتمعه .

وهذا التوظيف الفني بالمعنى الذي سبق ذكره عرفه التراث العربي والأدبي قديماً : "والواقع أنه لم تتوفر أمثلة كثيرة تكشف ما غطى من توظيف الجنون توظيفاً أدبياً إلا ما كان من إشارة الجاحظ حين لفت النظر إلى أن الرقاشي وأبا نواس كانا يقولان على لسان أبي يس

---

(١) ابن منظور : اللسان ، ١٣/ ٩٢- ٩٩

والزمخشري : أساس البلاغة ، دار الفكر ، بيروت ، (د. ت) ، ص . ص (١٠٢ – ١٠٣)

(٢) الجرجاني : التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب ، ط٤ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، مفردة رقم ٥١٥ ، ص ١٠٧ .

(٣) ابن حبيب : عقلاء المجانين ، شرح وتعليق عبد الأمير مهنا ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٣ .

(٤) د. رمضان بسطاويسي : الجميل ونظريات الفنون دراسات في علم الجمال سلسلة كتاب الرياض ، رقم (٢٥ ، ٢٦) ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٤٠٢ .

(٥) أحمد الخصخوصي : الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٩٩٢م ، ص ٦٨ .

الحاسب أشعارا على مذهب ابن عقب الليثي ويرويانها أياه حتى إذا حفظها (لم يشك أنه الذي قالها) وقد ساق الجاحظ مثالا من هذه الأشعار التي قالها أبو نواس .. "[١] ، بينما يوسع أحد الدارسين هذا التوظيف الأدبي للحمق والجنون في التراث العربي ، فيرى أن كل ما جمعه أدباء العرب القدامى كالجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وابن الجوزي ..وغيرهم من أخبار وحكايات ونوادر للحمقى والمتحامقين والمتجانين في ثنايا مؤلفاتهم يدخل تحت هذا التوظيف الفني الأدبي ، ويقر بأن ذلك التوظيف – بمعناه الذي سبق وأن أشرنا إليه – لم يكن بوعي من أولئك الأدباء والكتاب إلا في القليل النادر وإثباته يحتاج إلى دراسات وأدلة[٢] .

ويشير إلى هذه الظاهرة باحث أخر ، فيرى أن مصادر التراث العربي الإسلامي أولت صوت الجنون : " عناية فائقة ، فأوردت حيزا واسعا لأخبار المجانين ونوادرهم ومواقفهم ... إن المثقفين في المجتمع العربي الإسلامي من متصوفة ومؤرخين وأدباء وقاصين ووعاظ قد استعملوا صوت الجنون ، كل من موقعه في شبكة الصراع الاجتماعي ... فأدرجوه في مؤلفاتهم في سياق ممارساتهم الثقافية والإبداعية المختلفة "[٣]

وفي الأدب العالمي وظف الجنون توظيفا أدبيا وفنيا وكان المجنون موضوع استلهام لعدد من الأعمال الأدبية . فوظفه على سبيل المثال شكسبير في بعض مسرحياته[٤] ودستوفسكي في بعض رواياته[٥] ... وغيرهما[٦] .

ولو وقفنا عند الأدب العربي الحديث لوجدنا بعض الأعمال الأدبية التي توظف الجنون توظيفا أدبيا فنيا . وأول من يستوقفنا في هذا المجال ، جبران خليل جبران في كتابه :

(المجنون) والذي صدرت طبعته العربية الأولى عام ١٩٤٩م . بينما ظهر في طبعته الإنجليزية الأولى ، عام (١٩١٨م) .

يقول جبران في مقدمة كتابه ذلك : –

" هذه قصتي إلى كل من يود أن يعرف كيف صرت مجنونا : في قديم الأيام ... نهضت من نوم عميق فوجدت أن جميع براقعي قد سرقت ... فركضت سافر الوجه في الشوارع

---

(١) أحمد الخصوصي : الحمق والجنون في التراث العربي ، ص ٢٦٦

(٢) أحمد الحسين : مقالات في أدب الحمقى والمتحامقين ، دار الحصاد ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ م ، ص.ص (٦٤- ٨٦) .

(٣) محمد السمان : خطاب الجنون في الثقافة العربية ، رياض الريس للكتب ، لندن ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص.ص (١١- ١٣)

(٤) د. شاكر عبد الحميد : الأدب والجنون ، دار غريب القاهرة ، ط١٩٩٨م ، ص.ص (٤٥ – ٦٠)

-(٥) المصدر السابق : ص .ص (٦٣ – ٨٤)

_ (٦) انظر المصدر السابق ، ص (٨٦ وما بعدها) ، ومجدي وهبه : المصطلحات ، ص ١٥ .

المزدحمة صارخاً بالناس : (اللصوص ! اللصـــوص ! . . .) فضحـك الرجـال والنسـاء وهروب بعضهم إلى بيوتهم خائفين مذعورين . وعندما بلغت سـاحة المدينـة إذا بفتـى قـد انتصب على أحد السطوح وصرخ قائلاً : (إن هذا الرجل مجنون أيها الناس !) وما رفعـت نظري لأراه حتى قبّلت الشمس وجهي ... فالتهبت نفسي بمحبة الشمس ولم أعد بحاجـة إلـى براقعي... هكذا صرت مجنوناً ، ولكني قد وجدت بجنوني هذا ، الحرية والنجاة معاً ... "[1]

وأحدوثة مجنون جبران ترمز إلى " عبقرية المريد المتفرد الذي يتخطى النـاس ويمضـي فيما قدر له ولو خالف سائر الناس .. "[2]

وبعد جبران نجد توفيق الحكيم يستخدم هذا العنصر الفني في بعض مؤلفاتـه كمسـرحية : (نهر الجنون) والتي صدرت عام ١٩٣٥م . وهي (من فصل واحد وتقع في اثنتـي عشـرة صفحة .. وفحواها أن الناس وحدهم هم الذين يملكون الفصل بين العقل والجنون ...ولكن مـا قيمة نور العقل في وسط مملكة من المجانين "[3] .

ونجد هذا التوظيف الفني كذلك في بعض قصص يوسف إدريس ونجيب محفوظ .[4]

وحينما نعود إلى : (يوميات مجنون) للسباعي ، نجده يوظف الجنون والمجنون فـي كتابـه هذا توظيفاً أدبياً فنياً ، نابعاً من إدراك ووعي بذلك التوظيف ، ويمكن الاستدلال علـى ذلـك بالأمور الآتية :

أولاً :- تصديره لكتابه بآيات من القرآن الكريم :-

سبق وأن أشرنا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الرسل حينما أتى بمـا يستنكرون عليه مجتمعه ، كذبه ذلك المجتمع وألصق به تهمة الجنون زوراً وبهتاناً ، فكذبـها القرآن الكريم وفندها .. ومن هنا نجد السباعي يصدر كتابه هذا بآيات من القرآن الكريم منـها: قوله تعالى { ن ، و القلم وما يسطرون * ما آنت بنعمة ربك بمجنون } سورة القلم (آيـة ١،٢) . فما تصديره هذا بالآيات الكريمة السابقة لكتابه إلا أكبر دليل على وعيه بـهذا التوظيـف الفني الأدبي لهذه الظاهرة (الجنون والمجنون) .

---

(١) جبران خليل جبران : المجنون ، تعريب انطونيوس بشير ، تقديم وإشراف : ميخائيل نعيمة ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦م ، المجموعة الكاملة ، م٨ ، ص٧ .

(٢) د. علي شلق : النثر العربي ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ وانظر : محمد السمان : خطاب الجنون ، مرجع سابق ، ص٢٠٣

(٣) د. محمد حسين الدالي : عملاق الأدب توفيق الحكيم ، سلسلة اقرأ رقم (٥٤٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٩٨٩م . ، ص ، ص (١١١- ١١٢)

(٤) د. شاكر عبد الحميد : الأدب والجنون ، ص ١٤١ .

ثانيا :

وصفه في مقدمة كتابه للمجنون – صاحب هذه اليوميات – ومحاولته التعريف به وسبب تسميته بذلك . وهي مقدمة طويلة نسبيا _ (تقع في نحو ٢٣ صفحة) _ وسأورد ما أراه تأييدا لهذا العنوان وفلسفته مما جاء في تلك المقدمة : –

" رأيته أول ما رأيته في سهرة خاصة في بيت أحد أصدقائي فأنكرت منه نظرة شزراءحدجني بها وأنا أحييه . إنه لم يحفل بالتحية فآلمني ... أكبرت تعاليه بقدر ما استصغرت هواني ، وزاد حردي عندما رأيته يتناول جريدة كانت في متناول يده ... ويقلب صفحاتها في برود ... وعاد جاري في المجلس يميل على أذني ويسر إليها : (إن صاحبك مجنون فلا تكلف أعصابك ما يرهقها) . أمجنون هو ؟؟ إن هذا آخر ما يمكن أن يقال .. أمجنون هو ؟؟ ما أكبر هذا . المجنون الذي يعرف كيف يمتحن الأعصاب الضعيفة ، ويعلن بين الناس خورها وعدم تماسكها !! ... وانطلقت الألسن بعد خروجه على عادة الحياة بين أبنائها . فقال أحد الجالسين إن الشذوذ ، سينتهي بهذا الرجل إلى ما يعجز عنه العلاج . وقال آخر : إن الوساوس تملكت رأسه فهو منها في شر مستديم... أما مضيفنا صاحب البيت فكان لا يرى ما يرون ... إنه لا ينكر عليه إلا بعض التطرف الذي ينكره الناس على أصحاب الآراء الحرة في الحياة...– إلى أن يقول – وبينما أنا أجلس في أمسية أحد الأيام في ردهة المطبعة ... إذا بصاحبي (الأستاذ) على خطوات مني ... كانت فرحة لا بد من اهتبالها لدعوة (الأستاذ) إلى مجلسي ... وواتاني صوته وأنا في غمرة من اضطرام أفكاري فلامس صوتي في خفوت الأصوات الحالمة ، ثم انطلقت نبرته في جرس يئز أزيز الأثقال المشدودة إلى جمال قوية الخطوة وئيدة الإسار – : إنك يا صاحبي قرين قوم أحاول ألا أكرههم ولكني – وأنا أصدقك القول – لا أشتهي أن أحبهم . لهذا كنت أتمنى أن لا تجمعني بمثلك مناسبة ...لم أدهش كثيرا لما قال لأن فكرة إضافتي إلى جماعة الأدباء الذين يمقتهم لا تزال عالقة بذهني من أول يوم رأيته فيه يحدجني بالنظر الشزر ... قلت ... إنك ولا ريب لم ترتجل كراهتك

ارتجالا شأن إنسان بادئ الرأي يتأثر بالفكرة الطارئة والهوى الجامح... قال... أ رأيت في حياتك أديبا لا يؤجر ؟ ستقول إنه ينقصني أن أفرق بين أديب مرتزق ، وأديب أصيل .. إني أفهم الأصيل كفنان يرضي حاجته إلى الذوق الرفيع دون أن يأبه لتفاعلات الحياة التي كونت وجدانه وهيأته لسائر القيم التي توارثتها بيئته... إن أجرأهم قلما لم يقو إلى اليوم أن يستن للناس نهجا يخالف ما ألفوا من مناهج ، أو يطعن تقليدا طال اطمئنان الجماهير إليه واحتل من نفوسهم مكان القداسة والتحبيذ ... إني لا استاء لشيء استيائي لهذا العبودية التي تنغص حياتي

والتي عجزت إلى اليوم عن كسر أغلالها ... لهذا ظنني بعضهم أوسوس ، وأضافني غيرهم إلى أصحاب الشذوذ ولم يتورع كثير منهم عن اتهامي بالجنون ... هذه هي المأساة التي أشكوها من كل أديب أصيل، لا في بلادنا وحدها بل في أكثر بلاد الشرق العربي .. "[1]

ثالثا :

استخدامه للفظة الجنون ومشتقاتها ومترادفاتها : " كالهذيان ، السفه ، الهبل ، السخافة ، الخبل ، الوسوسة ، المريض بعقله ، المريض بأعصابه ، المتطرف .. " استخداما يدل على ذلك التوظيف الأدبي الفني لها . ويتضح ذلك من خلال ربط تلك الألفاظ بسياقها الذي وردت فيه . فهي تدل على أن الجنون والمجنون – عند السباعي – هو الإيتان بما هو مخالف لعادات المجتمع وتقاليده – السلبية طبعا – مع نقد تلك العادات والتقاليد.. ولذلك فالمجتمع يستكثر مثل هذا الفعل، ويعد القائم بذلك الفعل خارجا على نظامه، ومن ثم يسمه بالجنون .

وبلغ استخدام الكاتب لتلك الألفاظ في كتابه هذا قريبا من المائتي مرة – بما في ذلك ما حوته المقدمة – والغالب عليه استخدام لفظة الجنون فهي العبارة المركزية في الكتاب . ويلحظ أنه لزيادة التأكيد على هذا التوظيف الفني فإن الكاتب يستخدم أحيانا ألفاظا للتعبير عن نقيض الجنون كالعاقل ، والنقادة النزهيه، ونحو ذلك من باب المقابلة التي تهدف إلى السخرية .

ونورد فيما يلي : نماذج من تلك اليوميات ندلل بها على ما ذهبنا إليه :-

فهو يقول مثلا في الفقرة الأولى من تلك اليوميات على لسان صاحبها المجنون:

" ليس في الأمر ظالم أو مظلوم .. إنهم هنا يتفقون على جنوني .. أما أنا فلست أرى بينهم عاقلا واحدا !! إذن فنحن متكافئون وليس بيننا ظالم أو مظلوم . وإذا اختلف بعضهم في شأني فليس في هذا البعض من ينفي عني صفة الجنون بل إنهم ليرون الجنون فنونا ، فهم مختلفون في الفن الذي ينتظمني ، أما أنا فلا خلاف عندي أنه ليس بينهم عاقل واحد " ، يوميات مجنون ، ص ٢٧ .

ونحو ذلك قوله :

" قيل عني إنني مجنون يوم تنكرت لأكثر معارفي ولم أستصف لودي إلا عددا ضئيلا أثبتت التجارب أنه خليق بالاستصفاء والود !! .. " يوميات مجنون ، ص ٢٩

وقوله : " ليس من آيات العقل عندي أن أسلم بكل قصة تنال شرفك أو سمعتك أو أومن على أي حديث يصلني عن مزاياك العظيمة .. تلك آيات العقل في رأيي ولعلها من آيات جنوني في رأي الآخرين " ص. ص (٧٥ – ٧٦) .

وكقوله : " أعيان الحياة مجانين هذه حقيقة لها قيمتها في تسلية نفسي .. " ، ص ٨٧ .

---

(١) يوميات مجنون ، ص.ص (٣- ٢٠)

وكقوله :

" إن أذهاننا تقصر في كثير من الأحيان عن فهم أسرار الحياة الراقية ، فلا غرابة أن نهرف بما لا نعرف ، وأن نقذف بالجنون كل فكرة لا تتسع لها أفهامنا .. " ، ص ١٠٣ .

وكقوله :

" ما أروع أن ينتصر المجانين بانتصار الحياة في جيلها الحاضر، وقد أثبتت الأيام صدق أفكارهم وصحة خيالاتهم التي كانت تثير ضحك العقلاء وسخرياتهم ... " ، ص ١٢١ .

ومن منطلق الوعي والإدراك لهذا التوظيف والذي أتضح لنا من خلال الأمور السابقة تبين لنا على ضوء ذلك صوت الجنون والمجنون الذي تبناه الكاتب . ومن ذلك المنطلق فإن الكاتب لا يمقت من عالم المجانين إلا مجنونا واحدا ويرى أن نسبته إلى ذلك العالم – بحسب رؤية وتبني الكاتب له شبة ظالمة – يقول في هذا :-

" .. على الرغم من هذا التجاوب العاطفي الذي أشعر به نحو المجانين ، فإني أمقت مجنونا واحدا في الحياة وأحتقر سيرته ...وأجدف على الصيت الذي تمتع به عبر الزمان . ذلك هو مجنون ليلى[1] ! إذا صحت سيرته ، ولم يخترع الرواة .. شخصيته من خيال .. فلقد أساء المجنون بسيرته التي تناقلتها الكتب إلى المجانين ، وظل إلى اليوم عارا يستاء لقصته كل مجنون ويغض طرفه خجلا منها . لقد استخذى أمام الحب ، ومرغ شخصيته في الأوحال... وعهدنا بأسيادنا المجانين أقوى شكيمة وأرفع نفسا من هذا التبذل ... والقصة إن صحت في شيء فإنما تصح في قصص الخيال ومبالغات القصاصين الكذبة الفجرة ... إن في وقائع القصة ما يدلل على تهافتها .. لحى الله المختلقين بما أساءوا ، وجزاهم بما شوهوا من سمعة المجانين . " ص.ص (١٣٣ – ١٣٥)

فالكاتب يعتبر ذلك الشخص دخيلا على عالمه الذي يتبناه، ومن هنا يعتبر نسبته إلى ذلك العالم من باب تشويه سمعة المجانين، ودفاعا عن تلك السمعة شكك في وجود ذلك الشخص ،

---

(١) هو : (مجنون بني عامر : قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، صاحب ليلى يضرب به المثل في الحب وهو أشهر من أن يذكر وشعره أسير من أن ينبه إليه ، لقب بالمجنون لهيامه في حب ليلى بنت سعد ، لا تعرف سنة ولادتها ، توفي سنة ٦٨هـ ..) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني : ٢/ ٣-٨٨
انظر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، ٥ / ٢٠٨ – ٢٠٩ . وانظر أيضا : ديوانه بشرح د. يوسف فرحات سلسلة شعراؤنا ، دار الكتاب العرب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، المقدمة : (سيرة المجنون) ، ص . ص (٥ ــ ٩)

ويمكن أن نقول إن السباعي هنا حاول أن يتكئ على ما أثاره بعض المؤرخين والدارسين المحدثين ، حول وجود هذه الشخصية[١]

والسؤال الذي يطرح نفسه في نهاية هذه المقاربة لعنوان الكتاب .. هو لماذا لجأ السباعي إلى اتخاذ الجنون قناعاً طرح من خلاله آراءه وأفكاره .. ؟

الحقيقة أن **المبدع** يلجا إلى اتخاذ ذلك القناع لأسباب ودوافع عدة لا يمكن حصرها[٢] وليس هذا مجال ذكرها والذي يتفق منها مع ما نحن بصدده هنا يمكن أن نوجزه فيما يلي :-

يمكن القول بأن السباعي لجأ إلى هذا الأسلوب لأنه كان يشعر أن من الصعب عليه مواجهة بيئته بما تكره من الحقائق، مواجهة سافرة فلجأ إلى هذه الحيلة ، فلكل عصر وثقافة قوانين، من يتمرد على سلطتها ويخترق قوانينها يواجه غضب المجتمع وسخطه .. في حين أن المجنون إنسان يسير على هواه .. دون أن يعترض على سلوكه أحد وبهذه الطريقة يستطيع المتجانن أن يقول ما يريد، وسبق أن استخدم السباعي هذا الأسلوب قبل أن يضع مؤلفه هذا . وأعني بذلك بعض مقالاته التي نشرها في صوت الحجاز واتكأ فيها على الرمز ، وسبق أن أشرت إلى ذلك[٣] هذا من جهة ، ومن جهة ثانية – فيما أحسب – لكي يخلي ابتداً مسئوليته ويعلن تنصله .. فراراً من خطر قد يتربصه – فيما يعتقد – أو شر ينتظره .. وهو بهذا وفق بين نقيضين ، القدرة على النقد ، والنجاة من العقاب .

وحول هذه النقطة الأخيرة يجب التنبه إلى أن للجنون والمجنون خصوصية من حيث التعامل معه في الفكر الإسلامي، حيث ورد في هذا عدد من الأحاديث منها ما روته عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق "[٤] واستناداً على هذا

---

(١) شكك أبو الفرج الأصفهاني في وجود هذه الشخصية في كتابه الأغاني وأورد حول ذلك عدداً من الروايات ، انظر – الأغاني ، (مرجع سابق) ، ٢/٣- ١٢
ومن الدارسين المحدثين طه حسين الذي رأى أنه ليس لهذا الشخصية وجود حقيقي وإنما هي من اختراع الرواة والقصاصين . يقول :-
(الرواة يختلفون في وجود قيس ، فأما الثقات منهم فقد أنكروا وجوده ..) : حديث الأربعاء ، دار المعارف ، ط ١٢ ، ١٩٧٦م ، ١/ ١٧٦ ، وما بعدها، وأيد هذا بعض من جاء بعده ، يقول د. عبد الحميد محمد : (قصة مجنون ليلى .. قصة مهلهلة مكتظة بالأسانيد والحشو، ليس فيها ترتيب وإنما هي مجموعة من الأخبار ضم بعضها إلى بعض كيفما اتفق ..) ، قصص الحب العربية أغراضها وتطورها . ، سلسلة اقرأ (٢٨٨) دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٩١ .
(٢) حول بعض هذه الأسباب والدوافع انظر : أحمد الحسين ، مقالات في أدب الحمقى ــ مرجع سابق ، ص.ص (٨٧ – ١١٦)
(٣) انظر هذا البحث ، ص:٦٣-٦٤ ، ٨٦-٩٠ ، ٣٩٠
وعبد الله عبد الجبار :التيارات الأدبية في قلب الجزيرة ، مرجع سابق ، ص.ص (٢٠٢ – ٢٠٣)
(٤) رواه النسائي في سننه وصححه الألباني – انظر : صحيح سنن النسائي باختصار السند ، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته وفهرسته زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، حديث رقم ٣٢١٠ – ٢/ ٧٢٣ .

الحديث وغيره . فإن الجنون عند علماء الأصول من عوارض الأهلية، وهي صلاحية الإنسان للاعتداد بأفعاله شرعا ولوجوب الحقوق له وعليه[1] . ويبدو أن السباعي تنبه إلى هذه الخصوصية حينما قال في كتابه هذا :- " أما أنا فلا أبري نفسي من كل هذه الأثام ولكني مجنون ، وليس في شريعة الله ما يؤاخذ به المجانين " ، ص٥٥ .

فما سبق يمكن اعتباره دوافع موضوعية .

ويمكن أن نعد بأن هناك دافعا فنيا إلى جانب تلك الدوافع الموضوعية، يتمثل في أن عنوان الكتاب يثير الدهشة والتعجب، ومن ثم حصول ما يمكن أن نسميه باللذة الفنية عند قراءة هذا الكتاب " حيث إن ما يحدث العجب يحدث اللذة "[2] ومصدر تلك الدهشة والتعجب نابع من نسبة تلك اليوميات إلى عالم غرائبي (عالم الجنون) . من خلال ذلك القائل الغريب / المجنون . فالقائل الغريب يظهر في عدة أشكال " فهناك المجنون والمهرج والمجذوب والساحر والشاذ والشاعر .. "[3] والشعور " بالغربة هو علة التأثير الذي ينتاب المتلقي .. "[4] فهذا العنوان محرض على القراءة، من خلال غرائبيته بانتسابه إلى عالم بعيد عن التصورات المألوفة لدى المجتمع .

ومن هنا كان العنوان مثارا لتساؤل بعض الأدباء السعوديين عند صدوره حينذاك :

يقول أحدهم :

" مجنون الأستاذ السباعي خليق بأن يكون فيلسوفا اجتماعيا ، عرف الحياة بواقعها وبما فيها من خير أو شر ... ومع ذلك فما أدري من أين أتاه الجنون ولماذا اختار له الأستاذ السباعي هذا الوصف دون أوصاف أخرى ... وما صاحبنا بمجنون ولكنه ولع الأستاذ السباعي (بالمجانين) في كثير مما يكتب .. "[5]

بينما كاتب آخر لم يفهم مراد السباعي من تسمية ذلك الكتاب .. بل ذهب إلى أن تلك التسمية كانت سببا في عدم إقبال القراء عليه : " إن كلمة (مجنون) قللت – في الواقع – من قيمة ما بداخل الكتاب من فلسفة فيها عمق كثير وصدق أكثر . فمجتمعنا ينفر من المجنون ويحقره بل يخافه خوف الأسد ، والمجنون عندنا شخصية ممتهنة لا كرامة لها ولا حقوق ..

---

(١) انظر : أبو إسحاق ، إبراهيم الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، شرحه وخرج أحاديثه ، عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، ١/٢٥٣- ٢٥٤ .

(٢) عبد الفتاح كليطو : الأدب والغرابة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٧م ، ص ٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص٥٧

(٤) المرجع نفسه ، ص٦٠

(٥) عبد الله عريف : (مقالة (يوميات مجنون) ، البلاد السعودية ، ع ٢٨١٦، في ٢٢/ ١/ ١٣٧٨هـ ، ص ٤ .

ورجائي من الأستاذ (أحمد) أن يشرح لنا السر الكامن وراء اختيار كلمة مجنون ... لعل هذا التفسير والشرح يذهب من بعض النفوس ما تشعر به من تقزز ونفور .. "[1]

بينما أعجب به ثالث وفهم مراده :

" تمنى كثير من العقلاء أن لو كان لهم مثل عقل هذا (المجنون)، إذن لنقطع دابر الجنون من جذوره ، فما هو إلا إحدى الهبات التي لا تقدر بثمن ، هبات البصيرة النيرة والأسلوب الحكيم... وهكذا وجدتني وأنا ألتهم (يوميات مجنون) فما ألقيتها من يدي، ولا رفعت منظاري من فوق أنفي حتى كنت قد فرغت من آخر سطر في آخر صفحة من الكتاب، وما تلك بعادتي في أكثر ما أطالع ... انظر إلى الأستاذ (السباعي) بعد كل ما قرأته من وطنياته الخالدة نظري إلى طبيب (عملاق) ينطح السماء بروقيه ويضع يديه على مواضع الألم من كل عضو في كياننا العام .. "[2] .

وبلغ من إعجاب الغزاوي بذلك الكتاب أنه استثاره فحاول أن يكتب على نسقه بما سماه : بـ(ليليات عاقل)[3] من باب المقابلة .

وفي الختام نسجل هنا بأن السباعي كان رائد هذا الأسلوب الأدبي الفني في الأدب السعودي ، ولم يظهر كاتب في عصره أو قبله ينازعه هذا الريادة بل كان مؤثرا في غيره ممن أتى بعده من الأدباء السعوديين[4] . أما بمن تأثر السباعي في أسلوبه هذا ، فلا استطيع الجزم بجواب فاصل ، ولكني أقول ربما كان هذا الأسلوب نتاجا لقرآءاته في التراث العربي أو لقراءاته في الأدب الحديث لا سيما لبعض الأدباء الذين استخدموا هذا الأسلوب كجبران والحكيم ، وليس بين يدي دليل يرجح هذا أو ذاك ، وإن كنت أخمن أن فكرة هذا الأسلوب أوحت إليه بها قراءاته لأدباء العصر الحديث . وبخاصة جبران . ويمكن أن ندعم هذا التخمين ليقرب من الرجحان بمقطع ورد عن جبران حيث يقول فيه :

" أم هل شك في قوته – يعني يسوع الناصري – عندما قال للذين حملوا الزانية إليه ليجربوه : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر .. "[5] .

حيث أن هذا المقطع السابق ورد بمعناه عند السباعي وهو كما يلي :-

---

(١) عبد الله سلامة الجهني : (يوميات مجنون) ، الندوة ، ع ٥٧ في ١/ ٢ / ١٣٧٨هـ ، ص ٢

(٢) أحمد إبراهيم الغزاوي : (يوميات مجنون) . الندوة ، ع ٥٥ في ٢٦ / ١/ ١٣٧٨هـ ، ص٢ .

(٣) انظر ، الغزاوي مقالة : (على هامش اليوميات) ، الندوة ، ع ٥٧ ، ف ١٣٧٨/٢/١هـ ، ص٢

(٤) انظر هذا البحث ، ص:٣٠٩

(٥) جبران : يسوع ابن الإنسان ، المجموعة الكاملة ، مرجع سابق ، ترجمة : انطنيوس بشير ، ٧ / ٣٥ ، وانظر المرجع نفسه ، ٧ / ١١٣- ١١٤ .

" وسلام الله على عيسى فقد جيء إليه بامرأة أمسكت وهي تزني ، وقيل له إننا نطالب برجمها ، فأطرق مليا ثم قال : من منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر ، ولما رفع رأسه لم يجد أمامه غيرها ، لعلهم خجلوا !! فما يمنعنا أن نخجل ؟ ! "[1] .

ب – دعونا نمش :

إن عبارة (دعونا نمش) هي العبارة المحورية التي يقوم عليها هذا الكتاب . فقد كررها الكاتب في نهاية كل مقال – تقريبا – من المقالات التي ضمها كتابه هذا والتي يبلغ عددها اثنتين وثلاثين (٣٢) مقالة ، عدا مقالتين لم ترد فيهما هذه العبارة نهائيا إحداهما مقالة (يتسابقون بين أرجل الحجاج ، ص . ص ٢٤– ٢٨) والثانية مقالة : (لنهدم هذه البيوت ، ص .ص ٤٣– ٤٤) . وهي قد ترد في بداية المقال أو عرضه وإن كان قليلا حدوث ذلك مقارنة بإيرادها في نهاية المقال .

ومن أمثلة إيرادها في نهاية المقال قوله في خاتمة مقالته التي تحدث فيها عن أهمية التربية السوية للأطفال وأثرها في بناء مستقبل الطفل بعد أن حث الوالدين على عدم الإفراط أو التفريط في تلك التربية عقابا أو دلالا " نريدهم ليكونوا رجالا بكل ما في معنى الرجولة من نضج واستواء لتقوا سواعدهم على بناء المجد الذي نتمناه !! فانهضوا للفكرة ودعونا نمش !! (ص٩) .

ومن ذلك مقالته التي تحدث فيها عن سمعة البلاد ودورنا في المحافظة عليها لا سيما وهي بلاد الحرمين الشريفين، ومن ثم عرض فيها ببعض الفئات التي تسيء لسمعة البلاد كالمتسولين وبعض السياح .. وبين دور العلم والثقافة في القضاء على مثل هذه الظواهر السلبية . ثم ختمها بقوله : " فالجاهل معذور في كل مكان حتى تعلمه ما جهل ، فدعونا نتوسع فيما ننشر من ألوان العلوم ، لنخدم بلادنا في سمعتها وما يليق بمركزها ونخدم كياننا بما نهيء له من وسائل الحياة الشريفة . وأخيرا .. دعونا نمش " (ص ، ٣٢) .

وفي مقالة أخرى يتحدث عن ظاهرة سلبية متفشية في المجتمع ألا وهي ظاهرة الفردية وانعدام روح الجماعة ومن ثم انعدام روح المسئولية ، والتعاون بين أفراد المجتمع، شارحا مضار هذا الظاهرة، مبينا فوائد التعاون ودوره في النهوض بالمجتمع ثم قال في خاتمة تلك المقالة :

" دعونا نفهم أن كيل الفرد منا هو كيل المجموع، وأن تجارة الفرد وصناعته وعمله كائنا ما كان هو تجارة وصناعة وعمل المجموعة ، دعونا نفهم أن أعوادنا حزمة واحدة ليس فيها

---

(١) يوميات مجنون : ٥٦ .

طرف ولا نشاز، وأننا نحن سواسية أمام الله، فيجب أن نكون سواسية أمام المسئولية العامة لا يتميز أدنانا على أعلانا . وأخيرا .. دعونا نمش " (ص ٥٠)

وعلى هذا النحو كانت بقية المقالات .

ومن أمثلة إيرادها في البداية، مقالته التي تحدث فيها عن أهمية الاهتمام بفئة من فئات المجتمع بتشجيعها ومد يد العون لهم بايجاد أعمال لهم تتفق مع وضعهم وفقا لما هو حاصل لدى الأمم الأخرى تلك الفئة هي فئة المعاقين فقال في بداية مقالته تلك :

" دعونا نمش في نشاط وقوة ، فقد انبلج الصبح وأوشكت الشمس أنت تغمرنا من الحدود إلى الحدود وتكوي مضاجع المتراخين منا ، كنت في نقاش لي مع بعض أصحابي .. حتى استطرد الحديث بنا إلى ذوي العاهات والعاجزين .. " (ص، ٩١) .

ومن أمثلة إيراده لها في وسط المقال قوله في ذلك المقال – بعد أن تحدث عن بعض المظاهر السلبية في البيع والشراء – : " .. دعونا يا قوم نمش في خطى ثابتة شاملة ، تستغرق كل مرافقنا .. لنثبت للحياة أننا جديرون بها ، وأن أهليتنا للنهوض والتقدم لا تقل عن أهلية غيرنا من الأمم التي تعاصرنا .. " (ص ٣٤).

وعلى هذا فتكرار العبارة يسير على مستويين :

١–على مستوى موضوعات الكتاب المتعددة إجمالا بمعنى أنها تكررت في أغلب مقالات الكتاب .

٢–وعلى مستوى الموضوع الواحد نفسه أي أن الكاتب قد يكررها في متن بعض الموضوعات أكثر من مرة .

فهذا التكرار لهذه العبارة يجعلها من (الكلمات / المفاتيح) وهي تلك : " الكلمات التي يكون لها ثقل تكراري وتوزيعي في النص بشكل يفتح مغاليقه ويبدد غموضه ... فكل كاتب لديه كلمة مفضلة تتكرر كثيرا في أسلوبه ، وتفشى عن غير قصد بعض رغباته... وتعبر عما يستحوذ على تفكيره ؟ "[١]

ومن هنا فإن الكاتب – فيما أحسبه – وفق أيما توفيق حينما اتخذ من هذه العبارة عنوانا لكتابه ، فهي عبارة موحية ، وحية ومحركة للإحساس، كل هذا من خلال ربطها بسياقها الذي وردت فيه ، وهي في الوقت نفسه معبرة عن فكر كاتبها .

فدعونا : من التوديع وهو الترك .. وقولهم دع هذا أي أتركه ..[٢]

---

(١) د. شفيع السيد : الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) ، ص : ١٦٩

(٢) ابن منظور : اللسان : ٨/ ٣٨٣– ٣٨٤ .

والمشي : من أنواع حركة السير .. وهو يختلف عن بقية الأنـــواع كـــالجري والهرولـــة والسعي بصفات تخصه من أبرزها : أن المشي يدل على الثبات في الحركة وهو يكـــون بيـــن البطىء والسرعة ..[١]

والمشي هو " نقل القدم من مكان إلى مكان بإرادة .. "[٢] .

وعليه فكأني بالسباعي يدعو مجتمعه إلى أن يسير نحو النهضة والحضـــارة بحركـــة ثابتـــة وإرادة واعية، لا يندفع في تهور، متخليا عن ثوابته ، ولا يقف ساكنا يراوح مكانه في حركـــة بطيئة، تقعد به عن التقدم فيتخلف عن ركب الحضارة ، فالمشي يدل على الحركـــة والنشـــاط والقوة كما أنه يكون دائما إلى الأمام .. فهو يعبر عن حالة عقلية واعية .. بخـــلاف الرقـــص مثلا فهو يعبر عن حالة انفعالية ..

فالسباعي وظف لفظة (المشي) توظيفا مجازيا فهي توحي لنا هنـــا بـــالدعوة إلـــى التقـــدم والنهوض واللحاق بركب الحضارة ، ولا يتم لنا ذلك إلا من خلال انفكاكنا من كل مـــا يعيـــق حركتنا عن اللحاق بذلك الركب مع المحافظة على الثوابت كما سبق وأشرنا أعـــلاه[٣] ســـواء كان على مستوى المفاهيم أو على مستوى العمل والتطبيق، والأهم هو تغير المفاهيم، إذ هـــي المؤثر بالتالي على عملية الحركة والعمل والتطبيق . وانطلاقا من هذا فالكاتب وقف عند كثـير من المفاهيم السلبية السائدة في مجتمعه والتي رأى أنها تقف به عن اللحاق بركـــب الحضـــارة فدعا إلى إصلاح بعضها واستبدال الآخر، وهي تشمل مفاهيم في مختلف المجـــالات كالتربيـــة وتحصيل المعرفة والسلوكيات والأخلاق والممارسات وفي مجال العمل والإنتاج وغير ذلك .

ومما نستشفه من هذه العبارة – أنها تعبر أصدق تعبير عما يشعر به الكاتب مـــن عوائـــق في مجتمعه تحد من انطلاقته وتمنعه من التقدم والنهوض .

ولوعدنا إلى صيغة هذه العبارة ، لوجدناها صيغة أمر ، ولكنه أمر غير مباشر بمعنى أنـــه خرج عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، وهذا من أساليب البلاغة العربية كما يقرر الدارســـون والمعنى الذي خرج إليه هنا هو معنى : النصح والإرشاد .. وهو الطلب الذي لا تكليـــف ولا إلزام فيه وإنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة والتوجيه والإرشاد[٤] .

---

(١) الثعالبي : فقه اللغة ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين مكتبة مصطفى الحلبي ، ط ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، ص١٩٧ .

(٢) المنجد في اللغة : ٧٦٤

(٣) للاستزادة حول هذه النقطة ، انظر أيضا هذا البحث ص:٦٨-٧٠

(٤) د. عبـــد العزيز عتيق : علم المعاني ، دار النهضة ، بيروت ، ط ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م ، ص ص٨٤- ٨٥ .

فعنوان الكتاب بناء على هذا يمكن القول بأنه أدى وظيفة من أبرز وظائف العناوين تمثل في التحريض والإغراء[1] وتكرار هذه العبارة داخل مقالات الكاتب زاد من إبرازها وتأثيرها . والإغراء هو تنبيه المخاطب على أمر محبوب ليفعله، والأكثر في أساليب الإغراء أنها تكون ، كما هو الحال في هذه العبارة . إنشائية طلبية[2] والإغراء هنا يستدعي الوجه المقابل له تلقائيا ألا وهو التحذير فهما : "قد يجتمعان في مفهوم السياق ، فيكون الإغراء وسيلة للخلاص من شر يحذر منه "[3] .

والكاتب هنا يغري المخاطب / المجتمع، بأمور عدة فيدعوه للأخذ بها، نحو وسائل التربية الحديثة ، الاعتماد في تحصيل المعرفة على الاستنتاج والفهم ، التعاون والتكاتف بين المجموع ، محاربة الخرافة والإيمان بالعلم "

وهو في المقابل يحذره أيضا من أمور كثيرة ليتجنبها إذ تعد معيقة لسيره ومشيه نحو : " بعض وسائل التربية القديمة ، الاعتماد في التحصيل على الحفظ ، الفردية وعدم الإحساس بالمسئولية نحو المجتمع، الإيمان بالخرافة "، وغير ذلك . وسبق أن أشرنا إلى ذلك في بداية حديثنا عن هذه النقطة .

كما نلحظ أن الخطاب في عبارة (دعونا نمش) موجة بصيغة الجمع ، فهو موجه إذن إلى جميع أفراد وفئات المجتمع الذين قد يكونون سببا في إعاقة حركة المجتمع نحو التقدم ، ثم إن في صيغة الجمع في قوله : (نمش) دلالة على أن المجتمع لا يمكن أن يتقدم إلا بتقدم جميع أفراده وفئاته وطبقاته .

وهذه الدعوة للتقدم والنهوض التي اشتمل عليها العنوان هي دعوة مجملة يفصلها المضمون الذي أشتملت عليه المقالات بداخل الكتاب ..

فهي تبين بعض الأسباب والمسببات التي تكبلنا وتمنعنا من المشي / التقدم ، محاولة أن تعالج تلك الأسباب والمسببات أو على أقل تقدير تنبهنا بوجودها وتثير حولها الأسئلة ..

وحينما يبين الكاتب للمتلقي تلك المعوقات لا يقف عند هذا الحد فحسب ، بل هو في الوقت نفسه يحاجة حولها ويحاوره .. لتكون دعوته بذلك أقرب إلى الإجابة والقبول. ومن ثم كانت تتكرر عبارة (دعونا نمش) في نهاية كل محاوره وحجاج .. فالكاتب يسعى من خلالها إلى

---

(١) د. جميل حمداوي : السيميوطيقا والعنونة ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٢) د. حسن عباس : النحو الوافي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧٤م ، ٤/١٣٦- ١٣٧ .

(٣) د. عز الدين السيد : التكرار بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ،ص: ١٢٢ .

تعميق إحساس المتلقي مخاطبا وقارئا بوجوب التفاعل مع ما يدعو إليه ، الذي إذا ما حدث فإنه يكون عونا للكاتب في تحقيق ما يدعو إليه .

وبما أن بعض هذه المقالات كان في الأصل حديثا يذاع للكاتب بالإذاعة السعودية بعنوان : (دعونا نمش) مدته قريبة من الربع ساعة[١] وانطلاقا من هذه النقطة سنحاول فيما يلي الوقوف على الدلالة الصوتية لعبارة (دعونا نمش) نظرا لما تلقيه موسيقى الكلام من ظلال على دلالة العبارة كما هو ثابت لدى الدارسين :

" إن وجود النبر والتنغيم بالذات في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني .. "[٢] .

والنبر هو :

" ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حولها من أجزائها .. ويأتي النبر من التوتر والعلو في الصوت اللذين يتصف بهما موقع معين من مواقع الكلام .."[٣] .

فقد يكون للكلمة الواحدة : "عدة دلالات لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق .. فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات . "[٤] ، وذلك بحسب : " السياق والمقام وبحسب الأنماط الموسيقية ذاتها .. "[٥] .

وبناء على ما سبق وبما أنه يتعذر علينا الوقوف على الكيفية التي كان الكاتب ينطق بها تلك العبارة أثناء ذلك الحديث الإذاعي، فإننا سنحاول تخيل نطق الكاتب لها في حالتين متضادتين (جهرا وهمسا) ومن ثم نبني على ذلك دلالتها في كلتا الحالتين .

ففي حالة (الجهر) أحسب أنها توحي لنا بنوع من الدعوة الغاضبة الناتجة عن معاناة الداعي، ورغبته في مفارقة المخاطبين، والسير وحيدا أو مع من يشايعه دعوته تلك في الطريق الذي يدعو إليه .

---

(١) انظر : مجلة الإذاعة السعودية ، العدد الأول (١) السنة الأولى ، ربيع الثاني ، ١٣٧٥هـ : هيكل برامج الإذاعة ليومي الأحد ١٨ ربيع الثاني والسبت ٢٥ ربيع الثاني من عام ١٣٧٥هـ ، ص ص (٤٢- ٤٣) ولهذا فإن بعض مقالات الكتاب – نحو مقالة (ما أعجلك يا رجل دعونا نمش ص.ص (٩١- ٩٧) – نشرت في تلك المجلة فالعدد السابق ذكره من مجلة الإذاعة ص.ص (٢٠ – ٢١)

(٢) تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط ١٩٩٤م ، ص٤٧

(٣) المرجع السابق : ص . ص (١٧- ١٧١)

(٤) د. إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، الأنجلو المصرية ، ط٦ ، ١٩٨٦م ، ص ٤٧ .

(٥) د. كمال بشر : علم اللغة العام : (الأصوات) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٩٨٦م ، ص . ص(١٩٦- ١٩٧) . وانظر د. عبد الغفار حامد هلال : أصوات اللغة العربية ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦ م ، ص . ص (٢١٦ – ٢١٨)

أما في الحالة الثانية : (اللين والهمس) . فإنها توحي لنا – فيما يبدو لي – بنوع من الشفقة والاستمالة للمدعوين، وهي ناتجة عن معاناة الداعي التي هي في الواقع هنا انعكاس لإحساسه بمعاناة الجماعة كلها ، ومن منطلق رغبته في سيرها على دروب النهوض والتقدم ، بعد فكاكها مما يعيق سيرها على ذلك الدرب .

وكأني بالإيحاء الثاني هو الذي كان في ذهن السباعي، بل يمكنني الجزم بذلك اعتمادا على ما أشرنا إليه سابقا من رغبة السباعي في تقدم وطنه كمجموع، كيف لا وهو يحارب الفردية ويدعو لنبذها ويراها عائقا من معوقات التقدم . كما يؤيدنا في هذا ، التصدير الذي صدر به الكاتب كتابه هذا ، (ص ٣) ، فهو يوحي وينم بهذا المعنى فهو عبارة عن مقطع من آية قرآنية كريمة وهي قوله تعالى :

{ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..} الآية سورة الفتح آية(٢٩)

أما الحث على المشي بمعنى السعي في الأرض وعمارتها الذي هو مرادف للتقدم والنهوض فقد ورد في القرآن الكريم ، يقول تعالى : { هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } ، الملك : (١٥)

والأمر " في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه للإباحة ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالى : **{ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا }** .. يشعر أن في هذا الأمر مع الإباحة توجيها وحثا للأمة على السعي والعمل والجد والمشي في مناكب الأرض من كل جانب .. وعليه فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى والاستغناء والاستثمار والإنتاج.."[١] .

ومن هنا فإن الكاتب قد نجح في توظيف لفظة (المشي) من خلال عبارة (دعونا نمش) توظيفا إيجابيا في مقالته الاجتماعية بما ألقاه عليها من ظلال موحية ومتعددة كما مر بنا .

ونجح في توظيف هذه اللفظة نفسها توظيفا سلبيا وذلك في مقالته السياسية فعرض من خلالها ببعض الزعماء العرب كما سبق وذكرنا ذلك[٢] .

وتوظيف هذه اللفظة سلبا نجده يرد في القرآن الكريم أيضا في عدة مواضع منها قوله تعالى : **{ ولا تمش في الأرض مرحا .. }** الآية، الإسراء ٣٧ . وقوله تعالى : **{ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى }** الآية، الملك ٢٢ .

---

(١) عطية محمد سالم : تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م . ، ٨/ ٤٠٤- ٤٠٦ .

(٢) انظر هذا البحث ، ص: ٥٤-٥٥

وفي هذا كله دلالة على براعة السباعي وتمكنه ووعيه بما يكتب ...

ومن الوظائف التي يؤديها العنوان وظيفة التناص أي قد يحيل إلى نص خارجي[١] استنساخا أو استلهاما أو تحاورا[٢] .

وعبارة (دعونا نمش) تستدعي نوعا من ذلك التداعي والتناص، وهو تداع لفظي على وجه الخصوص، وذلك لعبارة شهيرة كان أمين الريحاني يصدر بها كتبه ألا وهي عبارة : "قل كلمتك وامش "[٣] ، ويتأكد لنا هذا إذا ما علمنا أن السباعي قد أشار في سيرته إلى وقوفه مبكرا على كتابات الريحاني[٤] .

وبما أضفى السباعي على هذه العبارة (دعونا نمش) من ظلال وإيحاءات أكسبها كثافة دلالية فقد أغرت بعض الكتاب السعوديين باستعارتها، وما ذلك إلا دليل على نجاح السباعي في توظيفها .

فعبد الفتاح أبو مدين في مقالة له يطالب فيها النقاد السعوديين بمراصد جديدة على غرار مرصاد الفلالي يختم مقالته تلك بقوله : " وأقول كما قال الشيخ السباعي دعونا نمش ، لأن التوقف معناه الجمود والركود والحياة عمل وحيوية .. "[٥] .

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد كشفت لنا هذه العبارة عن فكر السباعي فهو تقدمي يحاول التوفيق بين الأصالة والمعاصرة[٦]

كما أن توظيفها عند السباعي مرتبط إلى حد كبير ببيئته على وجه خاص . أعني أنه قد لا يستشعر ما في هذه العبارة من دلالات موحية من كان خارج البيئة السعودية بعامة وبيئة الحجاز بصفة خاصة ، حيث تكمن دلالة اللفظ عند الفرد في التجارب : " فالتجربة تضفي على الشيء معنى معينا يشتق من الثقافة والجماعة البشرية التي ينتمي إليها الفرد ، متأثرا بالعقائد والعادات وغيرها ... "[٧]

جـ – قال وقلت :

تبدو الدلالة الصوتية لهذا العنوان هي الدلالة البارزة . أكثر من أي دلالة أخرى .

---

(١) د. جميل حمداوي : السيميو طيقا والعنونة ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع نفسه : ص ١٠٩

(٣) اتخذ الريحاني من هذه العبارة شعارا له في كل ما كتب، وقد صدر بها الطبعة الأولى من الريحانيات ، عام ١٩١٠م ، انظر ، أمين الريحاني : الريحانيات ، دار الجيل ، بيروت ، ط١٠ ، ١٩٨٧ م ، ص٥ .

(٤) انظر هذا البحث ص:٤٠٢

(٥) في معترك الحياة : نادي جدة الأدبي كتاب رقم ٣ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، ص٢٢١ .

(٦) سبق وأن عرضنا لذلك عند حديثنا عن الخصائص الموضوعية.

(٧) د. نوال عطية : علم النفس اللغوي ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، ص ٣٩ .

ولكن يمكن القول بأنه ينم عن مضمون الكتاب ، الذي يقوم في مجمله على الحوار بين الكاتب وصاحبه ، ذلك الصاحب الذي وصفه الكاتب بقوله :

" هو كل من صادفني في بحث أو أثارني لنقاش ، وربما تخيلته كما عاش الشعراء قبلي يتخيلون من يسائلهم عن الدمن والأطلال وعن مسيرة الدرب !! إنه يسألني عن رأيي في كثير من دروب الحياة وأنا لا أرى ضيرا في الإفصاح عما أراه ، ولغيري أن يخالفني إلى ما رآه!!" (قال وقلت : ١/ ٧)

فالكتاب إذن مبني على سؤال، صادر من ذلك الصاحب، أو بيان لوجهة نظر له حول موضوع ما : (الذي هو موضوع المقالة بالتالي) . ويتوجه بالخطاب فيهما إلى الكاتب .

ثم على جواب يعقب ذلك، يتمثل في رد الكاتب على ذلك السؤال، أو بيان وجهة نظره حول ذلك الموضوع .

ومن ثم تعددت وتنوعت الموضوعات التي طرقها الكاتب بتعدد وتنوع الأسئلة ووجهات النظر التي طرحت .

فالأصوات التي تتجاذب القول : (الحوار) . حول موضوع المقالة صوتان : صوت الكاتب ، وصوت صاحبه .

ونادرا ما يعقب ذلك الصاحب على إجابة أو وجهة نظر الكاتب .

ومن منطلق هذا الأسلوب القائم على الحوار فإن السباعي قد يوافق صاحبه في بعض ما يطرحه أو يثيره فيأتي تعقيبه على ذلك الطرح كما يلي :

" قال صاحبي : ألا ترى أننا معشر المسلمين ننسى كثيرا من المعاني السامية للحج . ونكتفي بأعماله الحركية .

قلت : بلى ، وذلك شأننا في أكثر فروضنا الدينية .. " ، (قال وقلت : ١/ ١٧) .

ومثل ذلك قوله :

" قال صاحبي : لعلك تستغرب أن ينشأ طفل على وتيرة قوامها العقاب البدني بسائر أصنافه ، ثم نطالب المدرسة بعد أن ألف طفلنا هذا اللون من التربية ألا تشرع عصاها في وجهه .

قلت: هو ذاك ولهذا ... " (قال وقلت : ١/ ١٠٣) .

وغير ذلك من الأمثلة الدالة على هذا الاتجاه[١] .

وقد يخالفه في البعض الآخر فيأتي تعقيبه وجوابه كما يلي :-

---

(١) انظر على سبيل المثال الصفحات الآتية :

٢/ ١٧١، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩، ٢٠٩ ، ٢٣٩ .

" قال صاحبي : ألا ترى أن الحرية في الحياة شيء ضروري ولا زم ... كضرورة الـــهواء والماء .

قلت : إنه أمر لا يصح فيه الإطلاق بحال ، فأنت مقيد لتعاليم دينك .. لعادات بيئتك ... " (قـال وقلت : ١/ ٧٣) .

ومثل ذلك قوله :

" قال صاحبي : ما يمنعني أن أثني على أريحية صديقي وعنايته بالبذل في سبيل طفله الـــذي أرسله أخيرا إلى بلد أجنبي ليبدأ دراسته ...

قلت : أما أنا فأرى الخطأ كل الخطأ في هذا الذي نسميه عناية بالبذل .. إنـــه ســيبيع طفلـه الحدث على البلد الأجنبي الذي اختاره .. سيتركه يتشبع بالروح الأجنبية ... " ، (قال وقلـت: ١/٩١) .

وغير ذلك من الأمثلة[١]

وهذا العنوان يعد دليلا واضحا على فكرة كاتبه . والذي يتمثل في دعوتـــه إلـى الحـوار وترغيبه فيه باعتباره وسيلة من وسائل النهوض والتقدم . وسبق أن جعلت الحوار أســا مـن الأسس التي قامت عليها مقالته الاجتماعية، ولا داعي لتكرار الحديث عن ذلك هنا[٢]

كما أن فيه دلالة بارزة على قوة شخصية الكاتب وبروزها من خلال الطرح الذي تضمنتـه مقالات الكتاب . وعلى اعتزازه واعتداده بذلك الطرح وتلك الآراء .

وهذا الأسلوب القائم على الحوار، والذي يكشف عنه عنوان الكتاب منـذ البدايـة يكسـب النقاش نوعا من الموضوعية، ويمنح الكاتب مساحة واسعة من الحرية في الطرح والمناقشـة . وهو في الوقت نفسه يكسر من رتابة التقريرية، ويضفي على الكتابـة نوعـا مـن التشـويق والمتعة وأسلوب الحوار له حضور بارز في مقالات السباعي

د – **أوراق مطوية :-**

الطي : نقيض النشر .. يقال طوى عني أمره أي كتمه وأسره ولم يجهر به ...[٣]

ومن هنا فإن دلالة العنوان تأتي على مستويين :

أ- على مستوى بعض الموضوعات التي ضمها الكتاب الذي يقع في نحو (٤٠٠ صفحة) .

---

(١) انظر مثلا الصفحات الآتية : ١/ ١٢٧ ، ١٣١، = ١٤٣/٢، ١٥٣، ١٦٣، ١٨٥، ٢٤٧ .

(٢) انظر هذا البحث ، ص: ٦٦-٦٨

(٣) ابن منظور : اللسان ١٥ / ١٨ – ١٩ .

حيث يسجل المؤلف في جزء من أوراقه تلك بعض الصفحات التي طوتها دهور من تاريخ الجزيرة العربية وبخاصة في مكة المكرمة ، وجدة ، ليبعثها حية على الورق شاهدة على حياة أهلها : فكرهم ، قضاياهم ، قصصهم ، حتى نوادرهم ، في أسلوب شيق وأخاذ ويندرج تحت هذا ما ضمنه تحت العناوين الآتية :-

١-(مشاهير من تاريخ مكة . ص - ص : ٩ - ٩٥) .

٢-(من التراث . ص - ص : ٩٧ - ١٢٤) .

٣-(محاضرات . ص - ص : ١٢٥ - ٢٠٦) .

وهذا العنوان الأخير هو في الأصل عبارة عن محاضرات ألقاها المؤلف في بعض المنتديات الجامعية والشبابية ومما ضمه تحته من موضوعات :

أ. طرائف من مكة القديمة : ص - ص : (١٢٩ - ١٤٠) .

ب. طرائف في تاريخ جدة القديم : ص - ص (١٤١ - ١٥٥) .

ج. عبد الله بن الزبير صاحب فكرة في تاريخ مكة : ص- ص (١٦٣ - ١٧٠) .

د. منبر المسجد الحرام وأثره في تاريخ مكة السياسي : ص- ص (١٧٧ - ١٩٠) .

ب- الأمر الثاني ، أو المستوى الثاني :- وهو الأقرب، أن هذه المقالات كانت في الأصل ، قد نشرت في بعض الصحف والمجلات أو قرئت في الإذاعة والتلفاز : مثل المقالات التي تحت عنوان (من أحاديث التلفزيون ، ص . ص (٣٦١ -٣٨٤) وبقيت مسوداتها لدى المؤلف فيما يشبه الصفحات والأوراق المطوية حتى أتاه جامع الكتاب : "الشريف عدنان الحارثي "[١] فعرض عليه فكرة جمعها ونشرها في كتاب .. فلم يمانع ، ومن هذا المنطلق استحسن المؤلف تسمية ذلك الكتاب بـ (أوراق مطوية) .

يقول عدنان الحارثي في مقدمة هذا الكتاب :

" وجدت في أدراج مكتبه - يعني المؤلف - الكثير من الموضوعات التي فهمت أنها نشرت في أحد الأيام من سنوات طويلة وأخرى أطول، ولكنها ضاعت بضياع الأيام، وبقيت مسوداتها في حكم الأوراق المهملة ، فعرضت عليه فكرة نشرها في مجموعة كتب ، فلم يمانع .. عارضا علي شرف تجميعها ... وبدأت المهمة فكان هذا الكتاب ... "[٢]

هـ - سباعيات :-

---

(١) لم أقف له على ترجمة .

(٢) أوراق مطوية . ص ٥ . وقد أفدت في مقاربتي لعنوان هذا الكتاب مما أورده (صالح إبراهيم) في عرضه لموضوعات الكتاب، انظر :

جريدة المدينة المنورة ، ع ٥٤٩١ في ٦ / ٦ / ١٤٠٢ هـ ، ص ٣١ ، و ع ٥٥٦١ في ١٠ / ٨ / ١٤٠٢هـ ، ٣١ .

اكتسبت بعض المؤلفات عناوينها من خلال نسبتها أو إضافتها إلى مؤلفيها لسبب ما .

وهذه طريقة أدبية وفنية قديمة . من أمثلتها في تراثنا العربي بعض المجموعات الشعرية نحو :

المفضليات ، والأصمعيات ، وغيرهما ... .

ومن أمثلة ذلك في العصر الحديث :-

الريحانيات لأمين الريحاني ، والشوقيات (ديوان أحمد شوقي) ، وكتاب السباعي هذا يندرج تحت هذه الطريقة . وهو كتاب يقع في جزأين .. وهو في الأصل مقالات جمعت من الصحف والمجلات . وجامعها هو نفس جامع مقالات الكتاب السابق : (أوراق مطوية)، قام بجمعها تحت إشراف مؤلفها[1]

ويشتمل الكتاب على عدد من الموضوعات العامة والخاصة : " دينية وثقافية واجتماعية وإنسانية ... "

ولأن السباعي طعم تلك الموضوعات المختلفة بذاتية ساخنة تميز بها في كتاباته طرحا وحوارا ونقاشا .. فقد ارتاح – فيما يظهر لي – إلى نسبة تلك المقالات إليه معتمدا في ذلك على أمرين :

أ- باعتباره مدبجها بغض النظر عن موضوعاتها عامة كانت أو خاصة .

ب- لأنه ضمنها شيئا من ذاتيته سواء من خلال الموضوعات التي عرض فيها لحياته وشئونه الخاصة ، وهي قليلة نحو مقالاته الآتية :-

رب ذكرى : - ١/١٦٥- ١٦٨ .

أمام الحواجز : - ٢/ ٨١ – ٨٣ .

في ركني :- ٢/ ٨٧ – ٩٠ .

أيام في أبها :- ٢/ ١٠١ – ١٠٦

أيام في تركيا :- ٢/ ١١١- ١١٨ .

أيام في القدس :- ٢/ ١١٩ – ١٤٠ .

أو من خلال الموضوعات العامة التي طرقها وهي أغلب موضوعات الكتاب .

وهذه الذاتية من أبرز صفات المقالة النموذجية فكاتب المقالة يجب أن : " تكون لديه الأنانية أو الذاتية ... فالمقالة ليست إلا تعبيرا عن النفس وتنفيسا عنها فهي في النثر تشبه النوع الغنائي في الشعر .. "[2]

---

(١) انظر سباعيات : ١/ ٥- ٨ و ٢/ ٩ .

(٢) أحمد أمين : النقد الأدبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧ م : ١/ ١١٦ .

ثانيا عناوين المقالات : -

إذا كان لعنوان الكتاب خطره وأهميته كما اتضح لنا فيما سبق فإن عنوان المقالة لا تقل أهمية عن عنوان الكتاب .

وإذا كان النقاد العرب القدامى اهتموا بمطالع القصائد :

" فطالبوا الشعراء بأن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه علما منهم بقوة الأثر الأول في النفس وأنه يدفع السامع إلى التنبه والإصغاء .. "[١] ؛ فإنهم أيضا اهتموا بالنثر ، فنبهوا على أهمية المطلع بالنسبة للكاتب . حتى جعل ابن الأثير إجادته الركن الأول للكتابة البلاغية " ((فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع))[٢]

ومن هنا نص المحدثون على أهمية عنوان المقالة ، حيث ، إن له : " خطره ، ومن المستحسن أن يكون مما يثير الانتباه ويوحي بالفكرة التي تبنى حولها المقالة .. "[٣]

كما أن : " له تأثير في إثارة اهتمام القارئ ولفت انتباهه فالعنوان الجيد يدل على روح الكاتب ووجهته ، ويحمل القارئ على استطلاع مقالته ... وهذا يتطلب من الكاتب البعد عن العناوين التعليمية المباشرة ... "[٤] .

وعنوان المقالة يعد : " النافذة التي يطل منها القارئ على الصحيفة ... من أجل ذلك وجدنا للصحافة الحديثة .. عناية كبرى بكتابة العنوان "[٥] .

وسأحاول الوقوف على نماذج لأساليب عناوين مقالات الكاتب ، لأنه لا يمكن حصرها في نقاط محددة ، وكما يتعذر مقاربة كل عنوان على حدة مقاربة جمالية ودلالية ، حيث سيطول بناء البحث في هذه المقاربات على النحو الذي مر بنا في مقاربة عناوين الكتب ، وعليه فسأقتصر على توصيفها فحسب في النقاط الآتية :

١- ما يحمل عنوانا ثابتا عالج تحته الكاتب كثيرا من القضايا ، نحو :

أ. الرسائل المطوية :

كتب تحت هذا العنوان بداية في صحيفة صوت الحجاز ، انظر الأعداد الآتية :

---

(١) د. أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط ١٩٧٩م ، ص : ٢٩٧ .

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، دار الرفاعي ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ١/ ١٥١ .

(٣) د. محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩م.ص ٦٥

(٤) د. عطا كفافي : المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث هجر للطباعة والنشر، مصر، ، ط(١) ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص: ٦٥، ص ٥٩ .

(٥) د.عبد اللطيف حمزة : (الذوق الصحفي في كتابة العنوان) : مجلة قريش ع ٤٠ في ٢٢ / ٢ / ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م ، ص٥ .

(١٤٧، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٣، ١٦٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦)

وانظر كتاب أوراق مطوية . ص . ص : (٣٨٥ – ٤١٨) .

ب. في ركني :

كتب تحت هذا العنوان بداية في صحيفة البلاد السعودية ، انظر مثلا الأعداد الآتية :

(٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٧١٠ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ، ٧٢١ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩ ، ٧٣٥ ، ٧٣٩ ، ٧٤٢ ، ٧٤٨) .

وانظر كتاب سباعيات ، ٢/ ٨٧ .

ج. كلمة ونصف :

كتب تحت هذا العنوان في البلاد السعودية ، انظر مثلا الأعداد الآتية :

من (٦٧٠ إلى ٦٧٦)

٢- ما يحمل عنوانا مباشرا :

وغالبا ما يتضمن التوجيه والإرشاد من نحو :

ما أحوجنا إلى ميادين العمل الحر : قال وقلت ١/ ٣١

ليس للعصا قيمة تربوية : قال وقلت ١/ ١٠٧ .

مظاهر السرف في مناسباتنا : قال وقلت ٢/ ١٥٧ .

لنعدهم إعدادا فنيا : دعونا نمش : ١٥٣ .

فلا نرتجل أفكارنا كما يتفق : دعونا نمش : ١٥٨ .

هذا التفكك مصدر مآسينا : دعونا نمش : ١٦٩ .

لنحارب الفقر : سباعيات ٢ / ٧٣ .

لنقارب بين أسفارنا : سباعيات ٢ / ٧٧ .

٣- ما يرد في صورة تساؤل :

وتكثر نماذج هذا النوع في عناوين مقالات الكاتب، والهدف منه لفت انتباه القارئ ، ومـــن أمثلته :-

كيف يكون الحج عظيم الأثر ؟ : قال وقلت ١/ ١٧ .

كيف نبني بلادنا .. ؟ : قال وقلت ١/ ٦١

ترى ماذا ينقمون منا .. ؟ : قال وقلت ٢/ ٢٤٩ .

سوق عكاظ لماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟ : أوراق مطوية : ١١٧ .

كيف بدأ سوق عكاظ ؟ وكيف انتهى ؟ : أوراق مطوية : ١٢١

هل آن للإسلام أن ينطلق .. ؟ سباعيات ١ / ٤٣ .

ألم نعمل شيئا من أجل الطوافة .. ؟ : سباعيات ١/ ١٦٢ .

أهذه فكرة الحج الصحيحة .. ؟ : سباعيات ٢/ ٤٣ .

ألأم يأتك نبأ ما بنينا للحضارة .. ؟ سباعيات ٢/ ٥٥ .

٤- ما هو طريف ومشوق ويعد عنواناً جذاباً :

كالعناوين الآتية :

أوراق العيد : صوت الحجاز ع ١٨٨ ، ص٣ .

قرش !! قرش !! : صوت الحجاز ع ٢٤٥ ، ص١١

هكذا ننتهي : صوت الحجاز ع ٥٧٣ ، ص٢ .

أيثير غيرتك يا ولدي أن تشكو فتاة !! مجلة قريش ع ١٦٤ ، ص٢

من ترهات التاريخ : قال وقلت ١/ ٤١

٥ يونيو : قال وقلت ٢/ ٢٤٧

بين العبقرية والجنون : قال وقلت ١/ ١١٥ .

طرائف في تاريخ جدة القديم : أوراق مطوية : ١٤١ .

الزعيم : أوراق مطوية : ٢٨١

إلى المريخ فركة كعب !! : سباعيات ١/ ١٢٣ .

من طرائف طيراتنا في الخمسينات : سباعيات ، ١/ ١٠٣

شاهدت اليهود على كثب منى : سباعيات ٢/ ١٣١ .

٥- ما يتضمن سخرية كاتبه :-

القصص المضحكة في النبؤآت الكاذبة / مجلة قريش ، ع ١٢١ ، ص ١٦ .

ونجند العفاريت لقتال الطائرات النفاثة : دعونا نمش : ٦٤ .

صداحة الغجر : سباعيات ١/ ١٤٧ .

عدوي اللدود : أوراق مطوية : ٢٢٧ .

٦- ما يدل على تجارب شخصية وجوانب من السيرة الذاتية :

عندما كنت صحفياً : البلاد السعودية ع ٧٩٠ ، ص ٣

لو أصبحت مليونيراً : مجلة المنهل : م ٢٠ ، جـ ٨ ، ص٥٠١ .

إني أعترف : مجلة قريش ، ع ٢٦ ، ص٤ .

أيام في البلاد السعيدة : مجلة قريش ، ع (١٣٣- ١٣٧)

أيام في أوربا : مجلة قريش ، ع (٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢) .

٧- ما يحمل دلالات نفسية وتربوية :

لو منيت أوربا بالمتشائمين : دعونا نمش : ١١٩ .

فلا نفرض مالا يساير طبائع البشر : دعونا نمش : ١٦٣ .

علينا أن ننشئهم على الاعتدال : قال وقلت ، ١/ ٣٥
لا نطلق الحرية ولا نقيدها : قال وقلت ، ١/ ١٣٥ .
علينا ألا نتشاءم : قال وقلت ٢/ ١٥١ .
عندما نكيف وجداننا : قال وقلت ٢/ ٢٢١ .
عندما نضبط سلوك صغارنا بالتخويف : أوراق مطوية : ٢٧٧ .

٨- **ما يحمل عنوانا تاريخيا :**

المسجد الحرام في التاريخ : أوراق مطوية : ٥٧
جزيرة العرب بين المد والجزر : أوراق مطوية : ٧١ .
منبر المسجد الحرام وأثره في تاريخ مكة السياسي : أوراق مطوية ،ص ١٧٧ .

٩- **ما يكون مثلا :**

وقد يكون عاميا نحو : -

تتغبر دقنه ويتعب في شيله : دعونا نمش : ٤٥ .

أو فصيحا نحو :

عند الصباح يحمد الناس السرى : قال وقلت ١/ ١٣٣[١]

١٠- **ما يكون جزءا من بيت شعر :**

(أيا موت زر أن الحياة ذميمة) : صوت الحجاز ، ع ٦٣ ، ص ٤ .
فهو الشطر الأول من بيت للمعري يقول فيه :

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ونحو (وتركك في الدنيا دويا) : البلاد السعودية ، ع ٦٨٩ ، ص ٤ .
فهو جزء من بيت شعر كما ورد في صلب المقالة :

وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر .

والبيت هو لأبي الطيب المتنبي[٢]
ومن ذلك مقالته التي عنون لها بـــ :
" كلما داويت جرحا سال جرح " : صوت الحجاز ، ع ١٦٨ ، ص ٤ .
فهو شطر من بيت شعر كما ورد في صلب المقال :

" كم أداوي القلب قلت حيلتي كلما داويت جرحا سال جرح "[٣]

ونحو (سارق الزهر وسارق الحقل !) سباعيات ١/ ٦٥ .
فهو مأخوذ من بيت شعر لجبران خليل جبران ، يقول فيه :

فسارق الزهر مذموما ومحتقر وسارق الحقل لهو الباسل البطل[٤]

---

(١) انظر هذه الأمثلة وغيرها في حديثنا عن توظيفه للمثل في مقالاته ، هذا البحث ، ص: ٢١٦-٢١٩

(٢) انظر ديوانه ؛ وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط(١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٢٥٤ .

(٣) لم أجد له تخريجا.

(٤) انظر : جبران : المواكب ، المجموعة الكاملة .. ط٤ ، ١٩٩٧ م ، ٣/ ٨٥ .

١١ــ ومما يلحظ على بعض عناوين مقالاته ،(وإن كان هذا لا يدخل في معالجة دلالاتها ولكننا فضلنا أن نلحقه تحت هذه النقطة إذ إنه إليها أقرب وبها أدخل) :

أ- الطول وكثرة المتعاطفات :

وهذا ما تتميز به عناوين بعض مقالاته الصحفية على وجه الخصوص بدافع الإثارة : " إذ القارئ العادي يمكنه أن ينفعل بعنوان كبير أكثر من انفعاله بعنوان لا يشتمل على أكثر من كلمة أو اثنتين .. "[1] ومن أمثلة ذلك :

مدارسنا تهيء التلميذ للوظائف الكتابية فهل يكفي : صوت الحجاز ، ع ٧٣ ، ص٢

مشروع القرش صفحة جديدة في تاريخ البلاد : المصدر السابق ، ٢١٧ ، ص١

الحجاز يمر إلى اليوم في ستة أدوار تاريخية : المصدر نفسه ، ع ٢٣٩ ، ص١ .

نمت يا عيسى وأدلج الناس : البلاد السعودية ، ع ٧٨٥ ، ص ٤ .

إذا انطوى الوجيه على مقعده ليداعب هرته : الندوة ، ع ٢٧ ، ص ١

عاشت السجون عصورا طويلة تهين كرامة المذنب وتطعن آدميته :

المصدر السابق ،ع٧١، ص١

إننا لا نتمنى أن نظل عظاميين نتباهى بما فعل الأباء : قريش ، ع ٥٠ ، ص ٣

وظيفة المسرح لا تقل شأنا عن وظائف المدارس : المصدر السابق ،ع ١٠٥ ، ص٢

أيثير غيرتك يا ولدي أن تشكوا فتاة : المصدر نفسه ، ع ١٦٤ ، ص ٢

ب- استخدام اللفظ العامي :

يلحظ أن السباعي يلجأ إلى استخدام بعض الألفاظ العامية في عناوين بعض مقالاته ؛ بهدف جذب انتباه القارئ لقدرتها على الإيحاء بمضمون المقالة ، وما يريد أن يصل إليه الكاتب ، ومرجع ذلك يعود في المقام الأول إلى عمله بالصحافة .

ومن أمثلة ذلك :-

ولو زرعوا التفاح في طشت الغسيل : دعونا نمش : ١٠

الواد عزوز في شغل عن أرقامك : المصدر السابق : ١٥

اللي يعرف أبونا يقل له : المصدر نفسه : ٢٩ .

وي ياولد قرش الزواج مخلوف : المصدر نفسه : ١٢٤ .

هو أنت .. تبغا كل يوم تتزوج : المصدر نفسه : ١٣٢ .

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ١٩٦٣م ، ٨/ ٤١٥ .

٢- بناء المقال ومصادره:-

يستهل السباعي بعض مقالاته بتمهيد أو مدخل، يوحي بمضمون المقالة أو فكرتها، وغالبا ما يكون ذلك في شكل استفهام وسؤال يطرحه، ثم يبدأ في الإجابة عليه، وأحد كتبه المقالية قائم على هذا الأسلوب في مجمله، ألا وهو كتاب (قال وقلت) الذي سبقت الإشارة إليه.. وربما تعود هذه الطريقة إلى عمل الكاتب بالصحافة. يقول أحد الدارسين عن هذه الطريقة: "لا شك أن هذه الطريقة من طرق التحرير في الصحافة تعتبر من براعة الاستهلال، متى وفق الكاتب إلى اختيار السؤال نفسه"[١]. ثم يتخلص من ذلك التمهيد بقوله: (قلت:...)، فعند ذلك ينتقل من المقدمة أو التمهيد إلى عرض المقال ليأخذ عندئذ في معالجة الفكرة المطروحة، من خلال الإجابة على ذلك السؤال السابق... وقد يهجم أحيانا أخرى على موضوع المقالة مباشرة، دون تمهيد ولا مقدمة، كقوله: "دعونا نمش متساندين، في إطار تهيمن عليه روح الجماعة، فقد جربنا وجربنا طويلا فكرةالفردية..."[٢] ثم استرسل في الحديث عن التعاون وإيجابياته وعن الفردية وسلبياتها.. وفي مقالة أخرى يتحدث عن بعض المظاهر السلبية في المجتمع تحت عنوان "مأساة الذباب"، فبدأها بقوله: "الذباب في بلادنا نوع من أمراضنا المستعصية، وكذلك شأن الناموس.."[٣]، ثم يأخذ عرض هذه الظاهرة السلبية، ويناقش أبرز أسبابها، ثم يطرح الحلول المناسبة من وجهة نظره.

أما نهاية مقاله فغالبا ما تكون نهاية طبيعية، أو نتيجة منطقية سبق أن ألمح إليها في مطلع مقالته أو في عرضها. وقد يختمها بعبارة تعبر عن مضمون المقال من خلال السياق الذي وردت فيه، كقوله في نهاية بعض مقالاته: "دعونا نمش". كم سبقت الإشارة إلى ذلك.

أو يختمها -وهذا قليل- ببيت أو بعدة أبيات من الشعر كمقالته التي بعنوان: "الرجولة بين خيام العرب"[٤]، وقد يختتمها بأبيات من الشعر العامي[٥]. أو بجزء من بيت شعر، كقوله في نهاية إحدى مقالاته: "آن أوان الجد، وحمت الحاجات والليل مقمر"[٦]. أو بجملة دعائية إذا كانت مقالة دينية، كقوله: "رحمتك الله وغفرانك.. فلا تؤاخذنا بما كسبت أيدينا"[٧]، أو بمثل يعبر عن

---

(١) د. عبداللطيف حمزة: أدب المقالة الصحفية في مصر، دار الفكر، القاهرة، ط(١)، ١٩٦٣م ٤١٥/٨.
(٢) دعونا نمش: ٤٥
(٣) سباعيات ٤٨/١
(٤) سباعيات ٢٥/٢-٢٦ وانظر أيضا: قال وقلت ١٢٨/٢، ١٧٢/٢
(٥) أنظر قال وقلت ١٤/٢م
(٦) قال وقلت ٢٤٠/٢
(٧) سباعيات ٣٠/٢

مضمون المقالة كقوله: "عند الصباح يحمد القوم السري"[1]، وكقوله: "وهكذا جنت على نفسها براقش"[2].

وقد يختتمها -وهذا نادر- بملخص كقوله في نهاية إحدى مقالاته: "نريد أن نستخلص من هذا أن أجهزة الرصد والمراقبة، تتابع سير أصغر قمر صناعي..."[3].

أما من حيث القالب الفني، فإن مجمل مقالات الكاتب ترد في القالب المقالي المعتاد، والذي أوضحنا بعض ملامحة في الفقرة السابقة...

وقد يصب السباعي مقالته في قالب الرسالة.. وهي تأتي على نوعين: رسائل إلى شخصيات غير محددة، ومن نماذج ذلك ما أدرجه في أحد كتبه تحت عنوان (رسائل مطوية) وبلغت نحو ستة عشر رسالة تناول فيها موضوعات متعددة[4]. وهناك مقالات جاءت في قالب رسالة مبعوثة إلى شخصية بعينها[5].

وقد يأتي المقال عنده في قالب قصصي، وهذا ما سنعرض له لاحقاً عند حديثنا عن الأسلوب القصصي في مقالاته.

أما شكل المقال من حيث حجمه: فهو يأتي في صور شتى، يمكن أن نصنفها في ثلاثة أشكال:-

أ- قصير: يتمثل فيما يشبه العمود الصحفي أي أنه يقع فيما يقارب الصفحة المتوسطة العادية، وذلك مثل ما كتبه في بعض الصحف تحت عنوان ثابت نحو: "في ركني والرسائل المطوية، وألوان..."، كما سبقت الإشارة إليها. ووجد أيضاً في بعض كتبه المقالية كيوميات مجنون وسبق وعرضنا لذلك.

ب- متوسط الطول: وهذا يقع فيما يقارب الصفحتين أو يزيد عنها قليلاً ونلحظ هذا في كثير من مقالاته في كتبه (سباعيات، قال وقلت، أوراق مطوية).

جـ- طويل: يزد عن الثلاث صفحات، ونلحظ مثل هذا النوع على وجه الخصوص في كتابه (دعونا نمش) وهي مقالات اجتماعية في مجملها تخص التربية والتعليم وقضايا الأسرة وما شابه ذلك، فأفاض في الحديث عنها زيادة وإعادة وتدليلاً واستشهاداً.

---

(1) قال وقلت ١٣٤/٢

(2) قال وقلت ١٧٤/٢

(3) قال وقلت: ٢/

(4) انظر كتابه (أوراق مطوية) ص. ص: ٣٨٧ – ٤١٨

(5) كالرسائل المتبادلة بينه وبين القاص (إبراهيم الناصر) انظرها في مجلة قريش مثلاً ع(١٣٠) في ١٣٨٢/١/٣هـ، ص٨؛ وكالرسائل المتبادلة بينه وبين سكرتير تحرير مجلة قريش، انظر مثلاً العدد (١٥٧) في ١٣٨٢/٧/١٤هـ، ص٣

ومما يندرج تحت هذا مقالاته التي هي في الأصل "محاضرات" ألقاها في بعض المنتديات، فهو يقترب فيها من البحث، من ذلك محاضرته التي بعنوان: "الرجولة بين مضارب البادية القديمة"[١]، والأخرى التي بعنوان: "عبدالله بن الزبير صاحب فكرة في تاريخ مكة"[٢]، والثالثة بعنوان: "منبر المسجد الحرام وأثره في تاريخ مكة السياسي"[٣] وغيرها.

أما مصادر مقاله: فقد تعددت، ومجملها يمتح من واقعه، فهو يعبر فيه عن تجارب وقضايا وقعت له أو لغيره.. وذلك كحديثه عن قضايا التربية والتعليم، وعن بعض السلوكيات والمظاهر الاجتماعية، وقضايا المطوفين، وغير ذلك. أو تكون من ابتكاره واختراعه كمجمل مقالاته في كتابه "يوميات مجنون".

أو يكون أوحى إليه بها شيء قرأه، كقوله في بداية إحدى مقالاته: "قرأت في أخبار بعض الدول..."[٤]، وكقوله: "أذكر أني قرأت منذ مدة غير طويلة في إحدى صحفنا..."[٥]، ومثل ذلك قوله: "قرأت بحثا مطولا عن توزيع الصحف..."[٦]، أو شيء شاهده كقوله: "... كنت... أخر ببعض القرى، فأشاهد بعض الفلاحين منهمكين في بناء بيوتهم..."[٧]، وكقوله: "مررت اليوم بكسارة ميكانيكية في أحد جبالنا..."[٨].

أو حديث سمعه، كقوله: "تناقلت بعض الأخبار أن دويلة العصابات..."[٩]، ونحو قوله: "كنت في حديث مع حاج من طاشقند..."[١٠]. ومثل ذلك قوله: "قال صاحبي يحدثني عن ثري إيطالي أوقف ثراه على مساعدة العلم والعلماء... قلت إن في هذا مايذكرني بعشرات وعشرات من أصحاب الثراء في تاريخ الإسلام..."[١١].

أو يكون مصدره تعليقا على فكرة، كقوله: "ما فكرة تعنى بها أكثر الصحف... فتفرد لها صفحة... تسميها صفحة التعارف..."[١٢]، أو على خبر كقوله: "ما خبر يقول إن عالما من أبرز علماء الطبيعة أعلن في مؤتمر جامع أن الجنس البشري قد يبيد..."[١٣].

---

(١) أوراق مطوية: ١٥٥-١٦٢
(٢) المصدر السابق: ١٦٣-١٧٠
(٣) المصدر نفسه: ١٧٧-١٨٩
(٤) قال وقلت: ٦١/١
(٥) المصدر السابق: ٩٣/١
(٦) المصدر نفسه: ١٠١/١
(٧) قال وقلت: ١٠٧/١
(٨) المصدر السابق: ٢١/١
(٩) قال وقلت: ١٣٧/١
(١٠) المصدر السابق: ١٤٣/٢
(١١) المصدر نفسه: ١٦٥/٢
(١٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٢
(١٣) المصدر نفسه: ١٨٩/٢

أو يكون ردا على استفسار وتساؤل، وغالبا ذلك التساؤل فكرة، تبادرت إلى ذهنه، فأراد التحدث عنها فطرحها من خلال سؤال، حيث بنى على هذا النهج مجمل مقالاته في كتابه "قال وقلت".

٣- التلوين الأسلوبي البديعي:

البديع يحقق للكلام نوعا من الموسيقى اللفظية، وعند ذلك يقترب به النثر من الشعر، فهو ليس في الحقيقة إلا تقننا في طرق ترديد الأصوات في الكلام: "حتى يكون له نغم وموسيقى، وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه... ومهما اختلفت أصنافه وتعددت طرقه يجمعها أمر واحد، وهو العناية بحسن الجرس، ووقع الألفاظ في الأسماع..."[١]. والموسيقى توصف في مفتتح كل فن: "لجذب الانتباه، ولإعطاء جو انفعالي حزين أو سار، هادئ أو ثائر... البديع لغة موسيقية أدبية... يوفر حظوظا من القيم الجمالية في الموسيقى والخيال الصوتي، ومتعة الأذن وطرب الوجدان، إلى جانب غذاء الفكر بالمضمون العقلي..."[٢]. وبما أن أغلب مباحث علم البديع ترتكز على التكرار، الذي هو عماد الإيقاع في الشعر وفي النثر أيضا، فإن ذلك التكرار -كما يذهب إلى ذلك أحد الدارسين- يؤثر في إنتاج الدلالة أيضا: "لا شك أن متابعة الدرس البلاغي في رصده للظواهر البديعية قد أكدت حضور الخلفية التكرارية التي مارست فاعليتها رأسيا وأفقيا، وهي فاعلية تتجه إلى إنتاج الدلالة أحيانا، وإلى إنتاج الإيقاع الخالص أحيانا، ثم مزج الإيقاع بالدلالة أحيانا ثالثة..."[٣]. والبديع يرد عند السباعي عفو الخاطر، إذ إنه في أسلوبه يتبع أداء متحررا، فهو لا يتكلف طريقة بعينها، لاسيما في كتاباته المتأخرة، والحقيقة أن البديع يذم عندما يكثر منه المبدع تلك الكثرة المتكلفة التي يلجأ إليها: "ليريك مدى مقدرته في رصف المحسنات بعضها بجوار بعض"[٤]. فكثرة البديع أو قلته ليست سببا في الحسن أو القبح: "وإنما التكلف في استخدامه هو الذي يهوي بمنزلة البديع العالية"[٥].

وهذا التكلف ما لا نلحظه في مقالات الكاتب، التي تبدت لنا في بعضها ألوان وأساليب مختلفة من الصبغة البديعية، والتي يمكننا القول بأنها حققت لها نوعا من الثراء الموسيقي واللفظي والمعنوي وقد رأينا كثيرا منها، فيما مر بنا من نماذج سابقة. نعود فنجملها هنا، حيث إن من ألوان البديع التي نلحظها في مقالات الكاتب ما يلي:

---

(١) د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط (٥)، ١٩٨١م، ص: ٤٤-٤٥

(٢) د. مصطفى الجويني: البديع لغة الموسيقى والزخرف، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣م، ص:١٧-١٨

(٣) د. محمد عبدالمطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان، بيروت، ط (١) ١٩٩٧م، ص: ٤٠٤

(٤) د. عبدالقادر حسين: فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط (١)، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص: ١٥

(٥) المرجع السابق: ٣٧

أ- **الاقتباس:** أول ما نلحظ على أسلوب الكاتب تأثره الواضح بأسلوب القرآن الكريم، ونتبين هذا التأثر في كثرة ما اقتبس من آيات كريمة في كتاباته. ومرجع ذلك يعود إلى حفظه للقرآن الكريم وتدريسه له في فترة من حياته، فانعكس ذلك على أسلوبه إيجابا، حيث أضفى الاقتباس عليه رونقا وجمالا، وزاد في قوة إيحائه ودلالاته، ومما يتميز به اقتباسه أنه لا يختص بنوع من المقالات دون الآخر، وإنما نلمسه في مقالاته المختلفة دينية وسياسية واجتماعية. وفيما مر من نماذج سابقة دليل على ذلك. ونشير فيما يلي إلى بعض عباراته التي اقتبسها من القرآن الكريم:

١-كقوله: "لقد كرمنا بني آدم هذا التكريم..."[١].

٢-وقوله: "قولوا لهم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم..."[٢]

٣-وقوله: "سيقول البسطاء من الناس..."[٣]

٤-وقوله: "واستأنفنا النكوص على أعقابنا... وإنه إهمال الغافلين الذي نسوا الله فأنساهم أنفسهم..."[٤]

٥-وكقوله: "وكفانا ما فرطنا في جنب الله..."[٥]

٦-وكقوله: "ولكني أعرفه إلى ممسكا في المال مغلولة يده إلى عنقه..."[٦]

٧-وكقوله: "فلا تأسوا على ما فاتكم ولا تحزنوا على ما أصابكم"[٧]

٨-وقوله: "ومن نحسبهم أغنياء من التعفف..."[٨]

٩-وقوله: "يألمون كما تألم ويحزنون كما تحزن"[٩]

١٠- وقوله: "إنها أعمال جن مستنفرة فرت من قسورة..."[١٠]

١١- وقوله: "ألا فاصبر وما صبرك إلا بالله..."[١١]

١٢- وقوله: "لا تأس علي يا صاحبي وإذا كنت قد تعشقتي فلا تذهب نفسك حسرات على ما حرمني الله من سعة الذهن..."[١٢].

---

(١) سباعيات: ٣١/١
(٢) دعونا نمش: ٨١
(٣) المصدر السابق: ١٣٠
(٤) المصدر نفسه: ١٦٨
(٥) المصدر نفسه: ١٧٢
(٦) قال وقلت: ٥٩/١
(٧) المصدر السابق ١٣٤/١
(٨) قال وقلت: ١٥٦/٢
(٩) المصدر السابق: ١٥٨/٢
(١٠) المصدر نفسه: ٢٣٨/٢
(١١) المصدر نفسه: ٢٣٨/٢
(١٢) سباعيات: ٨٢/٢

١٣- وكقوله: "أما أنا فلا أبرئ نفسي من كل هذه الآثام..."[١]

١٤- وكقوله: "أنسيت أنه عبس وبسر يوم جاءته أم الصبايا ترجو نبله لمواصلة إبنها الدراسة..."[٢]

١٥- وكقوله: "اسمعك تتهمني بالعظامية.. لا يا صاحبي.. حذار أن تأخذ بلحيتي أو برأسي..."[٣]

١٦- وكقوله: "سيرتاب بعض قومي فيما أقول وسينغصون إلي رؤوسهم مستنكرين، وليس لي إلا أن أقول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين..."[٤]

١٧- وكقوله: "وإذا في الطرف الآخر من بشر بأنثى فاسود وجهه في حيرة، أيمسك أنثاه على هون أم يلحقها بيوم الدفن..."[٥]

وغير ذلك من الأمثلة التي من الصعب حصرها واستقصاؤها؛ فعباراته السابقة مقتبسة على التوالي من الآيات القرآنية التالية:-

١-من قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات..." (الإسراء، آية ٧٠).

٢-من قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا.." (آل عمران، آية ٦٤).

٣-من قوله تعالى: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها..." (البقرة، آية ١٤٢).

٤-من قوله تعالى: "قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون" (المؤمنون، آية٦٦)، وقوله تعالى: "ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون" (الحشر، آية ١٩).

٥-من قوله تعالى: "أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، وإن كنت لمن الساخرين" (الزمر، آية ٥٦).

٦-من قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا" (الإسراء، آية ٢٩).

---

[١] يوميات مجنون: ٥٥

[٢] سباعيات: ١٣٥/١

[٣] المصدر السابق: ٥٨/٢

[٤] مجلة قريش، ع ٧٦، في ١٣٨٠/١١/١٧هـ، ص: ٣

[٥] أوراق مطوية: ١٠-١١

٧- من قوله تعالى: "لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون" (آل عمران، آية ١٥٣).

٨- من قوله تعالى : "للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف..." (البقرة، آية ٢٧٣).

٩- من قوله تعالى: "ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون..." (النساء، آية ١٠٤).

١٠- من قوله تعالى: "كأنهم حمر مستنفرة * فرة من قسورة" (المدثر، آية ٥٠-٥١).

١١- من قوله تعالى: "واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون" (النحل، آية ١٢٧).

١٢- من قوله تعالى: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات..." (فاطر، آية ٨).

١٣- من قوله تعالى: "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي" (يوسف، آية٥٣).

١٤- من قوله تعالى: "ثم عبس وبسر" (المدثر، آية ٢٢).

١٥- من قوله تعالى: "قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي" (طه، آية ٩٤).

١٦- من قوله تعالى: "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (البقرة، آية ١١١).

١٧- من قوله تعالى: "و إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أو يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" (النحل، آية٥٨-٥٩).

ب- **التضمين:**

يوظف بعض الكتاب المثل والحكمة في كتاباتهم، وذلك بهدف تكثيف المعنى وتركيزه في جمل قليلة، قد تغني عن تفاصيل كثيرة، حيث إن الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا، فصارت لذلك: "من أوجز الكلام وأكثره اختصارا.."[١]، كما أن في ذلك محاولة من الكاتب لجلب انتباه القارئ، ودفع الملل والسأم عنه.. ونلحظ أن السباعي يكثر من تضمين الأمثال في مقالاته، وهذا يدل على اتساع ثقافته وإلمامه بهذا الجانب. وهي ترد عنده على مستويين، إما فصيحة وإما عامية. ومن الأمثال الفصيحة التي وردت في مقالاته:

"كل متشائم يهرف بما لا يعرف"[٢].

---

[١] ابن الأثير: المثل السائر، ٧٧/١

[٢] قال وقلت: ١٥٤/٢، وانظر المثل في مجمع الأمثال للميداني: ١٦٤/٣

ونحو: "فكان ضغثاً على إبالة"[1]

ونحو: "يا أخوتي، دونه خرط القتاد"[2]

ونحو: "حتى يقلب لك ظهر المجن"[3]

ونحو: "عرفوا كيف تؤكل الكتف"[4]

ونحو: "وهكذا جنت على نفسها براقش"[5]

ونحو: "فعند الصباح يحمد القوم السرى"[6]

ونحو: ولا عبرة بمن يقول إنك أمق، وإنني أمق وأنه لا أمل في أن نتفق"[7]

ونحو: "أن يُترك الفتى حبله على غاربه"[8]

ونحو: "فقد آن أوان الجد وحمّت الحاجات والليل مقمر"[9]

ونحو: "إن الحاجة أم الاختراع"[10]

ومما يندرج تحت هذا توظيفه في بعض مقالاته للمثل النحوي نحو: "لابد من صنعاء وإن طال السفر" والذي بنى عليه إحدى مقالاته فكرره أثناءها عدة مرات، ونلحظ أن تلك المقالة هي في الأصل محاضرة ألقاها الكاتب في إحدى المنتديات[11]. وقريب من هذا قوله: "أنا كسول وأنت لا تقل عني كسلاً، ويشترك معنا في هذا الكسل أبوك وأخوك وحموك.. وذومال!!"[12]

ومن ذلك ردّه في إحدى مقالاته على نقد أحمد العطّار اللغوي لروايته (فكرة)، حيث عرّض العطار بكثرة الأخطاء اللغوية والنحوية فيها، وتمحّل في ذلك ما وسعه التمحل، فكتب السباعي مقالاً يرد فيه على ذلك التمحل من قبل العطار وجعل عنوانه إحدى عبارات ذلك المقال وهي:

---

(١) سباعيات: ٨٩/١، وانظر المثل في مجمع الأمثال: ٢٦٠/٢

(٢) المصدر السابق: ١١٩/١، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٤٦٧/١

(٣) قال وقلت: ٨٧/١، وانظر المثل في مجمع الأمثال: ٤٩٠/٢

(٤) المصدر السابق: ١٦٩/٢، ٢١٦، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٣٧٠/٢

(٥) المصدر نفسه: ١٧٤/٢، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٣٣٧/٢

(٦) المصدر نفسه: ١٣٤/١، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٣١٨/٢

(٧) سباعيات: ٥٧/٢، وانظر المثل في لسان العرب، مادة (مأق) ٣٣٥/١٠ ومجمع الأمثال ٧٧/١

(٨) قال وقلت: ١٣٥/١، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٣٤٩/١ و١٤٩/٣

(٩) المصدر السابق: ٢٤/٢/، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٥٠/١

(١٠) يوميات مجنون: ١١٩، وانظر المثل في مجمع الأمثال:٤٠٩/١

(١١) انظر مقالة: منبر المسجد الحرام وأثره في تاريخ مكة السياسي أوراق مطوية، ص: ١٧٧-١٨٩. وهذا المثل هو الشطر الأول من بيت شعر، وشطره الثاني هو: "وإن تحنى كل عود ودبر" ويستشهد به الصرفيون على جواز قصر الممدود للضرورة. أنظر أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، دار القلم، بيروت، ط (٢)، بدون تاريخ ص: ٩١-٩٢. ونلحظ أن السباعي كان واعياً بتوظيف هذا المثل، حيث إن هناك نوعاً من العلاقة الدلالية بين استشهاد الصرفيين به وبين استخدام السباعي له في مقالته تلك، ولذا كان يزاوج في ترديده في مقالته تلك بصيغته السابقة وبقوله: "لابد من منبر المسجد الحرام ولو طال السفر".

(١٢) سباعيات: ٦٧/٢

"نمت يا عيسى وأدلج الناس"[١]

أما الأمثلة العامية، فمن نماذجها قوله:

"تقاسمها أحقادها... وتركوني: (أمص الحميض!!"[٢]

ونحو: "إنها ألغاز في حاجة إلى من يعلن عنها في ركن شختك بختك"[٣]

ونحو: "القرد في عين أمه غزال"[٤]

ونحو: "مد رجلك على قدر فراشك"[٥]

ونحو: "لم يكن للأشراف مورد يقيمون به أود الحجاز، فاستمر أوا أسلوب (شيلني وأشيلك"[٦]

ونحو: "لا يقنعه إلا أن يزج أنفه بين البصلة وقشرتها.. طببها إذن إن كنت صاحب طب، أيعطي بعضهم فيرضيه، (ويطنش) عن الآخرين فيسخطهم؟ أيضع في (إحدى أذنيه طينة وفي الأخرى عجينة) ويمسك الدرب..."[٧].

ولم يقف اهتمام الكاتب عند توظيفه للأمثال العامية في بعض مقالاته، بل تعد الأمر ذلك إلى التعريض ببعض تلك الأمثال التي تكرس بعض المظاهر السلبية في مجتمعه، كقوله: "أتاعود من طرف حزمة وكيل ما هو كيلك لا تحضره، تتغير دقنك وتتعب في شيله" وسبق أن وقفنا عند هذا الجانب فيما مرّ بنا. ومما لا شك فيه أن توظيف مثل هذه العبارات والأمثال الشعبية يعد وسيلة من وسائل الإيحاء في الأدب والتي "تثير في السامع روح المرح وتبعث فيه الذكريات والشعور القومي"[٨]. هذا من جهة، كما أن هذه الأمثال الشعبية تعد من جهة ثانية مرآة تصور حياة قائليها وهذا ما كان مدركاً له الكاتب مما حدا به إلى أن يجمع بعض الأمثال الشعبية الخاصة ببيئته في مؤلفه الموسوم بـ: "الأمثال الشعبية في مدن الحجاز" والذي قال في مقدمته له: "عكف الحريصون على دراسة تاريخ الأمم بتتبع أمثالها الشعبية، ليستنتجوا منها أحاسيس الأمة التي يدرسونها ورأيها في مواجهة ألوان الحياة التي تعيشها من أجل هذا وجدتني أحاول تجميع ما استطعت من أمثال مدن الحجاز، ليكون مرآة لمن شاء أن يستطلع أحاسيس هذه المدن... ها أنا ذا أقدم ما استطعت اصطياده من أفواه العامة بل والخاصة، بعد أن عانيت ما عانيت من وصب

---

[١] البلاد السعودية: ع (٧٨٥) مصدر سابق.
[٢] سباعيات: ١٢١/٢
[٣] المصدر السابق: ١٣٢/٢
[٤] المصدر نفسه: ٨٢/٢
[٥] دعونا نمش: ١٨٦
[٦] أوراق مطوية: ١٨٦
[٧] سباعيات: ٨٤/٢
[٨] روز غريب: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط(٢)، ١٩٨٣م ص:٨٩

الصيد، فليس ثمت مظان مكتوبة، أو سجلات لها محفوظة... وآمل أن يبقى ما استطعته ركيزة لكل متأمل يعنيه أن يستطلع لوناً من ألوان تاريخ هذه الأمة في هذه المدن"[1]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل هذه الأمثال التي أوردها الكاتب في مؤلفه هي بالفعل أمثال حجازية..؟ والحقيقة أنه لا يمكن الجزم بحجازية هذه الأمثال، حيث إنها تكاد أن تكون "مشتركة ومعروفة في كل أنحاء اليمن والحجاز والخليج..."[2]، ويوسع أحد الباحثين هذا المجال حينما يقول عن الأمثال العامية الموجودة في الحجاز: "أما الأمثال العامية، فمنها العربي ومنها غير العربي"[3]. **والمثل سواءً كان فصيحاً أم عامياً**: "قريب بطبيعة وضعه من فن المقالة -إذ هو وهي -إحساس صادق بالحياة والتأمل فيها، لا يلحقهما أي تشذيب أو تصنع..."[4].

والأمثال والحكم إجمالاً: "تجمع بين الإقناع والإمتاع، وهما غايتان تصفيان على الكلام الذي يؤديها جمالاً وسحراً وروعة وخلابة... أصاب الرامي بهما شوارد العقول، وحاز محاسن النقول فهو بها -أبداً – لا يكبو له جواد، ولا هاض له جناح، ولا كدى له سهم"[5].

ومن ذلك استشهاده بالشعر في بعض مقالاته وقد مرّت بنا فيما سبق نماذج عدة[6].

جـ- ومن فنون البديع التي ترد **عند الكاتب الطباق والمقابلة** وهما يزيدان المعنى جلاءً والفكرة مضاءً. ومن أمثلة ذلك أقواله السابق التي مرّت بنا كقوله: "ما أحلى النظيف دائناً ومديناً،

---

(1) الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، تهامة، جدة، ط(٢)، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص:٩-١٠، ومما يلحظ على هذا الكتاب:

أ- قام المؤلف بترتيبها ترتيباً أبجدياً بحسب الحرف الأول لكل مثل.

ب- شمل كتابه (٢٦) حرفاً من حروف الأبجدية (٢٨) عدا الحرفين: الثاء والذال).

ج- زود المؤلف كتابه ببعض الرسوم التوضيحية لبعض الأمثلة الواردة في الكتاب، انظر ص:١٧، ٣١، ٤٣، ٥٣، ٦٣، ٦٧، ٧٣، ٨١، ٩٥.

د- مجموع الأمثال الواردة في الكتاب بلغت نحو (١١١٢) مثلاً ويلحظ أن بعض الأمثلة قد تتكرر تحت أكثر من حرف واحد. وأكثر الأمثلة وردت تحت حرف "الميم" إذ بلغت نحو (١٣٣) مثلاً، وأقلها وردت تحت حرف "الظاء"، وهو مثل واحد فقط.

هـ- زوّد المؤلف كتابه بهوامش شرح في بعضها معاني كلمات عدد من الأمثال، وفي بعضها الآخر يبين فيه مضرب عدد من الأمثال.

(2) أحمد شريف الرفاعي: "الأمثال الحجازية هل هي حجازية فعلاً" المجلة العربية، ع (٧٠)، ذو القعدة ١٤٠٣هـ، ص٣٠-٣٢.

(3) د. إبراهيم الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص:٢٣٩

(4) د. محمد يوسف نجم: فن المقالة، مرجع سابق: ٩

(5) د. عبدالعظيم المطعني: من قضايا البلاغة والنقد، السلام العالمية، القاهرة، ط (١)، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص:٦٢

(6) انظر مثلاً مقالته التي بعنوان: (من ترهات التاريخ) قال وقلت: ١/٤١-٤٤، ومقالته: (وادي العقيق أحد مظاهر الترف الحجازي) أوراق مطوية، ص:٦٧-٦٩، ومقالة: (الرجولة بين خيام العرب) سباعيات: ٢/٢٥-٢٦

والنظيف غنيا وفقيرا والنظيف سائلا ومسؤولا، والنظيف قويا وضعيفا، والنظيف رئيسا ومرؤوسا... ما أحلاه مصدرا وموردا..."[1].

وكقوله: "ليس في الأمر ظالم أو مظلوم...، إنهم يتفقون على جنوني أما أنا لست أرى بينهم عاقلا واحدا"[2]. وكقوله: "فالموجه الأهوج... والموجه الحكيم"[3]. وكقوله في وصف القدس أثناء رحلته إليها: "على أن للمدينة أقساما تعلو وتنخفض، لتساير مرتفعات الجبال ومنحدراتها، وفيها أرباض تبدوا أنوارها لامعة في الأفق على رؤوس سامقة تتقارب وتتباعد، لتذكرك بالجبال التي تتطامن تحت قدميك، أو تتسامى على مرمى عينيك..."[4]. ومن ذلك قوله: "لست رجعيا يشايع الأمة ضد العلم"[5]، ونحو: "ما أروع الثراء... وما أهون الفقر"[6]، ونحو: "في مناسبات الأفراح أو مأتم الأتراح"[7].

د- كما ترد في مقالات الكاتب **بعض أنواع الجناس**، وهو حلية لفظية لها إيقاع متميز. ومن أمثلة ذلك:

قوله: "وتذكرت الألوف التي تعاكس من أجل قرش وتشاكس"[8]، وكقوله: "قلت: أعرف أباه جاهاً وأعرفه وجاهة"[9]. ومثاله أيضاً قوله: "وهو أرقّ ما يكون أدباً وأرقى ما تعرف تهذيباً..."[10]. ونحو: "وأنت تقرأ بعد هذا ما ذكره كتّاب الآداب السلطانية، وما أرخه ابن الأثير.. فلا تكلفني لأثير شجونك على ما صنع منبر مكة في مكة"[11]، ومن ذلك عنوان مقالة له ورد على النحو التالي: "قبل أن تخلق العجلة كانوا يكرهون العجلة"[12]، وكقوله: "لعلكم تحسبونها فتاة، رقت أعطافها، ودقت أطرافها..."[13].

ومن أنواع الجناس التي نلحظها في مقالات الكاتب **ما يُسمى بجناس العكس**، وهو في هذا يذكرنا بأسلوب طه حسين. وهذا الضرب من التجنيس: "له حلاوة وعليه رونق"[14].

---

(1) دعونا نمش: ١٤٥
(2) يوميات مجنون: ٢٧
(3) قال وقلت: ٢٢٨/٢
(4) سباعيات: ١٢٧/٢
(5) يوميات مجنون: ٦٩
(6) المصدر السابق: ٩٧
(7) دعونا نمش: ١٢٥
(8) سباعيات: ١٢٤/٢
(9) قال وقلت: ٥٩/١
(10) المصدر السابق: ٨٧/١
(11) أوراق مطوية: ١٨٤
(12) مجلة قريش: ع (٧٣) في ١٣٨٠/١٠/١٩هـ، ص٣. وهو يعني بالعجلة الأولى: "الدراجة، وبالثانية: "السرعة والتعجل".
(13) دعونا نمش: ٥
(14) ابن الأثير: المثل السائر ٣٩٦/١

ومن أمثلة ذلك قوله: "عظيمة هذه الديموقراطية الشائعة بشرط أن لا تشوبها لوثة، أو تلوثها شائبة..."[1]، وكقوله: "إننا كما نحن مصابون برجحان عقولهم.. مصابون كذلك ببيانهم الفصيح، وفصاحتهم البائنة"[2]. وكقوله: "لابد للحياة أن تسلس قيادها للمارة، سواء كره المشفقون، أو أشفق الكارهون.."[3]، وكقوله: "لا تحدكم خطوط ولا تخططكم حدود"[4]، وكقوله: "بين لهو الحديث أو حديث اللهو..."[5]. وكقوله: "إن من التكاليف المفروضة أو الفروض المتكلفة..."[6].

هـ- ومن ألوان البديع التي ترد عند كاتبنا، **السجع**، والسجع ظاهرة قديمة في النثر وهو أشبه بعنصر القافية في الشعر.. والسباعي لم يلتزمه أو يسرف فيه وإنما ورد عنده في أمثلة قليلة، كان السياق فيها يستدعيه، وذلك كقوله: "لنبحث عن المياه المغمورة والعيون المطمورة"[7] وكقوله: "ترهاته انطفأت إلا في هوى جامح، أو غرض واضح"[8]. وكقوله: "تركهم يستجرون دهشتهم في أفواه فاغرة وعيون زائغة"[9]، وكقوله أيضاً: "المال طالما بيعت به همم!! وخفرت من أجله ذمم!!"[10].

وغير ذلك من النماذج والتي مرّ بنا ضروب لها فيما سبق. والحقيقة أن الأساليب المسجوعة تعد من "أرقى الأساليب وأبلغها، متى كانت متسقة اللحن، عذبة الجرس، جميلة الإيقاع..."[11]

و- ومن ذلك التكرار:

والمراد به: "إعادة ذكر كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر، أو مواضع متعددة من نص أدبي واحد"[12]. والتكرار كثير الشيوع في الفن، فقلما نجد "أثراً فنياً لا تتكرر فيه

---

(1) يوميات مجنون: ٤٠
(2) المصدر السابق: ٨٠
(3) المصدر نفسه: ٩١
(4) المصدر نفسه: ٧٩
(5) قال وقلت: ١٥٩/٢
(6) دعونا نمش: ١٣٣
(7) المصدر السابق: ٤٠
(8) يوميات مجنون: ٣٤
(9) المصدر السابق: ١٤٧
(10) سباعيات: ٢٩/٢
(11) د. محمد نبيه حجاب: بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، مكتبة الطالب مكة المكرمة، ط (٢) ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ص: ١٦١
(12) د. شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم دار الفكر، القاهرة، ط (٢)، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ص: ٢١٢

أجزاء متقاربة أو متباعدة... وجماله قائم في لذة الانتظار لما نستبق حدوثه... وهو ينعكس على شيوع الموسيقى في الأثر الأدبي من خلال تكرار الأصوات في مقاطع طويلة وقصيرة..."[1].

وهذا الأسلوب البديعي نلحظه في كثير من مقالات الكاتب، وبالأخص في مقالتيه السياسية والاجتماعية، ويأتي عنده في أشكال ثلاثة: تكرار الحروف، وتكرار الألفاظ والجمل، وتكرار العبارات والمقاطع.

أما تكرار الحروف فمن نماذجه قوله: "لا.. لا يا صديقي ليس لنا أن نتشاءم..."[2]، وكتكراره لحرف الجر "من" في بداية كل مقطع من مقاطع إحدى مقالاته والتي يقول فيها:

"من معارج هذه الكثبان الرملية، كثبان قريش.

من شطآن هذا الوادي العتيد، وادي قريش.

من بيوت الشعر في مصاعد المعابدة.

من مزارع النخيل في مهابط المسفلة.

من حلقات اللاعبين في قرارة المدحى.

من مجمع السوق تحت سقائف المدعى.

من مفرق المسالك بين المروة والصفا.

من منابت الشيح بين الحجون وذي طوى.

خرجت الصفوة المختارة تنادي إلى الأمام".

ونلحظ أن تكرار الحرف في هذا النموذج متين الارتباط بالسياق، وبإنتاج الدلالة فهو شبيه بأساليب كثيرة من شعراء العصر الحديث[3]، كما أنه حقق بهذا التكرار تجانساً استهلالياً رائعاً.

أما تكرار الألفاظ والجمل والعبارات، فمن أمثلته قوله: "دعونا نمش"، كما سبق وشرحنا ذلك. ومن أمثلته قوله: "حاول الغنى ما وجدت إلا الغنى سبيله المستقيم... حاول الغنى وثق أن القناعة لا ترادف الفقر المطلق... حاول الغنى لتكون عزيزاً... حاول الغنى وحذار أن تقنع بالفقر... اخط اليوم خطواتك نحو الجدّ المثمر... اخط اليوم خطوتك الأولى في نشاط... اخط اليوم خطوتك الأولى..."[4].

---

[1] روز غريب: النقد الجمالي، مرجع سابق، ص: ٢٦-٢٧ بتصرف.

[2] قال وقلت: ١٥٢/٢

[3] انظر أمثلة لهذا الأسلوب الشعري: نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٨)، ١٩٩٢م، ص: ٢٦٤-٢٦٦؛ وعمران الكبيسي: لغة الشعر العراقي المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط (١)، ١٩٨٢م، ص: ١٤٣-١٥٠

[4] يوميات مجنون: ٣٤

فهو بهذا التكرار يؤكد على الفكرة التي يتحدث عنها، ويلح من خلاله في إقرار ما يريد أن يقنع به القارئ، فالكاتب اتخذ من هذا التكرار مرتكزاً يبني عليه في كل مرة معنى جديداً وينطلق منه في الوقت نفسه إلى تتبع جوانب المعنى الواحد واستقصاء مظاهره المتعددة، وبذا يصبح التكرار: "وسيلة إلى إثراء الموقف وشحذ الشعور إلى حد الإمتلاء.."[١].

ومن ذلك تكراره لبعض الصيغ كصيغة الاستفهام، كقوله في مقال له: "أكان مهذباً متواضعاً قبل أن يتكبر... أكان غيوراً نزيهاً قبل أن يتغير... أكان عادلاً من أنصار الحق قبل أن يعدل اليوم عن مناصرة الحق؟ أكان قوياً متين الأخلاق قبل أن يمتحنه المركز... أكان معدنه أصيلاً أم هو الزيف..."[٢].

وقد تجتمع هذه الأشكال للتكرار في مقالة واحدة من مقالاته[٣]، فنلحظ أنه اعتمد في هذا التكرار على تتبع الفكرة التي يعرض لها هنا، كما أن ذلك ساعده على تشقيق المعاني والدخول بها في ضروب عدّة، كما سبق وأشرت. وأخيراً إذا كان التكرار في الأصل غير محمود، فإنه قد يكون "لازماً لضرورة بلاغية في مجال الإلحاح العاطفي، والتوكيد على مواقف معينة، من حزن وحب ونحو ذلك"[٤]، كما أن التكرار لجوهر الفكرة: "غير معيب قط في الأدب"[٥].

ز- ومن ألوان البديع التي ترد في مقالات الكاتب **الترادف**، كقوله: "في ضجيج راقص وصخب يملأ الوادي"[٦]، وكقوله: "ألاحظ أن بعض القصص الخرافية، تعيش وتنمو وتترعرع في اوساط كثيرة..."[٧]، ونحو قوله: "إن لم تقل ضعفاً وانكساراً..."[٨]، ومثل قوله: "في غير ختل أو خديعة.."[٩]، ومثل قوله: "ينسيه كل الحسرات التي عاشها بين العويل والندب"[١٠]، وكقوله: "إذا ظفرت فاضحك فرحاً بما بلغت"[١١]. ومنه قوله: "ففي هذا ما يثبط العزائم، وتفتر له الهمم"[١٢]، ومنه قوله أيضاً: "في غير توان أو تراخ..."[١٣]. وفي هذا دلالة على ثراء لغة الكاتب.

---

(١) د. شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب: ٢٣١
(٢) يوميات مجنون: ٣٤-٣٥
(٣) انظر مثلاً مقالته التي بعنوان: "هات رفشك"، وحي الصحراء: ٩٥-٩٧
(٤) د. عمر الدقاق: ملامح النثر العباسي، دار الشروق، بيروت، بدون تاريخ، ص: ٢٠٦
(٥) د. عبدالحليم حفني: أسلوب المحاورة في القرآن، مرجع سابق: ٥٠
(٦) أوراق مطوية: ٣١
(٧) قال وقلت: ٧٩/١
(٨) المصدر نفسه: ٨٧/١
(٩) المصدر نفسه: ٨٩/١
(١٠) المصدر نفسه: ٩٥/١
(١١) المصدر نفسه: ٩٦/١
(١٢) المصدر نفسه: ١٥٣/٢
(١٣) المصدر نفسه: ١٣٤/١

٤- الخيال:

الخيال عنصر أساسي في الأدب ودرجته: "تحدد أدبية المقالة... إذ المعنى -كعنصر أساسي – تمتاز في المقالة الأدبية بأنها تصب في قالب خيالي، وبهذا يستطيع الكاتب المقالي أن يثير (خيال) المتلقي... والكاتب المقالي هنا أشبه بالشاعر، حين يأخذ الأشياء المشاهدة المألوفة التي يراها الناس جميعاً، ثم يمر بها خياله فيخرجها في صور مقالية جديدة لم نكن نتوهمها ولا نتخيلها.."[١]، فالخيال يلعب إذن دوراً كبيراً في فن المقالة الأدبية: "لأن الخيال وحده هو القوة التي تعين الكاتب على ابتداع المعاني التي ينسجها حول "الفكرة" حتى يكسوها ويجلوها في أروع صورة ممكنة"[٢]. أضف إلى ذلك أن الصورة الخيالية هي من أخص مميزات الشعر، ولهذا فإن: "المقالة الأدبية حين تغلو في التصوير تقترب من السلّم الشعري، في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها..."[٣].

ومقالات الكاتب حافلة بعنصر الخيال والصورة، والصورة الخيالية ترد عنده في نمطين: صورة وصفية، وصورة بيانية مجازية. ويلحظ أن ذلك يأتي في مختلف مقالاته: (السياسية والوصفية، والاجتماعية، والتاريخية، وحتى الدينية)، ولكن يبرز ذلك بشكل واضح كما مرّ بنا في مقالتيه الوصفية والتاريخية.

ولعل أجمل تلك الصور الوصفية التي وردت في مقالات الكاتب هي وصفه لوادي العقيق، الذي سبق أن توقفنا عنده، وربما كان أجمل ما فيها جدّتها وغرابتها، وتصيّد الكاتب لأطرافها من أعماق خياله القصية، التي لا يبلغها إلا مبدع متميز، وكذلك تلك الحياة والحركة اللتان بعثهما في الوادي بألوان متعددة. فهي ممزوجة من صورتين متناقضتين متنافرتين، حيث هناك صورة للعالم الخارجي: "صورة الوادي في الوقت الحاضر -طبيعة ميتة، ثم أضفى عليها الكاتب بخياله المبدع صورة أخرى، صورة مليئة بالحياة والحركة، وهذه الصورة الأخيرة، هي مستمدة من العالم الباطني للكاتب، إذ كانت مختزنة في ذاكرته عن ذلك الوادي، حينما كان يتصف بالحياة في وقت مضى كما قرأ عنها الكاتب في بعض أمهات الكتب كما سبق وأشرنا". فمما لاشك فيه: "أن الذاكرة هي الجذر الأساسي الذي لا يمكن أن يوجد تخييل شعري بدونه... إن الذاكرة لا تخزن الصور فحسب، وإنما تصهرها، وتغير من طبيعتها لتشكل منها أنماطاً جديدة

---

[١] د. عبدالعزيز شرف: أدب المقالة، مكتبة لبنان، بيروت، ط (١)، ١٩٩٧م، ص: ٨٤-٨٥

[٢] د. عوض محمد عوض: محاضرات في فن المقالة، ص: ٦٦

[٣] د. عبدالعزيز شرف: أدب المقالة، ص: ٨٩

فريدة في نوعها، ولكن الذاكرة لا تحفظ، وبالتالي لا توحِّد أو تصهر إلا الصور الهامة فحسب، أعني تلك الصور التي استقبلناها بأهمية، أثناء عملية الإدراك"[1].

فالكاتب من خلال مقالته السابقة، كأنما بعمله ذلك أعاد الحياة إلى ذلك الوادي (الميت) مجازاً، معتمداً في ذلك على فن الوصف والتصوير الخيالي الفني البارع. والمقالة بمجملها أشبه بلوحة فنية تعددت فيها المشاهد وتعددت فيها الصور، تلك الصور التي انبجست من خياله وذاكرته لتصبح الصورة عنده بالتالي -كما يقول النقاد - : "إعادة تنظيم جديد للعالم الخارجي"[2].

ومما يلحظ على وصف الكاتب لذلك الوادي، أنه نجح في تصوير عاطفته الصادقة تجاه ذلك الوادي ومن سكنه، والمتمثلة في تعاطفه مع واقعه الصامت المقفر وشوقه إلى ماضيه الضاج بالحركة والحياة والطبيعة الخلابة، ومن ثم نجح بالتالي في استمالة القارئ ومشاركته له في عواطفه تجاه وادي العقيق، ماضيه وحاضره، ومن هنا كان خياله مؤثراً، فإذا: "صدقت عاطفة الأديب واقعياً أو فنياً كان الخيال رائعاً ومؤثراً... وإذا انعدمت العاطفة لدى الأديب أو ضحلت كان الخيال سيئاً هزيلاً... ومقياس نجاح الخيال هو في قدرته على التعبير عن العاطفة في صدق وقوة وجمال، وهذه القدرة لا تظهر إلا من خلال ما يستثيره في نفوس المتذوقين من عواطف وما يقدر على تثبيته فيها من أفكار وإحساسات"[3].

ونورد فيما يلي بعض الملاحظات حول الصورة التي وردت في تلك المقالة، فمما نلحظه أن الصورة في قوله: "كأنهن بنات اليتامى" توحي بالأسى والحزن، فتلك الأماكن والمراتع في انكسار وضعف بسبب فقدانها لأهلها الذين نعمت في حضورهم بأنواع الملاهي والمتع والسعادة، والتي افتقدتها في الوقت الحاضر، فأصبحت مرابع لا أنس فيها ولا صاحب لها، إلا أصوات الرياح وصفيرها الذي ينعي ماضي تلك الأماكن، فالكاتب بعمله هذا يذكرنا بفعل الرومانسيين، حينما يخلعون على الجمادات صفات الكائنات الحية بواسطة التشخيص، فوادي العقيق عند الكاتب أشبه بالكائن الحيّ الذي يفرح ويحزن.. فهو ليس طبيعة صماء؛ والكاتب لا يبكي هنا الديار والأماكن بقدر بكائه لأصحابها، فهو يبكي مجداً مندثراً من أمجاد الحجاز، كان يشهد له بالرقي والتقدم، وكان علامة من علامات السيادة والعز.

---

[1] د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط (٣)، ١٩٩٢م، ص: ٨٩-٩٠

[2] د. صبحي البشاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصور والفروع، دار الفكر اللبناني، ط (١)، ١٩٨٦م، ص: ١٥

[3] د. أحمد بسام ساعي: الصورة الأدبية بين البلاغة والنقد، دار المنارة، جدة، ط (١)، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص: ٢٩-٣٠

كما نلحظ أن استحضار السباعي لصورة المرأة من خلال حديثه عن الغناء وغير ذلك في وصفه لأطلال الوادي، يذكرنا باستحضار الشعراء الجاهليين لها: "إن المرأة هي عنصر الطلل الرئيسي، ولانكاد نجد في الشعر الجاهلي أطلالاً بغير امرأة"[1]. ولاحظ أن الموضوع نفسه –"الوقوف على الآثار ووصفها والحنين إليها" – هو في الأصل من الموضوعات التي اختص بها الشعر والشعراء..

كما نلحظ أنه يستخدم بعض الألفاظ التي تثري الصورة والموقف في مقالته كقوله "خشخشة الحصى"، حيث هناك تكرار لحرفي الخاء والشين وفي تتابع، وهما حرفان احتكاكيان مهموسان، ولاسيما حرف الشين الذي يتصف بشيء من الترقيق[2]. فذلك اللفظ من خلال سياقه أوحى لنا بالسكون الذي يلف ذلك الوادي، فلولا حركة السيارة لم نكد نسمع شيئاً، بل إن حتى صوت حركة وقع عجلات السيارة على حصى الوادي بالكاد يسمع، إذ هو أشبه بالهمس. وكل هذا صوّرته لفظة: "خشخشة"، والتي تدل في الأصل على الخفة واللطف والرقة[3]. كما نلحظ أن الصورة والوصف الذي قامت عليه مقالة الكاتب إجمالاً تمثل نموذجاً للإيحاء، والفن في أساسه إيحاء: "أي تعبير غير صريح أو غير مباشر عن فكرة أو معنى، وهو بهذا يفرض التفكير على متذوقه... والقديم أشد إيحاء من الحديث بما يرافقه من ذكريات، والآثار القديمة أشد إيحاءً من الآثار الحديثة..."[4]، وتأسيساً على ذلك يمكن القول بأن الكاتب في وصفه لذلك الوادي قد ضرب على قيثارة البحتري الذي وقف على رسوم القصور والأطلال، وبخاصة في سينيته المشهورة التي وصف بها (إيوان كسرى) وعلى قيثارة أحمد شوقي ولاسيما في قصيدته السينية المشهورة التي عارض بها قصيدة البحتري السابق ذكرها، والتي وصف بها أطلال قرطبة وقصر الحمراء في الأندلس.

وأخيراً نشير إلى أن الصورة في هذا الوصف جاءت مستوفية لجميع عناصرها الرئيسة من لمس، وذوق، وشمّ، وسمع، وبصر، وإن كان الغالب عليها التصوير البصري والسمعي، كما نلحظ أن الصور البصرية في ذاتها جاءت متعددة الألوان، كما أن الصورة في مجملها جاءت صورة متحركة زاخرة بالحياة، كما سبق وأشرنا.

وهاك صورة أخرى من الصور التي اشتملت عليها إحدى مقالاته التاريخية التي رسم فيها بعض مظاهر الحياة للمجتمع المكي في العصر الجاهلي معتمداً في ذلك التصوير على ما يتمتع به من خيال خصب، وهي صورة قائمة على عناصر متعددة بصرية، وسمعية، وشمية،

---

(1) د. نصرت عبدالرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص: ١٢٧-١٢٨

(2) انظر د. كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، ص: ١٢٠-١٢١

(3) انظر مادة (خشخش) لسان العرب، ٦/٢٩٥-٢٩٨

(4) روز غريّب: النقد الجمالي، ص: ٨٦-٨٧

وذوقية، لتشكل لوحة مزركشة. ويمكننا القول بأن الكاتب استطاع من خلال وصفه ذلك أن ينقل للمتلقي صورة نابضة بالحركة والحيوية لألوان حياة ذلك المجتمع حتى لكأن المتلقي يشاهده ماثلاً أمامه. ومما جاء في ذلك الوصف قوله: "أترى هذا المختبئ في ظل الصخرة إلى جوار "الكانون"؟ إنه الطبيب الذي نقصد، وليس غريباً أن نجده خالياً إلا من هذا الشخص الذي يعاين أطرافه، فأطباء العظام هنا يتوازعون المرضى، على أن أكثر كهول البيوت وعجائزها يطببون العظام، أتتردد في خوف من الكانون...؟ لا فالكي هنا آخر العلاج، فأمض ثابتاً ولا تتردد أرأيت؟ هذه وصفة الدهان التي أوصاك بها، تصدق خبري عن الكي بأنه آخر مراتب العلاج، فسأمضي بك إلى سوق العطارين لتشتري الدهان، إنه دون رمية السهم، في درب يتفرع من سوق "الحزورة" عند دور "آل صيفي"، ولكن أرى من الأوفق أن نتمتع بهذا الأصيل القائم ما دمنا في ركائبنا، على مشارف "المسفلة"، هيا: ولتغذ السير، فماجل أبي صلابة على نجوة منا، ألا تسمع خرير المياه، وهي تتحدر إليه هابطة من مشارف التلال حوله؟ أنظر كيف تصطفق المياه بين أركانه، إنه مجمع طبيعي لمياه السيول المنحدرة إليه، فيصرفها في جداول تسقي البساتين والمزارع إلى العدوة القصوى من الوادي، وإذا شئت فنتابع سيرنا إلى "الليط" على حوافي ما نسميه اليوم "شارع المنصور"، فثمة مزارع يانعة وأشجار باسقة، تعانقت فروعها فامتد ظلها وارفاً، أترى؟ هؤلاء فتيان قريش وشبابهم في ثيابهم المحمرة والمصفرة والمعصفرة يتواكبون في ظل الأشجار على شطآن المزارع، أترى هذه الجفنة الصغيرة بين يدي هذه الجماعة، في هذا الطرف الأدنى بجانب الصخرة البلقاء، ستسألني ما هي وفيم كانت؟ إنها جفنة للفواكه المجففة، يتنقلون بمحتوياتها في نزهتهم، إنهم شباب من شباب "بني مخزوم"، وعلى غير بعيد منهم فتيان من "بني أسد بن عبدالعزى"، أما هؤلاء الذين تشهدهم يتواثبون طربين على صوت المزماز ففتيان من "هذيل". هذه بطون تعودت التنزه في "الليط" وفي ظل الأقحوانة في منبسط الوادي، وبين البساتين القريبة من "الماجل"، لقصر المسافة بينها وبين منازلهم، وهناك بطون أخرى من "بني عامر" و "بني عبدمناف" و "آل عتبة" و "آل معيط"، ترتاد حائط الحمام وبساتين حول "ثنية الحجون"... وثمة: أعيان من صناديد قريش والمثرين فيها يشتملون بعبواتهم المحاكة من أوبار الجمال... يتهادون بها في طريقهم إلى المنتزهات البعيدة المنبسطة في حوض البقر..."[1].

إن هذا المقطع السابق يمثل رحلة في أعماق التاريخ والجغرافيا، ومن العناصر التي قامت عليها الصورة فيه ما اعتمد في نقله على حاسة اللمس كما في قوله: "أتتردد في خوف من الكانون؟ ... هذه وصفة الدهان التي أوصاك بها".

---

[1] أوراق مطوية: ٢١-٢٢

أما الرائحة فنكاد نستنشقها من مثل قوله: "سأمضي بك إلى سوق العطارين..."، إضافة إلى إشاراته للبساتين والمزارع والأشجار.

أما الصوت فنحن نسمعه من خلال قوله: "ألا تسمع خرير المياه... أنظر كيف تصطفق المياه... يتواثبون طربين على صوت المزمار".

أما التذوق، فيوحي لنا به مثل قوله: "إنها جفنة للفواكه المجففة". أما الصورة البصرية فهي الطاغية على مجمل الصور، ويلحظ أنها أتت مزركشة شاملة ألواناً متعددة، فاللون الأسود والبني نلمحهما في مثل قوله: "الكانون"، و"الأصيل الغائم"، و"الصخرة البلقاء"، واللون الأحمر من خلال قوله "الكي"، وما يستتبع ذلك تلقائياً من استحضار لصورة النار، وقوله "الأصيل" يستحضر صورة الغروب واحمرار الشفق، ويدل عليه قوله: "ثيابهم المحمرة".

ونلمح اللون الأخضر والأصفر في إشارته المتكررة إلى البساتين والمزارع والأشجار والفواكه، أما اللون الفضي فتوحي لنا به إشارته إلى المياه والسيول والبرك.

أما الضوء والظل فنشهده من خلال قوله: "الأصيل الغائم... فامتد ظلها وارفاً... في ظل الأقحوانة والواحات اليانعة...".

وهي صورة في مجملها قائمة على الحركة، حيث نحس بها من خلال تتابع الأفعال المضارعة إذ يقول: "فسأمضي بك إلى سوق العطارين... هيا: ولنغذ في السير... خرير المياه وهي تنحدر إليه... فيصرفها في جداول... تسقي البساتين والمزارع... فلنتابع سيرنا... يتواكبون في ظل الأشجار... يتنقلون بمحتوياتها... يتواثبون طربين... يتهادون بها في طريقهم...".

ومن أساليب المجاز التي ترد في مقالاته وتوحي بنوع من الخيال والصور **التشخيص** كعنوان إحدى مقالاته والذي جاء على النحو التالي: "قنصليتنا تتكئ على ربوة خضراء"[1].

---

[1] سباعيات: ١٢٧/٢

وكقوله يصف أحوال إحدى القرى الفلسطينية أثناء رحلته إليها، وما أصابها بفعل الاحتلال: "إنها قرية برطعة... عدا عليها خط الهدنة في اتفاقية رودس المشؤومة، فقطع أوصالها..."[1]، وكقوله، وهو يحث على تحصيل الغنى من سبيله المستقيم: "ما أروع الثراء يمشي شامخ الرأس في حدائق بلادك، وما أهون الفقر يتسكع ذليلاً بين حاراتها الضيقة وأزقتها القذرة"[2].

فالصورة التي قدمها الكاتب هنا اعتمد عليها ليعبر بها عن حالتين نفسيتين متناقضتين، هما نفسية الغني المعتد بنفسه، فهي نفسية تعكس الفرح والسعادة، أما الأخرى، فهي نفسية الفقير المنكسر، وهي نفسية تعكس الحزن والألم والضيق.

ومن ذلك **التشبيه** كقوله: "قلت هذا وأنا ألهث كما يلهث المطارد في ميدان واسع الحلبة"[3]، وكقوله: "فأشهد السيارات... تدرج في أرتال تتلاحق كما يتلاحق النمل في خطوط لا نهاية لأبعادها"[4]، وكقوله: "في مضيق كأنه عنق الزجاجة"[5].

وكقوله: "هذا ذنب الترهات التي تركتها تقاليدنا تنبت على حافي الطريق، كما تنبت الطفيليات في أحواض الزهور فتأخذ عليها نصيبها من النمو والازدهار..."[6].

وغير ذلك من الأمثلة، ونلحظ أن تلك التشبيهات السابق ذكرها تندرج تحت نوع التشبيه التمثيلي.

---

(1) سباعيات: ١٣٥/٢
(2) يوميات مجنون: ٩٧
(3) المصدر السابق: ٤
(4) المصدر نفسه: ٣٩
(5) سباعيات: ٢٦/١
(6) دعونا نمش: ١٣٢

ومن ذلك **الكنايـة**، كقولـه: "دعونـا نطـرد النـوم مـن أجفاننـا والعنـاكب مـن عقولنـا"[1]. وكقولـه: "فتسـامع النـاس أن غيرتـه انحبسـت إلا علـى الأذنـاب والمقربيـن"[2]، وكقولـه: "إنـك نجحـت يـا صـاحبي يـوم طلقـت كرامتـك!!..."[3]. فطـلاق الكرامـة كنايـة عـن فقـدان مقومـات الشـخصية وذوبانها.

---

[1] المصدر السابق: ١٧٢
[2] يوميات مجنون: ٣٤
[3] المصدر السابق: ٤٠-٤١

الباب الثاني
السباعي قاصاً

الفصل الأول
الرواية
دراسة موضوعية فنية

مقدمة عن الرواية

القصة عموماً حكاية، والحكاية خصوصاً ((أن يروي إنسان لآخرين ما رأي أو سمع أو تصور، وهي على هذا قديمة قدم المجتمع الإنساني... واطلع العرب خلال هذا القرن إطلاعاً ما على الأدب الغربي، واطلعوا على القصة الحديثة منه، ورأوا المكانة الشامخة التي تحتلها، وألموا بالصفات التي تميزها على حين لم يكن لديهم منها شيء... وولدت قصة (زينب) لمحمد حسين هيكل، قصة طويلة على غرار ما كان لأوربة من قصص... وتتوالى المحاولات... وشرعت لأقطار العربية تتقدم وتجدّد... القصة العربية الحديثة هي بنت القرن العشرين...))[1]

ولم تكن نشأة الرواية في الأدب العربي ((في المملكة العربية السعودية متخلفة بشكل ملحوظ عنها في الأقطار العربية الأخرى هذا إذا تجاوزنا المستوى الفني عن المقارنة وإذا لم ننظر للأمور من زاوية إقليمية ضيقة النطاق...))[2]

والسباعي يعد رائداً لأبرز الفنون السردية في الأدب العربي السعودي : (رواية ، قصة ، سيرة ذاتية). ويمكننا القول بأن هذه الفنون، كانت بالنسبة للكاتب مشروعاً لتحقيق الذات وإبرازها، يوصفها مبدعة ومتميزة، فهي خروج على النمط الفني السائد في الساحة آنذاك (الشعر والمقالة)، وهذا الخروج حقق للخارج (السباعي)،ما لا يتحقق له في ظل البقاء في نمط المقالة وإن كان قد كتبها السباعي وتميز فيها أو في نمط الشعر، الذي لم يكتبه السباعي، وإن تبدت لنا بعض ملامحه في كتاباته المقالية، كما مرّبنا وفي كتاباته السردية كما سيتبدى لنا

أما في مجال الرواية يمكننا تجاوزاً القول بأن للكاتب ثلاث روايات وهي : (فكرة ، فلسفة الجن ، مطوفون وحجاج) وسنجلّي في الصفحات القادمة – بإذن الله تعالى – مدى قربها أو بعدها من الفن الروائي ، ومرجع قرب هذه الأعمال من الفن الروائي أو بعدها عنه يعود إلى أن الكاتب لم يكن يهدف إلى كتابة عمل روائي فني ، وإنما أتخذ من ذلك الأسلوب الفني وسيلة لطرح آراءه وأفكاره بهدف الإصلاح الاجتماعي .وسنخص كل رواية من تلك الروايات بدراسة موضوعية فنية من خلال الصفحات التالية:

---

(١) د. علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي: مرجع سابق ، انظر ص (٢١٨-٢٤٠)

(٢) د. محمد صالح الشنطي: فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، نادي جيزان الأدبي، ط(١) ١٤١١هـ ١٩٩٠م ص: ٤٣

أولاً : رواية (فكرة) .

❖ مقدمة : (تمهيد وعرض)

١-الأفكار والمضامين

٢-الأفكار والمضامين والطرح الرومانسي .

٣-البناء الفني :

أ. الأحداث الروائية .

ب. الزمن والمكان .

ج. الشخصيات .

د. الأسلوب .

١-السرد والحوار

٢-الوصف والتصوير .

٣-الوظائف التي قام بها الوصف .

٤-أسلوب الوصف والتصوير .

رواية فكرة

تعد هذه الرواية التجربة الأولى لكاتبها في مجال الكتابة الروائية ، بل تعد من التجـــارب الأولى على مستوى الأدب العربي السعودي ، فهي تجربة رائدة ، وعلى الرغم من ذلك فقـــد خطت بعض الخطوات بالرواية السعودية نحو الرواية الفنية .. [١] وقد ظـــهرت في طبعتـــها الأولى في عام ١٣٦٧ هـــ - ١٩٤٨ م [٢] ونشر منها قبل ذلك التاريخ بعض الفصـــول فـــي مجـــلة المنهل [٣] . وأعيدت طباعتها بعد وفاة مؤلفـــها ، وذلـــك فـــي عـــام ١٤٠٩هـــ - ١٩٨٩م[٤] . وسنعتمد في هذه الدراسة على هذه الطبعة الأخيرة .

وملخص هذه الرواية يتمثل في قصة راعية عرفت باسم (فكـــرة) ، عاشـــت لأفكارهـــا ودانت لما تعتقد . لم تخضع لتقليد لا يؤيده منطق ، أو تدعمه بينة ، وهي على ما يتـــألق فـــي أهدابها الوطف وأجفانها الدعج ومحياها المشرق ، تأبى إلا أن تعيش العيش الخشـــن وتجـــالد مجالدة الأقوياء ضد أوضاع الحياة وتسخر سخر الفلاسفة بأوضاع المجتمع ، ويلتقي بها شـــاب (سالم) عاش لرجولته وأخلاقه السامية ، مترفع عن تهافت الشباب الرقيع، فتفتحـــت نفســـه لجمالها فيغدو صريع هواها، بينما تسخر هي بأفكاره التقليدية في الحب والحياة .

وتعرّف (فكرة) (سالماً) بحياتها الأولى، وكيف اكتسبت هذه الثقافة، ثم يمضيـــان معـــاً في نواح كثيرة بين قرى متعددة في جنوبي الطائف ، يتمتعان بين تلك القرى بمشاهد الطبيعـــة الآخاذة الفاتنة ، ويتناول حديثهما أثناء ذلك صنوفاً شتى من ألوان الحيـــاة ومناحيـــها بـــالتفنيد والتعقيب، بروح ساخرة من أوضاعها .

ويحاول (سالم) في أثناء تنقله مع فكرة بين تلك القرى وأوديتها الجميلة أن يتعرف علـــى حقيقة هذه الفتاة، حيث دخل نفسه الشك في سلوكها، إذ كيف بفتاة وفي مثـــل جمالـــها تتنقـــل وحيدة بين هذه القرى وهذه الأودية، وفي كل مرة يسأل عنها أهل تلك القرى يتـــأكد لـــه مـــا

---

(١) د. السيد محمد ديب ، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور ، المكتبة الأزهريـــة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٥هـــ ، ١٩٩٥م ، ص ٣٧ - ٣٨) .

(٢) عن دار الكتاب العربي بمصر بـــدون تـــاريخ ، وعـــن تـــاريخ نشـــرها ، انظـــر البـــلاد الســـعوديةع (٧٢٧)،٩/٨/١٣٦٧هـــ ص، ٢ ، وع(٧٦٠) ، ١٤/١٢/١٣٦٧هـــ ص: ٢،٣

(٣) انظر العددين الرابع والخامس من المجلد السابع عام ١٣٦٦هـــ في ١٤ / ١٢ / ١٣٦٧هـــ ، ص ٢، ٣ و د. علي جواد الطاهر ، معجم المطبوعات ، ٤/ ١٥٩٢

(٤) عن دار الصافي للثقافة والنشر ، الرياض .

يخلاف ظنه وشكه .. وتمضي بهما القصة إلى أن تُقنع (فكرة) (سالماً) بالعودة إلى أهله الذين تركهم ليلحقها،وإلى أولاده الذين أهملهم لينظرها، وإلى تجارته التي أوكل أمرها إلى غيره ليتبعها .. فيقتنع بكلامها ويعود إلى مكانه الذي أتخذه بالطائف مصيفاً، وبعد انتهاء الصيف يعود إلى داره بمكة، ثم لا يلبث فترة طويلة حتى يحل موعد الحج فيعقد (سالم) العزم على أداء فريضة الحج مع مجموعة من أصحابه، وفي أثناء طريقه وهو متجه من (مزدلفة) إلى (منى) يقابل (سالم) (فكرة) من جديد ، فيثور الهوى القديم في نفسه .

فيتحادثان فتذكره (فكره) بالحديث الذي سبق وأن حدثته به في أول لقاء جمعها به عن حياتها وبأن هناك شكوكاً تساور أهل القرية التي تربت فيها حول مولدها وبخصوص أسرتها. مضيفةً إلى ذلك بأن عجوزاً في قريتها أسرت إلى صاحبة لها بأنها ترجح : " أن عائلتي من مكة وأنني وجدت متروكة في قيعة من الأرض، في طريق القوافل المارة من مكة إلى الطائف !! وأزيدك اليوم أنني التقيت بسيدة في عرفة من عائلات مكة، وأنها ذكرت لي أنها تعرف عائلة تفقدت (هكذا) ابنتها في الثانية من سنها في طريق القوافل إلى الطائف ، وقد ذكرت لي عنوانها في مكة وطلبت إليّ أن أوافيها في منزلها في مكة لتجمعني بهم ، لعلنا نجد في الظروف والأدلة التي تحيط بالحادث ، ما نتعرف منه حقيقة الأمر ... " [١]

ومن ثم افترقا واتجهت فكرة لاحقاً إلى تلك السيدة ومن ثمَّ اتجهتا إلى تلك العائلة ، فاستقبلتهما إحدى سيدات تلك العائلة ، ثم بدأت تحكي لهما حكاية الطفلة التي أضاعتها عائلتها في طريق الطائف، وعمر الطفلة آنذاك لم يتجاوز السنتين، وبعد محاولات عدة لم ينجحوا في العثور عليها ومن ثم فقدوا الأمل في حياتها، وإن كان قد بلغ مسامعهم بأن امرأة من بادية الطائف قد عثرت عليها، ورغبت في تبنيها، ولذلك لم تسأل عن أهلها لتعيدها إليهم، وتقول تلك السيدة " فاحتسبنا الله .. وليس في اعتقادي أنها ميتة ، وإن كان الكثير يعد رفاتها سحيقاً حرزاً ، يستوي في هذا أبوها وعموم قرابتنا . أما أخوها (سالم) فقد خلفناه يومها في مكة ولما وافانا بالطائف ، تركناه يفهم أنها متوفاة ... " [٢] فتسأل فكرة تلك السيدة إن كان هناك من علامة فارقة يمكن أن تميز تلك الطفلة، فتبين لها تلك السيدة بأنه كان في إحدى ساقيها شامة مستديرة ومتميزة : "ورأت (فكرة) نفسها تكشف عن ساقها وتشير إلى الجزء الذي يلي ركبتها وهي تقول : (ألا يمكن أن تكون الشامة قريبة من هذه !!) ... نظرت إليها السيدة العجوز نظرة كانت فارقاً بينها وبين السمت الهادي والجلسة الوقور ، فقد ندّت منها صرخة

---

(١) فكرة ، ص ١٤٨ ، ١٤٩)

(٢) فكرة ، ص ١٥٥

عالية ثم ألقت بنفسها عليها وهي تصيح : (وابنتاه .. إنها ابنة أخي الغالية) ودخل سالم على صوت الضجة . فإذا (فكرة) صديقته بين مسارح الوديان ومصاعد الجبال ... تنطوي بين أحضان عمته ... وصاحت العمة : (إنها أختك يا سالم .. أختك آسيا من أبيك وأمك .. إنها أختك ولا عبرة بكل ما قلنا لك عن وفاتها) فما ملك سالم أن اندفع إليها وأنهال على رأسها وجبينها لثماً وتقبيلاً ... " [1]

وهكذا تكون النهاية للرواية نهاية قائمة على المصادفة ولا غرابة في ذلك إذ بدأت الرواية بداية قائمة على المصادفة فانتهت بمثل ذلك .

بدأت بلقاء (فكرة وسالم) مصادفة وانتهت بلقاء (فكرة وسالم) مصادفة في البداية كان (سالم) عاشقاً (لفكرة) وفي النهاية أصبح (سالم) أخاً وشقيقاً (لفكرة) .

وسندرس هذه الرواية من خلال المحاور الآتية :-

١- الأفكار والمضامين :-

طرح الكاتب من خلال هذه الرواية عدداً من الأفكار والمضامين ،وهي في الغالب متداخلة ، فمنها ما عبر به الكاتب عما اكتسبته العادات والتقاليد والأعراف مع مرور الوقت من تقديس وتعظيم، وإن كانت في الأصل مخالفة للدين والمنطق والعقل ، ومنها ما عبر به عن آرائه في التربية، ومفهومه للسعادة، ودور العلم في تهذيب الأخلاق والنهوض بالأمم ، والحب وفلسفته والماديات والروحانيات، وضرورة أن يكون هناك وعي نقدي للرقي بالمجتمع بنقد أوضاعه ، مبيناً ذلك من خلال مناقشته لقضايا عدة نشير إلى أبرزها فيما يلي : -

أ- الحديث عن الزواج وقضاياه ومما شمله :-

١-رؤية الخاطب لخطيبته قبل البناء بها :

وطرح الكاتب لهذه المسألة لم يكن طرحاً وعظياً وإنما أتى مع سياق أحداث وحركة وحوار تمثل في مجيء أحد الرعاة إلى (فكرة) يخبرها بأنه تقدم لأخته رجل ظاهر المكانة في قومه، فحاز على القبول والرضا، ولكنه طلب رؤية خطيبته قبل البناء بها ومن ثم بدأت بطلة الرواية (فكرة) تناقشه في هذه المسألة، بحضور بطل الرواية (سالم) ، وتبين له الصواب والخطأ فيها، مستندة في ذلك على رأي الدين فيها، مفرقة بين موقف الدين (الذي يبيح للخاطب رؤية مخطوبته قبل البناء بها) وموقف العادات والتقاليد المخالف لذلك، وكانت خلاصة حديثها أن ذلك الأمر :

" شيء يبيحه الدين ويقره العقل السليم " [2]

---

(١) فكرة ، ص (١٥٦ - ١٥٧)

(٢) فكرة ، ص ٣٨ .

٢-وتبع ذلك حديث بين (فكرة وسالم) عن الإسراف في حفلات الـــزواج مبينـــة أن ذلك لا يحبذه الدين بينما العادات والتقاليد تخالف الدين في ذلك الأمر .

٣-ثم انتقل الحديث بينهما إلى موقف المرأة من زواجها، وإبداء رأيها في ذلك مؤكـــدة بأن ذلك هو ما أمر به الدين ، وأقره العقل ، ولكن العرف لا يقره ولا يأمر به[١]

ب - الحديث عن الحب وفلسفته

استرسلت بطلة الرواية في الحديث عن الحب وفلسفته حينما سألها البطل عـــن الحـــب ؟ فأجابته في اقتضاب . فطلب منها أن تسهب في حديثها عن الحب وفلسفته ، وملخـــص رأيـــها يتمثل في أن الحب في حقيقته شيء روحاني، يـــترفع عـــن الشـــهوات والماديـــات، والحـــب الروحاني لا تحده حدود فهو يشمل كل شيء جميل مادياً كان أو معنوياً ، ومـــن هنـــا يحمـــل الكاتب على لسان بطلة الرواية على الحب بمعناه التقليدي :

" أرى أنه فكرة سخيفة تحدرت إلينا من أجيال ممعنـــة فـــي القـــدم ، غذّاهـــا خيـــال الـــرواة والقصاصين وهو بعد هذا ... معرض للذل والنزق والتجني ... بربك ما معنى الشكوى بيـــن الحبيبين ؟ ثم ما معنى اللوعة والأسى والبكاء ؟ ثم ما معنى الجنون أو الموت ؟ ... ولو كان - ونحن نذكر للعاشق رقته وعذوبته - لا ننسى غيرته وحقده وأنانيته ... ولكننا عبيـــد العـــادة ! وقد انساق الحب إلى وعينا الخفي انسياق آلاف الرذائل غيره .. فنحن عبيد إلـــى أن تســـتقل عقولنا ، وتخلص مما ران عليها من خرافة .. غير آبهين بما دس التاريخ في دمائنا من لوثـــة التقاليد الزائفة !! ... " [٢]

فالكاتب هنا يشير إلى تلك النظرة الخاطئة فيما يتعلق بالحب، وهي النظرة التي تنصـــب على الحب المادي الشهواني بين المتحابين، والتي كرستها بعض مرويات الـــتراث العربـــي ، وهذه القضية التي تطرحها الرواية هنا هي حقيقة ثابتة،حيث يشير إليها أحد الدارسين فيقول :

" من الصحيح أن في القرآن والحديث إشارات إلى الحب وأفاعيله ومحاذيره، ودعـــوة إلـــى السمو به ، ولكن أين هذا من السيل الغامر من قصص العشاق وحيلـــهم ونوادرهـــم وأفـــانين فسقهم !! ... " [٣] .

فالحب في التراث العربي له صورتان ، صورة قائمة على الحرمان متمثلة فـــي قصـــص الحب العذري الذي غالباً ما ينتهي بالجنون أو الموت ، وصورة عمادها النهم الجنسي، وهـــي

---

(١) فكرة ، ص (٣٧ - ٣٨)

(٢) فكرة ، ص (٤٢- ٤٧) ، وانظر ، ص ٨٤ ــ ٨٦ ، ٩٠ .

(٣) د. محمد حسن عبد الله : الحب في التراث العربي ، ذات السلاسل الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـــ ، ١٩٨٧م ، ص (٦٢ - ٦٣)

الأكثر شيوعاً وتمثل ذلك في كثير من قصص الأدب الشعبي وكتب النوادر والأخبار ... بينما هناك مساحة شاسعة خالية في كتب التراث بين تلك الصورتين المحرومة والمنهومة ... [١]

ج - الدعوة إلى الوضوح والصدق في التعامل وجاء ذلك في أسلوب وعظي كان موجه من (فكرة) إلى (سالم) [٢]

د- الخروج على الأعراف والتقاليد البالية يعد جنوناً في نظر المجتمع المؤمن بها .

بينما الحقيقة في نظر بطلة الرواية تتمثل في أن كثيراً من العادات والأعراف والتقاليد في المجتمع إنما قام بوضعها أصحاب النفوذ فيه خدمة لمصالحهم، ولا علاقة لها بالتشريع الإلهي أو بالمنطق والعقل السليم ، واكتسبت مع مرور الزمن التقديس والتعظيم فلا يخرج عليها إلا مارق أو مجنون، ومن ثم عرضت البطلة بأصحاب الأقلام المأجورة الذين لا يكشفون للناس تلك الحقائق وإنما يقومون بتكريسها، كل ذلك في سبيل الحصول على المال ... كل هذا من خلال نقاش وحوار دار بينها وبين (سالم) [٣] .

هـ - الحديث عن أساليب العقاب والثواب كوسيلة من وسائل التربية وحملت البطلة على المغالة في ذلك، وأشارت إلى أهمية الوقوف على نفسية الخارج على النظام ودراستها قبل معاقبته، حيث نستطيع من خلال تلك الدراسة توجيهه وجهة سليمة؛ ليصبح عضواَ نافعاً في مجتمعه وهذا مالا يتأتى بالعقاب وحده [٤] .

و - الحديث عن الظلم والقوة والطغيان وعلاقتها بالأخلاق البشرية، مع طرح العديد من الأسئلة حول قدرة العلم على تهذيب أخلاق الإنسان والسمو بها [٥] .

ز - السعادة مفهومها ومصدرها :

وملخص رأي البطلة فيها أنها : " رهين تفسيري ... تصوير وافتراض أكثر منها حقائق مقررة بحيز أو حدود ... أشباح تصطنعها أحلامك ... " [٦] .

ح - الماديات والروحانيات :

وهو حديث طويل دار من خلال حوار بين البطل والبطلة ويبدو من بعض مقاطعه عدم وضوح الفكرة في ذهن الكاتب [٧] .

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .

(٢) فكرة ، ص (٥١ - ٥٢)

(٣) المصدر السابق ، ص (٦٧ - ٧٦)

(٤) فكرة ، ص ٩٢(- ٩٤)

(٥) المصدر السابق ، ص (١١٢ - ١١٤) .

(٦) المصدر نفسه ، ص (١٢١ - ١٢٣) .

(٧) المصدر نفسه ، ص (١٢٤ - ١٣٢) .

ط - عد أحد الدارسين رواية فكرة من أبرز الأعمال الأدبية السعودية التي تقيم حوراً مع الآخر الخارجي، فالكاتب يطرح من خلال هذه الرواية باعتباره أحد رموز الخطاب الاصلاحي في الأدب السعودي : " قضية الثقافة الجديدة أو الحديثة من منظور مغاير ، فهي عنده فرصة لا غنى عنها من أجل امتلاك وعي نقدي جديد ما أن يسلط على الشروط والوضعيات التي تحكم وتوجه ثقافة الذات أو الثقافة المحلية حتى تكشف ما فيها من أشكال التخلف والجمود والمفارقة عن العصر، بل وعن العقل، هذا تحديداً ما يحصل لبطلة القصة (فكرة)ـ [1] حيث إنها في حديثها مع سالم عن حياتها الأولى ذكرت له بأنها رحلت إلى مصر وإيطاليا وتركيا فاتصلت بذلك العالم المغاير لبيئتها المحلية في أفكاره وعاداته، وما أن عادت حتى بدأت في بث هذا الوعي النقدي الجديد .. " هذا الوعي بلا شك هو وعي الكاتب ، الذي ما كتب القصة أصلا إلا بهدف طرح رؤاه ومواقفه الجريئة هذه للنقاش والحوار ... وهذه الجرأة هي التي جعلتني أرى في هذا الصوت (الرمز) بداية تشكل ما يعرف " بالمنعطف النقدي الوطني ، الذي يؤمن ... بأن الله لا يطور ما بقوم حتى يطوروا علاقاتهم وممارساتهم .. " [2] .

٢- الأفكار والمضامين والطرح الرومانسي :

الحقيقة أن طرح الكاتب لتلك الأفكار والمضامين التي سبقت الإشارة إليها كان نابعاً من رؤية رومانسية وسنحاول أن نوضح ذلك من خلال السطور التالية :

أصدق وصف للأدب الرومانسي هو أنه أدب ثورة : " فالثورة هي الموجهة به والمسيطرة عليه ... فضيق الرومانتيكي بالمجتمع ثورة ، وفي انتصافه للبائسين من تلك القيود الاجتماعية ثورة، وفي سخطه على الشرور ودأبه في البحث عن أسبابها ثورة ... " [3] ومن هنا فإنه يمكننا أن نعد رواية (فكرة) نموذجاً لذلك الأدب الرومانسي الثائر بما شملته من مضامين وأفكار وطرح يتفق في أغلبه مع تلك الثورة الرومانسية وفلسفتها السابق ذكرها أعلاه ...

فبطلة الرواية ثائرة على بعض تقاليد مجتمعها كما يتمثل ذلك في حديثها عن الزواج وتقاليده، ومن ثم فهي تنقدها، وتسخر منها، ومن هنا جاء وصف الكاتب لبطلة روايته بقوله: "فتاة عاشت لأفكارها ، ودانت لما تعتقده ، ولم تخضع قط لتقليد لا يؤيده منطق، أو تدعمه بينه

---

(١) (٢) د. معجب الزهراني ، " الرواية المحلية وإشكالية الخطاب الحواري " ، مجلة قوافل ، س٤ ، م ٤ ، ع٧ ، ربيع الثاني ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، ص (٤٥ - ٤٦) ، وانظر ص (٧٢ - ٧٣) .
يلحظ أن الكاتب لو استخدم اللفظة القرآنية - في كلامه المقتبس أعلاه لكان أجدى وأبين .

(٣) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٧ .

واضحة، تأبى إلا أن تعيش العيش الخشن،.. وتسخر سخرية الفلاسفة بأوضاع المجتمع.. "[١]

ولو نظرنا إلى مجمل تلك القضايا والأفكار التي تطرحها الرواية ووازناها بفلسفة الرومانسيين وموقفهم منها لوجدناها إلى حد كبير تتفق مع تلك الفلسفة وذلك الموقف :-

فمثلاً أكثر الرومانسيون من الحديث عن الحب وفلسفته فقاموا : " يدافعون عن الحب... وليس الحب عند الرومانتيكيين مجرد فضيلة ، بل هو على رأس الفضائل ، وهو وسيلة تطهير النفوس وصفائها ... ولا ينشد الرومانتيكيون الحب بغية ملذات الحس أو المتعة الجسدية ... ولذا كان طابع الحب الرومانتيكي أنه الحب لذات الحب ... " [٢] .

وهذا ما حاولت الرواية أن تطرحه وتكرس مفهومه الجديد، ومن هنا كان نقدها للحب المادي في صورته القديمة والتي كرستها القصص الواردة في كثير من كتب التراث العربي كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فعاطفة الحب عند هؤلاء الوجدانيين تبدو وكأنها : " تجربة روحية ترتبط بمعاني الطهارة والعفة والصمود أمام الشهوات .. " [٣]

وبناء على ما سبق أكثر الرومانسيون أيضاً من الحديث عن السعادة ومفهومها ومصدرها وعن الماديات والروحانيات. وهذا ما نلحظه في طرح الرواية كما مر بنا .

كما أن المرأة احتلت في الأدب الرومانسي مكاناً رفيعاً : " لم تظفر بمثله من قبل ، فقد أدى السمو بالعواطف إلى نوع من تقديس المرأة، والإشادة بها والخضوع لسلطانها، ولم يكن خضوعهم آية خنوع وضعف ، بل كان مصدره صدق العاطفة ... " [٤]

فأصبحت عندهم معشوقة أكثر منها عاشقة، وكانت صورتها عندهم رمزا للجمال الروحي والمادي، وهذا ما عكسته الرواية فهي أول رواية في الأدب السعودي تكون البطولة المطلقة فيها للمرأة ، كما أن الصورة التي قدمتها الرواية للبطلة (فكرة) تتفق مع تلك الصورة الرومانسية. فهي رمز للمرأة التي تقهر الرجال وتفتنهم بسحر جمالها وسحر حديثها وثقافتها ولذا غدا بطل الرواية (سالم) صريع هواها [٥] .

---

(١) فكرة ، ص ٩ .

(٢) محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص (١٦٨ - ١٧٠) .

(٣) د. عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١ م ، ص ٢٨٩ .

(٤) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص ١٧٠

(٥) سنلقي مزيدا من الضوء على ملامح هذه الشخصية في حديثنا لاحقا عن شخصيات الرواية

كما أن من أبرز الأصول التي تميز الرومانسية :

" اللون المحلي ، أي الاهتمام بالمحيط القريب الذي يلف المرء لفاً ، والعزوف عن العالمية الكلاسيكية ... " (١)

والكتابة المحلية عند الرومانسيين كانت " أكثر لصوقاً بالموضوعات القصصية والمسرحية لأن هذه الأخيرة أكثر تصويراً للمظاهر الخارجية والعادات والتقاليد ... " (٢)

ومن أهم ما تميزت به محاولة السباعي في هذه الرواية (فكرة) هو الانتقال بالرواية إلى أرض الواقع المحلي من ناحية ، والتعبير عن إحساس الكاتب بذلك الواقع من ناحية أخرى وهذا لم يتحقق في أول محاولة روائية في أدبنا السعودي وأعني رواية (التوأمان) لعبد القدوس الأنصاري .

ففي رواية (فكرة) كثير من سمات البيئة الحجازية ، طبيعية واجتماعية ، بدوية وحضرية وقد وفق الكاتب :

" إلى حد ما في رسم أطراف من هذه السمات ... " (٣)

ومن أبرز صفات الأدب الرومانسي هو أن أصحابه : " يصفون ذات أنفسهم في أبطالهم ... يعرب عن ذلك فلوبير (٤) في قوله مثلاً : (مدام بوفاري هي أنا) ... " (٥) وقد كان في مدام بوفاري : " الشيء الكثير من فلوبير ، فهي واقعية يجذبها الخيال أنا ، وخيالية يصدمها الواقع آناً آخر .. " (٦) .

كما أن فكرة البطل في مواجهة المجتمع هي من مقومات البطل الرومانسي .

---

(١) د. عادل الفريحات : إضاءات في النقد الأدبي ، دار أسامة ، دمشق ، ١٩٨٥م ، ص ١٧٠ .

(٢) د. ياسين الأيوبي ، مذاهب الأدب ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) عبد الله عبد الجبار ، (في الميزان : فكرة للأستاذ أحمد السباعي) ، البلاد السعودية ، س ١٣ ، ع ٧٦٨ ، في ١٣ / ١/ ١٣٦٨هـ ، ص ٣ . وسنقف لاحقاً عند بعض هذه السمات أثناء حديثنا عن المكان وأسلوب التصوير في الرواية .

(٤) هو جستاف فلوبير (١٨٢١م – ١٨٨٠ م) ، روائي فرنسي ، درس الحقوق ولكنه عكف على التأليف الأدبي من أبرز مؤلفاته : (التربية العاطفية) ورواية (مدام بوفاري) صدرت عام ١٨٥٧م ، تمتاز بروعة أسلوبها .. يعد مثلاً أعلى للكاتب الموضوعي ، انظر الموسوعة العربية الميسرة دار نهضة لبنان، بيروت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ، ٢ / ١٣١٣

(٥) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص ١٨٦ .

(٦) د. شكري عياد ، البطل في الأدب والأساطير ، أصدقاء الكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧م ، ص ١٥٩ .

فالبطل في الأدب الرومانسي : " إنما ينظر إلى المجتمع من خلال مشكلاته الخاصة ... " [١]

ومما لا شك فيه هو أن الأفكار التي تضمنتها رواية (فكرة) هي في الحقيقة أفكار ورؤى كاتبها ، فبطلة الرواية يمكن القول بأنها كانت لسان حال المؤلف فهي تعبر عن آراء الكاتب في " شتى شؤون الحياة والمجتمع والفكر ... " [٢] .

وهذا ما يكشف عنه الكاتب بكل صراحة حينما أهدى قصته هذه إلى ولديه، وقال في ذلك الإهداء : " ستقرآن في قصتي نوعاً من الأفكار التي تساورني في حياتي ، وتجدان فيها مثلاً من المثل التي عشت أحلم بها ... "[٣] فكثيراً ما يتوحد الكاتب ببطل روايته ، وهذا ما أكده بعض الدارسين :

" يقول كليف جمس " " إن معظم الروايات الأولى هي سير ذاتية مقنعة .. " [٤]

فمن المؤكد أن تتأثر القصة بالتاريخ الشخصي لكاتبها : " فكل قصة في الواقع تتلبس بشيء من تاريخ حياة كاتبها . " [٥] .

هذا بالإضافة إلى أن بطلة الرواية تمثل موقفاً من مجتمعها كما تبدى لنا ذلك سابقاً وبهذا نقول بأن القالب القصصي في (فكرة) ليس سوى تعلة لذكر الآراء والأفكار الكثيرة المثبتة في النص ، وقد لجأ إلى هذه الطريقة كثير من الأدباء والمفكرين كابن الطفيل في حي بن يقظان [٦] .

وهذه الطريقة هي : " أكثر الطرق شيوعاً في القصص الخيالية أو الخارقة ... يضاف إلى ذلك أن هذه الطريقة تمكن القاص من نقل أي معلومات إلى القارئ أو كتابة أي تعليقات يختارها " [٧] .

---

(١) د. شكري عياد ، البطل في الأدب والأساطير ، ص ١٥٧ .

(٢) د. منصور الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠١هـ ١٩٨١م ، ص ٤٥ .

(٣) فكرة ، ص ٧

(٤) د. يمنى العيد ، فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م . ، ص ٩٠ .

(٥) د. ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ وفن ، دار القلم ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، ص ٢٩٤ .

(٦) د. محمد محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص ٥٣٠ .

(٧) دي فوتو ، عالم القصة ، ترجمة د. محمد مصطفى هداره ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٢٠٩

كما أن ثورة الرومانسيين على مجتمعاتهم لم تكن إلا : " رغبة في خلق مجتمع مثالي ينشدونه دائما ... " [١] .

وهذا ما ينطبق على الأفكار والمضامين التي طرحتها رواية (فكرة) فهي في الحقيقة لم تكن إلا حلما من قبل الكاتب بمستقبل أفضل لبيئته، وهذا ما أشار إليه الكاتب من خلال إهدائه لروايته الذي سبقت الإشارة إليه حينما قال مخاطبا ولديه: " تجدان فيها مثلا من المثل التي عشت أحلم بها ، ولم أحقق لنفسي شيئا منها ... فشاركاني الأسف على ما فرط ، وساعداني ما استطعتما على تحقيق أحلامي فيكما ... "[٢] وهذه في الأصل هي المهمة الحقيقية للأديب، فمتى اقتنع الأديب بصورة تعكس الواقع بلا زيادة ولا نقصان فإن الصورة التي ينجزها ستحافظ على نفس التخلف بينما المطلوب من الفن هو تجاوز الواقع وتداركه وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله :

" إن العرب يحلمون دائما باستدراك ما ضاع منهم ، ومجال الاستدراك هو الفن ، الأدب بخاصة ، أكثر مما هو الفكر المجرد ، على هذا الأساس قبلت أو رفضت دائما الإنجازات الفنية ، قبلت إن هي جسدت المستقبل المرتسم في أوهامنا ، ورفضت إذا لم تستطع أن تتسامى عن الحاضر البئيس ... أي نفع في التعبير إن هو ترك الواقع على حاله ناقصا غير مكتمل ولا محتمل ... " [٣] .

وعمل السباعي هذا يؤكد على رؤيته المستقبلية والتي سبق وأن توقفنا عندها أثناء الحديث عن الخصائص الموضوعية لفن المقالة عنده ... فيمكن أن نعد هذا العمل الروائي بمثابة محاولة من الكاتب المتأهب، لتأسيس ثقافة جديدة في قلب مجتمعه الساكن، فهي محاولة منه بوضع أنموذج ذهني يسهل عملية تجسيد الأفكار التي يدعو إليها الكاتب مجتمعه، تلك الأفكار التي لم يعرفها ذلك المجتمع من قبل ، ولا رآها تنشأ عفويا من صلبه ... وعليه يمكن القول مثلا بأن صورة المرأة كما وردت في الرواية لم تكن إلا (رمزا) للفتاة الحلم ، الفتاة التي كان يحلم الكاتب بوجود مثلها في بيئته ، ولقد تحققت المعجزة التي كان يحلم بها السباعي إلى حد كبير ، فلقد أراد الكاتب أن يقول :

" إن جميع أبواب التعليم ينبغي أن تفتح للمرأة ، وإن الفتاة إذا تعلمت وتعمقت في تعليمها

---

(١) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، ص ١٧٢ .

(٢) فكرة ، ص ٧

(٣) د. عبد الله العروي ، الإيديولوجيا العربية المعاصرة ــ المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص ٢٠٨ .

قويت شخصيتها ، وأصبحت قادرة على مواجهة الحياة بمفردها ، ونحن نرى الآن (أفكارا) كثيرة لا (فكرة) واحدة ، نرى الكاتبة والشاعرة والصحافية والمذيعة والطبيبة والممرضة والأخصائية الاجتماعية والفقيهة وأستاذة الجامعة ... ربما كانت هذه القفزة الهائلة في تعليم الفتاة السعودية دليلا على أن أحلام الأدباء ضرورة لا بد منها لأي مجتمع حي لا يرضى بواقعه بل يتطلع أبدا إلى الأفضل والأمثل ... " [١]

فالرومانسيون يمزجون في كثير من الأحيان بين ذواتهم وقضايا مجتمعاتهم وأوطانهم ..[٢]

وعليه يمكن القول بأن الرواية تصور الواقع وتتجاوزه في الوقت نفسه ، مازجة بين الرومانسية والواقعية من خلال المنطوق به والمسكوت عنه في نصها . فمع أن الرومانسية قد سبقت الواقعية في الوجود إلا أن المذهبين تعاصرا : " يتبادلان الفعل وردة الفعل إلى أيامنا هذه " [٣]

هذا إلى غير ذلك من الملامح الرومانسية التي شملتها الرواية على مستوى الأسلوب وتصوير البيئة والشخصيات كما سيظهر لنا عند الحديث عنها في السطور القادمة .

٢ــ مصادر هذه الرؤية الرومانسية :-

كان للأدب المهجري صدى واسع في الأدب العربي الحديث، وأبرز خصائص ذلك الأدب هو المنحى الرومانسي، وكان أكثر أدبائه أثرا في الأدب العربي الحديث هو جبران خليل جبران برومانسيته الثائرة .

فقد طبعت الرومانسية الجبرانية : " جيلا كاملا بطابعها في لبنان والعالم العربي ، والجبرانيون منتشرون في أرجاء البلاد العربية ... " [٤]

وتأسيسا على هذه الحقيقة يمكن القول بأن السباعي قد تأثر في رؤآه وأفكاره السابقة بالأدب المهجري عموما وبأدب جبران وشخصيته على وجه الخصوص لا سيما وأن الكاتب قد أكد في سيرته الذاتية (أيامي) ذلك الأمر ، وهذا ما سنوضحه لاحقا في دراستنا الفنية عن سيرة الكاتب الذاتية من خلال كتابه (أيامي) [٥] .

---

(١) د. منصور الحازمي ، في البحث عن الواقع ، دار العلوم ، الرياض / ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ، ص(٣٢ - ٣٣) .

(٢) انظر عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني ، ص (٢٩٨ - ٣٠٠)

(٣) د. شكري عياد ، البطل في الأدب والأساطير ، ص ١٥٦ .

(٤) ايليا الحاوي ، في النقد والأدب ، دار الكتاب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ٣٠/٥ .

(٥) انظر هذا البحث ، ص : ٤٠٣

وسنحاول في السطور التالية تلمس أبرز ملامح رومانسية جبران ومن ثم انعكاسها على طرح الكاتب في روايته (فكرة) .

عالج جبران بقلمه في القصة والرواية والمقالة معاً :

" كثيراً من نواحي الحياة الشرقية والمجتمع الإنساني بفلسفته الثائرة على التقاليد الاجتماعية والتشريعية، ولذلك جاء أبطاله كلهم ثائرين متمردين إلى أبعد حدود الثورة على شرائع البشر ... ثم على تقاليد المجتمع ... " [١] .

إذن من أبرز خصائص رومانسية جبران هي أنها رومانسية ثائرة [٢] .

وهذه الثورة على التقاليد الاجتماعية هي ما تبدت لنا في رواية السباعي من خلال بطلة الرواية كما سبق ذكره .

كما أن جبران تحدث كثيراً في كتاباته المختلفة عن الحب وفلسفته فهو في مفهومه للحب: " يتبع الخط الثائر ... " [٣] ويظهر في حديثه عن الحب : " رفض لما تواضع الناس عليه من قيم ... جعلته حقلاً مجدباً لإعطاء منه يرجى ... " [٤] .

وهذا ما تردد صداه في حديث الكاتب عن الحب وفلسفته على لسان بطلة روايته كما مربنا ويظهر لنا تأثر السباعي في روايته هذه بقصة جبران الطويلة : " الأجنحة المتكسرة " على وجه خاص. حيث نلمح عدداً من النقاط المشتركة بين قصة جبران هذه وبين رواية (فكرة) للسباعي نجمل أبرزها فيما يلي :-

١-بعض القضايا والأفكار المطروحة في القصتين متشابهة إلى حد كبير نحو الحديث عن التقاليد الاجتماعية البالية ، وقضايا الزواج ، والحديث عن الحب وفلسفته والحديث عن الماديات والروحانيات، وغير ذلك، ويلحظ أن طرح هذه القضايا عند جبران تم من خلال الحوار الذي دار بين بطل الرواية وهو جبران نفسه وبين البطلة وهي (سلمى كرامة) يقول جبران عن اجتماعاته (بسلمى كرامة) " لم تكن اجتماعاتنا مقتصرة على مبادلة العواطف وبث الشكوى ، بل كنا ننتقل على غير

---

(١) د. عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر ، د. ياسين الأيوبي ، مذاهب الأدب ، ص ٢٨١ .

(٣) ،(٤) د. صابر عبد الدايم ، أدب المهجر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص (٣٨٧ - ٣٨٩) .

معرفة منا إلى العموميات فنتبادل الآراء والأفكار في شئون هذا العالم الغريب .. " [1]

وهذه التقنية الفنية في الطرح هي ما أتبعه السباعي في روايته (فكرة) ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

٢- التوحد مع البطلة في القصتين :

كثيراً من الأفكار الواردة على لسان (سلمى كرامة) بطلة قصة جبران (الأجنحة المتكسرة) لم تكن سوى أفكار جبران نفسه يقول أحد الباحثين عن ذلك :

" تبدو شخصية سلمى كظل لشخصية جبران ، أو كتكملة لها ، وما يقصر عن التعبير عنه ينطق به على لسانها ... لقد نطق الكاتب من خلالها وزور شخصيتها واقحم عليها مبادئه وأفكاره وانثيالاته العاطفية ... " [2]

وهذا التوحد من قبل الكاتب مع شخصية بطلة روايته هو الأس الفني الذي قامت عليه رواية السباعي (فكرة) كما سبق وأوضحنا ذلك .

٣ــ المكان / البيئة

الإطار الذي تدور فيه الأحاديث بين جبران (وسلمى) كان أحضان الطبيعة الساحرة بين وديان وجبال لبنان ، ويلحظ أن هذا الإطار المكاني المتمثل في الطبيعة الساحرة هو الإطار الذي جمع بين بطلي رواية السباعي وهما (فكرة وسالم) ولكن بين وديان وجبال الطائف وليس بين وديان وجبال لبنان، وهذا ما سنقف عنده لاحقاً عند الحديث عن أسلوبه التصويري.

كما يلحظ أن من بين تلك الأماكن التي ضمتها الطبيعة والتي دار الحوار فيها بين جبران وبطلة قصته ذلك الهيكل القديم ، الذي وصفه جبران وصفاً مسهباً ومما قاله فيه :

" معبد صغير قديم العهد محفور في قلب صخرة بيضاء قائمة بين أشجار الزيتون واللوز والصفصاف ... وفي وسط المعبد حجر من الرخام ... ولم يكن في هذا المعبد الصغير شيء آخر سوى سكينة عميقة تعانق النفس وهيبة سحرية ... تتكلم بلا نطق عن مآتي الأجيال الغابرة ، ومسيرة الشعوب من حالة إلى حالة ... في هذا الهيكل المجهول كنت ألتقي سلمى كرامة مرة في الشهر ... " [3] .

وحدث مثل هذا عند السباعي من خلال ذلك القصر القديم المهجور / الذي جمع بطلي الرواية (فكرة وسالم وغيرهما) ودارت فيه أحاديث بين تلك الشخصيات .. وقد وصفه السباعي بقوله : " وانحدر بهما الطريق من ذروة الربوة إلى صخرة عريضة نائية قائمة في

---

(١) جبران خليل جبران ، الأجنحة المتكسرة ، ط٤ ، ١٩٩٧ م ، الأعمال الكاملة ، مرجع سابق ، ٦٣/٣

(٢) ايليا الحاوي ، في النقد والأدب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ٤/ ٢٩٨ .

(٣) الأجنحة المتكسرة ، ص (٦١ - ٦٢) .

زاوية من جانبها الغربي دار مهدمة ، تدل آثار بنائها القوي على عظمة شبابها ، وأنها أحد منازل الأمراء من القبائل التي كانت الأيام تدين لهم في هذه الأصقاع بالعز والمجد ... وأخذا الطريق إلى الدار المهدمة ، فالفيا لها بابا يفتح على ما يشبه الصالة ، على جوانبها غرف لم يبق الزمان من سقوفها وحيطانها إلا على ما يدل عليها ... " [١]

وعلى الرغم من تأثر السباعي في روايته هذه بجبران خليل جبران في طرحه لبعض القضايا وفي الطريقة الفنية إلا أن هذا لا ينفي أصالة السباعي بل إنه كما يقول أحد الدارسين: " الوحيد بين روائيينا الذي يتسم بهذه الأصالة ووضوح الشخصية والتفرد " [٢]

٣ـ البناء الروائي :-

أ- الأحداث الروائية :-

مر بنا أن الموضوعات التي اشتملت عليها الرواية هي موضوعات متعددة ، وهذا ماجعل أحد الباحثين يقول : " ليس في رواية السباعي (فكرة) قضية أو مشكلة تتمحور حولها الحوادث صاعدة إلى ذروة أو هابطة إلى حل، بل هناك مجموعة من القضايا والمشكلات الفكرية ، يحتاج كل منها إلى عمل روائي قائم بذاته يستند إلى الفعل " [٣] .

وتأسيسا على ذلك فإن رواية (فكرة) لم تشتمل على حدث بالمعنى الفني للحدث والذي يتمثل في موضوع : " تدور حوله القصة .. " [٤] .

والحقيقة أن عدم اشتمال الرواية على عقدة لم يصب البناء الفني لها بالضعف بقدر ما عمل على ذلك تعدد الموضوعات التي عالجتها ، ذلك التعدد الذي كان من أبرز الأسباب التي جعلت الرواية تفتقد لحبكة بالإضافة إلى عنصر المصادفة الذي سنتحدث عنه لاحقا .

ومع أن الرواية بفقدانها للحبكة افتقدت طابعها الفني المقنع ، فلم تترابط أجزاؤها ترابطا وثيقا يفضي إلى كل موحد فالأحداث فيها تتجاور ولكنها لا تتفاعل إلا أنه ليس مرجع ذلك

---

(١) فكرة ، ص (٨٢ - ٨٣) .

(٢) د. منصور الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٣) د. منصور الحازمي ، البيئة المحلية في قصص أحمد السباعي ، مجلة الفيصل ، س ١٣ ، ع ١٤٩ ذو القعدة ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص ١٥ ، وانظر الغلاف الأخير من رواية فكرة في طبعته المعتمدة في هذه الدراسة .

(٤) عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠م ، ص ٢٥ .

إلى فقدان الحبكة لوحدها كما أشرت وإنما يعود ذلك أيضاً إلى كثرة الموضوعات المطروحة حيث إن وجود الحبكة في القصة : " ليس ضرورياً ... " [١] .

فقد أصبح : " واضحاً إلى حد كبير من جميع النواحي أن تاريخ القصة ، كما قال أحد الروائيين النقاد هو بكل بساطة تاريخ اضمحلال الحبكة " [٢] .

ويمكن القول بأن الكاتب قد تنبه إلى تفكك أحداث روايته ، ولذلك لجأ إلى تكنيك فني تمثل في وضع روايته في فصول مرقمة متتابعة بلغت وواحداً وثلاثين (٣١) فصلاً بالإضافة إلى فصل أخير تمثل في (خاتمة) إيهاماً منه للمتلقي بترابط أحداث روايته .

كما أن جميع الذين يستخدمون أسلوب الحلقات والكاتب منهم يهدفون إلى انتقاء الوقائع ، ولا يشترط أن يكون ذلك الانتقاء على أساس السببية ... [٣] .

ويلحظ أن الحلقات والفصول التي بنى الكاتب عليها روايته ليست منفصلة عن بعضها البعض بشكل تام حيث أن كل فصل / حلقة لاحقة ، كانت موصولة بالسابقة إذ من خلالها يوصل البطلان ما نقطع من حديثهما في الحلقة السابقة أو يعلقان ويعقبان على حديثهما في الحلقة السابقة من خلال الحلقة التي تليها أو تكون الحلقة الجديدة تمهيداً لحديث جديد يكمل البطلان بقيته من خلال الحلقة اللاحقة .

وبالتالي يمكن أن نقول بأن جميع الحلقات إذا نظر إليها في سياقها العريض وعلاقاتها المتبادلة تسهم في تطور موضوع واحد واسع ، فعناصر السببية مبثوثة بين الفصول / الحلقات بشكل أو بآخر، ويرجع ذلك إلى اهتمام الكاتب بالأفكار والأحلام التي كان يطرحها في تلك الحلقات. أما البناء العام للرواية فيمكن القول بأنه لم يكن للسببية وجود بارز في كثير من أحداثها الأساسية وذلك لأنها من إنتاج ذهن كان مشغولاً بأحلام اليقظة والتي عكستها تلك الأفكار المطروحة في الرواية، فالكاتب مشغول هنا بالأفكار التي يطرحها أكثر من انشغاله بأي عنصر آخر من عناصر روايته ، وهذا ما انعكس بالتالي على بناء الشخصيات في روايته مثله في

---

(١) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، دراسة في الرواية المصرية مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٤٧ . ، وانظر د. عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص١٢ .

(٢) أ.أ مندلاو ، الزمن والرواية ، ترجمة ، بكر عباس ، مراجعة ، إحسان عباس ، دارا الشروق وصادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ص ٦١ .

(٣) مندلاو ، الزمن والرواية ، ص ٩٢ .

ذلك مثل أي كاتب قصصي يجعل اهتمامه الأكبر بالفكرة التي يطرحها، وبالتالي تتصرف الشخصيات " وفقاً لفكرة الكاتب لا تبعاً لتكوينها الخاص ، وبذلك قد تكون تصرفاتها منطقية ، ولكنها رغم ذلك لا تكون مؤثرة ... " (١)

ومن هنا فإن الصراع لم يبرز في الرواية عنصراً فنياً له دوره الواضح في نمو وتطور الشخصيات ، ولا نلحظه في الرواية إلا فيما يمكن أن نسميه (بصراع الأفكار) بين ما هو قائم وبين ما تريد الرواية أن تقيمه من أفكار مخالفة لتلك الأفكار القائمة في مجتمع كاتبها، وقد حاول الكاتب أن يعكس ذلك الصراع الفكري من خلال شخصية البطلة إذ تقول مثلاً بعد أن حاورت سالماً عن الزواج وقضاياه وعاداته وتقاليده المتبعة في بيئتها والتي لا ترضى عنها : "كل هذه سفسطة تنافي تعاليم الإسلام ومنطق العقل ... إن جميع عاداتنا وأخلاقنا موبوءة بالخرافة والتقليد ... وأسندت رأسها بيدها كمن يستجم من إرهاق واصب، وندت عن صوت انتزع من أعماقها : يا رب بهذا حكمت مقاديرك !! " (٢) .

وقد يعبر عنه الكاتب من خلال بطل الرواية (سالم) إذ يقول عنه بعد أن دار بينه وبين (فكرة) حوار ساخن :-

" ما حاجته الآن إلى كلامها ؟ .. وهذه آهاتها وما يعلو ويهبط من أنفاسها ، يترجم بأصدق بيان ، ويشرح بأوضح ما يمكن الشرح، عن الأفكار القوية التي تضغط عليها ، وتعذب وجدانها . . . " (٣) .

ومن ملامح الصراع التي نلحظها في الرواية ما كان يحتدم في نفس (سالم) من صراع بين عاطفته وعقله ، وبين تعلقه (بفكرة) وواجبه نحو (زوجه وأبنائه) والحقيقة أن الكاتب لم يستطع أن يطور هذا الصراع الذي كان يحتدم بين جوانح (سالم) ويستثمره في بناء الرواية كما ينبغي ، ولو فعل ذلك لا ستطاع أن يعطي شخصية (سالم) دوراً بارزاً في الرواية موازياً لدور البطلة (فكرة)، وربما استطاع أيضاً أن ينحو بأحداثها - بناء على ذلك - منحى أخر أكثر منطقية وسببية مما انتهت إليه بفعل المصادفة ... حيث انتهى ذلك الصراع بانتصار العقل على العاطفة عندما عاد (سالم) إلى (زوجته وأبنائه) بعد أن اقنعته (فكرة)

---

(١) د. عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص ١٩٨ .

(٢) فكرة ، ص ٣٩ .

(٣) فكرة ، ص ٨٠ .

وبكل بساطة بتلك العودة، وليس هذا على خلاف ما هو سائد في قصص الرومانسيين كما يبدو لنا فمع أن " الرومانسي فخر بأنه تجاوز العقل إلا أن العقل كان يستولي عليه عبر لا وعيه ويدعه يذعن لمقتضياته .. " [1] . وليجتث الكاتب ذلك الصراع الذي كان محتدماً في نفس سالم، فما كان منه إلا أن جعل (البطلة فكرة) في خاتمة روايته (أختاً لسالم)..هكذا !! وبافتقاد الرواية للحبكة والصراع كما مر بنا فقد افتقدت إلى حد كبير لعنصر التشويق، ولا يخفى ما للتشويق من أثر كبير على المتلقي يتمثل في استقطابه فكراً وشعوراً وخيالاً ...

وكل ما مر بنا من حديث عن الأحداث في الرواية يفضي بنا إلى الوقوف على عنصر المصادفة الذي قامت عليه الرواية .. فالرواية قامت بداية على عنصر المصادفة ولم تسلم نهايتها مما وقعت فيه بدايتها ، كما سيتضح لنا ذلك ... والصدفة في الحقيقة : " تصيب البناء الروائي بالضعف والترهل والتفكك ، وتفقده أهم خصائصه وهي : التبرير والإقناع .. " [2]

والمطلع القصصي في رواية (فكرة) أعلن منذ البداية عن بنيته العامة القائمة على المصادفة حيث أن أول كلمة في أول عبارة افتتاحية في النص كانت تؤسس لتلك المصادفة يقول الكاتب في بداية روايته :

" صادفها تدلج في هدأة الليل الأخيرة ... " [3] فعبارة (صادفها) تعين منذ البداية تلك الولادة العجائبية لأحداث الرواية، القائمة على ما يفارق الواقع والمنطق، فغالباً ما يعلن: "مطلع النص الذي يقتصر معظم الأحيان على العبارة الافتتاحية الأولى فيه بنيته العامة..." [4]

والصدفة لا يستطيع أحد أن ينكر دورها في حياتنا : " ولكن الاعتماد على الصدفة وحدها في تشكيل الأحداث ، وصنعها ، يعتبر هروباً من مواجهة الحقائق الواقعية ، وإفلاساً من الكاتب في خلق المواقف المقنعة ، ورسم المشاعر المتماسكة ... " [5].

فالسباعي منذ بداية روايته كان منساقاً في بناء أحداثها على (الصدفة) ويمكن القول بأن ذلك المطلع للرواية قد لعب دوراً في تحضير ذهن المتلقي لما سيصادفه من أحداث لاحقة مبنية على

---

(١) ايليا الحاوي ، في النقد والأدب ، ٥/ ٤١ .

(٢) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، ص ٥٠ .

(٣) فكرة ، ص ١٩ .

(٤) د. سامي سويدان ، في دلالة القصص وشعرية السرد ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ص٢٣٢ .

(٥) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، ص ٥٠

(المصادفة) سواء كان كاتبها واعياً لهذا التكتيك الفني أم لم يكن واعياً له .

وهذا جعل رواية (فكرة) من نوع قصة الحدث والتي من سماتها عدم المقدرة على "التخلص من سيف القدر المصلت على الرؤوس ... " [1]

وكما بدأت الرواية بلقاء البطلين مصادفة ، فقد انتهت أيضاً بلقاء البطلين مصادفة ، ولكن المصادفة التي جمعتهما بداية (غريبين) جمعتهما في نهايتها هذه المرة (أخوين) !!

وبناء أحداث الرواية على عنصر المصادفة أوقع الكاتب في أخطاء موضوعية من أبرزها - أن اللقاء الذي جمع بين (فكرة / امرأة) وبين (سالم / رجل) لقاء لا يتوافق مع البيئة التي تحاول الرواية أن تصورها ، وهي بيئة المجتمع الحجازي حاضرة وبادية إذ ليس هناك مثلاً أي علاقة قربى تسمح لامرأة ، (فكرة) . أن تلتقي برجل (سالم) في أحد أودية الطائف وهما بمفردها . ليتطور ذلك اللقاء العابر إلى ما يشبه الصداقة بينهما حيث أخذا يتنقلان بين تلك الأودية ، ويتبادلان الآراء والأحاديث حول عدد من القضايا كما سبق ومر بنا ...

وقد حاول الكاتب أن يوجد مبرراً لتلك اللقاءات التي جمعت بين (فكرة وسالم) تمثل في تلك الرابطة التي أقامها الكاتب بينهما في نهاية روايته ، بحيث اتضح لاحقاً بأن (فكرة) هي الأخت المفقودة (لسالم)، ولكنه كان مبرراً واهياً لم يخدم أحداث الرواية السابقة عليه بقدر مانجح إلى حد ما في إنهاء أحداثها، ويلحظ أن الكاتب قد حاول أن يمهد لتلك النهاية بين البطلين القائمة على قرابة (الأخوة) بينهما، وذلك من خلال الخطاب الذي كانت تتوجه به البطلة منذ بداية أحداث الرواية إلى البطل والذي كانت تشعره من خلاله (بالأخوة) بمعناها العام وذلك من مثل قولها له وهي تحادثه (يا أخي) وترديدها في خطابها له أكثر من مرة ... وهكذا تتحول تلك الأخوة بمعناها العام والتي جمعت بين البطلين على مدار أحداث الرواية كما أراد الكاتب لها ذلك، أقول تتحول تلك الأخوة بمعناها العام إلى أخوة بمعناه المحدد أخوة الدم والقرابة، وبما أن الرواية الرومانسية قد احتفظت بأهم سمات البناء الشعبي للقصة كما يشير إلى ذلك أحد الباحثين [2] نلحظ أن رواية (فكرة) تبرز فيها بعض سمات البناء الشعبي للقصة وأبرزها تمثل في عنصر المصادفة كما سبق وأشرنا فمعظم القصص الشعبية تقوم في بنائها على عنصر المصادفة، ولهذا لا نرى أحداثها قائمة على السببية والمنطقية كما أن أبطال القصة الشعبية كثيراً ما يلتقيان مصادفة وغالباً ما يكونان مرتحلان أو عابرا سبيل

---

(١) د. محمد يوسف نجم ، فن القصة ، سلسلة الفنون الأدبية رقم (٢)، (د.م) ، ط (١٠) ١٩٨٩م، ص ١٥٣.

(٢) د. منصور الحازمي ، فن القصة ، ص ٩٨ .

جمعت بينهما المصادفة ، وهذا ما تبدى لنا في رواية (فكرة) يقول الكاتب عن بطلي روايته : " كلاهما ابن سبيل .. هي في انقطاعها في هذه الوديان المقفرة وافتقادها إلى حجر يؤويها ... وهو فيما اختاره لنفسه من التجول والضرب في آفاق الأرض النائية ... " (١)

كما أن التقاء البطلين (فكرة وسالم) مصادفة وهما لا يعلمان أنهما أخوان هي في الأصل من أبرز سمات القصة الشعبية التي تأثر بها الكاتب في روايته، فسار على نهجها وهديها فما "أكثر ما يلتقي الأخوة أو الأصدقاء في ألف ليلة وليلة حيث لا يعرف أحدهما الآخر أول الأمر... " (٢) .

ويكون اللقاء تراجيديا في العادة كاللقاء الذي تم على سبيل المثال بين الأخوين الأمجد والأسعد في ألف ليلة وليلة (٣) .

كما انعكس التأثر بالقصة الشعبية في رواية (فكرة) من خلال (الإسراف في التخيل) فجنحت الرواية بأحداثها إلى عدم المعقول فافتعلت الحوادث فيها افتعالا واختلقت المصادفات فيها اختلاقا وكل ذلك ناتج عن خيال عريض لا حدود له ... كما أن رواية (فكرة) تأثرت بالبناء الشعبي في رسم الشخصيات وعلى وجه الخصوص شخصية (البطلة) وهذا ما سنعرض له لاحقا .

وكما أن القصة الشعبية لا تعرف وحدة الموضوع ومن ثم لا تعرف عقدة ولا حلا وهذا ظاهر أيما ظهور في حوادث الرواية وتأثر الكاتب بالقصة الشعبية في روايته هذه يؤكد ما أثبته الكاتب نفسه في سيرته الذاتية (أيامي) عن تأثره الواسع بالأدب الشعبي وقصصه، وهذا ما سنعرض له لاحقا عند الحديث عن سيرته الذاتية (٤) .

وبناء على ما سبق نقول بأن حركة الأحداث في (رواية فكرة) كانت حركة مسطحة تعتمد على عنصر المصادفة ، افتقدنا فيها إلى حد كبير الحركة الدرامية المتنامية والمتلاحقة ولهذا بدت أحدث الرواية مفروضة ومرسومة بشكل اضطراري أقرب ما تكون إلى التحليق الرومانسي بل الخيال المجنح . ونؤكد أخيرا بأن عنصر المصادفة قد وقع فيه كبار كتاب الرواية العربية (٥) .

---

(١) فكرة ، ص ٢٠ .

(٢) صبري مسلم حمادي ، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ٤٦ .

(٣) صبري مسلم حمادي ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٤) انظر هذا البحث ، ص ٤٠٢

(٥) كنجيب محفوظ ، ويوسف السباعي ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، انظر د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، ص (٥٠ – ٥٢)

ولكن تلك المفاجآت والمصادفات عندهم لا تبدو لنا بمثل هذه الفجاجة التي أقام عليها السباعي أحداث روايته ... وهذا ما يدعم القول السابق ذكره بأن السباعي كان مشغولاً في روايته هذه بما طرحه من أفكار ومضامين، ولم يلق بالاً لبقية عناصرها الفنية، بالإضافة إلى ريادته لهذا الفن . كل ذلك يدفعنا إلى البحث لكاتبها عن مبرر وعذر فيما وقع فيه من أخطاء .

ب - المكان والزمان

كل قصة تقتضي : " نقطة انطلاق في الزمن ونقطة إدماج في المكان أو على الأقل أن تعلن عن أصلها الزماني والمكاني معاً ... إلا أن المكان الروائي هو الذي يستقطب جماع اهتمام الكاتب وذلك لأن تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخييلي ... فالفضاء الروائي هو الذي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف ... " (١) .

ويلحظ بداية بأن المكان في رواية (فكرة) إجمالاً هو مكان وفضاء مفتوح فأول لقاء جمع بين البطلين كان في " واد من الوديان الملتوية في ضواحي الطائف ... " (٢)

فالكاتب حدد ذلك المكان الذي جرت فيه الأحداث من خلال تلك الإشارة السابقة، وبقي البطلان يتنقلان في ذلك الإطار المتمثل في أودية وجبال، ويتبادلان الأحاديث وكانت وسيلة تنقلهم في تلك البيئة الطبيعية تكمن في السير على الأقدام، أو امتطاء بعض الدواب كالحمير والجمال ... وعليه فأحداث الرواية الأولى كان مكانها بعض قرى ووديان الطائف أما زمانها فتمثل في فترة شهور الصيف [من الفقرة (١) إلى الفقرة (٢٩) ص .ص (١٩-١٤٣)] .

أما الأحداث الأخيرة للرواية فكان مكانها مكة المكرمة ومشاعرها المقدسة : (عرفات ، منى ، مزدلفة) ثم لاحقاً منزل سالم في مكة المكرمة .

أما زمانها فتمثل في أيام موسم الحج [(من الفقرة ٣٠ إلى نهاية الخاتمة ، ص.ص(١٤٤ - ١٥٧)] .

ويلحظ أن أحداث الرواية في مرحلتها الأخيرة تلاحقت بوتيرة سريعة وبشكل مكثف ..

ويلحظ أنه باختلاف الزمن في الرواية بدأت الأحداث تأخذ منحى أخر غير الذي كان في زمنها السابق يقول الكاتب عن هذا :-

---

(١) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص (٢٩ - ٣٠) .

(٢) فكرة ، ص ١٩ .

" بدت طلائع الشتاء ، فتعرت الأشجار مما كان يكسوها من الأوراق ... فبدأت أرتال المصيفين تغادر الطائف إلى مكة أو جدة . . . وشد سالم رحاله مع المسافرين واستوى في بيته في مكة وحل موسم الحج . . . وجاء يوم التروية فعج الطريق إلى عرفات بأبواق السيارات ..." [١] ثم تم بعد ذلك لقاء سالم بفكرة ثم تطورت الأحداث فالتقيا مرة أخرى بمنزله بمكة ليتبين له بأن (فكرة) هي أخته التي فقدت وهي صغيرة وهو لا يعلم عن ذلك شيئاً ..

والزمن في رواية (فكرة) يسير في أغلبه في خط تصاعدي مطرد ولم نجده يتقهقر إلى الماضي (الوراء) ويعود إلى تاريخ الأشخاص إلا في مناسبات محدودة، وكانت تلك الإرتدادات إلى الماضي الهدف منها تكثيف الحاضر، ودعم اتجاه الحدث، وأبرز تلك الارتدادات تمثلت في حديث فكرة لسالم عن تاريخ حياتها السابقة منذ طفولتها حتى لقيته .

ومن ذلك حديث (عمة فكرة) الذي روت من خلاله لفكرة قصة ضياعها، وهي ما زالت طفلة لم تتجاوز السنتين، وكان ذلك في خاتمة الرواية، فكانت الخاتمة بمثابة عودة إلى بدايتها.

ومنها ما كان يجول بخاطر سالم بين حين وآخر يذكّره ببعض اللقاءات التي جمعته بفكرة بعد أن افترقا وأهم أحداث تلك اللقاءات وما دار بينهما من أحاديث. ومن خلال حديث فكرة لسالم عن حياتها السابقة انفتحت الرواية على أماكن وأزمنة أخرى تمثلت تلك الأماكن في انتقال فكرة من الطائف إلى مكة ثم سفرها مع صديق لوالدها (مربيها) إلى السويس في مصر، ومكثت في تلك المدينة يوماً واحداً، ثم انتقلت إلى القاهرة ثم الإسكندرية، وتم ذلك خلال (٢٠) عشرين يوماً، ثم إلى إيطاليا فزارت فيها (نابولي وروما وكثيراً من الأماكن العامة) دون الإشارة إلى الزمن الذي استغرقته تلك الزيارة، ثم انتهت إلى الإستانة بتركيا وبقيت بها خمس سنوات، ثم قفلت عائدة إلى الحجاز وبالأخص مدينة الطائف ... [٢] .

وكانت الوسيلة الأولى لتنقلاتها بين هذه الأماكن الأخيرة هي السفينة أي عن طريق البحر ... ويعد البحر رمزاً للديناميكية فهو موضع ولادات وتحولات ونهضات ... [٣] .

وهذا ما حصل (لفكرة) حيث ذكرت أنها تخلت عن كثير من ملابساتها وأكثر الكثير من عاداتها منذ نزولها إلى مصر [٤] .

---

(١) فكرة ، ص ١٤٤ .

(٢) فكرة ، ص (٣٠ – ٣٢)

(٣) د. خليل أحمد خليل ، معجم الرموز ، دار الفكر اللبناني ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص (٢٩ – ٣٠)

(٤) فكرة ، ص ٣١ .

أما عمر البطلة (فكرة) وقت وقوع أحداث الرواية فهو في حدود (٢٤) الأربعة والعشرين عاماً، حيث إنها فقدت وهي طفلة لم تتجاوز السنتين فعمتها تقول : -

" إنها فقدت في أوائل عامها الثاني ... فمن المستحيل أن تبقى محتفظة بملامحها فيما لو وجدت ، فإن مرور اثنين وعشرين سنة كفيل بكل تغيير في ملامحها ... " (١) .

أما عمر البطل (سالم) فهو يزيد عليها، ولكن لا يمكن تحديد ذلك إلا أننا نعلم بأن البطلة كانت تصغره ... حيث تقول عمته وهي تحادث فكرة عن قصة فقدانها " أما أخوها (سالم) فقد خلفناه يومها في مكة - (أي يوم فقدان فكرة) ولما وافانا بالطائف تركناه يفهم أنها متوفاة ... " (٢) . كما أن أحداث الرواية أخبرتنا سابقاً بأنه كان متزوجاً وله أولاد .

ومن أبرز الوظائف التي يقدمها وصف المكان في الرواية :-

" وظيفة توليد الإيهام بواقعية عالم الرواية وبالتالي بحقيقتها ... " (٣) ويبدو أن هذا ما كان يسعى إليه السباعي، بعد أن تبين له بُعْدُ الأحداث والشخصيات التي عرض لها في روايته عن الواقع وقربها من عالم الخيال ... من هنا أكثر من وصف وتصوير البيئة المكانية سعياً منه لتحقيق ذلك الهدف المذكور أعلاه، وسنعرض لذلك الوصف والتصوير لاحقاً عند الحديث عن أسلوبه ... فالبيئة " مجال عام تتحدد فيه سمات الشخصيات وطباعها وعاداتها وانفعالاتها ... وقد أولى كثير من الكتاب بيئة القصة ومجالها أهمية على ماعداها ، لأنها تحدد اتجاه حركة الأشخاص سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ... " (٤) .

ويلحظ أن الكاتب لم يستطيع أن يتمثل البيئة البدوية التي كان يصورها من خلال شخصية فكرة تمثلاً دقيقاً وكاملاً ... كما يلحظ كثرة الحركة والتنقلات بالنسبة للشخصيتين الرئيسيتين في الرواية (فكرة وسالم)

وربما يعود ذلك إلى سرعة دوران الأفكار في ذهن الكاتب، تلك الأفكار التي عبر عنها من خلال الرواية ، و عدم استقرارها بشكل نهائي في ذهنه ... ويتضح لنا ذلك بصورة جلية حينما نربط الرواية بزمنها الذي ظهرت فيه حيث كتبت في بدايات عصر النهضة في بلادنا ١٣٦٧هـ ... وغالباً ما تكون فترة بدايات النهضة في أي مجتمع فترة قلقلة مضطربة بالنسبة لذلك المجتمع، تظهر خلالها صراعات بين عدد من الأفكار والمبادئ والمضامين الجديدة

---

(١) فكرة ، ص ١٥٣ .

(٢) فكرة ، ١٥٥ .

(٣) د. يمنى العيد ، فن الرواية العربية ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

(٤) د. علي عبد الخالق علي ، الفن القصصي ، طبيعته وعناصره ، مصادره الأولى ، دار قطري بن الفجاءة ، الدوحة ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٧م ، ص (٨٠ - ٨٢) .

والقديمة، وما كثرة الأفكار التي شملتها الرواية من جهة وكثرة تنقلات أبطالها من جهة أخـرى إلا مظهر فني يعكس تلك الحالة بطريقة أو بأخرى .

جـ ـ الشخصيات :-

تلعب الشخصية دوراً أساسياً في بناء الرواية إذ " إنها مركز الأفكار ومجال المعاني التـي تدور حولها الأحداث ... " (١) .

وقبل أن ننظر إلى رواية الكاتب من خلال رسمه لشخصياتها نؤكد في البداية بأن شـخصية بطلة الرواية (فكرة) تمثل رمزاً كما سبق وأوضحنا ذلك، فهي لسان حال المؤلف أكثر مـن أن تمثل شخصية مستقلة بذاتها، ومع ذلك أسبغ عليها الكاتب بعض السمات والملامـح نقـف عليها فيما يلي :-

تمثل شخصية (فكرة) بطلة الرواية الشخصية الرئيسية. حاول الكاتب منذ بداية روايتـه أن يرسم ملامحها الخارجية فوصفها بأن لها : " وجهاً كامل الإستدارة وعينين تأتلقان في محيـل ذابل ، وقسمات تنطق بالصبا على جسم ملفوف ، في ثوب طويل فضفاض ، كانت خطوتـها متزنة رشيقة ، تدل في ثباتها على القوة وفي نشاطها على الصبا ... " (٢) .

ثم قال لاحقاً في وصفها : " وتألق الجو بومضات من البرق خاطفة ، فعُكسِتَ أضواءهـا على جبين ناصع غض الشباب ، وأنف أقنى وسيم ، وولولت الريح آتية من الشمال ، فعصفـت بخمارها فنضا عن شعر مغدودن مرسل . " (٣) .

وهكذا نجده يعرض بين فترة وأخرى لوصفها كقوله : " عمدت إلى كمها فشمرت عن زنـد ، صب في قالب مصقول ، كأنه مرآة عروس جليت من ليلتها ... " (٤) .

ويقول " فبدت بقامتها المعتدلة تمثالاً حيا ينطق بالجاذبية والجمال ! " (٥) وغير ذلـك مـن الصفات والسمات التي صور بها هذه الشخصية وكما نلحظ أن تلك السـمات تجلـي ملامـح الشخصية من الخارج ...

ولم يعن كثيراً بوصفها من الداخل إلا ما يمكن أن نستشفه من مثل قوله : " وصاحت بـه

---

(١) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، ص ١٠٧

(٢) فكرة ، ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

في لهجة الغاضب رح في طريقك يا هذا ... راق له أن تغضب لريبتها فيه ، وأن تستأسد أمامه في وديان ضالة ... " [1] .

ومن مثل قولها وهي تخاطب سالم :

" خل عنك يا هذا .. فلست من ربات الخدور ، ولا عانسات القصور ، إني بنت هذي الجبال العاتية ، درجت في وعورها واكتسبت من صلابتها ... ستجد في هذه الشاخصة أمامك امرأة غريبة تبرز للند ، وتقابل الكفء .. تجزيه عن مروءته فضلاً ، وعن خسته شر ما يجزى به أثيم ... " [2] . فمن تلك الأقوال وأمثالها يمكن أن نستشف بأنها تتصف بقوة الروح ، وشدة الشكيمة والثقة في النفس ... وأما أبرز ملامحها الداخلية والمتمثل في ثقافتها المتعددة فاتضح لنا ذلك من خلال ما حكته (لسالم) عن حياتها الماضية وتعلمها للقراءة والكتابة، حتى أصبحت لاحقاً قارئة نهمة قرأت في الدين والأدب والتاريخ ومختلف العلوم سافرت إلى مصر وإيطاليا ومكثت بتركيا خمس سنوات اختلطت خلالها بالطبقات المستنيرة والجاهلة هناك [3] فهي بالتالي قارئة حافظة مثقفة. (ففكرة) بهذا تعد مثالاً للمرأة الرمز في نظر الرومانتكيين ، جمعت سمات الكمال شكلاً وروحاً ... ولكن مع هذا بدت لنا شخصية (فكرة) شخصية مسطحة ضبابية، كما هي العادة في رسم الرومانسيين لشخصياتهم ، فمن يتأمل الصفات التي يخلعها الكتاب الرومانسيون على شخصياتهم :

" يلاحظ أنها غائمة ضبابية ... كما أن الشخصيات لا تكاد تختلف عن النموذج المثالي للأخلاق أو الجمال " [4] .

وهذا الطابع الرومانسي في رسم شخصيات أبطال الروايات ، جعل تلك الشخصيات غير واقعية بل هي أقرب إلى الشخصيات ذات القدرات العجيبة [5] .

وهذا ما اتصفت به شخصية فكرة فهي غير واقعية تتصف بقدرات عجيبة .

وبالإضافة إلى الطابع الرومانسي الذي انعكس على رسم الكاتب لهذه الشخصية نلحظ أن صورة شخصية (فكرة) كما رسمها الكاتب تتشابه إلى حد بعيد مع صورة بعض الشخصيات

---

(١) فكرة ، ص (١٩ - ٢٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣) انظر فكرة ، ص (٢٧ - ٣٣) .

(٤) د. إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨٠م ، ص ٢٥٧ .

(٥) إبراهيم السعافين ، تطور الرواية ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

النسائية التي ترسمها بعض القصص الشعبية لها كشخصية الأميرة ذات الهمة، التي نراها مستقلة تصبو إلى الكمال حتى تبلغه، حيث كان من أبرز ملامح شخصيتها تمردها على واقعها ، ومحاربتها للفساد الموجود في واقعها قولاً وعملاً، وإحساسها بالجمال وبخاصة جمال الطبيعة ، وامتلاكها لكثير من الصفات الإنسانية [١] وهذا ما نلحظه وبشكل بارز في شخصية (فكرة) التي عقد لها لواء البطولة في الرواية من بدايتها إلى نهايتها، بينما لعب فيها الرجل (سالم) دوراً ثانوياً مقارنة بدور (فكرة)، التي كان لها أثر بارز في رسم شخصية البطل نفسه (سالم)، وصراعه ثم إنهاء ذلك الصراع، وهذا ما يتفق مع قول أحد الباحثين : " للمرأة في السيرة الشعبية دور أساسي لا يقل في خطورته وأهميته عن دور الرجل ، بل إن هناك سيرة شعبية كاملة عقد لواء بطولتها للمرأة، ولعب فيها الرجال أدوار التابعين والمعاونين، هي سيرة ذات الهمة ... المرأة في السيرة الشعبية لعبت أدواراً عديدة وهامة في تكوين البطل، وفي رسم صراعه وفي تحديد نهاية هذا الصراع ... " [٢] .

وهذا التأثر من قبل الكاتب بالتراث الشعبي في رسم شخصية بطلة روايته (فكرة) يؤكده دفاع الكاتب عن هذه الشخصية، والمتمثل في رده على من انتقد وجود مثل هذه الشخصية النسائية على أرض الواقع ، حيث قال أحدهم : " لقد حمّل السباعي النعومة وسمتها الطبيعي وغريزتها الأصلية في فتاة القصة وبطلتها مالا تطيق ، وأعطاها لساناً غير لسانها حتى ليساورك الشك في صحة أنوثتها ... " [٣] .

فمما قاله السباعي في الرد عليه :

" يعجبني أن تسيل أعطاف الأستاذ ضياء الدين لدقة قوام (فكرة) ... ويدهشني أن ينسى وقائع المستأسدات منهن قبل الإسلام وبعده في الغزوات والحروب والثورات ، وأعمالهن في كل أدوار التاريخ ... " [٤] .

---

(١) انظر ، د. نبيلة إبراهيم ، سيرة الأميرة ذات الهمة ، دراسة مقارنة ، دار النهضة العربية ، بيروت ـ بدون تاريخ ، ص.ص (٢٢٩ – ٢٣٨) .

(٢) فاروق خورشيد ، عالم الأدب الشعبي العجيب ، دار الشروق ، القاهرة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م . ، ص ٢٧ .

(٣) ضياء الدين رجب ، في الميزان ، فكرة للأستاذ السباعي ، البلاد السعودية ، س ١٣ ، ع ٧٧٠ في ٢٠ / ١/ ١٣٦٨ هـ . ص، ٤

(٤) أحمد السباعي ، (فكرة كما يراها الأدباء والنقاد) ، البلاد السعودية ، س ١٣ ، ع ٧٧٨ في ١٨ / ٢ / ١٣٦٨هـ ، ١٩٤٨م ، ص،٤

كما يؤكد ذلك ما ذكره في سيرته الذاتية (أيامي)، من وقوفه على بعض كتب الأدب الشعبي وإكثاره من القراءة فيها .

فمما ذكره قوله :

" تعشقت القراءة في هذه المدة من حياتي ... صادفتني في هذه الفترة قصص لحسن البصري وأخرى لدليلة المحتالة ، وغيرها عن تودد الجارية .. التي حذقت علوم الأولين وذكاء الآخرين . " (١)

والعبارة الأخيرة من كلام الكاتب السابق أعلاه، جعلتنا نتوقف قليلاً عندها لنتأمل هل من وجه تشابه بين شخصية (تودد الجارية) وبين بطلة رواية الكاتب (فكرة)، فلاحظنا بأن شخصية (فكرة) كانت مثالاً للمرأة الرمز عند الرومانتيكيين كما سبق وأشرت، فهي أبهرت بطل الرواية بجمالها وبثقافتها، تلك الثقافة التي أبانت عنها من خلال محاوراتها مع بطل الرواية (سالم)، والتي أثبتت من خلالها أيضاً تفوقها عليه، أي تفوق المرأة على الرجل .

وهذا ما سبق وأن صورته حكايات ألف ليلة وليلة عن المرأة من خلال حكاية شهرزاد راوية تلك الحكايات أولاً، التي توصف بأنها قد :

" قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضيين ... " (٢)

ثم من خلال حكاية الجارية تودد ثانياً ، تلك الجارية التي لم يكن لها نظير في الجمال وهي مع ذلك فصيحة اللسان ملمة بالعلوم تحاور العلماء في مختلف ألوان المعرفة فتغلبهم جميعاً ، حيث كشفت عن شخصيتها من خلال الحوار الذي دار بينها وبين الخليفة أولاً ثم من خلال المناظرات التي تمت بينها وبين كبار علماء عصرها ثانياً بحضور الخليفة وفي مجلسه واستطاعت أن تنتصر عليهم جميعاً (٣) فهذه الحكاية تقدم لنا " صورة تبهر النظر للمرأة المثقفة العالمة التي تعرف كيف تتفوق على الرجال ، هذا بالإضافة إلى ما تتميز به من الجمال المادي والمعنوي ... " (٤) .

وعليه يمكننا القول بأن السباعي حينما بدأ في كتابة رواية (فكرة) كان في ذهنه هذه الصور الشعبية للمرأة " بداية من سيرة ذات الهمة مروراً بشهرزاد وانتهاء بالجارية تودد "

---

(١) أيامي ، ص (٨٠ – ٨١) وانظر هذا البحث ، ص

(٢) ألف وليلة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ١/ ١٥ .

(٣) انظر حكايتها ، ألف ليلة وليلة ، المرجع السابق ، ٣ / ٢٢٩– ٢٧١

(٤) د. محمود علي مكي ، حكاية تودد الجارية ، مجلة فصول ، م ١٣ ، ع ٢ ، صيف ١٩٩٤م ، (٢٥٠ – ٢٥١)

ومن كل ذلك امتزجت شخصية (فكرة) وخرجت علينا بالصورة التي قدمتها لنا رواية الكاتب .

أما بطل الرواية (سالم) فقد وصف شخصيته الكاتب من خلال بعض سماته كقوله : " لم يكن شابا من الطراز الرقيع المتهافت على الخطيئة والإثم .. بل كان مثاليا يسمو برجولته... على الريبة والظن ، وتنطوي نفسه على إنسانية عالية قليلة المثال " [1] بالإضافة إلى أنه أبان بأنه كان تاجرا اعتاد أن يصطاف بالطائف في فترة الصيف، ويوكل تجارته في مكة إلى أحد مساعديه ...

ولم يحاول أن يتعمق في سماته الداخلية بقدر كاف تتضح من خلاله هذه الشخصية وتكون أكثر بروزاً، عدا ذلك الصراع الذي كان يضطرم بين جوانحه متمثلاً في صراع الواجب والعاطفة والتي سبقت الإشارة إليه، حيث ذكرت بأن الكاتب لم يستطع أن ينمي ذلك الصراع وبالتالي يفيد منه في تصوير هذه الشخصية، بحيث بدت شخصية سالم في الغالب مثالاً للشخصية الرومانسية التي تؤثر أن تعيش في أخيلتها ورغباتها ، ولا ترغب في الاصطدام بالواقع [2] فهو بطل مسلوب الإرادة [3] .

وقد اشتملت الرواية على شخصيات أخرى ثانوية كشخصية الشاب راعي الغنم (راجح)[4] . وكشخصية العجوز التي ضمدت جراح سالم حينما جرح [5] وكشخصية الأعرابي وابن الشيخ اللذين اجتمعا بفكرة وسالم [6] .

وكشخصية من سماه الكاتب (بأحد الحاضرين) والذي دار بينه وبين فكرة حوار ضمن إحدى الأمسيات, والطفل (حسن) الذي كان يعاقبه والده بحبسه في غرفة مقفلة وكيف أوضحت له (فكرة) هذا الخطأ في العقاب [7] .

---

(١) فكرة ، ص ١٩ .

(٢) د. إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) د. منصور الحازمي ، البيئة المحلية في قصص السباعي ، مرجع سابق : ١٤

(٤) انظر فكرة ، ص (٣٥ – ٣٨) ، (٥٣ – ٥٤) .

(٥) انظر فكرة ص (٦٠ – ٦٥) .

(٦) انظر فكرة ، ص ٨٣ ، (٩١ – ٩٢)

(٧) انظر فكرة ، ص (٩٢ – ٩٤)

(والشيخ الأعرابي) الذي استضاف (سالماً) وهو يمر بداره متجهاً إلى لقاء (فكرة) [١] .

(والفتاة الناهد وأباها) اللذان استضافا (سالماً) وهو في طريقه في إحدى المرات إلى فكرة[٢] (وزوجة سالم) التي بدت وهي تحادث (جارتها) عن عودة سالم من رحلته بين الأودية والفيافي[٣]

(والسيدة التي قابلتها فكرة في عرفات) ودلتها لا حقاً على منزل العائلة التي أضاعت طفلة صغيرة في الطائف والتقائهما (بسيدة من تلك) العائلة اتضح لاحقاً أنها (عمة فكرة)[٤].

هذه الشخصيات الثانوية لم يكن لها دور بارز في أحداث الرواية " عدا الشخصية الأخيرة وأعني السيدة عمة (فكرة وسالم) والتي تحولت أحداث الرواية على يديها . إذ هي التي كشفت عن حقيقة شخصية (فكرة) والمتمثلة في أنها الطفلة التي أضاعتها عائلتها بالطائف، وعمرها لم يتجاوز السنتين وبالتالي فهي أخت سالم الذي كان يجهل تلك الحقيقة مثلما كانت تجهلها (فكرة) .

أما بقية الشخصيات الثانوية فوظفها الكاتب لخدمة الشخصيتين الرئيستين (فكرة وسالم) وعلى وجه الخصوص شخصية (فكرة) .

كما يلحظ أن تلك الشخصيات في الرواية لا يجمع بينها في الغالب إلا الرابط المكاني، وهو بالطبع لا يشعر بنمو الشخصيات، وهذا يذكرنا بما فعله هيكل[٥] في روايته (زينب) إذ شخصياته في الغالب شخصيات مسطحة وغير نامية عدا شخصية (زينب) [٦] .

---

(١) انظر فكرة ، ص (١٠٢ - ١٠٤)

(٢) انظر فكرة ، ص (١٠٦ - ١٠٧)

(٣) فكرة ، ص (١٤٠ - ١٤١)

(٤) فكرة ، ص (١٤٨ - ١٥٧)

(٥) هو محمد حسين هيكل ولد في العشرين من أغسطس سنة ١٨٨٨هـ بقرية (كفر غنام) لأبوين من صميم الريف المصري كان أكبر أخوته وابن سيد عشيرته حصل على البكالوريا عام ١٩٠٥م ثن التحق بمدرسة الحقوق ثم بعد ذلك ذهب إلى باريس للحصول على الدكتوراه في الكانون ثم عاد إلى مصر في عام ١٩١٢م ليشارك في الحياة الثقافية والسياسية له عدد من المؤلفات منها رواية (زينب) حياة محمد ، منزل الوحي توفي عام ١٩٥٦م.

انظر:

د. عبد العزيز شرف. محمد حسين هيكل في ذكراه، دار المعارف، سلسلة اقرأ رقم (٤٣١) ط(٢) ١٩٨٦م من : ١٥ـ٤٨

(٦) د. طه وادي ، هيكل رائد الرواية العربية ، السيرة والتراث ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، ص ١٠١ .

د ــ الأسلوب :

الأسلوب الذي صيغت به هذه الرواية يمتاز إجمالاً بالانسياب والرشاقة : " لكأنا نقرأ لكتاب العرب الكبار كالجاحظ أو التوحيدي أو كأنا نتلو صحفاً من رصف المنفلوطي ، أو نسيج العقاد أو جزالة الرافعي ... وهذه الحلاوة والرشاقة عوضتنا من نواقص كثيرة في (تكنيكية) القصة ومقوماتها الفنية ... " [١] .

وسنتناول أسلوب الرواية من خلال النقاط التالية : -

١- السرد والحوار :-

جاء السرد في هذه الرواية في أسلوب أدبي رائع ، أسلوب أدبي راق ، وكان الكاتب يتفنن في اختيار مفرداته وبخاصة حينما يصف الطبيعة وأجوائها .. كما سنلحظ ذلك لاحقاً ... واعتمد فيه الكاتب على ضمير الغائب أي الراوي العليم .

أما الحوار في الرواية فقد كان له نصيب الأسد من المتن الروائي ومما نلحظه عليه :-

جاء في لغة فصيحة ومنسابة ... وأغلبه دار بين بطلي الرواية بشكل مباشر ... وكان يجنح في أحيانٍ كثيرة إلى ما يشبه الحوار الشعري .. وفي أحيان قليلة إلى ما يشبه الحوار الفلسفي، وفي أحياناً أخرى قد يتداخل الأسلوبان الحواريان الشعري والفلسفي ...

وقد تتعدد الأصوات في الحوار من خلال مشاركة الشخصيات الثانوية فيه، والتي سبقت الإشارة إليها ... ولكن برغم ذلك التعدد للأصوات فهي في الحقيقة لا تعدو صوتاً واحداً ينطلق من أفواه متعددة ألا وهو صوت الكاتب نفسه، حيث يتخذ من سائر تلك الشخصيات وسيلة خارجية ينقل بها أفكاره إلى الناس، وهو في هذا الأسلوب يشبه إلى حد كبير جبران خليل جبران [٢] .

ومما يعاب على الحوار في هذا الرواية من ناحية فنية، أنه قد طال في بعض الأحيان على لسان الشخصية طولاً مسرفاً فبدأ أقرب إلى السرد منه إلى الحوار، حيث وصل في بعض مقاطعه ما يقرب من ست صفحات، جاء في شكل مسهب على لسان فكرة وهي تحدث سالماً عن حياتها السابقة، وهذا مما يلحظ على الحوار عند الرومانسيين بعامة ، حيث بدا في شكله أقرب إلى الحوار الذاتي..[٣]. فأفة الحوار التي تقضي على حيويته هي" الإطناب... ولذا يجب أن يكون المؤلف متيقظاً لا يسمح بأي كلمة لا يكون لها دورها في عرض الأحداث أو

---

(١) د. بكري شيخ أمين ، الحركة الأدبية في المملكة ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ .

(٢) ايليا الحاوي ، في النقد والأدب ، مرجع سابق ، ٤/ ٣٠٣ .

(٣) د. إبراهيم السعافين ، تطور الرواية العربية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤

تصوير الشخصيات ... " [1] .

وإذا كانت من مهمة السرد والحوار في الرواية الكشف عن مستوى الشخصية وتحديد طبيعتها فإنهما في هذه الرواية لم يحققا هذه الغاية إلى حد كبير ...

حيث إن الحوار كان فاقداً للواقعية، بعيداً عن الطبع، دان إلى التكلف الشعري والفلسفي مما يشعر بأنه مفتعل افتعالاً، ومصطنع اصطناعاً، قد نتأثر بمضمونه لكننا لا نصدق قط أنه جرى فعلاً، أو أنه يجري في سياق الحياة اليومية، فلم يراع فيه الكاتب طبيعة الشخصيات ومستواها الاجتماعي والفكري ، فإذا غضضنا النظر عن الحوار الذي جرى على لسان (فكرة وسالم) على اعتبار أنهما متعلمان، فإننا لا نستطيع مثلاً أن نقبل ذلك الحوار الذي جاء على لسان زوجة سالم، وهي تخاطب جارتها عن أحوال سالم إذ تقول فيه : " ما رأيت ، كنزوات النفس سراً يغلق على الفهم ، ويستعصي على التفكير ! ... ما حاولت قط في نزوته أن أشغل نفسي بالهوى الذي يدعونه نصحاً، لأثنيه عن شيء ملك حواسه ... " [2] وهكذا يمضي حديثها على هذا المنوال. هذا الحوار جعل أحد الدارسين يقول عنه : " هل سمعت امرأة حجازية تتلكم بهذه العقلية الناضجة ، وهذا الأسلوب البليغ ، وتستعمل مثل هذه الكلمات ، إنه كلام قل أن يجري على ألسنة المثقفين ، بله النساء الجاهلات ... " [3] .

ومثل ذلك، الحوار الذي دار بين سالم وبين العجوز التي ضمدت جراحه عندما ارتطم رأسه بسقف الكهف، وهو حديث طويل نسبياً .

ومن ذلك قولها مخاطبة سالم في شأن فكرة :

" لا يسلم الشرف الرفيع مهما علت ذروته من أذى الناس ، ومثل هذه الفتاة في تهورها وخفتها وإقحامها نفسها في كل ما يسأل عنه الرجال حتى من شؤون سوآتهم - عرضة لأصحاب الفتك ... الخ " [4]

ومما تميز به الحوار في رواية (فكرة) بالنسبة للروايتين الأخريين اللتين شاركتاها

---

(١) د. طه عبد الفتاح مقلد ، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص (١٠ - ١١) .

(٢) فكرة ، ص (١٤٠ - ١٤١) .

(٣) عبد الله عبد الجبار ، (في الميزان فكرة للأستاذ أحمد السباعي) ، البلاد السعودية ، ع ٧٦٨ ، مرجع سابق .

(٤) فكرة ، ص ٦٥ .

مرحلة الريادة في الأدب السعودي وهما روايتا (التوأمان للأنصاري ، والبعث لمحمد علي مغربي) أن الحوار فيها كان أكثر نضجاً فنياً من تلك الروايتين، حيث إن الحوار في رواية (البعث) يصل إلى القارئ عبر الراوي مستخدماً " عبارات (قال الفتى) و(قالت الفتاة) بمعنى أننا لا نجد حواراً ثنائياً مباشراً أما بالنسبة لرواية (التوأمان) فإننا نجد حواراً ينقله الراوي وحوار يتم بين الشخصيات مباشرة ، أما في رواية (فكرة) فإن الحوار يكون أكثر نضجاً من الناحية الفنية بحيث يأتي مباشراً بين الشخصيات دون أن يكون للراوي أي سلطة على الحوار الدائر ... " (١)

واستخدمت الرواية أسلوب الحوار الداخلي والمناجاة، وكان مرتبطاً بشخصية سالم ومدار الحديث فيه عن شخصية (فكرة)، عن حياتها، ونهجها في الحياة، وحقيقة أمرها كقوله : " فاستند إلى حائط مهدم ... وراح يسترسل في هواجسه وأفكاره . قال لنفسه ... " (٢)

٢- الوصف والتصوير :

تأكيد لما سبق وأن ذكرنا حول الطرح الرومانسي في هذه الرواية فإننا في السطور التالية نجلي مظهراً آخر من مظاهر الرومانسية التي تضمنتها الرواية ، وذلك من خلال وصف الطبيعة وأسلوب التصوير ، والحقيقة أن وصف الطبيعة ليس جديداً في الأدب العربي ، فقد عرفته جميع العصور الأدبية ، واشتهر به كثير من الشعراء .. ولكن الرومانسيين على وجه الخصوص في العصر الحديث هاموا بالطبيعة . ولا شك أن لرهف الحس ، وشبوب العاطفة التي تميزوا بها : " أثراً عظيماً في هيامهم بالطبيعة في جميع مظاهرها ... " (٣) . فالرومانسيون التمسوا السلوى في الطبيعة التي : " تمثل في نظرهم العالم الذي لم تفسده المدينة والقوانين ، فهام الرومانسيون بين أحضانها يلتمسون المتعة والراحة .. "(٤)

ونلحظ هذا الهيام بالطبيعة في الأدب العربي الحديث بدرجة واضحة وبارزة لدى أدباء المهجر فأغلبهم يحنون : " إلى الحياة في أكناف الطبيعة ... حياة فطرية بسيطة تحيا من

---

(١) د. عبد العزيز السبيل ، مرحلة النشأة في الرواية السعودية ، جريدة المدينة ملحق الأربعاء ، في ٨ / ١١ / ١٤١٩هـ ، فبراير ، ١٩٩٩م ، ص ٢٢ .

(٢) فكرة ، ص ٩٧ ، وانظر مثلاً ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٥٧ ، ٩٦ . وغيرها .

(٣) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٤) د. فايز ترحيني ، الأدب أنواع ومذاهب ، النخيل للطباعة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ص١١٣

من خلالها فضائل النفس وتتمجد المثل العليا ... " [1] . ورواية (فكرة) كان فضاؤها المكاني في الغالب الأعم كما سبقت الإشارة هو فضاء مفتوح تمثل في وديان وجبال مدينة الطائف، ومن هنا فإن الكاتب عرض من خلال ذلك إلى وصف مظاهر الطبيعة في ذلك الفضاء المفتوح ، وصفاً تشيع فيه الروح الرومانسية، ولقد تعددت مظاهر ذلك الوصف ، فمنه ما شمل تصوير أودية ووهاد ومزارع وأشجار ومياه ذلك الريف في مدينة الطائف ، ومنه ما شمل تصوير غروب الشمس أو شروقها وانعكاس أثرها على طبيعة ذلك المكان ، أو تصوير الليل بهدوئه وسكونه، أو تصوير مظاهر الحياة الريفية في ذلك الفضاء المكاني من ممارسة لأعمال الفلاحة ورعي للأغنام ومأكل ومشرب وملبس، ومظاهر الاحتفالات بالعرس ونحو ذلك ويلحظ أن الوصف في هذه الرواية كان قائماً في مجملة على عناصر الوصف الأساسية من حركة ولون وصوت، فاللوحات التصويرية في رواية فكرة لوحات متحركة في أغلبها ، كما يغلب عليه أيضاً عنصر اللون فالعنصر البصري هو العماد الذي قامت عليه تلك اللوحات التصويرية، والسائد في هذه اللوحات الملونة هو اللون الأخضر الذي من أبرز دلالاته : "التجدد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار ، إنه لون الطبيعة الخصبة .. " [2] ونورد فيما يلي نماذج لذلك الوصف :

وذلك كقول الكاتب عن سالم :-

" كان يسير وحده يؤنسه أزيز السواقي ، آتية من مخارف الوادي ، وكان يلتقي بين فترة وأخرى بالرعاة يسوقون قطعانهم بين المروج ، أو يرسلونها إلى العشب المخضل بين ليات الوادي ... وكان الريح يهب عليلاً فاتراً فيعبث بأشجار التين على أكتاف المروج ، فتسمع لحفيف أوراقه نغماً شجياً رخيماً، كانت الشمس صاحية تنقل خطاها بين أكتاف الجبال ورؤوس التلال ، وتترك بعض النجود الصغيرة ، غرقى في وهجها ، وكان بعض أطفال القرويين ينتشرون بين مهابط الماء ومساقط السيل في طول الطريق ، يحملون سلاتهم على رؤوسهم ، يجمعون فيها أفواف الورد بين حمراء وبيضاء ، ويلتقطون ما تناثر من ثمار العناب... "[3] وكقوله على لسان (فكرة) وهي تخاطب سالم :

" أريد أن أرى فيك الأخ الذي انتظرته طويلاً... يرافقني إلى مراتع الجمال، نتنسم طراوة

---

(١) د. صابر عبد الدائم ، أدب المهجر ، مرجع سابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) د. أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، ص ١٨٥ .

(٣) فكرة ، ص ١٠٥

الوادي الأريج تتكسر أضواء القمر على حواشيه .. نقف على شطآن الغدير فنلتقط مـــا تـــرك القرويون من ثمار الخوخ على جوانبها نقضمه ، ونتقاذف نواياه ، أو نرجم به الضفادع الآمنـــة في قاع الغدير فنثير نقيقها ، ونقلق سكينتها، أو نجلس تحت شجرة البسياني نتـــأمل أوراقـــها الزرقاء تلمع كأنها قطع قدّت من أديم السماء وقت صفائها فنمت في أديـــم الأرض ، أرســـلت غصونها وأوراقها لامعة زرقاء ... " (١) .

ومن ذلك قوله يصف (سالماً) في إحدى حالاته : ((وأرسِل نظره .. فإذا سحابة تســـحب ذيولها على رؤوس الدوح ، وقنن الجبال ، وقطرات من الغيث تسّاقط على المـــرج ، فيعبـــق عبيره ويملأ الجو بفوحه العطري ، فيتنسم ملء رئتيه...)) (٢) .

وكقوله في وصف الليل ومشهد سمر فيه :-

" وسال ذوب الأصيل على أكتاف الأفق ، وبدأت قوادم الليل تحول الكون إلى لـــون داكـــن ، يتعذر منه تمييز الأشياء ، وبدأ بهر الشمس ينجاب عن صفحة القمر كامل الاســـتدارة ، لألاء ، كأنه الفضة الصافية المجلّوة ... واختلط (يعني سالم) بالمائجين حول أكوام النار المشـــتعلة ، يصطفق لهيبها، ويرسل ألسنته حمراء ، تطعن في أحشاء الظلام ، فتبدو الوجوه على ضوئـــه متوردة ، والسيوف لامعة ... " (٣) .

وكقوله واصفاً حفل الزفاف وأجوائه الصاخبة في قرية من قرى ذلك الريف مـــن خـــلال حديثه عن سالم الذي كان متوجهاً إلى ذلك الحفل : " ورأى الشرف المزدحم ببيوت القرويـــن يخوض في سرة الوادي ، وتصطفق بين أقدامه زمرة من القرويين ، يموجـــون فـــي أثـــواب زاهية ويلوحون في الهواء بسيوفهم ، وجلبة صاخبة تملأ عنان السماء بأهازيج منظمة وأغـــان مرتلة ... وتفتح سمعه للجلبة الصاخبة فاستوى منها نغم مرتل وترجيـــع منظـــم ، وصافحـــه صوت الحادي في نبرة واضحة وأداء قوي :

يا عم لا تفرح علينا بكثرة ... والكثر يا عمي وحنا شواء

إن الطيـــور كثيرة أظناؤها ... إن الحـــرار قليلة الإظناء

. . . . . .

ويرجع صوته في ترتيل منظم شخوص تموج ملتفة حول النار المشتعلة ، في حلقات تميـــد

---

(١) فكرة ، ص (٨٥ – ٨٦) .

(٢) فكرة ، ص ١٠٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

بالراقصين في حركات رشيقة وتواثب منظم منسجم ، مشرعة سيوفهم ، منطلقة أصوات بنادقهم في الفضاء ... " [1]

إلى غير ذلك من النماذج ..

٣- ويمكننا القول بأن الوصف في هذه الرواية قام بوظائف عدة منها :-

١-أكد على الملمح الرومانسي الذي انتهجه كاتبها

٢-حاول بواسطته الكاتب إيهام المتلقي بواقعية الرواية (شخوصاً ، أفكاراً ، أحداثاً) .

٣-عبر من خلاله الكاتب عن شعوره الوطني من خلال تعلقه بالبيئة المحلية ووصف بعض مظاهرها ، ويلحظ أنه بالرغم من انتقال بطلة الرواية إلى بيئات خارجية كمصر وإيطاليا وتركيا إلا أن الكاتب لم يعرض لوصف مظاهر الطبيعة في تلك البيئات الخارجية، وما ذلك في نظري إلا نوع من تنامي الشعور القوي بالوطنية لدى الكاتب، وهذا ما حدا بأحد الباحثين إلى القول بأن السباعي استطاع في محاولته الروائية الأولى هذه :-

" أن يدخل إلى القصة في بلادنا ولأول مرة شيئاً من الألوان المحلية التي لم تكن معروفة في المحاولات القصصية السابقة ، ويكفيه أن تنبه إلى أهمية المكان -والقرية بصفة خاصة - في قصة عاطفية تعليمية ... " [2] .

٤-إن وصف الطبيعة في بعض مقاطع الرواية لم يكن وصفاً دخيلاً لا علاقة له بالأحداث ، فقد استطاع الكاتب أن يجعل الوصف في تلك المقاطع موحياً بنفسية الشخصيات وانعكاس نظرتها للطبيعة سعادة أو حزناً وألماً، وهذا مما يثري فنية الرواية حيث إن " الوصف لمجرد الوصف لا وجود له في النثر الأدبي ... ونحن لا نبالغ ... إذا قلنا إن أي وصف لا يوجه لخدمة هدف القصة يكون بعيداً عن الصفحة الفنية الحاذقة ... [3] .

ومن نماذج ذلك قوله واصفاً الجو أثناء أول لقاء جمع بين (فكرة وسالم)، وهو وصف

---

(١) فكرة ، ص (١٠٧ - ١٠٨)

(٢) د. منصور الحازمي ، البيئة المحلية في قصص أحمد السباعي ، ص ١٥ .

(٣) دي فوتو ، عالم القصة ، ص ٢٣٤ .

يمثل قسوة الطبيعة، وهذا يتوافق مع نفسية (فكرة) في ذلك اللقاء إذ كانت مرتابة من (سالم) حيث لم تتعرف عليه بعد، فهذه أول مرة تقابله عن طريق المصادفة ولهذا أتى الوصف للطبيعة منسجما مع تلك النفسية المضطربة للبطلة يقول :

" وتألق الجو بومضات مع البرق خاطفة ... وولولت الريح آتية من الشمال ، فعصفت بخمارها ... واشتد هزيم العاصفة ، فاقتلعت شجرة قوية في منحدر التل وألقتها على أحجار كبيرة ... فكانت تسمع لقعقعتها وهي تتحدر في مسيل الوادي دويا يثير الرعب ويشيع الفزع وأربد الجو ودمدم الرعد ، وانجابت الغيوم عن هطيل مدرار سالت به الهضاب والروابي ... انطوت الفتاة على نفسها ، وجمعت أطراف ثوبها إليها ، تحتمي به من المطر الوابل ، وتقدم صاحبنا منها في دعة ، وتلطف يسأل أن تثق بمروءته ، وتعتمد ذراعيه ليبلغ بها مأمنا يقيها العواصف ... " (١) .

أما بعد أن زال ما كان يخالج البطلة من خوف من البطل (سالم)، بعد أن تبينت لها بعض صفاته الحميدة، بعد أن احتميا معا من ذلك المطر الغزير بأحد الكهوف .

فنجد الوصف التالي للطبيعة يمثل جمالها، وهو مرتبط بحالة البطلين النفسية إذ بدأ يتقاربان في وجهات النظر، وتزول فيما بينهما الريبة والشك فجاء الوصف كالتالي :

" كان الليل قد أوفى على نهايته ، وبدأت خيوط الفجر تلمع في برك الماء الصغيرة ... وكان الجو خارج الكهف مقرورا ، والسماء لا تكف تدر في غزارة فتجتمع المياه بين فجوات الصخور ، وتجري في جداول منحدرة إلى الوادي في انسياب وصفاء ، وفقاقيع الماء ترقص في الحفر المنتشرة على طول انحدار الجبل ، في شكل جذاب ، وخف صاحبنا إلى باب الكهف يستقري حالة الجو ، فأخذه منظر الطبيعة تلمع في أفقه خيوط الفجر ، فأهاب بفتاته أن تشاركه متعة هذا الجمال ، فلبت سريعة ... " (٢) .

ومثل ذلك تصويره لاحقا لنفسية سالم السيئة القلقة، وربطه لذلك بحالة الغروب يقول :

" كان يمشي وفي خطواته ثقل كمن آداه عبء فادح ، وأقلقته أفكار مبهمة ، وانطلق في مشيته ضيق الخطو مقبوض النفس إلى ربوة مرتفعة ... وأرسل عينيه تجولان في الأفق وقد ذابت الشمس وراء الأفق ، فتكسرت أضواء الشفق على منحدرات التلال البعيدة ... شعر فجأة بثقل الهواء على رئتيه ... فهبط من حافة التل ، وأخذ يثب من مكان إلى آخر ، يصعد صخرة

---

(١) فكرة ، ص (٢٠ - ٢١)

(٢) فكرة ، ص ٢٤ .

وينزل وهدة ... " [1] .

وأوضح من ذلك وصفه التالي إذ يقول عن سالم :

" وانثالت عليه الأفكار سوداء قاتمة ... بدأ يشعر من جديد أنه على شفا هاوية تجذبه إلى قاعها ... وأنه يرسب في بحيرة من بحيرات الدم التي شهدها تلمع في صفحة السماء وتصطفق أمواجها ، إلا أنها بحيرة ليس لها ساحل يدركه أو مرفأ ينتهي إليه ... وشعر أن الجبال الشماء والوادي وقطعان الماشية تشاركه هذا الشعور ، وتشاطره الأسى في سكون وصمت رهيبين ... " [2] .

وكما نلحظ من خلال المقطع السابق تجاوباً بين مظاهر الطبيعة وحالة البطل من حيث السعادة والحزن، فالكاتب ألقى على الطبيعة والحيوان مشاعر إنسانية ، وهذا ملمح رومانسي ، فالرومانسيون يتخيلون في المخلوقات أرواحاً تحس مثلهم فتحب وتكره وتحلم ... " [3] .

ونجد الكاتب في مقطع آخر جعل حالة البطل النفسية تنعكس على المكان، فالأماكن التي قابل فيها (سالم) (فكرة) لأول مرة كانت تنبض بالحياة والحركة، وما ذلك إلا لأن فكرة كانت بجواره في تلك الأماكن ، فلما عاد إليها مرة ثانية بمفرده دون (فكرة) فإذا به يجدها جامدة ساكنة صامتة، لا حركة فيها ولا حياة، على خلاف ما رأها لأول مرة ، يقول الكاتب في ذلك المقطع :-

" تعالى النهار ، وارتفعت الشمس في مدارها ... فانبعث من نومه متأثراً بوهجها ووقدتها ، واستأنف سيره بين مماشي الغياض ، حتى انتهى إلى الصخرة النائية فوق حافة الوادي ، حيث جلس وإياها مع الراعي ، يوم كانت تحدثهما عن عادات الخطبة والزواج ... فوقف يقلب نظره في كل وجه من الصخرة ، هنا جلست (فكرة)، وهنا نقرت بأصبعها ودقت بيدها ، ومن هذا الطريق أخذت دربها ... ومضى يصعد خلفها ووثبات الغزال تتراءى بين عينيه كأنها شيء حقيقي ... وانتهى إلى ما انتهيا إليه ليلة أن باتا على كتف الجبل ، فإذا الصخور صامتة ، والمكان موحش ، والريح سافية تهب شديدة طاغية ، ونظر فإذا النتوء البارز من أضلاع الجبل تتوسده عروق صفراء ، وتكسوه أوراق جافة ، وأطل من حافته على مروج الوادي وغياضه وغدرانه فإذا صورة خامدة لا تنبض فيها حياة ، باهتة لا يشع فيها جمال ... أيها الجماد فيم هذا الصمت الكئيب ،والوحشة الخرساء ؟ ! أيعنيك من فكرة ما يعنيني ؟ إنها

---

(١) فكرة ، ص (٤٩ - ٥٠) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٧٩ - ٨٠)

(٣) د. محمد غنيمي هلال ، الرومانتيكية ، مرجع سابق . ص: ١٥٤-١٥٨

تذهب في غير عودة وتتركني في غير أمل ... " [1] وعلى مثل هذا الأسلوب سار سالم يناجي ما تبقى من مواضع جمعته (بفكرة) [2] ويحادثها حديثاً يذكرنا بوقوف الشعراء على الأطلال.. مستعيداً أحاديثها وبعض تصرفاتها من خلال تلك الأماكن التي جمعته بها سابقاً .

٥-يمكن أن نعد ذلك التصوير في بعض مقاطعه تصويراً فتوغرافياً لبعض مشاهد الحياة في المجتمع الريفي الحجازي في مرحلة من مراحله التاريخية كوصفه لحفل الزفاف الذي مر بنا، وكحديثه عن بعض المأكولات في ذلك الريف مثل جفان الثريد [3] واللبن والجبن وأقراص الذرة [4] واللحم المقدد والحنيذ [5]... وغير ذلك مما مر بنا أو سوف يمر بنا لاحقاً من خلال نقاط الدراسة المختلفة لهذه الرواية

٤ــ الأسلوب التصويري :

إن قضية الفرق بين الشعر والنثر قضية جوهرية ولكن يشير أحد الدارسين إلى أن ثمة : "يأساً أصاب بعض الكتاب في إيجاد الحدود الفاصلة بين منطقة الشعر ومنطقة النثر ... ولاسيما بين القصيدة والرواية نظراً لامتداد عناصر القصيدة والرواية بعضها إلى بعض ... إذن فالحدود مائعة بين الشعر والنثر ، ومحاولة العثور على تمييز موضوعي ومقنع بينهما تنطوي على مصادرات كثيرة ... " [6] .

فالنثر لا يبتعد إذن كثيراً عن تخوم الشعر ، فالارتفاع " بمكونات الأداء النثري ، يعني الاندماج فيْ فضاء الشعر ... والحدود التي تفصل بين الشعر والنثر قلقة مراوغة ... الرواية ذاتها ، قد أصبحت فناً غير خالص تماماً ، فهي لا تكتفي بخصالها النثرية حين تسعى إلى تنمية متنها الحكائي ، بل تلامس وهج الشعر، وتقترض بعضاً من شمائله ... " [7]

---

(١) فكرة ، ص (١٣٦ - ١٣٧) .

(٢) المصدر السابق ، ص (١٣٧ - ١٣٩) .

(٣) فكرة ، ص ٩٦ ، ١١٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦١ ، ٨٤ .

(٦) حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية ، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ م ، ص (٨٣ - ٨٤) .

(٧) د. علي العلاق ، الشعر والتلقي ، دراسات نقدية ، دار الشروق ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧م ، مبحث (شعرية اللغة الروائية) ، ص ١٧١ .

وتأسيساً على ما تقدم يمكننا أن نقول : بما أن الكاتب في روايته هذه يصدر في معالجة المضامين والقضايا التي طرحتها عن رؤية رومانسية كما سبق وأوضحنا ، فإن تلك الرؤية التي يصدر عنها طالت الصياغة الفنية للرواية أيضاً . حيث نلحظ أن هذه الرواية في أسلوبها ولغتها تجنح إلى اللغة والأسلوب الشاعري في كثير من مقاطعها سرداً وحواراً .

فعوضاً عن بعض الموضوعات التي تطرقت إليها الرواية كالحديث عن الحب، وعن وصف مظاهر الطبيعة المختلفة، والعلاقة العاطفية بين البطلين، والتي هي بطبيعتها تندرج تحت الموضوعات الشعرية والرومانسية، نلحظ أن ذلك المضمون انعكس على أسلوب الكاتب فكثرت فيه التشبيهات والاستعارات، والألفاظ الموحية الدالة على معاني الحب وعلى الطبيعة ومظاهرها ، بالإضافة إلى بعض المحسنات البديعية ، كل ذلك في لغة سهلة أخاذة ، بعيدة عن التعقيد والغريب .

أما ما اشتملت عليه من مجاز كالتشبيه والاستعارة بالإضافة إلى ما مر بنا من أمثلة عليه في النماذج السابقة ، نورد أيضاً على سبيل المثال النماذج التالية :-

كقوله في تشبيه زند (فكرة) : " كأنه مرآة عروس جليت من ليلتها .. " (١)

وكقوله في وصفه لمشيتها : " وانطلقت من الكهف تغدو منحدرة إلى السهل في خفة القطا !! " (٢) .

وكقوله في وصفها أيضاً : " وقد بدت في ساقيها الدقيقتين غزالاً يثب بين النتوء والصخور"(٣) .

وكقوله في وصف وجهها: (عينيها وأنفها وجبينها) :

" ونضا لثامها عن عينين فاترتين ... يقوم بينهما أنف كأنه حارس طويل النجاد ، مكلف العناية بهما .. يعلوه جبين متسع كأنه صفحة من كتاب الحياة .. " (٤) .

وكقوله يتحدث عن شروق الشمس :-

" حتى أطلت ذُكاءُ من مخدعها وراء القمم العالية ، فهبت النعاج من مرابضها .. " (٥) فذكاء بالضم اسم الشمس (٦) .

---

(١) فكرة ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٠

(٤) فكرة ، ص (٥٠ - ٥١) .

(٥) المصدر السابق ، ٩٨ .

(٦) انظر ابن منظور ، اللسان ، مرجع سابق ، مادة (ذكا) ، ١٤ / ٢٨٧ فهي مشتقة (من ذكت النار تذكو ويقال للصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها) .

وكقوله في وصفه خمار (فكرة) وطريقة لبسها له حيث كانت متلفعة بخمار : " طويل الردان ، عقد طرفه في رأسها ، ونشط حول عنقها ، وترك الطرف الآخر يجرجر وراءه صغار الحصا في خشخشة خافتة كأنها وسوسة الحب في شغاف القلب .. " (١)

أما البديع فمن نماذجه السجع كما في قوله على لسان فكرة تخاطب سالماً :

" فما ظنك بهما طرفين أحدهما في السحاب والآخر في التراب ؟ ! " (٢) .

وكقولها مخاطبة سالماً أيضاً :-

" يقولون : إن أدواءنا في الحياة أكثر من أن يحصيها العد ، وأن رزايانا لا تقف عن حد ، ... يرهق تعاطيها أقوى الأمعاء ، ومع هذا فنحن كما نحن لم نتقدم خطوة إلى الشفاء .. " (٣)

وكقوله على لسان (فكرة) أيضاً : " ما يمنع الجبال أن تميد ، والأرض أن تبيد " (٤) وغير ذلك، وكما نلحظ فإنه سجع أتى عفو الخاطر ، غير متكلف، ومن نماذجه الطباق والمقابلة كقوله على لسان (فكرة) وهي تخاطب سالم : " لكنه لا يعجبني أن أنشر وتطوي وأن استقيم وتلوي .. " (٥) .

وكقوله على لسان زوج سالم :

" فإذا النزوة تتكفئ ، ولمّا أبلغ سرها ، وإذا الجذوة تتطفئ ولمّا تبلغ ذروتها .. " (٦)

ومن ذلك الجناس كما جاء على لسان فكرة وهي تخاطب سالم بقولها " ودعاك حنين الأجداد الصيد ، إلى صيد البيد .. " (٧) .

ومن ذلك الاقتباس والتضمين ونماذجه كثيرة في الرواية ومن أمثلته .

قول سالم مخاطباً فكرة : " ينزع بي عرق دساس إلى هذه الطبيعة العارية .. " (٨) .

وكقول فكرة مخاطبة سالماً : " فستجد نفسك بعد لأي عند سراب خداع .. في بقيعة يحسبه الضمآن ماء .. حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً " (٩) .

---

(١) فكرة ، ص ١٢٠ .

(٢) فكرة ، ص ٤٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص (٥١ - ٥٢) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

(٥) فكرة ، ص ٧٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ٢٦ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

وكقوله الكاتب سرداً :-

" ومضت (فكرة) تجوس خلال الغرفة .. " [١] .

وكقول عن سالماً :

" وقام من توه .. كمن نشط من عقال " [٢] .

وكقوله فكرة عن نفسها وهي تحادث سالم :

" فإن ثقتي بها حصافة ، دونها خرط القتاد .. " [٣] .

وكقول أحد الحاضرين وهو يحادث فكرة عن أساليب التربية : " والعرب تقول : آخر الدواء الكي " [٤] .

فنماذج الاقتباس والتضمين كما نلحظ تعددت مصادرها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب ومن نماذج البديع في الرواية الاستشهاد بالقرآن الكريم وبالشعر [٥] .

كما نلحظ أن أسلوب الوصف في هذه الرواية انعكس على مستوى المفردة أيضاً ، وغالباً ما تأتي تالية لجار ومجرور وأمثلة ذلك كثيرة منها :

" وأشارت إلى فيء ظليل على حافة جدول ضحضاح " [٦] .

" وقالت في صوت متهدج .. " [٧] .

" وشكرها في كلمات مضطربة ... " [٨] .

" مضيا في طريق معبد ، ينحدر إلى وهدة مطمئنة ... ثم صعدا ربوة تجللها أشجار الطلح اليابسة ، أشرفا من ذروتها على واد ضيق ، يتلوى في أحشاء السهل المخضل ... وانحدر بهما الطريق إلى صخرة عريضة نائية ... وأخذا الطريق إلى الدار المهدمة ... " [٩] .

" ولاحت منها التفاتة إلى وجهه المكفهر ... " [١٠]

---

(١) فكرة ، ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٥) انظر مثلاً فكرة ، ص ٤٦ ، ٦٩ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٩ .

(٦) فكرة ، ص ٥٤ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٩) المصدر نفسه ، ص٨٢ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

" ثم صعدا سلماً من الخشب ، يصل إلى غرفة واسعة نظيفة ، فرشت أرضها بالبسط المجدول من الصوف الناعم وزين صدرها بسجاد عجمي ... وقام الشيخ ينادي من كوة صغيرة ... وحمل الخادم الكهل إليهم مائدة حافلة بالفطائر الدسمة ، واللحم الطري ... وارتاح لمثواه في غرفة منشرحة نظيفة ، وأقبلت فناجين الشاي كأنها أكواب من لجين ... " (١) .

وهذه اللغة الشعرية في الرواية هي ما حدا بأحد النقاد إلى القول عن الكاتب :

" أما الأستاذ السباعي في تعبيره فهو شاعر وإن لم يدع الشعر ، شاعر وإن لم نسمع له بيتاً واحداً ، يترك نفسه على سجيتها ... فيأتي تعبيره شعراً مرسلاً محلقاً كأحسن ما يكون التحليق والرفرفة والجمال " (٢) .

ويستشهد ذلك الناقد على ما ذهب إليه في قوله السابق بمقطع من رواية فكرة يقول :

" أسمع إلى السباعي وهو يرسل الشعر إرسالاً :

أحب الليل في هدوئه الغافي .

والقمر تغشاه غمامة شفافة .

والأفق المترامي لا يحده البصر .

أحب الجبال الشامخة كأنها تعبر عن كبريا صامتة .

والسهول المنبسطة كأنها مطرزة بالوشي .

والمجاري الصافية يترقرق فيها ماء عذب .

أحب البكور تشقشق فيه العصافير المغردة .

وأحب الشمس في ضحوتها تظللني من سعيرها دوحة فينانة ... " (٣)

فالمقطع السابق هو مأخوذ من رواية فكرة (٤) ويلحظ أن الجزء الأول من مرصاد الفلالي قد " اقتصر على أثني عشر شاعراً وناثراً واحداً سحبه الفلالي لعالم الشعراء " (٥) وهذا الناثر الوحيد هو السباعي .

---

(١) فكرة ، ص ١٠٣ .

(٢) إبراهيم فلالي ، المرصاد ، مرجع سابق ، ص ٧٨ .

(٣) المرصاد ، ص (٧٨- ٨٠)

(٤) انظر رواية فكرة ، ص (٤٢ - ٤٣) .

(٥) د. عبد المحسن القحطاني ، مرصاد الفلالي وإنجاز النقد المبكر ، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد الرابع عشر الجزء الثالث ، شوال ١٤١٥هـ ، مارس ١٩٩٥م ، ص ٢٦٢ .

واعتماداً على ما سبق ذكره، نقول لقد سرت في كثير من مقاطع الرواية سـرداً وحـواراً موسيقى خفية ، جعلتها أقرب إلى العمل الشعري ، وذلك حينما تصف الطبيعة أو تحـاول أن تحلل المشاعر وتصورها ، وتخلط تلك الصور للطبيعة بنفسية الشخصية، مع اعتماد أسـاليب المجاز والبديع ، مما ساعد على خلق المناخ الفني الشاعري في الرواية .

وبما أن هذه الرواية هي باكورة إنتاج الكاتب كما سبق وأشرت فينطبق على الكـاتب هنـا قول أحد النقاد إنه :

" قلما نشأ كاتب إلا وكانت بواكير فنه أميل إلى الرومانسية التي تنعكس عليها أحـلام الـهوى والشبـاب ، فـإذا الكتّاب في هذه الفترة من بداية حياتـهم الأدبيـة شـعراء وإن كـانوا لا يشعرون "[1] . وهذا يفسر لنا سيطرة النزعة البيانية والجمالية على الرويات العربيـة الأولـى والرواية في هذه الخاصية تشبه إلى حد كبير رواية (زينب) لمحمد حسين هيكل [2] وقصـة الأجنحة المتكسرة لجبران مثلاً . [3]

---

(١) د. سيد حامد النساج ، تطور فن القصة القصيرة في مصر ، مكتبة غريب ، القـاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٠م ، ص٣٠٠ .

(٢) طه وادي ، مدخل إلى تاريخ الرواية ، دار النشر للجامعات ، القـاهرة ، ط٢ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م ، ص (٣٤ – ٣٥) ، وانظر د. سيد النساج ، تطوير فن القصة القصيرة ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .

(٣) عيسى الناعوري ، أدب المهجر ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ .

ثانياً : رواية (فلسفة الجن)

١-مقدمة (تمهيد وعرض)

٢-المضامين والطرح الرومانسي .

٣-البناء الفني :-

أ. السرد والأحداث.

ب. الإطار التراثي والمضمون العصري .

ج. الحوار .

د. الزمان والمكان .

ه. الشخصيات .

٤- ملاحظات أخرى .

فسلفة الجن

يمزج هذا الكتاب بين أسلوبي المقالة والرواية حيث إن بناء الكتاب قائم في إطاره العام على رحلة من عالم الإنس إلى عالم الجن. رأيت -وعلى مضض- أن أدخله تحت باب الرواية وذلك إضافة لما اشتمل عليه من عناصر قصصية أخرى، تمثلت في الشخصيات وبعض مظاهر الصراع الداخلي، من خلال المقارنة بين عالمي الجن والإنس وبدايتها بمقدمة ثم انتهاء بخاتمة مفتوحة .

وهذا الرواية صدرت في عام ١٣٦٨هـ [١] أي في العام الثاني لصدور الرواية الأولى فكرة، وهي تقع في نحو (١٣١ص) وتبين لي أن الكاتب نشر بعض فصول هذه الرواية في مجلة المنهل [٢] قبل أن يصدرها في كتاب .

وتتلخص هذه الرواية في رحلة قام بها الراوي إلى عالم الجن، وأخذ يحدث صاحبه في عالم الإنس عما يشاهده في ذلك العالم، من خلال الرسائل التي يبعث بها إليه عن طريق (طفوان). ذلك الجني الذي قام بدور ساعي البريد بين الراوي في عالم الجن وبين صاحبه في عالم الإنس، وهو في كل رسالة غالباً ما يناقش فيها مع صاحبه موضوعاً ما، أو فكرة معينة من خلال الأحداث التي تجري للراوي في عالم الجن، وهو ينحو فيها بطريقة أو بأخرى إلى المقارنة بين العالمين ، عالم الجن يمثل في نظره عالم المثل، وبين عالم الإنس المناقض لذلك العالم، وهكذا تستمر الرسائل بين الصاحبين إلى أن تكون نهاية الرواية متمثلة في زواج الراوي بإحدى فتيات ذلك العالم الغيبي، لتكون نهايتها بإيضاح الراوي لصديقه الطريقة التي يستطيع من خلالها اللحاق به إلى عالم الجن، عالم المثل بعد أن أبدى ذلك الصاحب رغبته ورغبة الكثيرين من حوله في الانتقال مع الراوي إلى ذلك العالم الغيبي .

---

(١) عن دار التأليف في القاهرة ، وانظر يحي ساعاتي ، الأدب العربي في المملكة ... ببليوجرافيا ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ ويلحظ أنه أدرجها تحت أعمال المقالة .

(٢) انظر مجلة المنهل فصل بعنوان (في فلسفة الحب) المجلد الثامن ، ج١١ - ١٢ ، القعدة والحجة ١٣٦٧هـ ص.ص (٥٠٥ - ٥٠٨) فهو في الأصل مستل من هذه الرواية ، قارنه بما ورد في هذه الرواية ص.ص (٧٢ - ٨١) .

وانظر فصل بعنوان : (فلسفة الجن !!) ، المجلد التاسع ج٧ ، رجب ، ١٣٦٨ ص. ص (٢٩٨-٣٠٠) وقارنه بما ورد في هذه الرواية ، ص. ص (١٣ - ١٥) ، وص ص (٢١ - ٢٢) .

وسنتناول هذه الرواية من خلال المباحث التالية :-

١- الأفكار والمضامين :

هذه الرواية اعتمدت أسلوب الرسائل، وكل رسالة في الغالب تتضمن طرح موضوع أو فكرة معينة، ومن هنا فإن المضامين التي اشتملت عليها هذه الرواية متعددة بتعدد تلك الرسائل وتلك الأفكار والمضامين، وهي في حقيقة الأمر تماثل في أغلبها ما تم طرحه من قبل الكاتب في روايته الأولى (فكرة)، التي سبقت الإشارة إليها بأسلوب أو بآخر، أو تماثل في بعضها الآخر ما سبق وأن طرحه الكاتب في مقالاته التي كان ينشرها في (صوت الحجاز)، بل يمكن القول بأن فكرة الرواية هي تطوير لفكرة مقال نشره الكاتب في صوت الحجاز تحت عنوان : (في الراديو) وسبق أن وقفنا عنده أثناء حديثنا عن المقالة [١]، والرسائل التي تضمنتها الرواية تبلغ (٣٠ رسالة)، وعليه يمكن أن نقول بأن كل رسالة تمثل فصلا، اعتمد فيها على طريقة الترقيم بدون أن يعنونها، بالإضافة إلى فصل أخير عنونه بـ (قبضة من آثار الجن) ونوجز في السطور التالية مضامين تلك الرسائل التي تمثل مضامين الرواية .

الرسالة الأولى [١] :- [٢]

يخبر الراوي صديقه في عالم الإنس بأنه انتقل إلى عالم الجن بطريقة (ما)، ويوضح له بأن عالم الجن يختلف اختلافا كاملا عن الصورة الموجودة في أذهاننا عنه، والمتمثلة في أنه عالم صاخب عات ، بينما الحقيقة كما صورها الراوي عن ذلك العالم لاحقا هي أن : " في كثير منهم من الدماثة ولين الجانب ، وسعة الصدر ما ليس في كثير من بني آدم على وجه الأرض ... " [٣] وأوضح الراوي لصديقه في هذه الرسالة بأن رسائله ستتوالى، مبينا له المكان الذي يجدها فيه، مشيرا إلى أن عفريتا من الجن (طفوان) سيتولى نقلها إليه، ونقل رسائل ذلك الصديق إلى الراوي في الوقت نفسه .

الرسالة الثانية [٢] :- [٤]

وفيها ينقل الراوي لصديقه النقاش الذي دار بينه وبين عفريت من الجن (دون أن يسميه) حول السعادة وفلسفتها .

---

(١) انظر هذا البحث ، ص : ٦٣

ود. الحازمي ، فن القصة ، ص :٨٩-٩٠

(٢) فلسفة الجن ، ص (١١ - ١٢)

(٣) فلسفة الجن ، ص ١٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص (١٣ - ١٥)

الرسالة الثالثة : [٣] [١]

يحدث فيها الراوي صديقه عن حرية طرح الآراء والنقاش حولها في ذلك العالم الغيبي والذي هو مبدأ من مبادئ عالم الجن .

الرسالة الرابعة: [٤] [٢]

يحدث صاحبه عن أسلوب التعليم وطرق التدريس في عالم الجن، وينتقد في الوقت نفسه أسلوبهما في عالم الإنس، وذلك على لسان جني وصفه بأنه حامل للأخشاب اختلط بكثير من مدارس ومعاهد عالم الإنس، وتبين له من خلال ذلك الكثير من سلبياتها .

الرسالة الخامسة : [٥] [٣] .

تمثل رسالة تطمين من قبل الراوي لصاحبه عن أحواله وأوضاعه في ذلك العالم .

الرسالة السادسة : [٦] [٤]

تحدث فيها عن ظاهرة (الحرب)، موضحاً مساوئها مرغباً في السلم وداعياً إليه، وأورد كل ذلك الحديث على لسان أستاذ فلسفة من فلاسفة الجن، وقد طال حديث ذلك الأستاذ عن تلك الظاهرة إذ بلغ ما يقارب (ست صفحات) .

الرسالة السابعة [٧] [٥]

يحدث الراوي صاحبه عن قضية الإفراط في عالم الإنس، والتي شملت شتى مناحي الحياة وهذه الظاهرة كرستها في رأيه كثير من المؤلفات التاريخية والأدبية .. وهذا النقد لعالم الإنس ورد على لسان الراوي نفسه .

الرسالة الثامنة [٨] [٦] .

يحدث الراوي صاحبه عن فتاة من حسان الجن، أعجب بها ويصف له محاسنها .

الرسالة التاسعة [٩] [٧]

يصف لصاحبه أول لقاء جمعه بتلك الفتاة المسماه (هبوب) .. والتي انتقدت في حديثها معه بعض أخلاق الإنس، فحاول هو بدوره أن ينتقد بعض أخلاق الجن... فردت عليه كلامه.

---

(١) ١٩ - ٢٠

(٢) ٢١ - ٢٣ .

(٣) ٢٤ .

(٤) ٢٥ - ٣٠

(٥) ٣٣ - ٣٥ .

(٦) ٣٦ - ٣٧ .

(٧) ٣٨ - ٤٢

الرسالة العاشرة [١٠] [١]

يحادث الراوي صاحبه عن بعض أخلاق الإنس وينتقدها، إذ إنها تفتقد النزاهة .

الرسالة الحادية عشرة [١١] [٢]

يحادث الراوي صديقه عن (هبوب) مبيناً له أنه يبحث عنها منذ ثلاث ليال ولم يجدها فاستعاض عن ذلك بمناجاة خيالها ...

الرسالة الثانية عشرة [١٢] [٣]

يطمئن فيها صاحبه على أوضاعه، ويطلب منه أن ينقل ذلك إلى والدته (والدة الراوي)

الرسالة الثالثة عشرة [١٣] [٤]

ينقل لصاحبه النقاش الذي دار بين أفراد من الجن في إحدى ندواتهم، وشمل النقاش فيها الحديث عن فكرة (الحظ)، وعن الحسيات والغيبيات، وقد ورد ذلك الحديث والنقاش في مجمله على لسان (أستاذ من الجن) .

الرسالة الرابعة عشرة [١٤] [٥]

يصف فيها لصاحبه ندوة حافلة بجماهير متعددة من الجن حضرها (الراوي)، ويشير إلى أنه كان يتطلع لأن يجد فيها تلك الفتاة (هبوب) ولكن ذلك لم يحدث .

الرسالة الخامسة عشرة [١٥] [٦]

أوصل فيها ما انقطع من حديث الأستاذ الجان عن (فكرة الحظ والمحظوظين)، والذي لم يستكمله ذلك الأستاذ في ندوته السابقة المشار إليها في الرسالة الثالثة عشرة [١٣]

الرسالة السادسة عشرة [١٦] [٧]

تحدث فيها عن لقائه (بهبوب) ناقلاً ما دار بينه وبينها من حوار طويل شمل موضوعات شتى كالحديث عن الحب والجمال والفتنة وغير ذلك .

---

(١) ٤٥ - ٤٧ .

(٢) ٤٨ - ٤٩

(٣) ٥٠ .

(٤) ٥١ - ٥٧ .

(٥) ٥٨ - ٥٩ .

(٦) ٦٣ - ٦٥ .

(٧) ٦٦- ٦٩ .

الرسالة السابعة عشرة [١٧] [١]

وفيها تجدد لقاء الراوي (بهبوب) فوصف ذلك لصاحبه، ونقل ما دار بينهما من حوار حول فلسفة الحب والجمال .

الرسالة الثامنة عشرة [١٨] [٢]

يتحدث فيها عن لقاء جديد جمعه (بهبوب) استكملا فيه الحديث حول ما أثارته لقاءاتهما السابقة من موضوعات وأفكار مختلفة .

الرسالة التاسعة عشرة [١٩] [٣]

يحادث الراوي صديقه عن (فكرة الحب) بحسب نظرة البشر إليها، وهي نظرة مغلوطة فينتقد تلك النظرة وبين وجهة نظره فيها .

الرسالة العشرون [٢٠] [٤]

يتحدث عن الفوارق الطبقية في عالم الإنس، على لسان (ساطور عميد أسرة من أسر الجن العريقة) .

الرسالة الحادية والعشرون [٢١] [٥]

يحادث صاحبه عن انعدام الفوارق الطبقية في عالم الجن، ويقارن بين ذلك والموجود في عالم الإنس، وهذا الحديث جاء على لسانه - الراوي - ولسان صاحبه (الجني) ولسان (ساطور) عميد أسرة من الجن ، وعلى لسان شيخ من مشايخ الجن (دهشور) وكل هذا الحديث دار في الحلقة العلمية لذلك الشيخ .

الرسالة الثانية والعشرون [٢٢] [٦]

يحادث صاحبه عن بعض الممارسات في عالم الجن وبين فوائدها، كالتنزه والاستجمام وممارسة الألعاب الرياضية، والتي يعرض عنها أهل الأرض لفرط جهلهم بفوائدها .

الرسالة الثالثة والعشرون [٢٣] [٧]

تحدث الراوي إلى صديقه عن لقاء جديد له مع (هبوب)، ويعلمه بما دار بينهما من أحاديث تمثلت في تلك الأحاديث المشار إليها أعلاه .

---

(١) ٧٠ - ٧٥ .

(٢) ٧٦ - ٨٢ .

(٣) ٨٣ - ٨٤ .

(٤) ٨٥ - ٨٨ .

(٥) ٩١ - ٩٣ .

(٦) ٩٤ - ٩٦

(٧) ٩٧ - ٩٩ .

الرسالة الرابعة والعشرون [٢٤] [١]

واصل الراوي حديثه عن (هبوب)، كما ناجى فيها صديقه حول الحب ومعانيه ومعاناة المحبين

الرسالة الخامسة والعشرون [٢٥] [٢]

تحدث الراوي فيها إلى المروى له، عن تقدمه إلى ذوي (هبوب) لخطبتها ، ثم عن زواجه بها، واصفاً حفل الزواج مقارناً بينه وبين حفل الزواج في عالم الإنس وبين مظاهر الفرح في العالمين .

الرسالة السادسة والعشرين [٢٦] [٣]

وصف فيها لصديقه (زفة عرسه) وقارن فيها بين أزياء نساء الجن ونساء الإنس في مثل هذه الحفلات ، فالأولى قائمة على البساطة والذوق الرفيع والثانية قائمة على التكلف والتبذير، مجانبةً للذوق الرفيع .

ونقل الراوي طرفاً من الأحاديث التي دارت بينه وبين نساء من الجن حضرن (زفة عرسه بهبوب) وكان مدار الحديث حول أزياء نساء الإنس، حيث أغرق نساء الجن أثناء ذلك الحديث في الضحك والاستهزاء بأترابهن من الإنس .

الرسالة السابعة والعشرون [٢٧] [٤]

يشكر في بدايتها صاحبه على تهنئته له بزواجه من (هبوب) ويبين له بأن استهواءه لهذا العالم المجهول ليس بسبب فتنة (هبوب) وجمالها، بقدر ما يرجع ذلك إلى عشقه للحياة الفاضلة القائمة في ذلك العالم يقول : " لقد استهوتني حياة فاضلة لا تصادفني عندكم في غير كتب التهذيب ، ولا ألتمسها في غير القصص الأخلاقية التي تتخطى الواقع وتضرب في بيداء واسعة من الخيال ، أعجبني في حياة الجن هنا أنهم يحتفون بالعدل بين الطبقات ولا يدينون بالالتزامات التي يدين بها الضعفاء عندنا ... وهم بهذا لا يريدون محلاً للمفاضلة بين عامل في برجه المشيد وآخر يضرب بفأسه في جذذ الأرض)) [٥]

---

(١) ١٠٠ - ١٠٤ .

(٢) ١٠٥ - ١٠٩ .

(٣) ١١٣ - ١١٥ .

(٤) ١١٦ - ١١٨ .

(٥) ١١٦ - ١١٧ .

الرسالة الثامنة والعشرون [٢٨] [١]

تحدث فيها عن بعض أخلاق الجن المتمثلة في الوضوح والصراحة والصدق، البعيدة عن المجاملة والخداع والكذب القائمة عليها أخلاق الإنس .

الرسالة التاسعة والعشرون [٢٩] [٢]

يبدي لصديقه إعجابه وفرحه عندما علم برغبة ذلك الصديق وجماعة آخرين من عالمه الإنسي في الانتقال إلى عالم الجن ، فقد استهوتهم حياة ذلك العالم كما استهوت الراوي من قبلهم .

الرسالة الثلاثون [٣٠] [٣]

يشرح فيها الراوي لصديقه الطريقة التي يتم بها ومن خلالها انتقاله هو ومن يرغب من عالم الإنس إلى عالم الجن، وتمثلت تلك الطريقة وكيفيتها في قوله :

" إنها سوف لا تكلفكم أكثر من أن تتوجهوا بكل قواكم العقلية إلى عالمهم ، وتصبوا عليه جميع طاقتها من التفكير، وعندئذ يشعر الهاوي منكم أن صوراً خيالية تستهويه وتحبب إليه العزلة والانفراد .. فإذا أسلس تأملاته لما يتخيل من الصور رأى أرواحاً غير منظورة تتكشف له فإذا ترسم خطاها وولج في آثارها ، فسينتهي المطاف به إلى الآباد التي أعيش فيها بعين أغوار الجن وآفاقها المجهولة " [٤] .

أما الفصل الأخير في الرواية قعنون له الكاتب بقوله : –

" قبضة من آثار الجن " [٥]

وهو يقع في نحو (ثمان) صفحات، واشتمل على نحو (٣٥) عبارة وخاطرة مرسلة من إنشاء الكاتب ، أجمل فيها فحوى مضامين تلك الرواية في عبارات موجزة ولغة سهلة واضحة موحية في أغلبها ...

وقال في بداية ذلك الفصل : " لعله بعد أن قضى ردحاً طويلاً بين فدافد الجن تأثرت أفكاره بفلسفتهم في الحياة ، وتركت قلمه يرسل هذه الشذرات " [٦] .

ومن شذراته تلك نورد النماذج التالية : –

---

(١) ١١٩ – ١٢٠

(٢) ١٢١ .

(٣) ١٢٢ .

(٤) ١٢٢ .

(٥) ١٢٣ – ١٣١ .

(٦) فلسفة الجن ، ١٢٣ .

كقوله : " إذا أغلقت عليك بعض المعاني ، فذلك ذنبك قبل أن يكون ذنب المعاني " [١]

وكقوله : " القوة في غير ظلم ، والعزة في غير كبرياء ، والرشاقة في غير تكسر ، صفات الرجل الذي لا يظفر التاريخ به إلا مرة واحدة في كل ألف سنة " [٢] .

وكقوله : " رأيتك تتفح المرائي . فلم أدر أيكما أبلغ في الخداع والرياء " [٣]

وكقوله : " ليس الإسلام نصوصاً تجود تراتيلها ، ومتوناً تستظهر أسانيدها ، وطقوساً ترائي الناس بها ، وليس في قلبك منها إلا رصيد التاجر الفاجر .. إنما الإسلام عقيدة ينطوي عليها ضميرك ، فترهف أحاسيسك ، وتشذب سلوكك ، وتطبعك على خير ما يطبع به عبد الله الصالح " [٤] .

وكقوله : " بعض الزاهدين في متع الحياة والمترفعين عن مسايرة الركب فيها .. يسترون إحساسهم بالعجز عندما ينتحلون القناعة مرة ، والترفع مرة أخرى " [٥]

وكقوله : إذا لم تكن ثمرة فكن سلّماً ، أو مسماراً في السلّم " [٦] .

وكقوله : " ليس الأرض المسبعة هي التي تهددها وحوش ضارية ، ولكنها التي يجاورك فيها قوم لا تعرف غيلتهم " [٧] .

وكقوله : " لا تراودني عن محبتك . ولكن أحببني ثم انظر ماذا أفعل " [٨]

٢ ــ المضامين والطرح الرومانسي :

سبق وأن أفضنا في الحديث عن الطرح الرومانسي عند الكاتب من خلال روايته (فكرة) كما مر بنا، ونلحظ أن تلك الرؤية الرومانسية في طرح الأفكار ومعالجتها تنسحب على طرح الكاتب في هذه الرواية أيضاً، وبما أن أغلب الأفكار في هذه الرواية هي بمثابة تكرار بشكل أو بآخر لما طرحه الكاتب في روايته الأولى، كما سبق وأشرنا إلى ذلك فإننا لن نتوقف طويلاً

---

(١) فلسفة الجن ، ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٣١

عند تأصيل هذه النقطة هنا، وذلك اعتماداً على ما سبق وذكرناه هناك ... وسنشير إلى بعض الملامح الرومانسية الجديدة التي اشتملت عليها هذه الرواية ...

من أبرز تلك الملامح ما اشتملت عليه الرواية من خيال، إذ هي رحلة في عالم الجن (عالم المثال والمثل) من خلال خيال رومانسي، ذلك الخيال الذي يحلق في أجواء بعيدة بحثاً عن السعادة المنشودة .. فالخيال الرومانسي يعد وسيلة من وسائل التسامي بالنفس الإنسانية .. يحملها على التسامح والغفران ، بل والتعزي عن محن الحياة [١] .

ذلك التسامي الرومانسي يتمثل في التحرر والانطلاق الوجداني ، ومؤدى هذه الفلسفة الرومانسية ، يكمن في " أن تحرير الإنسان من (الداخل) فيه تحرير من (الخارج) فالنظم الجائرة والأوضاع الظالمة تنتفي انتفاء تلقائياً في مجتمع يلتقي أفراده على صعيد واحد من صدق الرؤية وصحة المشاعر والوجدان ... " [٢]

وهذا ما حاولت الرواية أن ترسمه ... فالرومانتيكيون يقفون من قضية التحرر : "الموقف المثالي أو الموقف الخيالي بلغتهم هم في السمو والكشف ... وهذا الموقف المثالي أو المتعالي ... هو أخص خصائص الرومانتيكية من جراء إيمانهم بالنظام العلوي أو عالم (الماوراء) وهو عالم الخير والحق والجمال ... " [٣]

وهذا التسامي كان من أبرز البواعث عند الرومانسيين في البحث عن بدائل للواقع الذي يعيشونه بالتشوق إلى مدن فاضلة ، مدن وهمية لا جود لها ، ذات طابع رومانسي خالص ، يخلقونها ثم يهربون إليها [٤]، مثلما فعل الراوي في هذه الرواية إذ رحل إلى عالم آخر ، عالم الجن الذي يمثل له العالم المثالي ومن ثم نقل إلينا بعض مظاهر الحياة فيه ... وهذه الرواية مزجت في بنائها بين الحكاية الشعبية والخرافة كما سيتضح لنا لاحقاً ، وعليه فإن " الحكاية الخرافية التي تهدف إلى الوصول بالبطل إلى الحياة الكاملة الجملية ، والتي تستخدم أسلوباً سحرياً في سبيل تحقيق ذلك [كالذي حدث في هذه الرواية] تعد بلا شك نمطاً رومانسياً بين أنماط التعبير الشعبي " [٥]

---

(١) د. محمد مندور ، الأدب ومذاهبه ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٨١ .

(٢) (٣) د. حلمي مرزوق ، الرومانتيكية والواقعية في الأدب الأصول الإيديوجية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص.ص (٤١ – ٤٢) .

(٤) د. مختار أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، رقم (١٩٦) ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، ص ٢٦٣ .

(٥) د. نبيلة إبراهيم ، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٦٩ .

أما من حيث المصادر التي استمد منها الكاتب هذه الرؤيـــة فـــي طرحـــه ومعالجتـــه للمضامين التي شملتها روايته، فيبدو لي أنه تأثر في ذلك بآراء مجموعة من الأدبـــاء العـــرب المعاصرين ، يأتي في طليعتهم مصطفى صادق الرافعي ، وتمثل تأثر الكاتب بـــالرافعي فـــي مثل حديثه عن فلسفة الجمال والحب ، وعن السعادة وفلسفتها ، وعن الحـــظ والمحظوظيـــن ، وعن الحرب والسلم وعن الماديات والغيبيات ... فهو في هذه الموضوعـــات يـــنزع مـــنزع الرافعي في أحاديثه عنها في كتبه الشهيرة، والتي جنح فيها الرافعي إلى الكتابة بأسلوب وفكـــر فلسفي. فالرافعي أفرد للحديث عن فلسفة الجمال والحب كتاباً خاصاً بذلـــك ألا وهـــو كتابـــه (رسائل الأحزان)، خلافاً عن أحاديثه المتفرقة في كتبه الأخرى عـــن ذلـــك الموضـــوع [١] وعرض الرافعي في بعض كتاباته للحديث عن الحظ [٢] وعن الحرب [٣] وعـــن الســـعادة [٤] وعن الماديات والغيبيات [٥] فالكاتب في روايته هذه لم يستطع الإفلات من تـــأثره بـــالرافعي، حول ما كتبه في هذه الموضوعات المشار إليها أعلاه ... ومما لا شك فيه أن طرح الكـــاتبين لهذه الموضوعات يختلف عمقاً وأسلوباً، حيث كان طرح الرافعي لها عميقاً وقوياً بينمـــا أتـــى طرح السباعي بسيطاً وسهل المنال، وأسلوب الرافعي تميز أيضاً بالقوة وإن كان فـــي بعـــض المواضع جنح إلى الغموض والتعمية، بسبب إغراق الرافعي في الرمز والإيحاء . بينما كـــان أسلوب السباعي واضحاً لا تعمية ولا غموض فيه .

كما تأثر الكاتب في بعض ما طرحه من أفكار بآراء جبران خليل جبران ولا أدل على ذلـك من استشهاده ببيت شعر لجبران ، جاء ذلك على لسان الراوي وهو يحدث صديقه في إحـــدى رسائله إليه عن افتقاد البشر للنزاهة، ثم أورد في عرض ذلك الحديث بيت الشعر التالي :-

" والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا

به ويستضحك الأموات لو نظروا " [٦]

---

(١) وبخاصة في كتابيه (أوراق الورد ، والسحاب الأحمر)

انظر مثلاً كتابه أوراق الورد رسائلها ورسائله) ، دار الكتاب العربـــي ، بـــيروت ، ط١٠ ، ١٤٠٢هـــ ، ١٩٨٢م . وانظر كتابه: (رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢ م .

(٢) انظر مثلاً كتاب (المساكين) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، ص. ص (١٩٨ - ٢١٢) .

(٣) انظر كتاب المساكين ، مرجع سابق ، ص.ص (٢١٣ - ٢٣١) .

(٤) انظر مثلاً كتاب (حديث القمر) ، دار الكتاب العربي ، بـــيروت ، ط٨ ، ١٤٠٢هـــ ، ١٩٨٢ ، ص. ص (٣١ - ٤٢) ، وكتاب المساكين ، ص.ص (١٢٢ - ١٤٤)

(٥) انظر مثلاً كتاب ، حديث القمر ، مرجع سابق ، ص. ص (٦٥ - ٧٧) .

(٦) فلسفة الجن ، ص ٤٧ .

والبيت هو أحد أبيات قصيدة جبران الطويلة الموسومة بـ (المواكب) [1]

كما أن ذلك الفصل الأخير من الرواية والمعنون بـ (قبضة من آثار الجن)، والمتمثل في شذرات وعبارات يحاول الكاتب أن ينحو فيها منحى المثل والحكمة ، يذكرنا بما كتبه بعض المهجريين في هذا المجال ، ... وبخاصة أمين الريحاني في (بذور للزارعين) وجبران خليل جبران في (رمل وزبد) وميخائيل نعيمة في (كرم على درب) [2] .

فحاول الكاتب أن يسلك مسلكهم في هذا المجال، لاسيما وأنه كان يحتفي بما يكتبه المهجريون وبخاصة جبران كما ذكر ذلك في سيرته، ويعد من نافلة القول الإشارة إلى اختلاف الطرح بين الكاتب وأولئك المهجريين أسلوباً وعمقاً وفلسفة حياة ، لم يستطع الكاتب مجاراتهم في كل ذلك **ومما يعاب على بعض الأفكار المطروحة في هذه الرواية** ، عدم وضوحها ، وربما يرجع ذلك إلى عدم إحاطة الكاتب بها ، أو إلى شدة انفعاله أثناء كتابته لها بفعل ذلك الخيال الواسع والوثاب ، وذلك كما في حديثه عن الحسيات والغيبيات .

كما يمكننا القول بأن طرح الكاتب لبعض الموضوعات في روايته كان صادراً عن معاناة شخصية وذلك كحديثه عن (الحرب)، فجو الحرب العالمية الثانية الذي عايشه الكاتب بأهواله ومآسيه كان له أثره الكبير في تشكيل حديث الكاتب وتوجيهه .

٣ ــ البناء الفني:

أ ــ السرد والأحداث :

البناء السردي لهذه الرواية قام على عدة (تقنيات) فنية تمثلت في :-

الراوي / المرسل ، والمروي له / المرسل إليه ، وأحداث تروى / الرسالة ، وساعي البريد الواسطة التي تنقل الرسائل بين الراوي والمروي له، والمكان الذي توضع فيه الرسائل (صندوق البريد) والزمان الذي يتم تسلمها فيه .

أما الراوي فتمثل في ذلك الشخص الذي تسامى حتى اندمج في عالم غيبي، وهو عالم الجن

أما المروي له فتمثل في صديق لذلك الراوي بقي في عالم الشهادة ، عالم الإنس ، يتلقى رسائل الراوي وقد يبادله الرسائل أيضاً .

أما الأحداث المروية فقد تمت من خلال تلك الرسائل التي كان يبعث بها الراوي / المرسل إلى المروي له (المرسل إليه)، وتتضمن مشاهدات ذلك الراوي في ذلك العالم الغيبي

---

(١) جبران ، الأعمال الكاملة ، مرجع سابق ، (المواكب) ٣/ ٨٥ .

(٢) حول المثل في أدب المهجريين السابق ذكرهم ، انظر : د. عبد الكريم الأشتر ، فنون النثر المهجري ، مرجع سابق ، ص . ص (٢٤٦ – ٢٦٢) .

والأحداث التي مرت به هنالك، أما الواسطة (ساعي البريد) فقد أوكل الكاتب هذه المهمة إلى عفريت من الجن أسماه (طفوان) .

أما زمان ومكان تسليم الرسائل، وطريقة ذلك فقد عبر عنها بقول الراوي لصديقه : ((وسوف لا يمنعني الاستمرار في الرسائل إليك مانع ، ما استمر صديقي (طفوان) ناشطاً في قيامه بمهمة البريد بيني وبينك ، وما دمت تكلف نفسك في صباح كل يوم ، بتسلم رسالتي من بيت الدجاج ، تحت النافذة الشرقية ، وليس من شيء يمنعك من الكتابة إليّ كلما عنّ لك ذلك على أن تودع ما تكتب بيت الدجاج ، مغلفاً بدقيق الأرز، لأنهم هنا يكرهون رائحة الصمغ ، وأن يكون معنوناً باسمي واسم جدتي لأمي " [1] .

ويلحظ أن هذا البناء السردي مستمد من البناء السردي للخرافة : " إن ثنائية النطق والاستماع التي تحيل إلى ثنائية الراوي والمروي له ، هي الموجه الأساسي للبنية السردية في الخرافة ... " [2] .

كما يلحظ أن كل الرسائل تبدأ بصيغة موحدة إلى حد كبير، حيث تبدأ بعبارة (صديقي طابت حياتك)، أو (صديقي عشت ..)، أو (صديقي سلمت ..)، أو (صديقي لك الهناء)، أو (أخي سلمت وسعدت)، أو (أخي طابت حياتك)، أو (يا صاحبي أتمنى رؤيتك)، أو ما شابه ذلك، ويلحظ أن الراوي / المرسل في هذه الرواية هو من نوع الراوي المتماهي مع مرويه أي أن الراوي : " شاهد في الفعل القصصي ومشارك فيه .. " [3] فهو يباشر الرواية بنفسه ، ومن خلال منظوره الخاص لما يجري ، وساعد هذا في إعطاء الأحداث نوعاً من الترابط إلى حد ما ، كما عكست هذه التقنية الفنية تفاعل الراوي مع ما يرويه تفاعلاً وجدانياً... وأعطاه مساحة لترتيب مشاهد السرد، وطرح الأفكار التي يريد طرحها ، دون أن يعنى بالأصول الفنية للرواية من صراع وذروة، واختلاف في مواقف الشخصيات وحلول ... ولكن هذه التقنية الفنية من جهة أخرى جعلت الرواية تتسم بضعف بيّن في بنيتها السردية ، فأسلوب الرسائل لا يكون حكاية روائية بالمفهوم الفني لها [4] .

---

(١) فلسفة الجن ، ص ١١ .

(٢) د. عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ م ، ص ٩٩ .

(٣) د. عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٤) د. عثمان عبد الفتاح ، بناء الرواية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

ويرى بعض الدارسين أن الكاتب عندما يستخدم أسلوب الرسائل ليكتب به الرواية كلـــها أو جزءاً منها إنما يهدف من ذلك إلى إيهام القارئ بأن : " ما يقصه قد حدث بالفعل ... " (١) .

واتسم السرد بلغة وصفية في الغالب، وذلك كوصفه لبعض الشخصيات كمـــا سـنعرض لذلك لاحقاً ... ونلمس أنه يجنح في مرات قليلة إلى التحليل انطلاقاً من المقارنة التي هدفـــت الرواية إلى إقامتها ابتداء بين عالمي الإنس والجن ... والحقيقة أن رواية الرســـائل " تجمـع باستمرار بين ما يسمى في لغة الإعلام الإذاعي بالبث المباشر على الهواء ، والمونولوج شـبه الداخلي، وتفسير الحادثة بعد وقوعها ، هنا نجد الراوي يظل هو البطل وشخصاً آخـــر غـيره في الوقت نفسه .. " (٢) .

والرواية كما أشرنا سابقاً قائمة على أسلوب الرسائل المتبادلة بين الراوي والمروي لـــه / المرسل والمرسل إليه. ولكن الرواية لا تقف عند رسائل المرسل إليه، وإنما يأتي ذلك عرضـاً، أو بهدف بسط وإيضاح فكرة وموضوع سبق طرحه في رسالة سابقة، فتكون الرسالة اللاحقـة لها متضمنة إشارة المرسل إليه عن الرسالة السابقة لها، فالراوي فـي الروايـة مثـلاً حـدث صديقه في إحدى رسائله عن إعجابه بتلك الفتاة فعندما وصلت تلك الرسالة إلى صديقه وقرأهـا كأنه عاتبه على ذلك الأمر، مما جعل الراوي في الرسالة التالية يوضح لنا ذلك العتاب الـــذي وجهه إليه صديقه في رسالة يفترض أنه تسلمها منه، ونحن لا نعلم عنها شيئاً ســـوى إشـارة الراوي إليها بقوله في بداية رسالته التالية :

" أخي : طابت حياتك : تلقيت خطابك من مكانه في حضيرة الدجاج ، وآنسني عتابك الـــودي فيما أسميته نكسة القلب المريض ، والواقع أن مثلي ... " (٣)

وبلغ عدد الرسائل كما مر بنا (٣٠) ثلاثين رسالة، وهي تختلف فيما بينـــها مـن حيـث الطول والقصر .. فأطول رسالة هي الرسالة الثالثة عشرة والرسالة الثامنة عشرة، وبلغ عـــدد صفحات كل واحدة منهما نحو[٧] سبع صفحات، بينما أقصر رسالة هي الرسالة الخامسة إذ لـم تتجاوز بضعة أسطر. فهي عبارة عن رسالة تطمين، لا تحمل بداخلها أفكاراً أو أحداثاً ، أمـــا أغلب الرسائل فيمكن القول بأنها تراوحت ما بين [٣] ثلاث صفحات إلى [٥] خمس صفحات.

---

(١) د. طه وادي : جماليات القصة والرواية الحديثة ، مجلة المنهل العدد الســـنوي ، شـوال وذو القعـدة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م ، ص ٢٧٧ .

(٢) د. السيد إبراهيم ، نظرية الرواية ، دراسة المناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القـاهرة، ١٩٩٨م ص، ١٥٣

(٣) فلسفة الجن ، ص ٣٨ .

أما الأحداث وحركتها ، فالرواية ابتداءً لا تصور صراعاً حقيقياً، وعليه فإنها لا تقوم أفعالـــها على حبكة معينة تتطور باتجاه ما، من خلال شخصيات تتصرف تصرفات منطقية أو واقعيـــة أو خلاف ذلك ، فما الشخصيات إلا دمى يحركها المؤلف كيفما شاء، فهي بمثابة رموز لفكـــرة معدة سلفاً ، قسرها المؤلف لتنفيذ تلك الفكرة ، فنحن لا نحس بحركة للأحداث في هذه الروايـــة ،عدا ما ذكره الراوي في بداية الرواية عن انتقاله إلى ذلك العالم، ثم وصفه الموجـــز لحركـــة بعض الأحداث التي وردت في ذلك العالم، كحديثه عن الندوات والحلقات التي كان يجتمع فيـها أفراد ذلك العالم الغيبي، وكحديثه عن لقآءاته بتلك الفتاة (هبوب)، وحديثه عن زواجه منـــها، ووصفه لبعض الألعاب التي يمارسها أفراد من ذلك العالم ، وعلى الرغـــم مـــن أن الراويـــة تصور فضاء سردياً يخرج بشكل عام عن حيز الفضاء الواقعي، إلا أننا نلحظ أن أغلب تلـــك الأحداث التي وصفها الراوي في ذلك العالم لا تخالف المنطق والواقع، بل إنها تتقاطع أحيانـــاً مع صرامته، ولا نلحظ مخالفتها للواقع إلا في مثل قول الراوي يخـــاطب (طبطـــاب) وهـــو عفريت من أصدقائه الخُلّص :

" قلت : يا طبطاب أأكلفك كثيراً إذا تمنيت عليك حملي على أكتافك في أعقاب (هبوب) ؟ فـــإن في نفسي أن أحملها على الدهشة من قدرتي على ملاحقتها وراء العدوة القصوى ، وأن أتنـــدر على حساب ذلك ما وسعني التندر والضحك ، فحملني العفريت ، فطوى بي ما بيـــن الجبـــال والقلاع من قفار متشعبة ، وشعاب قفرة ، ثم وقف بي في غمزة الفرس على حافة القاع مـــن ناحيته القصوٰى في بطن الوادي ، وتمنيت عليه أن يستميل إلى صخرة تتسع لإخفائي وراءهـــا لأنادي باسمها من مكان لا تراني فيه تندراً عليها ... " (١)

وكوصف الراوي لبعض الألعاب التي مارسها أفراد من الجن في حفل زواجـــه بـــهبوب، ومن ذلك قوله : " وقام بعض الشيوخ [وعجائزهم] على أكتاف التلال يعرضون مـــن فنونـــهم السحرية أشكالاً فيها الرائع المفزع ، والمثير المدهش ، والغريب المضحك كنت ترى أشلاءهم تتطاير في أجواز الفضاء ثم تعود في حركات بهلوانية إلى مستقرها من أجســـامهم ، وكنـــت ترى من يعمد إلى رأس صاحبه فينزعها كما ينزع البصلة من عروقها ، ثم يقذفها كأنها الكـــرة لتختلط بعشرات الرؤوس مثلها في أجواز الفضاء ، وتعود ليتناولها جســـمها مـــرة ، وغـــير جسمها أخرى ، في أوضاع قد تختلف منها مواقع الوجوه عن مواضعها إلى ما يسامت الظـــهر والجنب فترتفع ضحكات الضاحكين ، في جلبة صاخبة ، وضجيـــج يمـــلأ صـــداه الـــوادي ،

---

(١) فلسفة الجن ، ص ١٠١ .

واتخذت الفتيات الحسان بعض أشكال الطيور الشادية ، والعصافير المغردة ، وانطلقن في آفاق الوادي يرفرفن بأجنحتهن في زهو الفتيات ، ويصدحن بتغاريدهن في ألحان تذوب فيها العذوبة والرقة والجمال " [1]

ويندرج تحت هذا وصفه العجائبي لبعض شخصيات ذلك العالم كما سنعرض له لاحقاً...

وقد نلحظ أن ثمة عقدة تلم أحداث الرواية من الخارج تمثلت في تلك الصلة بين الراوي والمروي له ومن ثم ارتباط الرواية بشخصية الراوي ، بالإضافة إلى عقدة داخلية تمثلت في تلك الحكاية الغرامية التي نشأت بين (الراوي وهبوب) والتي انتهت بزواجهما ...

وبما أن الراوية قائمة بشكل أو بآخر على المقارنة بين عالمي الإنس والجن فإن الرواية تشتد شكلياً إلى نوع من الصراع ، صراع بين الواقع (عالم الإنس) وبين المثال (عالم الجن) ولكن تبقى الرواية أولاً وأخيراً وسيلة لطرح أفكار ومضامين يؤمن بها كاتبها ولا تهدف إلى السير على طريق الرواية بمفهومها الفني، وإنما اتخذ الكاتب من الرواية وإطارها وسيلة لطرح تلك الأفكار لسبب أو آخر كما سنعرض لذلك لاحقاً ..

ب ــ الإطار التراثي والمضمون العصري :

يعد القصص الشعبي على مر العصور عربياً وعالمياً نبع إلهام واستلهام للأدباء والمبدعين ، بشكل مباشر أو غير مباشر وذلك من : " حيث هو متون حكائية وأنماط بشرية ، ونماذج إنسانية ، وأقنعة ... وصور وأخيلة ورموز وأطر قصصية ... وهو ما فعله ويفعله أدباء الخاصة ، بما في ذلك الأدباء العرب قديماً وحديثاً ... (فابن شهيد) ما كان له أن يكتب رسالة التوابع والزوابع بعيداً عن قصص الجان ... أما في العصر الحديث فلا يحتاج الأمر - أمر استلهام القصص الشعبي - إلى إثبات فذلك أمر بين في فنون القول الحديثة وغيرها ... " [2] .

وأكثر الفنون الأدبية استلهاماً للتراث القصصي هي بلا شك النصوص السردية الحديثة لاسيما الرواية ، فهي كثيرة النصوص العربية الحديثة : " التي تشكل على قاعدة إحدى العلاقات التي تقيمها مع التراث السردي العربي القديم ... " [3]

---

(١) فلسفة الجن ، ص(١٠٧ – ١٠٨) .

(٢) د. محمد رجب النجار ، التراث القصصي في الأدب العربي ، (مقاربات سو سيو ، سردية) ذات السلاسل ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، المجلد الأول / ٥٥ .

(٣) سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردي ، من أجل وعي جديد بالتراث ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص ٥ .

وما ذلك الاستلهام للتراث الشعبي بعامة إلا لكونه عالماً من الرموز : " التي تحتمل التوظيف والخروج من خلالها بدلالات جديدة ، وتكتسب قضايا العصر من خلال الرمز الشعبي الفن والعمق .. " [1] .

وبناء على ما تقدم فإن رواية السباعي هذه (فلسفة الجن) تعد محاولة مبكرة في أدبنا السعودي للاستعانة بالتراث الشعبي والاستفادة منه وتوظيفه؛ إن لم نقل بأنها المحاولة الفعلية الأولى على هذا الطريق وذلك على النحو الذي مر بنا والذي سنجلي بعض مظاهره في السطور القادمة ...

وتأسيساً على ما يذهب إليه بعض الباحثين من القول بأن هناك فروقاً عدة بين الحكاية الشعبية التي يرحل بطلها إلى عالم غيبي وبين الحكاية الخرافية القائمة أصلاً على تلك الرحلة[2] ، يمكننا القول بأن هذه الرواية جمعت بين ملامح الحكاية الخرافية ، والحكاية الشعبية الخرافية ، ومن المستحيل ضبط تلك الملامح ضبطاً نهائياً ولكن نشير إلى أبرزها فيما يلي :-

إن الإطار الذي تمت فيه الأحداث الروائية هو عبارة عن رحلة من عالم الشهادة إلى عالم الجن ، كما تبين لنا ذلك سابقاً فزيارة عالم الجن من أبرز الموضوعات التي تقوم عليها حكايات الخوارق والأساطير الشعبية [3] .

وانطلاقاً من هذا الإطار نلحظ أن مما اتفقت فيه الرواية مع الحكاية الخرافية تجسد في أن بطلها (الراوي) عند انتقاله إلى ذلك العالم المجهول كان بالنسبة له لا يبعد كثيراً عن العالم المعلوم، بل إنه قريب منه كل القرب بدليل إنه استطاع أن ينتقل إليه في خفة ورشاقة، ولأن ذلك العالم ليس مجهولاً بالنسبة له فإنه لم يقف منه موقف الخائف الفزع ، ولم يتحرك فيه بدافع استكشاف أمور غريبة فيه ، فيقف منها موقف المتسائل ، فالراوي عندما يقابل تلك الشخوص الغريبة التي صورتها الرواية كما سنلحظ ذلك لاحقاً عند الحديث عن الشخصيات فإنه لا يفزع منها ولا يشعر إزاءها بأية رهبة وهذا ما تقوم عليه الحكاية الخرافية كما قررت الدراسة المشار إليها أعلاه .. ومن ذلك اختفاء

---

(١) صبري حمادي ، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، ص ١٤٩ .

(٢) د. نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، مرجع سابق ، ص .ص (١٢١ – ١٣٠)

(٣) فاروق خورشيد ، عالم الأدب الشعبي العجيب ، ص(٤٥ – ٤٧) .

ملامح المكان والزمان في الرواية ، وهذا شبيه بما هو حاصل في الحكاية الخرافية أيضاً

أما أبرز الملامح التي تتفق فيها الرواية مع الحكاية الشعبية الخرافية فهي كثيرة منها :-

أن بطل الرواية (الراوي) يشبه بطل الحكاية الشعبية الخرافية من حيث إنه عندما رحل إلى ذلك العالم المجهول بقي أسير عالمه المرئي وغير المرئي، وأسير تلك القيود التي نشعر من أعماقنا أنها تكبلنا وتحد حريتنا، وهذا الإحساس حال بينه وبين الحركة الطليقة ، بل حال بينه وبين الوصول إلى حياة الأبهة التي يصل إليها بطل الحكاية الخرافية ...

كما يلحظ أن الرواية ليس فيها أثر للشخوص الشريرة التي تظهر في الحكايات الخرافية بل إن الشخصيات الشريرة عند بعض الباحثين أس من أسس الحكاية الخرافية [١]

ومن ذلك ما نشأ من حب وعشق بين (الراوي) من عالم الإنس، وبين تلك الفتاة (هبوب) من عالم الجن ، فهذا الحب الذي ينشأ بين واحدة من الإنس وجني أو بين واحدة من الجن وأنسي هو من الموتيفات المتكررة في القصص الشعبي وقصص الخوارق، وهو : " يرد بكثرة شديدة في أكثر من موضع من ألف ليلة وليلة ومن سيرة سيف بن ذي يزن ... " [٢] وهذا ما حدا بابن النديم إلى أن يعقد لهذا الحب باباً كاملاً في فهرسته عدد فيه أسماء الكتب المؤلفة في هذا الباب [٣] .

ومن ذلك أن الحكاية الشعبية الخرافية تستخدم وسيطاً بين عالمي الجن والإنس، وهذا ما حدث في الرواية من خلال شخصية العفريت (طفوان) كما مرّ بنا وكما سنذكره لاحقاً عند الحديث عن الشخصيات . ومما يتعلق بالشخصيات ذلك الوصف العجائبي الذي تم من خلال رسم الكاتب لبعض شخصيات عالم الجن، وهو رسم يتفق مع ما ترسمه الحكايات الشعبية الخرافية لشخصياتها .

وبما أن القصص الخيالية تعتمد : " اعتماد شديداً على الأنماط الشفاهية للفكر والتعبير.."[٤] .

---

(١) فلا ديمير بروب : مورفولوجيا الحكاية الخرافية ، ترجمة وتقديم أبو بكر باقادر ، وأحمد عبد الرحيم نصر ، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، رقم [٥٦] ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص (٨٩ - ٩٤) .

(٢) (٣) فاروق خورشيد : عالم الأدب الشعبي العجيب ، ص (٤١ - ٤٢)

وانظر ، ص (٤٨ - ٥٠)

(٤) والترج . أونج ، الشفاهية والكتابة ، ترجمة د. حسن البنا عز الدين ، مراجعة د. محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، رقم ١٨٢ ، شعبان ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م ، ص ٢٧٨ .

فإن ذاك الأمر انعكس على ملامح عدة للرواية ومن ذلك أن شخصياتها جاءت شخصيات مسطحة ، والشخصية المسطحة : " تستمد أصلاً من القصص الشفاهية الأولية ، التي لا يمكن أن تمدنا بنوع آخر من الشخصيات ... "[١] وهذا ما سنقف عنده لاحقاً.

وبما أن الحكايات الشعبية تفتقد أيضاً للحبكة [٢] نلحظ أن الرواية ليست لها حبكة قصصية بالمعنى الفني للحبكة ، وإنما بها نوع من الحبكة المتقطعة .. وإضافة إلى ما سبق نشير إلى طريقة السرد التي تنحو منحاً شعبياً في الرواية من خلال أسلوب الراوي والمروي له كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وانطلاقاً مما سبق يمكننا القول بأن رواية (فلسفة الجن) تمثل محاولة لنسج قصة حديثه على تخوم حكايات شعبية وخرافية قديمة ذات أصل عجائبي ، وهي في هذا شبيهه بكثير من الروايات العربية الحديثة التي تنطوي على صور من التناص مع التراث الشعبي وحكاياته على وجه الخصوص وذلك مثلاً كروايتي : " أحلام شهرزاد لطه حسين " [٣] ، " في قرى الجن للكاتب العراقي ، جعفر الخليلي " [٤] .

وغيرهما كثير لا سيما في السنوات الأخيرة [٥] .

ويلحظ أن الكاتب تصرف في بعض جزئيات الحكايات الشعبية والخرافية ، وهذا ملمح من ملامح أصالته فهو ليس مجرد مقلد بدون وعي لما يقلده ... ومن تصرفاته في هذا الإطار الشعبي المتمثل في الرحلة إلى عالم الجن، نجد أن من يزور عالم الجن في الحكايات الشعبية يحن إلى أهله ووطنه وهذا مالم يحدث في الرواية، بل استطاع الراوي أن يقنع المروى له والمحيطين به إلى أن يلحقوا به إلى ذلك العالم، ومن هنا فإن الحكاية الشعبية القائمة على

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٢) د. محمد رجب النجار ، التراث القصصي ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٣) انظر د. شفيع السيد ، اتجاهات الرواية العربية في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص (٥٨ – ٦١) .

(٤) انظر ، صبري حمادي ، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة ، مرجع سابق ، ص (٥١ – ٦١) ,

(٥) وللاستزادة حول تناص الراوية والقصة العربية الحديثة مع الحكايات الشعبية ، انظر د. عبد الله إبراهيم : المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٧ وما بعدها

على الرحلة إلى عالم الجن لا بد أن تنتهي تلك الرحلة بعودة الزائر في نهاية الأمر إلى موطنه ... بينما الرواية خالفت ذلك لأن ذلك لا يتفق مع الهدف والغاية التي كان يسعى إليها الكاتب من خلال روايته كما سيتضح لنا ذلك لاحقا ...

بالإضافة بطبيعة الحال إلى الموضوعات التي تناولتها الرواية، فهي لا تتفق مع الموضوعات التي تتناولها الحكاية الشعبية التي تسير على هذا النهج ويعود ذلك للاختلاف في الهدف والغاية من الرحلة إلى عالم الجن بين الحكاية الشعبية والرواية ...

فالغاية والهدف من الرحلة إلى عالم الجن في الحكاية الشعبية الخرافية ، يتمثل في تقديم المتعة .

بينما كان الهدف من الرحلة إلى عالم الجن في الرواية يتمثل في أمور عدة يجمعها أمر واحد، وهو أن الكاتب اتخذ من هذا الإطار الفني لروايته قناعا ، ويلحظ أن عنوان الراوية منذ البداية يشعر برمزيتها فهو يؤسس مفارقتين أساسيتين ، بداية بذكر العالم الغيبي (الجن) ثم بأسناد الفلسفة والتي تعني في إبراز معانيها حقيقة الأشياء إلى عالم غيبي ارتبط وجوده في الذهن بما هو مخالف لمفهوم الفلسفة .. ومن هنا تتولد مفارقات عديدة لاحقة من خلال ما انطوى تحت ذلك العنوان من نصوص ، فالعنوان منذ اللحظة الأولى يشعر بطرحه الجديد ، وبما أن كل جديد غير مألوف فإن العنوان أسس لغرائبية النصوص المندرجة تحته بإسناد تلك النصوص إلى عالم غيبي غرائبي هو عالم الجن . فالعنوان قام هنا بوظيفة الكشف عن الأنا المغاير، الذي أختاره الكاتب ليتوحد به بعيدا عن مجتمعه الذي لم يتوافق مع تلك الأنا أوهي لم تتوافق معه ...

أما دوافع الكاتب الكامنة وراء هذا التوظيف فهي لا تخرج عن دوافعه التي كانت وراءتوظيفة لظاهرة الجنون في كتابه (يوميات مجنون) كما سبق وعرضنا لها عند حديثنا عن دلالة العنوان لذلك الكتاب [1] فنكتفي بالإشارة هنا إلى ما سبق وفصلناه هناك .

وعليه يمكن أن نجمل الوظائف التي قام بها هذا الإطار التراثي في الرواية والذي اعتبرناه قناعا فيما يلي :-

حماية الذات : إذ من خلاله تصبح مواجهة المبدع لما يكرهه مجتمعه مواجهة غير مباشرة

كما أفسح المجال للكاتب لكي ينتقد مجتمعه بشيء من الحرية فإذا كان ابن شهيد قد رحل قديما إلى عالم الجن بدافع شخصي نابع : " من إحساسه بأن معاصريه من الأدباء والنقاد لم يولوه حقه من التكريم ولم ينزلوه المنزلة الأدبية التي رأى نفسه أهلا لها ... ومن ثم فقد راح

---

(١) انظر هذا البحث ، ص :١٩١-١٩٤

يتلمس التقدير والتكريم عند من هم أعلى قدراً من معاصريه، وأوفى شهرة وأعلى كعباً في الأدب بفرعيه ، الشعر والنثر ، فهداه خياله الخصيب إلى كتابة قصته ... " (١)

فإن السباعي رحل إلى عالم الجن حديثاً بدافع شخصي أيضاً، نابع من إحساسه بأهمية نقد بعض الأوضاع في مجتمعه نقداً غير مباشر وبطريقة رمزية، وذلك لأن مجتمعه أثناء كتابته لهذه الرواية لم يكن ليقبل النقد المباشر لأوضاعه وهذا ما أوضحه الكاتب عندما سئل عن كتابه (فلسفة الجن) والهدف منه فأكد بأن القصد من تأليفه لهذا الكتاب هو :

" نقد بعض الأوضاع عندنا بأسلوب ساخر وغير مباشر، عن طريق سرد لبعض الصور الخيالية من حياة الجن، وما يمارسوه (هكذا) من أعمال في عالمهم ولعل أهمها (حرية الرأي) . " (٢)

ونلحظ أن هذا النقد الذي تضمنته الرواية لبعض الأوضاع الاجتماعية والثقافية والتربوية، **قد أتى بطرق عدة** من أبرزها النقد القائم من خلال المقارنة :

بين عالمي الإنس والجن ، ومن ذلك النقد المباشر الذي ورد على لسان الراوي ، ومن ذلك نقد أتى على ألسنة بعض أفراد ذلك العالم الغيبي / عالم الجن ، أو من خلال المقارنة غير المباشرة بين عالمي الإنس والجن، وذلك عن طريق الحديث عن ذلك العالم الغيبي عالم الجن بامتداح بعض مظاهر الحياة فيه، فالهدف من ذلك يتمثل في نوع من الموازنة الموحية الدالة على واقع الكاتب ومجتمعه المخالف لتلك الصورة المثالية لعالم الجن ... وسبق أن أشرنا لهذا النقد من خلال العرض للرسائل التي قامت عليها الرواية ...

وفيما يختص بهذه النقطة الأخيرة والمتمثلة في تصوير عالم الجن بعالم مثالي نحت الرواية من هذا المنطلق منحى مثالياً (يوتوبياً) حيث إن من أبرز سمات اليوتوبيات الفنية أنها ترسم : " تجمعات مثالية خيالية ... " (٣)

فالرواية في بعض ملامحها شبيهه (بيوتوبيات) عصر النهضة التي تحاول :

---

(١) د. مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٩٢م ، ص٦٤١ .

(٢) انظر اللقاء الذي أجري مع الكاتب ، مجلة إقراء ، ع ٤٣٤ ، في ١٠ / ١١ / ١٤٠٣هـ ، ص٥٩ .

(٣) ماريا برنيري : المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ترجمة ، د, عطيات أبو السعود ، مراجعة ، د. عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، رقم (٢٢٥) ، ربيع الثاني ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م ، ص ٩٦

" أن تقدم حلا للمشكلات التي تواجه مجتمعا في سبيله لإستحداث شكل جديد للتنظيم " [1] وهـذا يتوافق إلى حد كبير مع بعض ما طرحته الرواية لاسيما إذا ربطنا ذلك الطرح بتاريخ نشـــرها ، حيث كان مجتمعنا السعودي آنذاك في طور تشكل جديد وبخاصة على المستويين السياســـي والاجتماعي كما هو معروف ...

ويمكن أن ندعم ما ذكرناه عن فكرة المثالية بأنها كانت تراود ذهن الكاتب أثنـــاء كتابتـــه لهذه الراوية، بما ورد في الفصل الأخير فيها والذي عنونه بقوله (قبضة من آثار الجن) .

حيث جاء في إحدى عبارات ذلك الفصل قوله :

" قالوا إن أفلاطون كان يرى أن من شروط الحياة في جمهوريته - التي تخيـــل فيـــها المثـــل الأعلى للمجتمع الإنساني - أن يمنع تداول كل ما يستثير الفرح الشديد،أو الحزن العميق، ولـــو أعطيت حق المناقشة، لتمنيت عليه أن يحيل وجود هذه المثـــيرات شـــرطا فـــي جمهوريتـــه ليصطفي رجاله ممن يجوزون امتحانـــــها،ثـــابتي الجـــأش لا تلتـــهب عواطفـــهم ولا تـــهتز أعصابهم"[2].ولكن بدا لنا بوضوح إخفاق الكاتب في تصويره هذه الفكرة وتجسيدها في روايتـــه .. وهذا المنحى المثالي (اليوتوبي) يؤكد ما سبق وذكرناه عن المضامين الرومانســـية التـــي انتهجتها الرواية ...

كما قام هذا القناع بوظيفة فنية تمثلت في توليد الشعور بالغرابة والدهشة والتعجب، وهـذه من أبرز الخصائص التي يسعى إليها العمل الفني والإبداعي، إذ من خلال ذلـــك يتحقـــق مـــا يسميه بعض النقاد باللذة الفنية عند قراءة العمل الأدبي، وسبق أن عرضنا لهذا عند حديثنا عـــن كتاب (يوميات مجنون) [3] .

كما أن هذا القناع أكسب العمل شيئا من الجدة حيث إنه لا يوصف شيء :

" بالجدة إلا إذا كان فيه قدر من الغرابة ... والغرابة مقياس من أهم المقاييس التي تقاس بـــــها عبقرية الأديب وقدرته على الابتكار ، وإثبات أصالته ... " [4] .

وهذا يدفعنا للحديث عن عنصر الخيال وأهميته في العمل الأدبي وعلى وجه الخصوص في العمل الأدبي السردي ... فالخيال هو : " الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم

---

(١) ماريا برنيري ، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٩٧ .

(٢) فلسفة الجن ، ص١٢٦ .

(٣) انظر هذا البحث ، ص : ١٩٣

(٤) د. بدوي طبانة : نظرات في أصول الأدب والنقد ، شركة ، مكتبات عكاظ ، جدة ، الســـعودية ، ط١ ، ١٤٠٣هـــ ، ١٩٨٣م ، ص١١٤ .

... فهو صميم كل عمل أدبي كبر أو صغر ، مسرحية كان أو قصة أو أقصوصة ، أو قصيدة أو أنشودة ... حتى في الأساطير والخرافات ، فإنه لا بد أن يبث الحياة الإنسانية فيها خيال واسع ... " [1] .

ومما لا شك فيه أن الخيال هو العمود الفقري الذي قامت عليه هذه الرواية .

وهذا يدل على الخيال الخصب الذي يتمتع به كاتبها ، ويمكن القول بأن الخيال فيها يقوم على عنصرين رئيسيين هما :

١-الفكرة في حد ذاتها فهي من إبداع وخيال المؤلف .

٢-العناصر القصصية التي قامت عليها الرواية، وذلك بما شملته من أفكار ومضامين وعناصر السرد وطريقته، والزمان والمكان، والشخصيات والأحداث ، كما عرضنا لبعضها سابقاً وسنعرض للبقية لاحقاً ...

ومن هنا يمكن أن نعد الخيال الذي قامت عليه الرواية خيالاً ابتكارياً، حيث انصب على تأليف عناصر معروفة من قبل تأليفاً اختيارياً، ليقدم بالتالي صورة جديدة ، فالكاتب اختار عناصر خياله من بين تجارب سابقة ليؤلف مجموعة جديدة [2] .

وقد أشرنا فيما سبق إلى بعض الملامح التي افترقت فيها الرواية عن الحكاية الشعبية والخرافية . وبما أن الرواية تصور عالماً عجائبياً والحالة هذه نحى خيال كاتبها في بعض المقاطع منحى خيالياً استبدادياً وهمياً [3]

ويغلب على خيال الكاتب في تصويره لذلك العالم العجائبي الصور البصرية .. ومن هنا أتت تلك الرسوم الكاريكاتيرية التي زود بها الكاتب روايته لتعبر عن اللغة الوصفية البصرية التي اختطتها الرواية في كثير من مقاطعها ، كما سيتضح لنا ذلك لاحقاً .

وهذا الخيال الوثاب في الرواية يعكس لنا الحالة الانفعالية التي كانت مسيطرة على كاتبها والمتمثلة في شعوره بعدم الرضا بالواقع، مما جعله يستبدل عالم الحقيقة بعالم الخيال فالأحوال الانفعالية كما يقرر علم النفس هي : " مادة الاختراع الفني والأدبي ... " [4] .

---

(١) د. شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص (١٦٧ - ١٦٩)

(٢) ، (٣) عن هذا النوع من الخيال انظر ، أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٧٣م ، ص (٢١٣ - ٢١٤) .

(٤) جميل صليبا : علم النفس ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٢ ، ص (٤٤٠ - ٤٤١)

كما قام هذا الخيال بوظيفة نفسية تمثلت في تخفيفه من حدة الصراع الذي كان يحتدم في داخل الكاتب بين قبول واقعة كما هو وبين رغبته في تغيير ذلك الواقع ليتوافق مع أمانيه وأحلامه ...

وهذا الأمر الأخير هو ما تحقق للكاتب بواسطة الخيال، من خلال هذا العمل الروائي الرمزي، والذي حاول فيه الكاتب أن ينتصر لنفسه من مجتمعه بهذه الرحلة الخيالية الرمزية ، التي لا تبعد في حقيقتها عن الهجاء الاجتماعي ، فالرحلة الخيالية الفنية شكل من أشكال حكاية الرمز الهجائية [١] .

كما أن : " الترميز والهجاء مرتبطان بشكل وثيق . ومن المدهش كم يبلغ المرء فهم الترميز بشكل أفضل عندما ينظر إليه على أنه هجاء ، والعكس صحيح " [٢] .

وبالرغم من استبدال الكاتب في روايته هذه الخيال بالواقع كما سبقت الإشارة، إلا أنه لايمكننا القول بأن الكاتب قد ابتعد في روايته هذه عن الحقيقة وعن الواقع ، حيث إن المبدع حين يستخدم : " خياله لا يهرب من الحقيقة ، بل يلتمس الحقيقة كذلك في الخيال ، فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الذي يعاني منه الفنان ... فالحقيقة أن (الشاعر) يحتال على الواقع بالخيال ، أي أنه يحاول تعمق الواقع بالخيال، فهو إذن لا يهرب منه ، بل يغوص فيه ... وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هو الرغبة في التخلص من هذا الواقع ، لا الهروب منه وتركه هناك إلى عالم آخر خيالي لا يمت إليه بصلة . " [٣] .

ولا شك أن خيال الكاتب في هذه الرواية كان متأثرا بما قرأه وما سمعه من قصص شعبي قديم أيام طفولته الأولى ، خصوصا وأنه أشار في سيرته الذاتية (أيامي) إلى تأثره بالجو الخيالي لتلك القصص والحكايات الشعبية وهذا ما سنقف عنده لاحقا أثناء الحديث عن سيرته الذاتية (أيامي) [٤]، فمن المؤكد أن الخيالات في القصة تتولد بتأثير تجربة القاص ذاته وبتاريخه الشخصي .. [٥] .

---

(١) د. عبد الواحد لؤلؤة : موسوعة المصطلح النقدي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م . ٢/ ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) د. عبد الواحد لؤلؤة : موسوعة المصطلح النقدي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ١٩٩٣م ، ٤/ ٣٦٠

(٣) د. عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ،دار العودة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١م ، ص (٤٤ - ٤٥) .

(٤) انظر هذا البحث ، ص : ٤٠٢

(٥) دي فوتو : عالم القصة ، مرجع سابق ، ص (٣٧ - ٣٨)

فالكاتب جلب في روايته بعض الصور من التراث القديم، ولكنه أضاف إليها من رؤاه وأحلامه ما جعلنا نشعر بجدتها وطرافتها إلى حد كبير كما سبق وتبين لنا ذلك .

وما ذلك إلا لأن الخيال ذاتي فهو يبدل في الحقائق ويغيرها : " حسب تصور الأديب إذ يشكلها أشكالاً جديدةً ، أشكالاً يبعث فيها من روحه ما يعيدها خلقاً نابضاً بالحياة ... " (١)

ومن خلال الإتباع والإبتداع المتمثل في عنصر الخيال في هذه الرواية تبدت لنا أصالة الكاتب ، حيث إنه متأثر لا مقلد .

جـ ـ الحوار :

الحوار في هذه الرواية لم يقصد منه الكاتب فنية القص ، وإنما أراد به ثقافة عقلية وتربوية خالصة، فهوة يقرر من خلاله ما هو كائن في مجتمعه ، وما يجب أن يكون عليه .

ولهذا أتى الحوار طويلاً مسهباً في أسلوب خطابي في أغلب مقاطعه ، فكان أقرب ما يكون إلى طريقة وأسلوب الكتاب التعليميين .. حيث تتفرد به في الغالب شخصية واحدة ، وغالباً ما تكون شخصية الراوي، وشاركه في ذلك بعض الشخصيات من العالم الآخر كشخصية (هبوب) ، ودهشور ، وساطور ...

فنحن لا نجد فيه ترجيعاً بين الشخصيات، إلا ما نلمحه فيما دار بين الراوي وهبوب في بعض المقاطع وهي قليلة ... وبما أن الرواية لا تسير نحو نهاية محددة فلذلك لم يكن للحوار والحالة هذه دور في بناء أحداث الرواية ، كما أن الشخصيات في الرواية ليست سوى وسيلة استخدمها الكاتب لتمرير الأفكار التي يريد طرحها في هذه الرواية

وعليه فالحوار والحديث الذي جرى على ألسنتها لا يعبر بالتالي إلا عن فكر الكاتب وثقافته ...

وأجرى الكاتب الحوار بلغة عربية فصيحة ، وترد في بعض الأحيان عفوية ، سلسلة ، سهلة ... وترتقي في أحيان أخرى حتى تكاد تفقد عفويتها وتقترب من الحوار الذهني الراقي...

والحوار في مجمله حوار مباشر . إما أن يدور بين شخصيات عدة، أو بين شخصيتين وإن كان في غالبه كما سبق وذكرنا تنفرد به شخصية واحدة وبقية الشخصيات تكون بمثابة المستمع لما تقوله تلك الشخصية ...

ونادراً ما استخدم الكاتب الحوار غير المباشر، وذلك كالذي ورد على لسان الراوي وهو

---

(١) د. شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

يحدث صاحبه في إحدى رسائله عن (هبوب)، فأتى في لغة موحية، وبأسلوب شاعري إذ عبر من خلاله الراوي عن مناجاته لتلك الفتاة ومن ذلك قوله : " على هذا الرمل الناعم استراح قوامها اللدن، وفي هذه البقعة كان مجلسي منها .. هنا أتكأت .. وعلى هذه الحرملة استندت...

أيتها الحرملة على حاشية الرمال .

أيتها الرمال على حدود الأثلات .

أيتها الأثلات على حوافي الوادي .

ويأيها الوادي بحزنه وسهله ، بصخوره ورواييه ..

أستودعكم الله أسرار حبي ، واستشهدكم على مبلغ مالوعني فراقها ... " [1]

ويمكن القول بأن الحوار اكتسب شيئاً من الحيوية والنبض، من خلال ما كان يرد في ثناياه من مقارنة بين العالمين (الإنس ، والجن) ، بالإضافة إلى شيء من الإغراء والجاذبية .. على الرغم من وروده على لسان شخصية واحدة ..

د ــ الزمان والمكان :

الحكاية الخرافية تعيش في عالم يتصف بلا زمانيته ولا مكانيته [2] وبما أن الرواية قد اتخذت الحكاية الخرافية إطاراً لها ، فإنها اتصفت في هذا الجانب بما اتصفت به الحكاية الخرافية ، فنحن لا نلمس فيها زماناً ومكاناً محددين ... إلا أن هذا لا يمنع من وجود بعض الملامح الزمانية والمكانية التي يمكننا استنتاجها من الرواية، وإن لم يتصفا بملامح واضحة ومحددة .. فإذا جاز أن تكون هناك قصة لا تحديد فيها للمكان الذي وقعت فيه الأحداث كما هو الحال في الرواية .. فمن المستحيل تصور قصة خالية من زمن يتحدد بالنظر إلى لحظة القص ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً بالنسبة لتلك اللحظة [3] .

وتأسيساً على ذلك فيما يتعلق بزمن الرواية يمكننا القول **أولاً:** بأن زمن الأحداث في الرواية كان سابقاً لزمن الحكاية، وذلك لأن الراوية قامت على (تكنيك) الرسائل .

وثانياً : هناك أنواع سردية لا تروى إلا بالليل ، ومن ذلك الحكاية العجيبة أو الخرافية حيث إن : " الحكايات المنتسبه إلى الخرافة لا ينبغي أن تروى إلا عندما تغيب الشمس ، ولا أدل على ذلك من كون شهرزاد تتحدث بالليل ، وتسكت عن الكلام المباح عندما يلوح الصباح ،

---

(١) فلسفة الجن ، ص ٤٩ .

(٢) فردرش ديرلاين ، الحكاية الخرافية نشأتها ، مناهج دراستها ، فنيتها ، ترجمة د. نبيلة إبراهيم ، مراجعة د. عز الدين إسماعيل ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٠ .

(٣) د. السيد إبراهيم ، نظرية الرواية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

... موطن الخرافة هو الليل : إنها والحلم سيان، ذلك أن الذي يصغي إلى خرافة يستسلم كما يفعل الحالم للأوهام ، فيصدق ما لايجوز تصديقه ... " [١]

ومع أن الرواية جاءت في إطار الحكاية الخرافية إلا أنها افترقت عنها في خاصية الزمن هذه، وذلك لافتراقهما كما سبق وأشرنا في الغاية والهدف ، حيث يقول الراوي لصاحبه في رسالته الأولى إليه :

" وسوف لا يمنعني من الاستمرار في الرسائل إليك مانع، ما استمر صديقي (طفوان) ناشطاً في قيامه بمهمة البريد بيني وبينك، ومادمت تكلف نفسك في صباح كل يوم بتسلم رسالتي من بيت الدجاج تحت النافذة الشرقية " [٢] . فمن خلال المقطع السابق نتبين أن أحداث الراوية من خلال قراءة صاحب الراوي لها عبر تلك الرسائل تجري في الصباح، أي في النهار . وعليه فما تضمنته تلك الرسائل حينئذ يعد حقائقاً لا خرافات تقرأ في الليل ويسمر بها السامرون ، وذلك لأن الرواية (فلسفة الجن) تقول الحقائق لا تقول الأوهام، يكون عندئذ زمن قراءتها في النهار ، زمن الحقيقة ، لا في الليل ، زمن الأوهام والعجائب ، وهذا ما ذهبنا إليه سابقاً بأن عنوان الرواية وإطارها ليس إلا قناعاً ، اختفى وراءه الكاتب ليقول الحقائق .

أما المكان فكما سبق وأشرت ليس له ملامح محددة وواضحة، وهذا ما نلحظه في كل الحكايات الخرافية حيث إن مكان الفعل القصصي فيها : " هو دائماً مكان سحري يقع في ممالك الجن . وأعماق البحار ... وهذا يعني أن مكان الفعل هو اللامكان .. " [٣] .

وعلى الرغم من تلك الحقيقة إلا أن الكاتب حاول على لسان الراوي إيهامنا بوجود مكان حقيقي، جرت فيه أحداث الرواية، وذلك كقوله مثلاً مخاطباً صديقه في عالم الإنس :

" أبعث إليك برسالتي الأولى من وادي الجن الأصفر ، خلف التلال الفاصلة بين قريتنا وما يلتوي وراءها من شعوب (هكذا) ... " [٤] .

وكقوله : " يكتنف مسكني في قاع الوادي جماعة من العفاريت ... وتطل شرفتي الخلفية على غرفة ضيقة يسكنها عفريت ... " [٥]

---

(١) عبد الفتاح كيليطو : الغائب دراسة في مقامة للحريري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، ص١١ .

(٢) فلسفة الجن ، ص ١١

(٣) د. محمد رجب النجار : قصص الحب في الليالي ، البنى والوظائف مجلة فصول ، المجلد (١٣) العدد(١) ربيع ١٩٩٤م ، ص ٢٦٦.

(٤) فلسفة الجن : ١١

(٥) المصدر السابق ، ص ١٤ .

ويصف الراوي حلقات العلم في ذلك العالم الغيبي فيقول : " تجتمع حلقاتهم في مزدلفات الجبال الشاهقة ، وبين مغاورها في أطراف الليل والنهار ... "[1]

هـ الشخصيات :

بما أن الرواية تمثلت في إطار رحلة من عالم الإنس إلى عالم الجن فقد شملت شخصيات من العالمين، وقد جاءت جميع الشخصيات ضبابية ، ضعيفة سطحية ومقيدة الحركة ، لأنها تعبر عن موقف ذهني رمزي ، وتتحرك وفقاً لذلك الموقف ...

وتمثلت الشخصيات الآدمية في الرواية في : شخصية الراوي، وشخصية المروي له وشخصية والدة الراوي . وقد جاءت هذه الشخصيات عائمة تماماً لا نعلم عن صفاتها الداخلية أو الخارجية شيئاً، سوى ما نستشفه من السياق العام للرواية بالنسبة لشخصية الراوي ، إذ نلحظ أنها شخصية تعاني صراعاً داخلياً بين ما هو كائن في مجتمعها وبين ما ترغب في أن يكون عليه ذلك المجتمع ... وهذه الشخصيات الآدمية ضن عليها الكاتب حتى بالأسماء، فلم يذكر منها اسماً تتميز به على غيرها ، فذكر الاسم للشخصية هو من أبسط وسائل تشخيصها . . .

وإذا ما انتقلنا إلى الشخصيات الأخرى، والتي تمثل عالم الجن الذي رحل إليه الراوي نجده يوليها شيئاً من العناية بخلاف الشخصيات الآدمية ، ولهذا اعتمد في تشخيصها على عدة تكنيكات فنية، هدف منها جميعاً إلى تصويرها تصويراً عجائبياً خارقاً لمألوف البشر ، متسقاً في الوقت نفسه مع طبيعة ذلك العالم الذي تمثله تلك الشخصيات، ونستثني من هذا التصوير العجائبي لتلك الشخصيات تصوير شخصية واحده وهي شخصية الفتاة (هبوب)، إذ أتى تصويرها مألوفاً لما هو شائع في دنيا البشر، ابتداء من الاسم الذي أطلقه عليها وانتهاء بوصف الراوي لها، فهو وصف تُمثِلُ من خلاله تلك الفتاةُ ، الفتاةَ الحلمَ والمثالَ المتكاملَ شكلاً وروحاً فكأنها نسخة طبق الأصل من الفتاة (فكرة) في روايته الأولى ، فهي تحاور الراوي بلغة العلماء والمثقفين، أما وصفها الخارجي فقد صوره في أكثر من موضع مضفياً عليها صفات إنسانية ومن ذلك قوله عنها :-

" شهدتها مقبلة على ندوتنا، تتخطر في مشية القطا، وتنثني في أعطافها ، كما تنثني الأغصان

---

(١) فلسفة الجن ، ص ١٩ .

المائسة على شطآن الوادي ... " [1]

وكقوله عنها أيضاً : " وكانت في جلستها تستند على جذر نأتي من الدوحة، وتتجه إلىّ بوجه شاب بياضه الناصع صفرة من لون الذهب النقي الخالص " [2] .

ولذلك عندما ساوره الشك في إحدى المرات، بأنها قد تكون متلبسة في صورة غير مألوفة .. أهاب بنفسه بأن تربأ عن مثل هذه الهواجس كما سيظهر لنا ذلك لاحقاً . عند وصفه ندوة من ندوات الجن، **أما بقية الشخصيات من ذلك العالم** فقد جاء وصفه لها وصفاً عجائبياً كما سبق وذكرنا، واعتمد الكاتب في وصفه العجائبي ذلك على عدة تقنيات فنية منها :-

١- تقنية الأسماء :

فالاسم هنا يدل على شخصية صاحبه، ولهذا استخدام أسماء غير مألوفة بالنسبة لعالم البشر ، وأطلقها على بعض شخصيات عالم الجن ، اعتماداً على إيحائها بطبيعة ذلك العالم ،ولهذا نجد في الرواية هذه المسميات :

أولاً نجد مسمى ذلك العفريت الذي كان يقوم بمهمة ساعي البريد والذي أسماه (طفوان) فهو يوحي بالظهور والعلو وشدة العدو [3] .

ثم يأتي مسمى المارد (شقادف) ولا أدل على عجائبية هذا الاسم من أن مادته مهملة في اللغة [4] ومثل ذلك مسمى عميد الأسرة الثالثة عشرة من أسر وادي الجن (ساطور) فهو يوحي بمعاني القوة والعنف والسيطرة فالساطور هو ما يقطع به اللحم [5] . ثم يأتي مسمى أحد شيوخ الجن (دهشور) فالمسمى يوحي بداية بالدهشة والغرابة ، فالدهش ذهاب العقل من الذهل والوله وقيل الفزع ونحوه كما أن مادة (دهرش) تشير إلى اسم قبيلة من الجن [6] .

ومثل ذلك مسمى أحد أصدقاء الراوي الخلص في ذلك العالم والذي أسماه (طبطاب) فالطبطبة تطلق على صوت الماء وحركته [7]،والحقيقة أن الحكاية الخرافية كثيراً ما تسمي " أبطالها بأسماء لا نألفها في حياتنا اليومية ، وهذه

---

(١) فلسفة الجن ، ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ٧٠

(٣) انظر مادة (طفا) لسان العرب ، مرجع سابق ، ١٥ / ١٠ .

(٤) انظر مادة (شقف) اللسان ، ٩/ ١٨٣ .

(٥) انظر مادة (سطر) المنجد في اللغة ، ص ٣٣٣ .

(٦) انظر اللسان ، ٦/ ٣٠٣

(٧) اللسان ، ١ / ٥٥٦ .

الأسماء في الحقيقة ، ليست أسماء شخوص بقدر ما هي رموز ... وبهذا تسهم أسماء أبطال الحكايات الخرافية في استجلاء مغزى صورها ... " (١)

٢- كما استخدم الكاتب في وصفه العجائبي لبعض شخصيات ذلك العالم، تصويرها من الخارج بوصف لأشكالها وأعضائها كقوله على لسان الراوي في وصف أحدهم :

" تطل شرفتي الخلفية على غرفة ضيقة يسكنها عفريت طويل القامة ، نحيفها ، في وجه أعجف وأنف مسنون، لا تكاد تشعر بوجوده لفرط هدوئه ، ... أما محياه الأعجف - وهو مكان الغرابة - فلا تكاد تريم عنه الابتسامة العذبة ... " (٢)

وكقوله في وصف عفريت من حاملي الأخشاب :

" كنت تخيلت هذا وأنا أتحدث إلى رفيق لي من حاملي الأخشاب .. فحملق في وجهي بالعين الواحدة التي يملكها في منتصف جبهته وقال ... " (٣)

وكقوله في وصف شخصية (ساطور) السابق ذكرها أعلاه : " ساطور شخصية من الجن يعلنك وجودها صوته الأجش الغليظ ، فقد دخل ظهره في عجزه ، حتى اختزلت قامته فيما يوازي ربع قامة الرجل ، واتسع ما بين فكيه فوق حنجرة كأنها المطاط المنفوخ ، تسمع لصوته فيها قرقرة وضوضاء تحسبها جلبة جماعة من الغجر ... وهو مع هذا ... يأبى إلا أن يشعرك بأن رأسه الكبير الضخم تتجاوب بين تلافيفه كل أفكار الحياة . " (٤) .

وقد يأتي وصفه وصفا عاما لا يخص شخصية بعينها كقوله يصف ندوة من ندوات عالم الجن :-

" كانت الندوة حافلة بجماهير لا يكاد يأتي عليها الإحصاء، كانت تفد من بطون الأغوار وتتسلل من مهابط الوديان، في أشكال تمثل عشرات من قبائل الجن وسلالة العفاريت والمردة ، وبعضهم كانت تنبت به الأرض في صور شتى من حيوانات برية ، وطيور ، وحشرات ، كفيلة بأن تشيع الرعب والهلع فيمن لم يألفها ويتعود الاختلاط بها . ولا أكذبك أنه دار بخاطري ذكرى الحبيبة الأليفة هبوب ، فتمنيت لو أسعد برؤيتها ، فلم يسعفني التوفيق ، وجال في ذهني فكرة اختلاطها بهذه الأنواع من الطيور والحشرات ، ولم أستبعد وجودها متلبسة بإحدى صورهم،إلا أنه لم يلح لي ما أجزم به،سلبا أو إيجابيا،ورأيتني فجأة أستيقظ في أعماقي،

---

(١) د. نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، مرجع سابق ، ص (١٦٥ - ١٦٧)

(٢) فلسفة الجن ، ص ١٤ .

(٣) فلسفة الجن ، ص ٢١ .

(٤) فلسفة الجن ، ص ٨٥ .

وأهيب بنفسي أن تربأ بي من هواجس ليس فيها إلا ما يطيل أمد شقائي ويعذبني ... " [١]

٣- ومن ذلك إشارته إلى بعض أنواع الطعام لأفراد ذلك العالم، فحينما وصف خروجهم للتنزه والاستجمام قال مخاطباً صديقه الذي قد يستنكر ذلك الوصف : " لا تستكثر على الجن نزهاتهم، فهم هنا يعنون بها ، كما يعنون بغذائهم من شربة الفحم و (طير السراج) المشوي... " [٢] .

٤- ومن ذلك وصفه لبعض الألعاب التي يمارسونها وطريقتهم في ذلك وسبق أن أشرنا إليها أثناء حديثنا عن السرد .

٥- وقد يأتي التصوير العجائبي للشخصية معتمداً على الوصف القائم على عنصر السمع ، فالراوي مثلاً كان ينقل لنا من خلال إحدى رسائله حديثاً جرى بينه وبين صاحب له من ذلك العالم حيث يقول :

" وانساق الحديث بيننا في غرار ذلك شيقاً طريفاً، حتى راعتنا جلجلة صاخبة، والتفتنا فإذا صوت (ساطور)، يقرقر في نبراته الغليظة تعليقاً على ما نحن فيه فيقول ... " [٣]

وكقوله بعد أن نقل لنا حديثنا دار بين هبوب وصديقتها العجوز وكان الراوي على مقربة منهما : " ودمدمت العجوز بمثل هزيم الرعود تسألها عن مدى ما انتهى إليه نجاحها ... " [٤]

٦- توظيف الرسم الكاريكاتيري :

زود الكاتب روايته ببعض الرسوم الكاريكاتيرية . والرواية لا تشير إلى من قام برسمها ... ويبلغ عدد تلك الرسوم التي اشتملت عليها الرواية [٦] ستة رسوم، ويلحظ أن تلك الرسوم تأتي في صفحة منفردة في نهاية الرسالة التي يتعلق ذلك الرسم بمضمونها، ومن هنا كانت توضع تحت ذلك الرسم عبارة مقتطعة من الرسالة، توحي بمضمونها، فتلك الرسوم تعكس بوضوح الطبيعة التصويرية التي اختطتها لغة هذه الراوية في بعض مقاطعها ، ومن هذا المنطلق حرص الكاتب على زيادة إيضاح تلك اللغة الكتابية التصويرية بهذه الرسوم، وتلك الرسوم اختصت بإيضاح الشكل الذي صورته اللغة الكتابية لبعض الشخصيات في ذلك العالم الغيبي - عدا رسم واحد اختص بإيضاح صورة الحرب والمتحاربين من الإنس على

---

(١) فلسفة الجن ، ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٣) فلسفة الجن ، ص ٩٢ .

(٤) فلسفة الجن ، ص ١٠٢ .

الأرض – [1] فجاءت تلك الرسوم على النحو التالي :-

رسم يوضح شكل شخصية ذلك العفريت الذي وصفه الراوي بأنه ذو محيى أعجف وأنف مسنون كما مر بنا ، فحاول الرسام تقريب شكل ذلك العفريت معتمداً في رسمه ذلك على الأوصاف التي أشار إليها الراوي [2] .

ومثل ذلك رسم كاريكاتوري للفتاة (هبوب)، ويلحظ أن هذا الرسم جاء خارجاً عن المألوف بالنسبة لبيئة الكاتب ومجتمعه ، حيث إن المرأة فيه محجبة ومستترة بخلاف ما هو موجود في الرسم [3] .

وهناك رسم ثالث يصور تلك الندوة من ندوات الجن، والتي حفلت بجماهير منهم، في أشكال تمثل عشرات الطوائف من قبائلهم [4] ومر بنا حديث الكاتب عنها، ورسم رابع يحاول فيه الرسام أن يقارب شخصية ذلك (العفريت ساطور) [5] كما صورها الراوي ورسم أخير يحاول أن يقارب ملامح تلك الشخصيات من عالم الجن والتي مارست أنواعاً مختلفة من الألعاب في أثناء حفل زواج الراوي بالفتاة (هبوب) [6] ومر بنا تصوير الراوي لذلك الحدث أثناء حديثنا السابق عن السرد .

والحقيقة أن تزويد الكاتب لروايته بتلك الرسوم لخدمة هدف فني من فنيات تلك الرواية يعد ريادة تحسب له في هذا المجال بالنسبة للرواية والأدب السعودي .

ومما يلحظ غلى شخصيات الراوية هو :-

أن مجملها شخصيات خيرة، سواءً في عالم الإنس أو في عالم الجن، عدا ما عرضت له الرواية على لسان الراوي من نقد لبعض الشخصيات الشريرة في عالمي الإنس والجن، دون أن يكون لها وجود ملموس في الرواية، وذلك كإشارات الراوي في حواره مع هبوب عن بعض الشخصيات الشريرة في عالم الجن والمتمثلة في أولئك المردة الذين قد يؤذون البشر .

---

(١) انظر فلسفة الجن ، ص ٣١ .

(٢) فلسفة الجن ، ص ١٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

(٦) فلسفة الجن ، ص ١١١ .

كما يلحظ أن الشخصيات الثانوية التي شاركت الراوي بالحديث والحوار ونحو ذلك، أسهمت في نسج الأحداث وفي إيضاح الأفكار المطروحة . وفي بعض المقاطع شدت الوقائع بعضها إلى بعض، داخل الإطار العام للرواية، الذي يتصف بضعف في بنيته السردية كما سبق وأشرت ...

٤ ــ ملاحظات أخرى :-

وكما تأثر السباعي في بعض ما طرحه في هذا الكتاب ببعض الأدباء العرب كما مر بنا ، فإنه أثر لاحقاً في بعض الأدباء السعوديين . فقد أهدى السباعي كتابه (فلسفة الجن) إلى من سماه بـ (الكجا) يقول في ذلك :

" هديتي .. إلى .. (الكجا .. !!) ولست أجد أحق منك بإهداء هذه الفصول ، فقد كنت إلى حد ما - في رأيي - تمثل صورة من (فلسفة الجن) في الحياة ، وتعشق بعض مبادئهم فيها!! شهدتك مرة ، وصبيان الشوارع يتجمعون حولك في زفة .. فأعجبني أن ضحكاتك كانت تعلو أصواتهم ، وأن ضجتك كانت تطغى على زفتهم ، فأكبرت فيك صمودك ، وثباتك لأوباش الحياة وأراذلها ... فوددت لو أملك مثل هذه القدرة على تحدي أوضاع الحياة ... أخي الكجا أتدري أنك فصل في كتاب الحياة ، يستحق الدراسة ؟! ... وأنك في عبثك واستخفافك تمثل صورة من أفكار عقلاء الجن . وأنك لهذا كنت أحق من أهديه هذه الفصول من (فلسفة الجن) .. !! " [١]

فيأتي لاحقاً أحد الأدباء السعوديين فيهدي أحد كتبه إلى صديق السباعي في فلسفة الجن وهو ذلك (الكجا)، متأثراً بمبادئه وفلسفته المشار إليها أعلاه .. يقول سعد البواردي في مقدمة كتابه (فلسفة المجانين) تحت عنوان (الكجا) :

" إلى (الكجا) .. إلى المجنون الذي أعجبت بروحه .. بسموه .. إلى ذلك الصديق الذي أعجب به إنسان آخر إلى صديق - السباعي - في فلسفة الجن .. وإلى صديقي في فلسفة المجانين ... هذا (الكجا) الذي يعيش في رحاب العقل ويوسد رأسه الكبير فوق صخرة صماء . إنه (الموسوعة) الطاقة التي تهب الحقيقة ، وتعطي في ذلك فلسفة الإنسان الأول الفلسفة الهادئة الوقورة المشبعة بالحقيقة ... " [٢] .

فالبواردي ينزع في كتابه السابق ذكره منزع السباعي في (فلسفة الجن) على مستوى الطرح وبعض الأفكار، وليس على مستوى (التكنيك) الفني ...

---

(٢)فلسفة الجن ، ص (٥ - ٧)

(٢) فلسفة المجانين : تهامة ، جدة ، سلسلة الكتاب العربي السعودي ، رقم (٤٢) ، ط٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ص : ٩-١١

ثالثاً : رواية (مطوفون وحجاج)

❖ تمهيد

(١)الأفكار والمضامين والأحداث .

(٢)البناء الفني:

(أ)الزمان والمكان .

(ب)الشخصيات .

(جـ)السرد و طريقة البناء والأسلوب .

(د)الحوار .

مطوفون وحجاج

قصة طويلة صدرت في عام ١٣٧٣هـ [١] وتقع في نحو ست عشرة ومائة [١١٦] صفحة وعطفاً على عدد صفحاتها السابق ذكره فقد رأينا أن ندرجها تحت مجال الرواية .. والكاتب في هذه الرواية يصدر عن تجربة ذاتية ، إذ سبق له أن مارس المهنة التي يمارسها (حسن) بطل روايته هذه . وهي (مهنة الطوافة) في فترة من فترات حياته ، كما سبق وأن أشرت إلى ذلك ، حتى كانت المعاناة التي شعر بها سبباً في تركه لها [٢] .

فهذه الراوية تلقي بعض الضوء على سيرة الكاتب بشكل أو بآخر ... وسنتناول هذه الراوية من خلال المباحث التالية :-

١ ــ الأفكار والمضامين وأحداث الراوية : تطرح الراوية قضيتين :-

أ- القضية الأولى :-

وهي القضية الأساسية، تتمثل في قضية (مهنة الطوافة). إذ تبين الراوية ما يعانيه بعض من يمتهنها من نصب ومشقة، وخسائر مادية، والأهم من كل ذلك ما يعانيه من ذل ومهانة قد تلحق به بين وقت وآخر، من قبل بعض الحجاج الذين يتعامل معهم ... وتطرح الرواية الأسباب الكامنة وراء كل تلك السلبيات، وتقدم في نهاية المطاف الحل الأمثل لمعالجتها والقضاء عليها، والعودة بتلك المهنة على ما كانت عليه في سالف الأيام من عزة ومكانة رفيعة يحس بها كل من يمتهنها ، كل هذا طرح من خلال شخصية بطل الرواية (المطوف حسن) وما يعرض له من أحداث مختلفة في هذه الرواية فيما يتعلق بمهنتة هذه ، فالرواية تحاول أن تقدم لنا صورة لما يجب أن يكون عليه المطوف، من عزة وكرامة في تعامله مع الحجاج الذين تعاقد معهم، رافضة الصورة الكائنة والقائمة للمطوف وتعامله مع الحجاج والمتمثلة في قبول الذل والهوان في سبيل الكسب المادي، الذي قد لا يتحقق في كثير من الأحيان ، وإن تحقق فهو لا يستحق أن يهدر المطوف من أجله كرامته

مما حدا بالكاتب أن يصدر روايته بالآية الكريمة :

---

(١) عن دار الكتاب العربي بمصر .

(٢) انظر هذا البحث ، ص : ١٤

ويلحظ أن والده كان يمتهن الطوافة وسبق وأشرت إلى ذلك

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [1]

ثم دعم ذلك بما جاء في إهدائه الذي تلا ذلك التصدير حيث يقول فيه :

" إلى الجيل الجديد من أحفاد المطوفين .. إلى النشء الذي تفتحت عيناه على النهضة العلمية الحديثة ، وعرف من معاني الرجولة والكرامة في الحياة أحدث ما أنتجته تجارب العصور .. أهدي كتابي " [2]

ب – القضية الثانية هي :-

قضية الزواج بفتاة مثقفة جامعية من خارج البيئة السعودية ، وكان طرح هذه القضية ثانوياً، لم تركز عليه الراوية وإنما تم من خلال الأحداث التي تعرض لها البطل (حسن) وهو خارج بيئته، وذلك عندما قابل تلك الفتاة الجامعية بمنزل زوج أمها عندما كان يقوم بمهام مهنته (الطوافة) في ذلك البلد العربي (مصو) فتحول بطل الرواية عندئذ من مطوف إلى عاشق يرغب في الارتباط بتلك الفتاة

ويعد الكاتب بهذا أول من طرح هذه القضية في الرواية السعودية سابقاً بذلك رواية (ثمن التضحية) لحامد الدمنهوري والتي ظهرت في عام ١٩٥٨م . مع الفارق بطبيعة الحال بين طرحي الروايتين لهذه القضية من الناحية الموضوعية والفنية، والتي ترجح بلا شك كفة رواية (ثمن التضحية) ويبقى للسباعي فضل الريادة .

وقد تم طرح هاتين القضيتين من خلال أحداث الرواية والتي نوجزها فيما يلي :-

بدأ الكاتب أحداث روايته بتمهيد تحت عنوان (بين يدي القارئ) قدم فيه ملخصاً لمولد ونشأة بطل الرواية (حسن) ، وجاء ذلك الملخص في صفحة واحدة [3] أوضح فيه الكاتب بأن (حسناً) ولد في بيت عريق المجد من بيوت المطوفين، فأصبح لاحقاً مطوفاً له مكانته ولكنه صدم بواقع مهنته الذي انحدر في وقته الحاضر، مقارنة بما كان عليه من مجد في الماضي، كما كان يحدثه عن ذلك المجد بعض ممن سبقه في هذه المهنة ، فكان (حسن) يعاني من ذلك الحاضر المهين لتلك المهنة ، مما جعله يفكر في الأسباب الكامنة وراء ذلك ، محاولة للخروج بمهنته من حاضرها البائس إلى سابق عهدها من العزة ...

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص ٢

والآية هي رقم (٨) من سورة (المنافقون)

(٢) مطوفون وحجاج ، ص ٣

(٣) مطوفون وحجاج ، ص ٤ .

ومن هنا بدأت قصته . حيث عمد الكاتب إلى تصوير حياة بطل الرواية (حسن) مصوراً من خلالها ما يلاقيه من يمتهن (الطوافة) من نصب ومهانة وذل، من قبل بعض الحجاج وما يتكبده من خسائر مادية في نهاية موسم الحج .

ويتم عرض كل تلك السلبيات التي يمر بها المطوف من خلال مرحلتين كما مر بها بطل الرواية (حسن)، تبدأ المرحلة الأولى حينما اتجه (حسن) إلى إحدى البلدان المجاورة ليتعاقد مع بعض حجاجها، على أن يكون مطوفاً لهم وما يتبع ذلك من إعاشتهم وإسكانهم وتوفير خدمات تنقلاتهم، وغير ذلك حينما ينزلون عنده بمكة المكرمة أثناء موسم الحج، فصور لنا الكاتب بعض الأحداث التي حدثت لبطل روايته (حسن) حينما اتجه إلى (مصر) للقيام بتلك المهمة التي يقوم بها كل مطوف، فعرض لتنقلاته بين أرياف وقرى ومدن ذلك البلد مصوراً ما كان يناله في سبيل ذلك العمل من تعب ونصب، خلافاً عن السخرية والمهانة التي قد يتعرض لها أثناء تلك الرحلة .

ويعقب هذه المرحلة ، المرحلة الثانية، والتي تجري أحداثها بين بطل الرواية (حسن) وبين الحجاج الذين تعاقد معهم حينما يحل موسم الحج وينزلون عنده في مكة المكرمة ، فصور الكاتب ما يحصل من مفارقات بين ذلك المطوف (حسن) وبين حجاجه ، تلك المفارقات قائمة في مجملها على تكريس الصورة السابقة التي صورتها المرحلة الأولى والمتمثلة في إيضاح ما لحق (حسن) من عنت ونصب وسخرية ومهانة من قبل بعض حجاجه ، بل إن تلك السلبيات تتضخم في هذه المرحلة الثانية ويرجع ذلك إلى أن المطوف خوفاً من انتقال حجاجه إلى مطوف آخر يحاول أن يستدر عطفهم ورضاهم، ويغض الطرف عن ما يلحقه من ذل ومهانة .. وهذا أيضاً يؤدي به في الغالب للتنازل عن كثير من حقوقه المادية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد إذ كثيراً ما يستغل بعض الحجاج ذلك الأمر فينكلون بمطوفهم تنكيلاً لا يقف عند حد هضمهم لحقوقه المادية بل يتعدى ذلك إلى النيل من كرامته وأحياناً إنسانيته ... ويخلص الكاتب في نهاية الأمر إلى طرح سؤال على لسان بطل روايته (حسن)، يتركز حول الأسباب التي أدت إلى انحدار مهنته (الطوافة) إلى هذا الحد من الانحدار الذي وصل إلى حد قبول الذل والإهانة ... ويعرض لبعض الأسباب التي أدت إلى ذلك ومن أبرزها : التنافس البغيض بين المطوفين ذلك التنافس الذي يدفع بعض المطوفين إلى اللجوء إلى وسائل مشروعة وغير مشروعة بهدف (الكسب المادي) .

ذلك الكسب الذي لا يتحقق إلا لكبار المطوفين، أما صغارهم فإن حقوقهم تهدر ... ومن تلك الوسائل المستخدمة (لكسب الحجاج) من قبل بعض المطوفين (السمسرة) ... التي أبان الكاتب من خلال روايته ما يصيب الكثير من المطوفين من خسائر بسببها ...

. ثم حاول بطل الرواية (حسن) أن يتلمس حلاً مجدياً ، ينقذ أصحاب تلك المهنة من خسائرهم المادية ويحفظ عليهم كرامتهم ولا يعرضهم للذل والامتهان ويحفظ للكبار منهم والصغار حقوقهم . يتمثل هذا الحل في قوله :

" إنها قاعدة واحدة لا أكثر .. نتفق فيها على نقابة تجمع أرباحنا بشكل منظم ، ثم توزعها في ترتيب يصون مصالحنا ويحفظ علينا كرامتنا " (١)

مبيناً الإيجابيات المترتبة على ذلك، وموضحاً السلبيات المترتبة على تركها على ما هي عليه من فوضى، وعدم وجود ضابط أو لوائح تنظم أمورها .

أما القضية الثانية فقد عرضت لها الرواية من خلال رحلة (حسن) إلى مصر ليتعاقد مع بعض الحجاج كما مر بنا ، حيث إنه أثناء رحلته تلك كان يتردد على منزل أحد زملائه في مصر وكان تدور بينهما أحاديث عدة، وفي إحدى المرات شاركتهما الحديث (الفتاة الجامعية) ابنة زميل حسن .. فتطورت العلاقة لاحقاً بين حسن وتلك الفتاة إلى تبادل الإعجاب، ومن ثم الحب بينهما ففكر (حسن) في الزواج منها .. وأثناء تفكيره ذلك انهالت على ذهنه أسئلة عدة تمثلت في إشكالية التوفيق بين المجتمعين المختلفين اجتماعياً وثقافياً، مجتمع حسن المحافظ والذي ما زال تعليم المرأة فيه لا يتعدى مستوى الكتاتيب، وبين مجتمع تلك الفتاة الجامعية المتحرر إلى حد ما ، إذ وصل تعليم المرأة فيه إلى أعلى المستويات ، بل تعداه إلى مشاركتها في نهضته .

فماذ يفعل حسن عندما يتزوج بتلك الفتاة . أيبقيها في بلدها .. ؟ فنفسه لا ترضى بذلك . أم يعود بها إلى بلده .. ؟ . ولكن هل تستطيع أن تنسجم مع ذلك الوسط الاجتماعي في بلده والذي يخالف وسطها الاجتماعي ثقافة وتقاليد وعادات ... ولكن حسن في نهاية ذلك التفكير يعزم على التقدم إلى أهلها طالباً الزواج منها، دون أن يبت في حل يحسم تلك التساؤلات التي دارت بذهنه .. وتحدث المفاجأة غير المنتظرة وذلك أنه حينما يتجه إلى منزلها ليطلب الزواج منها يفاجأ بأنها – كما أخبره بواب العمارة التي تسكن بها – قد رحلت إلى أوربا لقضاء أشهر الصيف هناك مع عائلتها .. عندئذ يحاول (حسن العاشق) أن يضمد جراحه ، فيعود

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص (٩٤ – ٩٥)

لمواصلة الهدف الذي رحل من أجله إلى بلد تلك الفتاة .. وبعد فترة يعود إلى موطنه مكة المكرمة وذلك قرب موسم الحج ليكون في استقبال الحجاج الذي تعاقد معهم ... وبعد انتهاء الموسم ورحيل الحجاج يلتقي (حسن) بأحد زملاء مهنته، حيث يتناقشان فيما يهم مهنتهما وما يتعلق بموسمهم ذلك، كعادة المطوفين، وطال النقاش بينهما واتفقا أن يكملاه لاحقا لذلك اتجه حسن في أحد الأيام إلى ذلك الزميل، وأثناء صعوده السلم الذي يؤدي إلى منزل زميله المطوف سمع صوتا صادرا من ذلك المنزل ، صوت فتاة شبيه بصوت تلك الفتاة الجامعية التي لقيها سابقا ورغب في الزواج منها .. ولم يلبث فترة طويلة حتى أكد له إحساسه بأن ذلك الصوت هو صوت تلك الفتاة .. فتعجب لذلك .. ثم دلف إلى منزل زميله وهو يحاول أن يسيطر على أعصابه ثم بادر حسن زميله الذي استقبله بسؤاله إن كان قد بقي أحد من الحجاج الذين يطوفهم في منزله .. فأكد له زميله بأنه لم يبق عنده منهم أحد بل رحلوا جميعهم .. فاستفسر حسن عن ذلك الصوت الذي سمعه أثناء صعوده سلم داره ، مبينا له بأنه كان صوت فتاة تدل نبرتها على أنها ليست من (مكة المكرمة)، فتكون عند ذلك المفاجأة التي لم يكن المتلقي ليحسب لها حسابا كعادة السباعي في رواياته كما مر بنا في روايته (فكرة) وذلك عندما يخبره زميله بأن ذلك الصوت هو صوت أخته .. ثم يزيد الكاتب من دهشتنا حينما ينقل لنا حديث ذلك الزميل لحسن، والذي يوضح فيه لحسن بأنه (أي ذلك الزميل) لم يكن يعرف بأن له أختا إلا من فترة قصيرة ، وإن كان يعلم بأن والده قد تزوج من فتاة ألبانية وأبقى الأمر مكتوما حتى توفي ، ولكن لم يذكر أنه أنجب منها ولم يتبين ذلك إلا حينما التقى في أوربا بسيدة مصادفة فأخبرته – بعد أن سألته عن اسم والده وعرفته من ملامح عامة في وجهه – بأن والده كان متزوجا منها، دون أن يعلم أهله ولا زوجته السابقة ولا أبناؤه بذلك وأنه أنجب منها طفلة قبل وفاته ... تلك الطفلة كانت هي تلك الفتاة الجامعية التي قابلها (حسن) في منزل صديقه، أثناء تردده عليه خلال رحلته السابق ذكرها ، والتي كان يعتقد بأنها ابنة صديقه ذلك، وهو في الحقيقة لم يكن إلا زوج والدتها تزوج منها بعد وفاة زوجها الأول الذي هو في الحقيقة والد زميل حسن ووالد الفتاة الجامعية التي قابلها حسن في ذلك المنزل ... على أن الفتاة نشأت في ذلك المنزل كما تخبر والدتها أخاها (زميل حسن) على اعتبار أنها ابنة زوجها الثاني، ولم يعلم أحد بحقيقة الأمر، وبعد أن كشفت والدة تلك الفتاة الجامعية الحقيقة للفتاة وأخيها .. ما كان من أخيها إلا أن عرض عليها البقاء مع والدتها وزوج أمها ، أو العودة معه إلى بلاده (مكة المكرمة) فقررت الفتاة الجامعية أن تقضي بقية إجازتها الدراسية بجوار أخيها في (مكة المكرمة)، وأوضح ذلك الزميل (لحسن) بأن أخته

قد حدثته عن تردده على منزل زوج والدتها بمصر ... ومن ثم كانت نهاية الرواية بأن تزوج حسن من تلك الفتاة الجامعية .. وهكذا كانت نهاية حياة (حسن العاشق) نهاية سعيدة، ولكنها أغرب من الخيال والكاتب هنا كعادته في روايته الأولى (فكرة) لم يحكم نهايتها بحيث تكون نهاية طبيعية وإنما كانت كما تبين لنا نهاية قائمة على المصادفة وعلى الافتعال والتصنع فكانت بذلك أبعد ما تكون عن الحقيقة والواقع ...

فالأخ هنا لم يعلم بأن له أختاً إلا في نهاية الرواية، والمصادفة هي التي دلته على ذلك كما جرى في أحداث رواية (فكرة) كما مر بنا والحقيقة أنني لم أجد تفسيراً لتكرار هذه الظاهرة (الأخوية) الغريبة في روايتين من روايات الكاتب ...

٢ــ البناء الفني:ــ

أ ــ الزمان والمكان :

يشكل الزمن في هذه الرواية عنصراً بارزاً في تشكيل أحداثها، وذلك يعود إلى أن المهنة التي يمارسها بطل الرواية (الطوافة) مرتبطة كما هو معلوم بزمن محدد يتمثل في موسم الحج، ومن هنا انعكس هذا الأمر على بناء أحداث الرواية وعلى شخصية بطلها ويمكن القول بأن الرواية بدأت أحداثها بعد موسم الحج بأسبوعين ، حيث يقول الكاتب عن بطلها في بداية روايته :

" كان قد انتهى من موسمه من أسبوعين حيث ودع آخر حاج كان في بيته ... " (١)

ثم امتدت أحداثها من خلال شخصية بطلها إلى ما بعد موسم الحج الجديد الذي تلى الموسم السابق، وتحديداً إلى شهر ربيع الأول (موسم الزواج في مكة) بإعلان عن زواج (حسن بطل الراوية من الفتاة الجامعية) (٢) .

وعليه فأحداث الرواية التي سبق وعرضنا لها جرت بين ذينك التاريخين ، أي أنها استغرقت أكثر من عام ..

والزمن في الرواية يسير في مجمله سيراً طبيعياً من الخلف إلى الأمام ابتداءً من نهاية موسم الحج الماضي وانتهاء إلى ما بعد موسم الحج الجديد ... ونجد الزمن في بعض مقاطع الرواية يرتد إلى الخلف، ويحدث ذلك من خلال تلك الموازنات التي كان يقيمها بطل الرواية أو شخصية (العم سليمان) أو شخصية (أبي صادق) بين ماضي مهنة الطوافة وحاضرها

---

(١) مطوفون وحجاج : ، ص(٧) .

(٢) مطوفون وحجاج : ، ١١٤ .

ومثل ذلك عندما عادت الرواية إلى استحضار ماضي شخصية والد زميل بطل الراوية، على لسان زوجته الألبانية عندما قابلت ابنه وحدثته عن زواج والده منها في فترة ماضية من حياتها عندما كانت فتاة، وإنها أنجبت منه قبل أن يتوفى (طفلة / الفتاة الجامعية)، أو من خلال السرد القائم على أسلوب المذكرات والتي سنعرض لها لاحقاً ، فبطل الرواية نقل إلينا بعض أحداثها عن طريق تلك المذكرات التي سجلها إما أثناء رحلته إلى (مصر)، أو أثناء موسم الحج في مكة المكرمة، فالأحداث التي يسجلها البطل في مذكراته تشعرنا بداية بأنها قد حدثت له سلفاً، وأنه يقوم باستعادتها مرة ثانية عندما يكتبها في مذكرته فهو بالتالي يعود بالزمن من خلال تلك المذكرات إلى الوراء، كما يمكن القول بأن استخدام الكاتب لأسلوب المذكرات في بعض مقاطع روايته كان له دور ملحوظ في تكثيف الزمن بشكل أو بآخر، كما سيتضح لنا ذلك عند الحديث عن السرد وأسلوبه.

المكان :

الفضاء المكاني الذي دارت فيه أحداث الرواية يتمثل في فضائين رئيسين ، وكل فضاء رئيس يتضمن بداخله فضاءات عدة :-

أول الفضائين يتمثل في فضاء مدينة مكة المكرمة، وهذا الفضاء بدوره شمل عدة فضاءات بداخله تمثلت في منزل بطل الراوية ، ومنزل زميله المطوف ، والاماكن المقدسة في عرفات ومنى ومزدلفة . وقهوة العم سليمان .

وثاني الفضائين تمثل في فضاء ذلك البلد الذي رحل إليه بطل الراوية (حسن) ألا وهو فضاء مصر، وذلك الفضاء بدوره شمل عدة فضاءات بداخله تمثلت في : (أرياف وقرى ومدن زارها البطل في ذلك الفضاء المكاني ، بالإضافة إلى منزل أحد أصدقائه في ذلك البلد والذي كان يتردد عليه البطل وفيه التقى بتلك الفتاة الجامعية، والتي تزوج بها لاحقاً ولكن ذلك الزواج لم يتم في ذلك الفضاء المكاني وإنما تم على أرض الفضاء المكاني الأول (مكة المكرمة) .

وبانفتاح حكاية الرواية الأصلية على حكاية والد تلك الفتاة الجامعية انفتحت الرواية بطبيعة الحال على فضاء مكان ثانوي، ألا وهو أوربا وعلى وجه الخصوص (ألبانيا) وتم ذلك من خلال الإشارة إلى زواج والد تلك الفتاة الجامعية بوالدتها أثناء إحدى جولاته في (ألبانيا) .

ويلحظ أنه كما بدأت الرواية من نقطة زمنية محددة (بعد نهاية موسم الحج) . وامتـــدت بعد ذلك زمنا لتنتهي لاحقا قريبا من تلك النقطة الزمنية التي ابتدأت منها حيث انتـــهت بعـد موسم حج جديد وتحديدا في شهر ربيع الأول .

فإن الرواية كذلك ابتدأت من نقطة مكانية تمثلت في (الفضاء المكاني الأول) الذي سـبقت الإشارة إليه ثم امتدت أحداثها لاحقا من خلال الفضاء المكاني الثاني والمكان الثانوي اللذيـــن سبقت الإشارة إليهما (مصر وألبانيا) لتعود الأحداث مرة ثانية إلى فضاء المكان الأول الـذي ابتدأت منه (مكة المكرمة) لتنتهي فيه ...

فالفضاءان الزماني والمكاني في الرواية أشبه بدائرة ابتدأت من نقطـــة محـــددة (زمانـــا ومكانا) وتلاحقت أحداثهما لتنتهي بعد اكتمال دائرتها عند تلك النقطة التي ابتدأت منها .

ويلحظ أن الكاتب عند وقوفه عند بعض الفضاءات المكانية قد أجاد في تصويرها ووفـــق فيها إلى حد كبير كتصويره لقهوة العم سليمان [1] وكتصويره لبعض مظاهر الفضاء المكـــاني للأرياف والقرى التي زارها بطل روايته أثناء رحلته في مصر .. " [2] .

وتصوير المكان ووصفه بإتقان من سمات الكاتب كما لاحظنا ذلك ســـابقا مـــن خـــلال كتابته للمقالة الوصفية والتاريخية ومن خلال روايته (فكرة)[3]

ب ــ الشخصيات :

شملت الرواية عددا من الشخصيات الثانوية جاءت لتخدم الشخصية الرئيسة في الروايـــة من خلال خدْمة القضية الأساسية التي شغلت بها الشخصية الرئيسة . والشخصية الرئيسة فـــي الرواية هي شخصية بطلها (حسن) .

وهذه الشخصية الرئيسة ، قدمت لنا في صورة جاهزة منذ بداية الرواية وذلك من خـــلال التمهيد الذي مهد به الكاتب لروايته ولخص من خلاله الحياة الماضية لبطلها (حسن) ليشـرع بعد ذلك للحديث عن حياته الحاضرة زمن حكاية الرواية لها ، كما سبقت الإشارة إلـــى ذلـك ... فنحن لم نلحظ تطورا ونموا في هذه الشخصية الرئيسية إلا ما حاول الكاتب أن يصـــوره من تطور في حياة بطل روايته، والمتمثل في ترفع حسن عن ما قد يلحقـــه مـــن ذل ومهانـــة والتي كان يقبل بها في مرحلة سابقة ،ولكن نلحظ أن ذلك الترفع لم يكن إلا مجـــرد أحـــاديث يتفوه بها حسن ولم يستطع تنفيذها على أرض الواقع ...

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص ٥

(٢) مطوفون وحجاج ، ص (٢٢ – ٣٦) .

(٣) انظر هذا البحث ، ص : ٣٠-٤٠ ، ١٦٥ -١٦٦ ، ١٥٤ ، ١٧١ – ١٧٣ .

وهذا الأمر يدفعنا إلى الحديث عن الصراع الذي تمثل في هذه الرواية والذي عكسته شخصية (حسن) ، وذلك الصراع يتمثل في نوعين من الصراع أولهما صراع مادي عكسته تلك المعاناة والمكابدة والمشقة والتعب الذي كان يحلق ببطل الرواية (حسن) من خلال عمله مع الحجاج ،الذين كان يتعاقد معهم بداية من رحلته إلى (مصر) وانتهاء باستقباله للحجاج في مكة المكرمة أثناء موسم الحج، وحتى توديعه إياهم بعد نهاية ذلك الموسم ...

وثانيهما صراع داخلي نفسي وهذا الصراع الداخلي ينقسم بدوره إلى صراعين ، الصرع الأول يتمثل فيما كان يعتمل داخل نفس (حسن) من محاولة التوفيق بين ماضي مهنته (المجيد) وبين حاضرها (المهين) والصراع الداخلي العاطفي الذي احتدم بين جوانح البطل (حسن) العاشق هذه المرة لا المطوف، والذي نشأ من خلال قصته مع تلك (الفتاة الجامعية) التي تعرف عليها بمنزل (والدها / زوج أمها) الذي كان يتردد عليه حسن، وعزمه لاحقاً على الزواج بها، وما ثار في نفسه من تساؤلات عدة حول إمكانية تحقق ذلك الزواج ونجاحه بسبب اختلاف الظروف المتعددة بين بيئة حسن وبين بيئة تلك الفتاة كما سبق ومر بنا وتتطور أحداث هذا الصراع لاحقاً عندما يتضح لحسن بأن تلك الفتاة هي أخت لأحد زملائه المطوفين ، لينتهي ذلك الصراع العاطفي عندئذ نهاية سعيدة تمثلت في زواج البطل (حسن) من تلك (الفتاة الجامعية) ...

وإذا كان صراع البطل حسن (العاشق) قد انهاه الكاتب نهاية سعيدة ، فإن صراع حسن (المطوف) لم يضع الكاتب له نهاية حاسمة ، إلا أنه يمكن أن نستشف ونستنتج عطفاً على تلك النهاية السعيدة التي أنهى بها الكاتب صراع البطل حسن (العاشق) بأن الكاتب يأمل بأن ينتهي صراع البطل حسن (المطوف) نهاية سعيدة ، وذلك عندما يتحقق اقتراح البطل والمتمثل في إنشاء نقابة لمهنته فعندما يتحقق ذلك الاقتراح على أرض الواقع سينتهي عندئذ ذلك الصراع، الذي احتدم في داخل جوانح حسن (المطوف). ويوحي الكاتب بأن تحقيق ذلك الأمر ليس مستحيلاً إذ تحقق قبله لقاء البطل بفتاة الجامعة التي أحبها بعدما اختفت فجأة في ظروف أقل ما يقال عنها بأنها مستحيلة الوقوع والحدوث .

أما أبرز تلك الشخصيات الثانوية – التي جاء بها الكاتب كما ذكرت سابقاً – لخدمة الشخصية الرئيسة لإلقاء مزيداً من الضوء عليها وعلى القضية التي تهمها (قضية الطوافة) كل ذلك ثم من خلال الحوار الذي دار بين تلك الشخصيات وبين بطل الرواية (حسن)

وأبرز تلك الشخصيات الثانوية :-

١-شخصية العم سليمان صاحب القهوة التي كان يجلس فيها بطل الرواية [١]

٢-شخصية (أحد أقارب البطل والذي دار بينهما حديث طويل حينما التقيا في مصر أثناء رحلة البطل إليها [٢]

٣-شخصية زميل البطل (في مصر) الذي كان يتردد البطل على منزله[٣] .

٤-شخصية (الفتاة الجامعية) التي التقى بها حسن في منزل صديقه لتصبح في نهاية الرواية زوجة له . [٤]

٥-شخصية (أبي صادق) جار (حسن) في مكة المكرمة [٥] .

٦-زميل بطل الرواية المطوف والذي اتضح لاحقاً بأنه أخ لتلك الفتاة الجامعية[٦]

٧-شخصية والدة (الفتاة الجامعية) والتي كان لها الفضل في كشف حقيقة نسب ابنتها [٧] .

٨-شخصيات متعددة تجمعها صفة واحدة وهي تلك الشخصيات المتمثلة في شخصيات أولئك الحجاج الذين التقى بهم حسن في مصر أو في مكة المكرمة[٨] .

ويلحظ أن الكاتب قد أهمل هذه الشخصيات الثانوية، حتى أنه لم يعطي أغلبها أسماء تميزها عن غيرها ، ومن هنا جاءت تلك الشخصيات أشبه بالشخصيات الضبابية التي لا تستطيع أن نتبين أي شيء من ملامحها أو صفاتها في الغالب الأعم ، وهذا مما زاد في إشكالية تلخيص أحداث الرواية .

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧ .

(٤) مطوفون وحجاج ، ص (٣٧ - ٥٣) ، (١١٠ - ١١٤) .

(٥) مطوفون وحجاج ، ص ٥٩

(٦) مطوفون وحجاج ، ص (٩٠ - ٩١)

(٧) مطوفون وحجاج ، ص (١١٢ - ١١٣)

(٨) مطوفون وحجاج ، ص (٢٤ - ٣٦) ، (٧٠ - ٨٥) .

جـ ــ السرد، طريقة البناء والأسلوب :

١-نشير بداية بأن الكاتب وضع روايته في فصول مرقمة متسلسلة بلغت خمسة عشـــر [١٥] فصلاً ويلحظ أن الفصل (السابع [٧]) ساقط وغير موجود [١] .

وهذه الفصول التي وزعت عليها أحداث الرواية هي في الأصـــل مترابطـــة فـــي الأحـــداث والمضامين وفي السياقات وهي مع ذلك كله لم تقدم خدمة فنية يعول عليها في الراوية وهـــي تختلف من حيث الطول والقصر ، فبينما بلغ أطولها وهو الفصل [٩] نحـــو أربـــع وعشـــرين صفحة [٢] ولم يتجاوز أقصرها وهو الفصل الأخير [١٥] الخامس عشر بضعة أسطر [٣] فـــي حين يقع أغلبها في نحو خمس [٥] صفحات [٤] ، وهناك فصل أخير جاء بعد نهايـــة أحـــداث الرواية وعنون له الكاتب بـــ (حروف ونقط) والذي يقع في صفحتين [٥] والذي تمثـــل فـــي تقديم عدد من الحكم جاءت من خلال مجموعة من العبارات التي صاغها الكتاب في أســـلوب رشيق ولغة واضحة ، وهدف من هذا الفصل ، تعميق المعاني التي عبرت عنها الرواية والتـــي تتلخص في جانب منها إلى أهمية محافظة الإنسان على كرامته وعزته ، فهي عبارات موجـــزة تقدم جرعات مركزة من الوعظ والإرشاد حول تلك المسألة ، كقوله مثلاً :

" لا يجب أن يتحدث المطوف عن عدد ما جمع من الحجاج بمثل ما يجـــب أن يتحـــدث عـــن الطريقة التي سلكها في سبيل جمعهم " .

وكقوله : " إذا ألفت الهون استمرأته ، كما يستمرئ شارب الحنظل مرارته إذا أدمنه " .

وكقوله : "إني أناني بطبعي فلا تطمع في أن أعني بكرامتك إذا كنت لا تفرضـــها فرضـــاً ، وتملي معاييرها بالشكل الذي تقوى عليه "

٢- كما استخدم الكاتب في سرده لأحداث الرواية ضمير الراوي العليم بكل شيء ، وجاء ذلـك السرد في لغة فصيحة ، سهلة وشفافة ...

---

(١) ونلحظ أن كتابه يوميات مجنون والذي وزعه في نحو (٤٩) فصلاً قد سقط منه أحد الفصـــول وهـــو الفصل (السابع / ٧) أيضاً ، وسبق أن أشرت إلى ذلك عند حديثاً عن دلالة العنوان لذلك الكتـــاب ، انظـــر هذا البحث ، ص : ١٨٤

(٢) مطوفون وحجاج ، ص (٥٣ - ٧٧) .

(٣) مطوفون وحجاج ، ص ١١٤ .

(٤) مطوفون وحجاج ، كالفصل الأول (٥- ٨) والفصل الثالث (١٥ - ١٨) والفصل الرابع (١٨ - ٢٢) ، والفصل الثامن (٤٨ - ٥٣) ، والفصل العاشر والحادي عشر والثاني عشر والرابع عشر .

(٥) مطوفون وحجاج ، ص (١١٥ - ١١٦) .

٣- كما أنه استخدم في سرد أحداث روايته أسلوباً فنياً آخر تمثل في أسلوب المذكرات .. ووظف الكاتب هذا الأسلوب من خلال بطل الرواية الذي دون بعض الأحداث التي وقعت له مرتين :

المرة الأولى :

عندما دون حسن بطل الرواية مذكراته وهو يتنقل بين الأرياف والقرى المصرية أثناء رحلته إليها، ليتعاقد مع من يريد الحج من أهلها، ناقلاً لنا من خلالها ما عرض له من أحداث أثناء تلك التنقلات، فوصف من خلالها الأماكن التي زارها، والأشخاص الذين التقى بهم، والأحاديث التي دارت بينه وبينهم وقد مهد الكاتب لهذه المذكرات بقوله :

" وفي الأيام التالية من تجواله كان قد كتب في مذكراته ما يأتي ... " (١) وبلغ عدد المذكرات في هذه المرة (تسع [٩] مذكرات) استغرقت نحو اثنتي عشرة [١٢] صفحة (٢)

وزمنها بدأ من يوم الاثنين ٢٢ شعبان (أول مذكرة) إلى يوم الثلاثاء ٨ شوال (آخر مذكرة)

أما في المرة الثانية :

فقد دون حسن مذكراته وهو في مكة المكرمة بعد أن حل موسم الحج، ومهد لها الكاتب بقوله :

" ووصلت أفواج الحجاج مكة فكتب حسن مذكراته يصف فيها الأيام القادمة وقد جاء فيها ... " (٣) فوصف من خلالها كثيراً من الأحداث التي وقعت بين بطل الرواية (حسن) وبين (حجاجه) وبلغ عددها في هذه المرة ستاً [٦] استغرقت نحو ثلاثاً وعشرين [٢٣] صفحة (٤) أما زمانها فبدأ بيوم الجمعة ٢٥ ذي القعدة (أول مذكرة) وانتهت بيوم الأحد ٥ ذي الحجة (آخر مذكرة)

والمذكرات التي استخدمها الكاتب في المرة الأولى من خلال بطل الرواية هي شبيه بيوميات

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص ٢٣ .

(٢) مطوفون وحجاج ، من ص إلى ص (٢٤ - ٣٦) .

(٣) مطوفون وحجاج ، ص ٥٤ .

(٤) مطوفون وحجاج ، ص .ص (٥٤ - ٧٧) .

الرحلة، وهي تلك المذكرات التي يدونها الرحالة (كما هو حال بطل الرواية) أثناء رحلته يصف فيها ما يشهده وما يخالجه من مشاهد وانطباعات .. [1]

واستخدام الكاتب لأسلوب المذكرات المشار إليه أعلاه في بعض مقاطع روايته قام بوظائف عدة من أبرزها :-

ـ أنه أكسب الرواية بعداً واقعياً .

ـ كرس الزمن الذي تؤرخ له تلك المذكرات فعمق بالتالي من عنصر الزمن في الرواية بمجملها ...

كما أن هذا القالب الفني يمنح الكاتب فرصاً كثيرة للتعبير عن المواقف والشخصيات - من خلال شخصية البطل - تعبيراً يمزج ما بين الذاتي والموضوعي في العمل الفني [2] في آن واحد .

د ـ الحوار :

والحوار الذي دار في الرواية هو في مجمله حوار مباشر بين الشخصيات ، وكانت شخصية بطل الرواية (حسن) طرفاً رئيسياً في ذلك الحوار ، ولم تشترك شخصيتان أو أكثر في حوار مباشر بينها بعيداً عن شخصية بطل الرواية ، عدا الحوار الذي دار بين زميل حسن (أخو الفتاة) وبين زوجة أبيه (أم الفتاة) [3] .

أما لغة الحوار ، فقد جاء بعضها بلغة فصحى، وذلك حينما تكون الشخصية التي يحاورها (حسن) متعلمة أو على قدر من الثقافة، فكأن الكاتب يحاول من خلال الحوار أن يعكس مستوى الشخصيات الثقافي والاجتماعي ، ومن أمثلة ذلك الحوار الفصيح ما دار بين حسن وزميله المطوف [4] .

أما البعض الآخر فقد جاء باللغة العامية، وعلى وجه الخصوص بلهجة أهل مكة ، ويأتي ذلك حينما تكون الشخصية التي يحاورها (حسن) شخصية (أمية شعبية) حتى أن حسن عندما يحاول أن يحاورها بلغة فصيحة ، تطلب منه تلك الشخصية ، أن يحادثها بلهجتها بعيداً - كما تقول - عن كلام المدارس وفلسفتها ، وعند ذلك يجيء حديث حسن باللغة العامية

---

(١) مجدي وهبه : معجم المصطلحات ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

(٢) محمد خير موسى : فن القصة في يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، دار الثقافة ، الدرا البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م ، ص ٨٣ .

(٣) مطوفون وحجاج ، ص (١١٢ - ١١٣) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٩٠ - ١٠٩)

حتى تفهمه الشخصية الأخرى، وذلك كالحوار الذي دار بين (حسن) و (العم سليمان) [١] وبين حسن وجاره (أبو صادق) [٢] وبين حسن وأحد أقاربه المسنين [٣] .

والحقيقة أن ذلك الحوار الذي دار بالعامية كان حواراً فجاً ، أضعف إلى حد كبير من فنية الرواية ومن أسلوبها ، وجعل المتلقي لها من خارج بيئة كاتبها لا يفهم من حوارها العامي ذلك شيئاً البتة ...

وربما توخى الكاتب من ذلك الحوار العامي الواقعية التي فهمها خطأً على ذلك الأساس .. بالإضافة إلى أنه في عمله هذا كان يخاطب فئة بعينها، وهذا ما تبدى لنا من خلال إهدائه الذي سبقت الإشارة إليه ..

ونحن هنا لا نسوغ للكاتب ما لجأ إليه في عمله هذا من حوار بلغة عامية فجة ، بقدر ما ننتقد صنيعه هذا ولكن دون أن نغفل عن ربط عمله بسياقه وظروفه فحسب.

وكما استخدم الكاتب الحوار المباشر في روايته هذه فإنه استخدم الحوار الداخلي (حديث الشخصية لنفسها) ولكن في مرات قليلة جداً، محاولاً من خلاله الكشف عما يعتمل في داخل الشخصية من صراع، وجاء هذا الحوار الداخلي بلغة فصيحة وهو مرتبط بشخصية بطل الرواية (حسن) ، ومن أمثلة ذلك قول الكاتب عن (حسن) :

" كان يقول في نفسه : إني قضيت عامة العام السالف، مشتغلاً بحصيلة الموسم ، فقد استغرقت أسفاري إلى مواطن حجاجي ، وفي سبيل التعرف إليهم شهوراً طويلة ... " [٤] .

وقد يجيء ذلك الحوار الداخلي في هيئة أسئلة، يطرحها بطل الرواية على نفسه، وذلك كالأسئلة الكثيرة التي انهالت على تفكيره حينما عزم على طلب يد تلك الفتاة الجامعية [٥] .

ومما يلحظ على الحوار أنه طال في بعض المقاطع طولاً مسرفاً ، بل تحول إلى تقرير كما في حوار (حسن) مع (زميله المطوف) حول اقتراحه المتضمن (إنشاء نقابة لمهنة الطوافة) حيث أخذ ذلك الحوار منحى تقريراً، عندما بدأ حسن يشرح في إسهاب (لزميله) مزايا نظام النقابة، وما يتعلق به وعن مصاعب تلك المهنة التي لا تحل ولا تزول إلا بذلك النظام، ومن ثم

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص (٩ – ١٤) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٥٩ – ٦٩) .

(٣) المصدر نفسه ، ص (٤٠ – ٤٨) .

(٤) مطوفون وحجاج ، ص (٧ – ٨)

(٥) مطوفون وحجاج ، ص (٤٩ – ٥١) .

استطراد في الحديث عن استخدام ذلك النظام في أكثر بلاد العالم تقدماً [1] .

٥- ويلحظ أن الكاتب حاول من خلال الحوار أن يوظف أسلوب السخرية، بهدف استثارة العزة والكرامة في نفوس من تخاطبهم هذه الرواية وهم (فئة المطوفين) ، ولكن تلك السخرية جاءت من خلال الحوار العامي ، ولذلك فقدت الكثير من قيمتها الفنية والموضوعية[2]

---

(١) مطوفون وحجاج ، ص (٩٠ - ٩١) ، (٩٤ - ٩٧) ، (١٠٠ - ١٠٥)

(٢) انظر مثلاً ، ص (٤٣ - ٤٦) ، ص (٥٩ - ٦٧) .

الفصل الثاني
القصة القصيرة
دراسة موضوعية فنية

القصة القصيرة

* * تمهيد وعرض .

(١) المضامين والأفكار.

(٢) البناء الفني:ـــ

أ- السرد والحوار .

ب- الزمان والمكان .

ج- الشخصيات

فن القصة القصيرة في الأدب العربي ، هو في الواقع فن جديد .. وقد كانت بدايته عند جيل الرواد ومن سبقهم ممن حاول التجريب : " مترددة قلقة ومتخوفة ... " (١) .

أما خلاصة القول في نشأة القصة السعودية القصيرة فقد نشأت :

" نشأة متعثرة ، تنظر إلى التراث مرة وإلى القوالب الحديثة للقصة مرة أخرى ، وهي في بداياتها من الناحيتين الزمنية والفنية لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في معظم البلدان العربية الأخرى ... " (٢) .

ولحداثة الكتابة القصصية وقلة مراسها عند الرواد نلحظ انعكاس بعض السمات الأسلوبية عليها، من أبرزها التقريرية والمباشرة والخطابية، حيث بقيت عالقة بالقصص القصيرة للرواد، ومندسة في ثناياها وكان القاص منهم معنياً بمعنى ما يقول أكثر مما هو معني بمبنى ما يقول . وللرواد أعذارهم في ذلك بلا ريب .

كما نلحظ أنه قد تتماهى الحدود الكتابية عند الرواد بين : " شكل القصة القصيرة وبين أربعة أشكال سردية مماثلة في آن، وهي الأقصوصة والصورة القصصية والمقالة القصصية والقصة ، يرين هذا التماهي على الذاكرة القصصية ، كما يرين على الذاكرة النقدية ... " (٣)

ويعد السباعي - عند أكثر من باحث - أباً للقصة الحديثة في الأدب السعودي ، حيث استمد أحداث قصصه القصيرة من : " واقع معاناته الواقعية في مجال تعليمه وثقافته وعمله وعادات أسرته، والمجتمع الحجازي من حوله، وأراد أن تحكي قصصه تاريخ تلك الأوضاع السائدة ، وذلك من خلال تتبعه لأحداث وخصائص أحد الأفراد ليكون بمثابة نموذج لواقع شخصيات المجتمع الذي يعيش فيه .. " (٤) .

والقصة عنده [حاله كحال بقية روادها] : " ليس لها حدود ثابتة أو قوالب معينه ... فهو كاتب قصصي بالسليقة .. " (٥) .

فإذا كان السباعي لم يكتب قصة قصيرة بالمعنى الفني لهذه الكلمة فإنه قد " كتب مع ذلك القصة بمعناها العام " (٦)

---

(١) د. السعيد الورقي : اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٤م . ، ص ١٢ .

(٢) د. منصور الحازمي ، فن القصة ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

(٣) نجيب العوفي : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية من التأسيس إلى التجنيس ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧، ص ٥٥ .

(٤) د. إبراهيم الفوزان : الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، مرجع سابق ، ٢/ ٧٢٥ .

(٥) (٦) د. منصور الحازمي : فن القصة ، ص ١١٠ ، ١١٥ .

فكما اتخذ الكاتب من الفن الروائي وسيلة للإصلاح الاجتماعي والتربوي، فإنه فعل الشيء ذاته فيما يتعلق بفن القصة القصيرة، فهو كتبها على اعتبار أنها وسيلة، وبالتالي لم يلتزم ببعض قواعدها الفنية ...

وإذا كان الكاتب في رواياته ينطلق من منطلق رومانسي منهجاً وطرحاً ومعالجة كما مربنا، فإنه في قصصه القصيرة ينطلق من منطلق واقعي منهجاً وطرحاً ومعالجة، وإن لم تخل واقعيته هنا من بقايا رومانسية أسلوباً ومضموناً ... فالسباعي يمثل بداية الطريق في : " الاتجاه الواقعي في القصة الحديثة في المملكة العربية السعودية ، ولعلنا لا نكون مبالغين إذ قلنا إنه مبتكر التصوير الواقعي للحياة الاجتماعية الحديثة في الأدب السعودي ... فهو على الرغم من قلة إنتاجه يعد معلماً من معالم التطور في فن القصة القصيرة التي تتجه نحو الواقعية في كل شيء ، في موضوعاتها وأحداثها ورسم شخوصها والحوار الذي يدور على أفواه هذه الشخوص... [١] .

والواقعية التي نصف بها هنا قصص الكاتب لا تخرج من حيث المفهوم والمعنى عن تلك الواقعية التي سبق وأن وصفنا بها مقالاته، والمتمثلة في مشاكله الواقع، والنقل عنه نقلاً أميناً وصادقاً قدر الإمكان سواء في المادة والتقنية ويعد هذا الملمح هو الأول والأساسي من ملامح القصة الواقعية [٢] .

ومقدمة الكاتب لمجموعته القصصية التي صدرت لأول مرة في عام ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م[٣] بعنوان (خالتي كدرجان) . وصدرت في طبعة ثانية في عام ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م[٤] وهذه الطبعة الأخيرة هي التي سنعتمدها في الإحالة إلى النصوص القصصية التي ستظمها هذه الدراسة ، أقول تلك المقدمة تصور أصدق تصوير منهج الكاتب القصصي حيث يقول فيها :

"أردتها أقاصيص من صميم الحياة ..أردتها لتكون مرآة يصافحنا فيها واقعنا من غير رتوش!!

---

(١) د. طلعت صبح السيد : القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية، مطبوعات ، نادي الطائف الأدبي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٥١ .

(٢) د. السيد إبراهيم : نظرية الرواية ، مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

(٣) عن دار قريش ، مكة المكرمة ، انظر د. علي جواد الطاهر معجم المطبوعات العربية ، مرجع سابق ، ٣٨١/١ .

(٤) عن دار تهامة ، جدة ، سلسلة الكتاب العربي السعودي ، رقم (١٨) .

وأنا أؤمل أن نعالج بأمثالها بداواتنا الخاطئة !! " [١]

وعدّت هذه المجموعة فيما بعد : " البداية الرائدة التي انطلق منها الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة ... " [٢] .

وبما أن الواقعية تتعدد اتجاهاتها ، يمكننا القول بأن قصص الكاتب جمعت بين اتجاهين واقعيين الاتجاه التسجيلي والاتجاه التحليلي ..

فالواقعية التسجيلية هي واقعية : " مضمون ، تأتي العناصر الفنية في مرتبة تالية [وهي لهذا تتأرجح أحياناً ما بين] الصورة القصصية والقصة المقالية والقصة القصيرة ... " [٣] .

كما أن أصحابها يطلقون لأنفسهم العنان في السرد المباشر .. وهم ثائرون على قواعد النقاد التي تتعلق بالقصة .. " [٤]

وإذا كانت الواقعية التسجيلية تتسم في إطارها العام : " بالصدق في نقل الصور العريضة من المجتمع فإنها تفتقد لصفة العمق ... " [٥] .

وأغلب قصص الكاتب تندرج تحت هذا الاتجاه . وذلك كقصصه (خالتي كدرجان ، أبو ريحان السقا ، وصبي السلتاني ...) .

أما الواقعية التحليلية فهي تلك الواقعية التي دارت قصصها : " حول الإنسان باعتباره فرداً في جماعة يؤثر فيها ويتأثر بها ، وينعكس ذلك على سلوكه وأفعاله .. كما اهتمت بأثر العوامل البيئية والاجتماعية والنفسية في تكوين الشخصية وتأثيرها في سلوكه ... " [٦] .

كما أنها تهتم بالأبحاث النفسية ، وتحاول أن تطبقها على شخصياتها ، فهي تبحث في الدوافع والمبررات جامعة في أسلوبها بين الوصف الخارجي للبيئة والحديث الداخلي للشخصيات ... [٧] .

---

(١) خالتي كدرجان ، ص ٩ .

(٢) حصة الحارثي : الاتجاه الواقعي في القصة السعودية القصيرة ، رسالة ماجستير ، مخطوطة ، إشراف : د. محمد مريسي الحارثي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، ١٤١٥هـ ، ص ١٤ .

(٣) د. محمود الحسيني المرسي : الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية حتى عام ١٩٨٠م ، دراسة في المضمون والبناء الفني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٢٧٦.

(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٤٦.

(٧) انظر د. السعيد الورقي ، اتجاهات القصة القصيرة ، مرجع سابق ، ص (٢٦٥ - ٢٧٠)

وهذا ما تعكسه قصة الكاتب : " اليتيم المعذب " كما سيظهر لنا لاحقاً .

والحقيقة أننا قد نجد في الواقعية التسجيلية ملامح من الواقعية التحليلية ، والعكس صحيح أيضاً ، وهكذا فالاتجاهان متداخلان ويصعب الفصل بينهما فصلاً نهائياً .

وللكاتب نحو تسع قصص قصيرة ، ضمت مجموعته القصصية : (خالتي كدرجان) ستاً منها [1] وهي :

(خالتي كدرجان ، وصبي السلتاني ، وأبو ريحان السقا ، وأخطأ العفريت ولم أخطئ!! ، بعد أن طاب السفرجل ، واليتيم المعذب)، ويلحظ أن قصته الأخيرة هذه (اليتيم المعذب) قد نشرها الكاتب منفردة قبل أن تظهر مجموعته القصصية السابق ذكرها ، ونشرها تحت عنوان: (صحيفة السوابق) [2] وهذا الأمر لم ينتبه له بعض من كتبوا عن الكاتب أو عن القصة السعودية ...

كما يلحظ على القصة نفسها بعض التعديلات التي قام بها الكاتب، من خلال المقارنة بين طبعتها الجديدة ضمن المجموعة القصصية وبين طبعتها القديمة بمسماها القديم (صحيفة السوابق)، وتلك التعديلات لم تمس جوهر القصة، حيث لم تتعد تقديم بعض العبارات وتأخير الآخر، أو استبدال بعض العبارات بأخرى، ومثل ذلك استبدال بعض الأسماء بأخرى وما شابه ذلك ...

وهناك ثلاث قصص أخرى ضمها كتابه (أوراق مطوية) الذي سبقت الإشارة إليه عند حديثنا عن فن المقالة .. وتلك القصص هي :

(متى يستقيم الظل [3]، بالطو للبيع [4]، ويمكن أن نعد هذه الأخيرة أول قصة قصيرة للكاتب،حيث نشرت لأول مرة بجريدة البلاد السعودية عام ١٣٦٧هـ [5]،وأخيراً قصة يا رب [6]).

---

(١) وليست خمساً كما وهم بعض الدارسين ، انظر

د. مسعد العطوي : الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة ، إصدارات نادي القصيم الأدبي ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ص ١٥٠ .

(٢) عن دار مصر للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ وتقع في نحو (٧٢ صفحة) ، ووزعت على (١٥) خمسة عشر فصلاً .

(٣) أوراق مطوية ، مصدر سابق ، ص (٣١٣ - ٣٢٠) .

(٤) المصدر السابق: ٣٢١ ــ ٣٢٤

(٥) البلاد السعودية ، ع ٦٩٣ في ٦ ربيع الثاني ١٣٦٧ هـ ، ص ١١ .

(٦) أوراق مطوية : ٣٢٥ ــ ٣٢٧.

ويلحظ أن هذه القصة نشرت لأول مرة بمجلة المنهل عام ١٣٧٤هـ [١] .

ونشير هنا إلى أن هناك بعض المقاطع من رواية (فكرة) نشرت للكاتب في كتابه : (أوراق مطوية)، على أنها قصص قصيرة للكاتب . ولا استطيع الجزم حول من قام بهذا العمل ، هل هو الكاتب (السباعي) ، أم جامع الكتاب المذكور أعلاه وأعني به (عدنان الحارثي)، وتلك المقاطع من رواية (فكرة)، وضعت تحت عناوين بارزة ، بحيث أصبح لكل مقطع عنوان خاص به ، ويلحظ تداخلا بين تلك المقاطع مقارنة بما وردت عليه في أصل الرواية ، وبما وردت عليه في هذا الكتاب. كما نلحظ اختلافا في المقاطع من حيث ترتيب العبارات والجمل داخل المقطع الواحد ، مقارنة بين الأصل الروائي وما ورد عليه المقطع في هذا الكتاب ، وبشيء من التأمل بدا لي أن هذه المقاطع من رواية فكرة التي ضمها كتاب (أوراق مطوية) أنها ربما كانت في الأصل مسودات لرواية (فكرة)، وجدها جامع الكتاب لدى المؤلف فضنها قصصا قصيرة ومن ثم ضمها لكتاب (أوراق مطوية)، ولم يتنبه الكاتب لذلك خصوصا أن ذلك الكتاب جمع والكاتب في أواخر حياته، فكان لعامل السن دور كبير في غفلة الكاتب عن هذا الخطأ .

وتلك المقاطع هي ثلاثة مقاطع، وعنون لها في كتاب أوراق مطوية كالتالي :-

" نابغة جيل [٢] ، بين قرى الطائف [٣] ، قصة جديدة [٤] "

وهذا الأمر لم ينتبه له أحد الدارسين، فوقع عندئذ في خطأ منهجي وذلك حينما تناول أحد تلك المقاطع بالدراسة والنقد،على اعتبار أنه قصة قصيرة،وهو المقطع الذي عنون له بـ "بين

---

(١) العدد (٧) رجب وشعبان ، ١٣٧٤هـ ، مارس إبريل ١٩٥٥م ، ص.ص (٣٤٢ - ٣٤٣) .

وأعيد نشرها مرة ثانية بجريدة الندوة ، ع ٤٠ . في ٢١ / ١٢ / ١٣٧٧هـ ، ص ٣ .

ويلحظ أن هناك بعض التعديلات في بعض المسميات وصياغة بعض العبارات لحقت بالقصة في كلا المرتين التي نشرت فيهما ولكنها لا تمس جوهر القصة ومضمونها .

(٢) انظر أوراق مطوية : ص.ص (٢٩٧ - ٣٠١) ، وقارن ذلك بما ورد في رواية (فكرة) ، ص. ص(٤١ - ٤٨) .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ص (٣٠٣ - ٣٠٧) . وقارن ذلك بما ورد في رواية (فكرة) ، ص. ص(٨٤ - ٨٧) . و ص .ص (١٠١ - ١٠٨) .

(٤) أوراق مطوية ، ص.ص (٣٢٩ - ٣٣٣) . وقارن ذلك بما ورد في رواية (فكرة) ص. ص(٦٧-٧٥) .

قرى الطائف) [1] وبما أن ذلك المقطع مرتبط بسابقه وبلاحقه ، إضافة إلى تداخل في عباراته وجمله، لذا كان خالياً من الحدث وحركته، عند فصله عن سابقه ولا حقه، وهذا ما شعر به ذلك الدارس ، فلم يفطن إلى هلهلة البناء الفني لذلك المقطع على اعتباره قصة قصيرة ومن ثم حاول أن يجد مخرجاً فعبّر عن ذلك بقوله :-

" لقد كانت اللغة في اعتمادها على الصورة البيانية ، تحكي حدث التحول من موقف إلى موقف ، فلئن غاب الحدث فقد حضرت حكايته بهذه اللغة ... لقد كان السباعي يستوحي حدثاً للحظة ... " [2] ومن ثم أوقع نفسه في خطأ منهجي آخر ...

كما أن هناك موضوع آخر بعنوان : (عندما تخطئ الجماهير) أدرج في الكتاب المذكور على اعتبار أنه قصة قصيرة أيضاً [3] . بينما هو في الحقيقة لا يعدو بأي حال من الأحوال باب المقالة . وخير دليل على ذلك قول الكاتب في نهايته : " هذه شواهد معدودة التمسناها من نوع واحد في وقائع الحياة ، ولو شيئنا وأباحت الصحيفة من حقولها ما نريد لعززناها بآلاف من أمثالها ، بما يثبت في مجموعه أخطاء الجمهور في الحياة " [4]

أما قصصه المشار إليها سابقاً ، فسنتناولها بالدراسة من خلال الوقفات التالية :-

١- المضامين والأفكار :

المضامين التي تطرحها قصص الكاتب هي في مجملها مضامين اجتماعية وتربوية، لا تخرج عن هاجسه الذي كان يطرحه بطريقة أو بأخرى في مقالاته أو في رواياته ..

فقصة (خُالتي كدرجان) تدور حول صورة اجتماعية نلحظها في بيئتنا العربية ومن ضمنها البيئة السعودية ، فهي تطرح قضية (العنوسة) . وذلك حينما لا تملك الفتاة القدرة على اتخاذ قرار فيما يخص زواجها ، ويبقى ذلك القرار مرهونا بأسرتها ممثلة" في الأب أو الأخ أو ابن العم وما إلى ذلك ..

فحاول الكاتب من خلال هذه القصة أن يتلمس بعض أسبابها ونتائجها .. فالقصة تحكي حياة امرأة منذ كانت فتاة حتى توفيت وهي عجوز، بعدما أصيبت في أواخر أيامها بلوثة عقلية .

---

(١) انظر د. عالي سرحان القرشي : حركة اللغة في قص السباعي ، مجلة الدارة ، س ٢٣ ، العدد الثاني ، ١٤١٨هـ ، ص. ص (٨- ١٠)

(٢) المرجع السابق ، ص ٩

(٣) انظر أوراق مطوية ، ص (٣٠٩ - ٣١١) .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣١١ .

شبت تلك المرأة (كدرجان) في كنف والدها ، هيفاء في جمال مفرط ، وعاشت معه في بيت كبير لوحدهما بعد وفاة والدتها وهي ما تزال طفلة ثم وفاة أختها الكبرى و (كدرجان) ما تزال يافعة ... وكان والدها شيخاً كبيراً ، وثرياً من ذوي الأملاك فاشتد الطلب على يدها ، فلم يوافق والدها على زواجها خشية أن تنتقل أمواله إلى يد أجنبية .

فعاشت الفتاة في بيت أبيها منطوية على خدمته، ثم لم يلبث الوالد طويلاً حتى وافاه الأجل وابنته (كدرجان) ما تزال في ميعة صباها، عند ذلك تقدم ليدها ابن عمها الذي كان وصياً عليها بعد وفاة والدها ، ولكنها لم تقبل به زوجاً لها حيث إن أولاده في مثل سنها . وعند ذلك جازاها على رفضها له بعناد وكيد ومكر ، تمثل في رفضه لكل من يتقدم لخطبتها، مخترعاً لكل خطيب عيباً يستند عليه في الرفض ، فعاشت (كدرجان) عانساً بسببه .

وفي أحد الأيام زارها ضيوف من أندونيسيا قدموا إلى الحج في ذلك العام (شاباً وامرأتين) يحملون لها رسالة من أقرباء أبيها هناك، وعندما رأها ذلك الشاب الأندونيسي أعجب بها ورغب في الزواج منها .. حيث أتت إلى منزل (كدرجان) (شيخة الحجاج) وذلك بعد ساعات من وداع كدرجان لضيوفها، لتخبرها برغبة ذلك الشاب في طلب يدها .

وأهابت تلك (الشيخة) (بكدرجان) بأن تتخلص من وصاية ابن عمها، حيث إنها الآن في سن لا تحتاج فيه إلى وصي عليها .

وذكرت لها (الشيخة) بأن ذلك الشاب سيسافر بعد الحج، إلى بلده مع (أمه وأخته) اللتين رافقتاه أثناء زيارته لمنزل (كدرجان) - وذلك لكي يخبر والده بما عزم عليه ويحصل على قبوله ، ويحضر المهر أيضاً ، فوافقت (كدرجان) على طلب الشاب وعزمت على التخلص من وصاية ابن عمها، وانتهى الموسم وتلاه آخر وآخر و (كدرجان) تنتظر عودة ذلك الشاب دون أن تفقد الأمل، وأثناء ذلك حاولت أن تتصل بتلك (الشيخة) ولكنها لم تكن تعرف لها عنواناً حيث لم تشاهدها من قبل .

وظلت تعيش على أمل عودة ذلك الشاب سنوات وسنوات ، تسللت الكهولة أثناءها إلى محياها الوسيم ، ولكنها رغم ذلك تأبى أن تعترف بتقدم سنها ، ولذا كانت تتكلف في زينتها وطريقة مشيتها، وتتصرف تصرف العروس المجلوة من ليلتها، وما أشبه ذلك مما لا يتوافق مع سنها، فكانت تلك المفارقات تغري جاراتها بالسخرية منها ولهذا يطلقن عليها

(خالتي كدرجان)[1] .

أما قصة : (اليتيم المعذب) فهي تطرح قضية الطفولة المشردة وعلاقتها بالجريمة ، ومن ثم نظرة المجتمع السلبية لذلك الفرد التائب في مستقبل أيامه حيث يبقى المجتمع يلاحقه بجريرته السالفة ...

فتحاول القصة أن تعالج فكرة التربية ودورها في تنشئة الفرد وتحديد مسلكه ، والطفولة وخطورتها في تحديد ميول الفرد واتجاهه مستقبلاً ، وفكرة البيئة وأثرها في تكوينه النفسي والعقلي [2] .

وتطرح سؤالاً حول مصير ذلك الفرد التائب من جرائره الماضية ، وكيف يواجه المجتمع الذي يتربص به ولا يقبل فكرة توبته .

ونلحظ أن الكاتب قد اهتم كثيراً بهذه القضية ، قضية التربية والطفولة والشباب كما مربنا في بعض مقالاته، وفي بعض مقاطع من رواياته ، وكما سيمر بنا في سيرته الذاتية .

(فاليتيم المعذب) قصة طويلة نسبياً ، وهي تحكي حكاية الطفل (علوة) الذي توفيت والدته غريبة بالمستشفى ، وهو آنذاك ما يزال في أيامه الأولى ، فرق لحاله رجل صالح وطيب ، حيث طلب من الطبيب المسئول في ذلك المستشفى بأن يسمح له بأخذ ذلك الطفل إلى منزله ، فوافق الطبيب وبعد فترة قصيرة توفي ذلك الرجل الطيب و (علوة) ما يزال صغيراً، فبقي مع زوجة ذلك الرجل وكانت امرأة شريرة ، حيث لم يتخط (علوة) عامه الثاني عشر ، حتى ألحقته بأعمال قاسية ، لا يستطيع أن يمارسها من هو في مثل سنه، وبسبب تلك المعاملة القاسية ، كانت نظرة (علوة) للحياة نظرة سوداء ، يرى أنه لا فوز فيها إلا للقوي وصاحب الحيلة ، وساقته ظروفه تلك لاحقاً إلى السرقة ، ليقبض عليه ويودع السجن ، وعند ذلك يخالط عتاة اللصوص فيه، وأبرزهم (أمين جاوي)، ليزداد خبرة بما كان يجهله من ألوان الحيل والنصب فيهرب من السجن ، ولا يلبث طويلاً حتى يقبض عليه مرة ثانية ليعود إلى سجنه السابق ، ولكن في هذه المرة اختلط في سجنه بطالب علم ، استطاع أن ينفذ إلى أعماق (علوة) فيجلو بصره وبصيرته ، ويوضح له الجانب المضيء من الحياة ، فتأثر به (علوة) تأثراً بالغاً ، ليخرج من السجن هذه المرة تائباً ، بعد أن عقد العزم على عدم العودة إلى أعمال السرقة وما شابهها .. وبعد

---

(١) الدرجان مشية الشيخ والصبي ، ابن منظور في اللسان ، مرجع سابق ، ٢/ ٢٦٦ . وانظر ، الزمخشوي ، أساس البلاغة ، مرجع سابق ، مادة (درج) ، ص ١٨٥ .

(٢) حصة الحارثي : الإتجاه الواقعي ، مرجع سابق : ٢٢ .

خروجه من السجن واجه صعوبات متعددة تمثلت في ماضيه السلبي، حيث لا يعلم صاحب أي عمل يلتحق به (علوة) عن ماضيه بطريقة أو بأخرى ، حتى يطرده من العمل .. وتكرر ذلك كثيراً مما جعل (علوة) يتساءل قائلاً : " أمن العدل أن أعاقب بجرائر ساقتني إليها ظروف كنت أجهل مقاومتها ؟ وإذا كان الله قد شمل التائبين بعفوه فما بال عباده يناصبونهم العداء ، ويغلقون أمامهم أبواب الحياة " [1]، وسمع (علوة) في إحدى المرات عن مدينة (جدة) وعن سهولة الكسب فيها ، فسافر إليها فمارس بداية بعض الأعمال البسيطة، وشيئاً فشيئاً توسعت أعماله التجارية ، فرغب في الزواج ، فتذكر ابنة (اليابا) ذلك المهندس الشعبي الذي عمل عنده (علوة) في بداية صباه ، وكانت زوجه تعطف على (علوة)، فسافر إلى مكة وعند لقائه بابنة ذلك المهندس وبوالدتها وجد حالهما قد تبدلت من يسر إلى عسر بعد وفاة (اليابا)، فعند ذلك تقدم لطلب يد تلك الفتاة ابنة (اليابا)، بعد أن شرح لوالدتها ما هو فيه من يسر بعد أن تبدلت أحواله، فوافقت على طلبه ثم عاد بهما معه إلى منزله في (جدة) ومع مرور الوقت أصبح مشهوراً ومعروفاً خصوصاً وأنه كان يعطف على الفقراء والمساكين ويأويهم في منزله ليقدم لهم المأكل والمشرب ، وفي أحد الأيام زاره في دكانه رجل فقير اتضح لعلوة بأنه أحد زملائه السابقين في السجن ، فعطف عليه (علوة) ولكن ذلك الرجل بدأ يستبز (علوة) مستنداً على ماضيه في السجن، حيث أخذ يهدده بفضحه بين الناس ، وفي إحدى المرات رفض علوة ذلك الاستبزاز ، فابطن زميله الكيد له .. وفي يوم من الأيام شاعت قصة سرقة كبيرة ، ولم تستطع الشرطة القبض على السارق ، عند ذلك تقدم زميل علوة المذكور إلى قسم الشرطة ، فوشى (بعلوة) مدعياً بأنه هو السارق ، مدعماً ادعاءه بماضي علوة في السرقة ، وعندما تأكد للشرطة ما ضي علوة السيء بمراجعة ملفه (في مكة) داهمته في منزله للقبض عليه ، ولكن علوة ، هرب من المنزل قبل وصول الشرطة ، إذ علم بوشاية زميله عليه ..

ومن ثم كانت نهاية القصة نهاية مفتوحة حيث يقول الكاتب :

" وبذلك أسدل الستار على الرجل التائب ، وضاع في غمرات الحياة كضحية لما نسميه (صفحات السوابق)، ورؤى علوة بعد سنوات من الحادث في مدينة من جزر جاوا، يصاحب أستاذه القديم (أمين الجاوي) الذي علمه بعض فنون اللصوصية في السجن !! فهل عاد سيرته الأولى ؟؟؟

إذا صح هذا فمن المسؤول ؟؟ " [2]

---

(١) خالتي كدرجان ، ص ٦٨

(٢) خالتي كدرجان ، ص ٧٧ .

وقصة (صبي السلتاني) تنقل لنا صورة من ذلك الصراع السياسي والاجتماعي بين الساسة الأتراك دستوريين وأحرار في أواخر أيام الخلافة العثمانية، ذلك الصراع الذي امتد إلى منطقة الحجاز ، كل ذلك تم من خلال تصوير الكاتب لشخصية صبي السلتاني (أبي طافش) ذلك الفتى الذي كان رواد ذلك الدكان وأهل الحارة يكثرون من الضحك عليه، لما كان يصدر منه من تصرفات تنم عن البله والغباء، لتكون المفاجأة في نهاية القصة، حيث تتكشف حقيقة ذلك الفتى الأبله والغبي، فإذا هو جاسوس كان يمد السلطة في تركيا بالمعلومات عن خصومها .. فالقصة تصور لنا شخصية الجاسوس من خلال نموذج (أبو طافش) ومن خلال ذلك تنقل لنا في الوقت نفسه مشاهد من الحارة وأخلاقيات وسلوكيات أهلها .

وعليه يمكن اعتبار القصة جزءاً من التاريخ السياسي والاجتماعي لتلك الفترة في الحجاز ، وقصة (أبو ريحان السقا) . تنقل لنا صورة عن الواقع المعاش لفئة من العمال في بيئة (مكة المكرمة) في فترة زمنية معينة ، حددها الكاتب بزمن إعلان الثورة العربية الكبرى أيام الشريف / الحسين بن علي .. مبيناً من خلالها نظام العمل لتلك الفئة ، فئة السقائين ، كل ذلك من خلال نقل مشاهد من حياة أحد أفرادها وهو (أبو ريحان السقا) الذي كان يتجمع حوله بعض الأطفال [ومن بينهم الكاتب أيام طفولته] فيعابثونة أثناء صعوده أو نزوله من أحد الجبال وقربته على ظهره .. وذلك لما اتصف به من عي وغفلة وحماقة ، حيث كان يحمل قربة تعددت ثقوبها فلا تفتأ ترش الشارع ومن خلفه بالماء ، وفي الوقت نفسه كان يتصف بالشره والطمع والبخل ومن هنا كانت نهايته نهاية مأساوية ، إذ حمل إلى المستشفى بعد أن أخذ يهذي، وسبَبُ هذيانه راجع إلى أن أبا ريحان عاش محروماً لذة العيش، يجمع الهللة إلى الهللة ولا يسخو لنفسه بلقمة طيبة يشتهيها ، ولكن استطاع أحد الشطار أن يستغفله ويستولي على حصيلة العمر ، عند ذلك صدم أبو ريحان ونقل على أثر ذلك إلى المستشفى ليواجه ذهول الموت ...

أما قصة : (بعد أن طاب السفرجل) فهي تصور فكرة الحب البريء الذي نشأ بين طفل وطفلة من خلال اختلاطهما ببعضهما في البيت وفي الكتّاب، ثم يكبر معهما، وهما في الواقع من طبقتين اجتماعيتين مختلفتين ، فقرٍ وغنى ، ومن هنا تعترض نهايته السعيدة بالزواج بعض العقبات، من خلال مجتمع الحارة كل ذلك من خلال حكاية الطفل حسان (ابن قاسم) بائع البليلة ، والطفلة سعدية ابنة أحد الصاغة المشهورين ، يبتعد حسان عن سعدية وهما ما يزالان طفلين بعد أن طردت والدة سعدية حساناً من البيت، وطلبت منه عدم الحضور إلى

المنزل مرة ثانية .. افترق شخص الطفلين، ولم يفترق قلباهما وتوفي والد حسان فرعاه أحد الأشراف، ومن ثم اكتسب منزلة رفيعة في مستقبل أيامه، ليعود بعد ذلك فيتزوج بسعدية التي توفي والدها وبقيت ترفض كل من يتقدم لها حتى عاد الغائب المنتظر ... عند ذلك طاب السفرجل ، تلك الفاكهة التي كان يتهاداها حسان وسعدية في طفولتهما ..

أما قصة (أخطأ العفريت ولم أخطئ) فهي تعرض لبعض المعتقدات الشعبية الباطلة والمتمثلة في الشعوذة والخرافة ، والتي أكثر من الحديث عنها الكاتب كثيراً في مقالاته كما مربنا، وفي سيرته كما سيمر بنا، كل ذلك تم من خلال حوار دار بين زوج وزوجته، حيث ارتطمت رجل الزوج وهو يسير في أحد الأيام بحجر ، فأصيب ببعض الرضوض ، ومرت الأيام ولم تتحسن حالته ، عند ذلك اعتقدت زوجته بأن ذلك الحجر لا بد وأن يكون من (عمار الأرض) أي أنه جني تشكل في صورة حجر ، ومن هنا دار حوار طويل بين الزوج والزوجة حول هذا الاعتقاد، فهو لا يؤمن بما تقوله وتعتقده ، وهي تسعى لإقناعه بذلك . ومن ثم يحاول هو أن يثبت لها خطأ ما تعتقده .

وقصة (بالطو للبيع) تعالج قضية الشهادة العلمية والعمل اليدوي / العملي ، والتي طالما طرقها الكاتب أيضاً في بعض مقالاته وسبق أن وقفنا عندها، وعرض الكاتب لهذه القضية من خلال حكاية الفتى (فتحي) الذي كان والده حرفياً ، فعني به عناية فائقة من خلال الاهتمام بتعليمه ، والاهتمام بملبسه ، ومن ذلك أنه أشترى له (بالطو) كان فتحي يخطر فيه ذهاباً وإياباً ، وفجأة توفي والده فاضطربت معيشته ، فلم يستطع أن يوفق بين حياة الفقر وبين ما كان يتمتع بع من عناية والده فيما سبق ، ومن ثم توجه فتحي إلى الراوي / الكاتب ، كي يرشده إلى التصرف الصائب ، فأشار عليه الراوي بأن يخلع رداءه الذي يلبسه (البالطو) رداء الوجاهة ، ومن ثم يندمج في إحدى المهن العملية ، فإن ذلك لا يتعارض مع ما يحمله من شهادة علمية ، ودار بينهما حوار حول هذه الفكرة ، انتهى باقتناع فتحي بما أشار عليه به الراوي .

وقصة (متى يستقيم الظل) تعالج قضية اجتماعية وتربوية وأخلاقية في وقت واحد، ألا وهي قضية " ابتعاث الفتاة السعودية لإكمال دراستها الجامعية بالخارج " فتكشف لنا القصة عن بعض العقبات التي تواجهها الفتاة عندئذ، ومن أبزرها الاختلاط بين الجنسين ، ذلك الاختلاط الذي لن تستطيع الفتاة السعودية بتربيتها الإسلامية والمثل التي نشأت عليها تقبله وهذا ما حصل لبطلة هذه القصة ، حيث جعلها الكاتب بخياله الخصب تواجه تلك التجربة فعلياً

، فالبطلة التحقت بكلية الآداب في بلد (عربي مجاور) ومن ثم ساق الكاتب على لسانها انطباعاتها عن تلك التجربة وذلك الوضع ، والذي أبانت البطلة بأنها لم تستطع أن توفق بين تربيتها الإسلامية ومثلها، وبين ما هو قائم فعلياً في ذلك البلد، ومن ثم قررت أخيراً العودة إلى بلدها .

وهذا القصة تعد بطريقة أو بأخرى دعوة رائدة ومبكرة من (الكاتب) آنذاك إلى فتح باب التعليم الجامعي والعالي للفتاة السعودية داخل وطنها .

٢ــ البناء الفني:ــ

أ ــ السرد والحوار :-

جاء سرد بعض قصص الكاتب القصيرة ولا سيما قصصه المشهورة (كدرجان ، أبو ريحان السقا ، صبي السلتاني) سرداً تاريخياً يعتمد فيه الكاتب على الذكريات ، فتلك القصص هي جزء من ذاكرة تاريخية لحياة الناس عاشها الكاتب ذاتياً أو ورثها حكائياً، عبر ذاكرة جماعية تتواصل في تراثها الأدبي والتاريخي ... وهذا ما حدا بأحد الباحثين إلى القول : "تتخذ القصة القصيرة عند السباعي طابع التذكر أو الذكريات التي يرويها بضمير المتكلم في معظم الأحيان .. " (١) .

والحقيقة أن الكاتب لم يكن يعتمد في كل قصصه على طريقة الراوي ومن ثم استخدام ضمير المتكلم، فبعض القصص استخدام فيها ضمير الغائب ، وذلك كما في قصة : (اليتيم المعذب ، بعد أن طاب السفرجل ، ويارب ...) مثلاً ، وقصة (بالطو للبيع) على سبيل المثال بدأها بضمير الغائب ثم عاد يستخدم ضمير المتكلم من خلال الحوار الذي دار بين بطلها (فتحي) وبين الراوي / الكاتب .

وقد يسند الحديث فيها إلى بطل القصة كما في قصة (متى يستقيم الظل) ، حيث يقول : " قالت تحدثني نجحت بتفوق ، فاختار والدي أن التحق بكلية الآداب في بلد خارجي قيل إنه محافظ أكثر من غيره ... " (٢) .

ولا شك أن استخدام أسلوب الراوية بضمير المتكلم أو إسناد الحديث إلى بطل القصة يوحي بحقيقة الأحداث ويدعم من واقعيتها ..

ومما يلحظ على سرده من حيث البدايات،أنه في أغلب القصص يكون منصباً على وصف الشخصية فمثلاً يقول في بداية قصته (خالتي كدرجان) : "لم يكن اسمها (كدرجان) سترثى

---

(١) د. منصور الحازمي : البيئة المحلية في قصص السباعي ، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(٢) أوراق مطوية ، ٣١٣ .

لها إذا عرفت كيف غلب عليها وأصبحت لا تنادى إلا به ... " [1]

ويقول في بداية قصته (صبي السلتاني) :

" والسلتاني (نفع الله) شواء كان معروفاً بطريقته الخاصة في شي اللحم، في أكثر مدن الحجاز ... " [2] .

ويقول في بداية قصته (أبو ريحان السقا) :

" كنا نشهده ونحن مصعدون في ضحوة النهار المبكر إلى مدرستنا (الراقية) على كتف جبل هندي، نشهده في أغلب أيامنا منحنياً تحت قربته ... " [3] .

ويلحظ أن بعض قصصه بدأها بالحوار المباشر وذلك كقصتيه : (اليتيم المعذب ، وأخطأ العفريت ولم أخطئ) .

ولا شك أن مثل هذا الأسلوب يشد المتلقي ، ويجعله يندمج منذ البداية في أجواء القصة .

وفي قصة (بعد أن طاب السفرجل) نقف على تقنية فنية جديدة استخدمها الكاتب للمرة الأولى - وهي المرة الوحيدة أيضاً - حيث لم نلحظها سابقاً في رواياته . ألا وهي تقنية (الحلم)، وهي من التقنيات الفنية الحديثة المستخدمة في مجال الرواية والقصة ..استخدمه الكاتب في قصة (بعد أن طاب السفرجل) ٠ فعندما طردت والدة (سعدية) (حساناً) من البيت، على مرآى ومسمع من (سعدية) تأثرت بذلك سعدية حيث لم تفهم لطرد حسان سبباً .

ولذلك حلمت لاحقاً حلماً رأت فيه أنها قامت بزيارة حسان ووالدته ، فلم تلق منهما ذلك الترحيب الذي عهدته سابقاً .. فحلم سعدية ذلك يصور تهشم العلاقة بين الأنا والآخرين .. وهذا ما حدث فعلاً على مستوى سير الأحداث في تلك القصة، فعلاقة حسان بسعدية بقيت مهشمة حتى بعد أن تخطيا مرحلة الطفولة وأراد حسان الزواج بسعدية، كل ذلك بسبب والدة سعدية التي وقفت حجر عثرة في طريقهما ، ولم يمهد ذلك الطريق ومن ثم زواج حسان بسعدية إلا في نهاية القصة بعد توالي كثير من الأحداث ... وعليه فإن ذلك الحلم مثّل نوعاً من التكهن بالمستقبل ، فالحلم أشبه بالكلام الرمزي ٠ فهو كما يقول أحد الباحثين :

" يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة التكهن بالمستقبل ، فالتكهن إنما يعني المقدرة على استنباط مجرى الأحداث المستقبلية ، انطلاقاً من اتجاه وزخم القوى التي نراها تفعل فعلها في الوقت

---

(١) خالتي كدرجان ، ص ١٣ .

(٢) كدرجان ، ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨١ .

الحاضر ... " [1]

وحلم سعدية ذلك عكس لنا ما كانت تعانيه الشخصية من إحباط وتوتر وأزمة نفسية ، وغالبا ما يستخدمه الكتاب للتعبير عن تلك المعاناة [2] .

ومما يعاب على سرد الكاتب لقصصه ، هو اقتحامه لذلك السرد إما بالتعليق والتفسير ، أو مخاطبة القارئ أو ماشابه ذلك ..

فنلحظ أن الكاتب في بعض قصصه يقتحم السرد غير آبه بقواعد اللعبة السردية ، كما في قصة (صبي السلتاني) . ويبدو ذلك بصورة جلية في قصة (اليتيم المعذب) ، وسبب ذلك يعود إلى محاولة الكاتب في هذه القصة بيان أثر البيئة والمجتمع على حياة الشخصية سلبا ... ومن هنا تدخل بآرائه الشخصية والتقريرية حيث نحى في هذا منحى الواقعية التحليلية التي دارت قصصها حول الإنسان كما سبق وأشرنا إليها.

وقد صرح الكاتب بهذا التوجه الواقعي التحليلي منذ بداية القصة وذلك من خلال الإهداء الذي صدر به هذه القصة حيث يقول فيه :-

" إلى الذين يناقشون أخطاء غيرهم على ضوء ما عرفوا من أخطاء أنفسهم ، أهدي هذه القصة" [3] .

ثم عبر عن هذا الاتجاه من خلال سرده للقصة، حيث يقول مثلا عن ذلك الرجل الصالح الطيب الذي تبنى الطفل اليتيم المعذب :

" كان يرى أن بعض الأشرار والعصاة والآثمين وكذلك أصحاب النوايا السيئة في الحياة من الجبابرة إلى الطغاة ، إلى السفاكين والقتلة ، قد يستحقون العطف على ما امتحنوا به لملابسات خاصة ، أكثر مما يستحقون اللوم ... كان يرى أن بيئة الشخص وعادات محيطه مسئولة في المقام الأول عن جميع تصرفاته ... وكان يرى أن اللصوص والقتلة لو صادف نشأتهم

---

(١) اريك فروم : اللغة المنسية ، مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير ، ترجمة ، حسن قبيسي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ م ، ص ٤١ .

(٢) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، مرجع سابق ، ص ٣١١ .

(٣) خالتي كدرجان ، ٣٥ .

تهذيب عادل لتورعوا عن سفك الدماء ، ووجدوا في أعمق خفاياهم وازعا دينيا ، أو أدبيا ، يهديهم إلى الاستقامة والنبل ، كان يرى هذا الرأي في الحياة سواء بالغ في تقديره ، أو تجنى به على تحديد المسئولية في نظر المشرعين ، فإن حماسه لما اعتنق كان لا يدانى ... " [١]

وهكذا استرسل الكاتب في شرح هذه الفلسفة التي كان يؤمن بها ذلك الرجل الطيب، وما هي في حقيقة الأمر إلا فلسفة الكاتب نفسه وتوجهه نحو ما يراه من أخطاء البشر في الحياة .

وكقوله عن ذلك اليتيم المعذب (علوة) :

" لم يولد علوة منحرف الأخلاق أو مستقيمها، وإنما ولد كما تولد العجائن اللدنة ، قابلا للتكيف والصيانة .. وأكبر ظني أنه لو مد في حياة مربيه الأول الذي استهداه من دكتور الصحة .. لهيأه المربي لما كان يعرف من ألوان الصلاح ، وبث في روحه هلاما طاهرا ، يضيء اتجاهه ويهديه الصراط السوي ، لكن القضاء فجعه فيه ووهبه سيدة لا ينبض في فؤادها حنان ... فلا غرابة أن تقسو في معاملته رضيعا وصبيا وغلاما ، ولا غرابة أن تؤثر القوة في معنويته اللدنة ، وتهيئ منه إنسانا لا يؤمن بالخير في الحياة ... نشأ علوة منساقا - بعوامل لا يفقه كنهها - إلى الثأر من الحياة " [٢] .

ولا شك أن هذا التدخل يعد عيبا فنيا عند نقاد القصة [٣] ومع ذلك فإن معظم الروائيين استسلموا لإغراء إبداء آرائهم ... [٤] .

ومن ذلك أيضا تمهيده لبعض قصصه بتوطئة قبل انتقاله إلى سردها ، فيتداخل عندئذ السرد القصصي بالأسلوب المقالي ، وذلك كما في قصته (صبي السلتاني) على سبيل المثال ، التي لا يتردد في بدايتها عن الحديث عن وظيفة السلتاني والتفسيرات المحتملة للاشتقاق اللغوي الذي جاءت منه كلمة (سلتاني) بل :

" تمتد هذه المقدمة المقالية للقصة ليتحدث فيها الأستاذ سباعي عن (دكاكين الشواء في مكة) مذكرا بها الأديب الأستاذ أحمد قنديل ، مؤكدا أنه كان أحد زبائن هذه الدكاكين ، فإذا ما انتهى من هذا الجزء المقالي ، ولج إلى قصته التي يزمع سردها .. " [٥] .

---

(١) خالتي كدرجان ، ص (٣٦ - ٣٧) .

(٢) خالتي كدرجان ، ص (٥٢ - ٥٣) .

(٣) انظر ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص (٥٥٠ - ٥٥١) .

(٤) مندلاو : الزمن والرواية ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(٥) سعيد السريحي : تقليب الحطب على النار ، في لغة السرد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، كتاب رقم (٩٨) ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م ، ص ٢٠ .

والحقيقة أن الراوي يلجأ إلى " اقتحام السرد من خارجه ، كلما عجز عن التحرك الطبيعي والعفوي داخله . . . والسيطرة على زمامه . . . " [1] .

أما الحوار في قصصه فيلحظ أن أغلبه هو حوار سردي فهو مضمن في السرد ملتحم به ، فهو ليس مستقلاً عنه أو قائماً بذاته ، والحوار السردي ينتقل إلينا : " بطريقة غير مباشرة ، عبر صوت الراوي الذي يغدو جلياً ومهيمنا على كل من السرد والحوار . . . في الحوار السردي تعلو سلطة السرد ويكون الحوار مروياً ، ويلجأ القاص إلى هذا النمط من الحوار كوسيلة متممة و (مرممة) للسرد وليس كغاية مقصودة لذاتها . . . " [2] ويستثنى من هذا الحكم السابق قصته : (أخطأ العفريت ولم أخطئ)، فإن الحوار في هذه القصة يحتل المرتبة الأولى ، ومن ثم يهيمن على السرد ، ليتراجع الأخير إلى المرتبة التالية كمتمم للحوار، والنصوص من مثل هذا النوع يغلب عليها الطابع المسرحي على الطابع القصصي ، حيث تتخذ سمة : (الحوارية القصصية) لا القصة (الحوارية) والخطأ في مثل هذا النوع من الحوار هو : " الاحتفال بالقول على حساب (القائل) ناهيك عن مراكمة القول دونما انتقاء واصطفاء . وهذا ما يهدد القصصية في الصميم ، وليس الحوار فحسب ... " [3]

أما من حيث علاقة الحوار بالشخصية فإننا نلحظ نمطين من الحوار :

الحوار المطابق للشخصية وهو في أغلب القصص كما في قصة : (خالتي كدرجان ، صبي السلتاني ، اليتيم المعذب ، أخطأ العفريت ولم أخطئ ، متى يستقيم الظل) .

والحوار المفارق للشخصية ، كما في قصة (يا رب) ويكون الحوار مطابقاً للشخصية حين :

" يصدر عنها أصالة ، ويدل عليها ويغني معرفتنا بها، ويكون مفارقاً للشخصية حين يصدر نيابة عنها أو يحمل عليها حملاً ، فيطمس هويتها ، ويحول دون معرفتنا واستجابتنا لها " [4]

إلا أن وجود الحوار في هذه القصص في حد ذاته وعلى علاته، يدعم بلا شك قصصية وحكائية هذه النصوص من جهة، كما يدعم واقعيتها من جهة ثانية أيضاً .

والحوار في مجمله يأتي حواراً مباشراً بين الشخصيات في القصة الواحدة (وهو ما يسميه نقاد القصة بالديالوج) وذلك كما في المقاطع التي ورد فيها في قصة (خالتي كدرجان ،

---

(١) نجيب العوفي : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية ، مرجع سابق ، ص (٥٠٨ – ٥٠٩) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥١٢ .

(٤) ========= ، ص ٥١٨ .

واليتيم المعذب ، وصبي السلتاني ، وأبو ريحان السقا ، وبعد أن طاب السفرجل ، وبالطو للبيع (بين البطل والراوي) ، ويارب) .

وجاء الحوار في شكل مناجاة وهو ما يسميه النقاد بالمانولوج وهو المتمثل في حوار الشخصية مع نفسها، وظهر ذلك في مقاطع قليلة من قصة (يارب) بينما ظهر بشكل واضح وبارز في قصة (متى يستقيم الظل)، فالحوار في هذه القصة هو في مجمله حوار ذاتي بين البطلة ونفسها ، وهو بالتالي يجسد المعاناة والصراع النفسي الذي كانت تشعر به بطلة القصة ونشأ ذلك الصراع عندما اصطدمت مبادئها وما نشأت عليه من عادات بذلك الواقع الذي عايشته في ذلك البلد، من خلال تجربتها الدراسية بكلية الآداب كقول البطلة في إحدى مقاطع القصة :

" كنت أتساءل كيف يستقيم الظل والعود أعوج ، وكنت في سري أهيب بأبي ، أين أنت يا أبي لترى هذه المباذل في كليتك المختارة لمحافظتها وعظيم استقامتها ... " (١) .

وكقولها : " كنت آوي إلى غرفتي ... ولا حديث لنفسي إلا هذه المفارقات العجيبة التي يحتقرها كل من يعتز من أمثالي بتربيته العالية . وكنت أهمس لنفسي بأن كل من أشاهد من المستهترات لم ينشأن في بيوتهن النشأة الفاضلة التي نشأتها في بيتي طاهرة الذيل ، بعيدة عن فجور الحياة ومباذلها الحقيرة " (٢)

وكتلك الأسئلة التي دارت بذهنها عن هوية ذلك الشاب الذي استعار منها أحد كتبها الدراسية دون سابق معرفة بينهما، حيث تقول وهي تحادث نفسها :

" ترى من هو هذا ؟

أزميل هو في الكلية ؟

إذن فلماذا لا أراه ؟

ألاعب هو يحتال لمواجتهي ؟

لا .. إنه زميل !!

أتراه لا يملك مثل هذا الكتاب ؟

أتراه يملكه ولكنها لعبة الشباب ؟

---

(١) أوراق مطوية ، ص ٣١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

أسئلة كانت تأبى إلا أن تتوالد وتتوالد .. وأن تطرد النوم عن أجفاني .
. . . " [1]

فالحوار الداخلي يعد دليلاً على : " عدم الوئام والانسجام مع الواقع الخارجي ، وصرخة احتجاج مخنوقة في وجهه، والمرء عادة يلجأ إلى مناجاة ذاته ، والانطواء في دواخله حين يفتقد الطمأنينة والأمان .. " [2] .

أما لغة السرد والحوار

جاءت لغة السرد في مجملها لغة تعتمد على الفصحى ، وتنحو منحى تقريراً مباشراً في بعض القصص كما في قصة (اليتيم المعذب) .

وتنحو منحى بيانياً رومانسياً تصويرياً يتفق مع موضوع القصة ومضمونها كما في قصة (بعد أن طاب السفرجل) وقصة (متى يستقيم الظل) [3] .

وقد تتلبس أحياناً بأسلوب ساخر وفكاهي كما في قصة (خالتي كدرجان ، أبو ريحان السقا ، صبي السلتاني) .

أما الحوار، ففي مجمل القصص جاء متوافقاً مع الشخصيات كما سبقت الإشارة . فبما أن معظم الشخصيات في قصص الكاتب هي شخصيات شعبية فقد جاء الحوار باللغة العامية كقصة (خالتي كدرجان ، صبي السلتاني ، أبو ريحان السقا ، بعد أن طاب السفرجل ... " وتجلى بصورة واضحة في قصة (أخطأ العفريت ولم أخطئ) حيث صيغ الحوار والذي قامت عليه القصة في مجملها منذ البداية إلى النهاية بلغة عامية (بلهجة الحارة المكية)، وهي تبين لنا قدرة الكاتب على تقمص شخصيات المتحدثين في قصصه ، ولعل هذه القدرة واتته من اتصاله المباشر بتلك الشخصيات الشعبية وامتزاجه بها في أطوار حياته المختلفة .

كما أن هذا يعكس لنا وجهة نظر الكاتب حول واقعية الأسلوب كما يفهمها الكاتب حيث قال في ذلك :

" .. لم لا نترك أبطالنا في القصص إذا كانوا شعبيين يتحدثون إلينا بلهجاتهم الصادقة وبأسلوبهم الشعبي الخاص ، إن ذلك أوقع في النفس من أن تتكلف للبطل الشعبي في قصتك

---

(١) أوراق مطوية ، ص ٣١٦ .

(٢) نجيب العوفي : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية ، مرجع سابق ، ص ٥٣٤ .

(٣) حول التصوير البياني في قصة (متى يستقيم الظل) ، انظر : عالي القرشي ، حركة اللغة في قص السباعي ، مرجع سابق ، ص.ص (١٠ - ١٤) .

ألفاظاً لا ينطقها وأسلوباً لا يألفه ، ولا يتفق مع مستواه ، وإنها الواقعية تلزمنا صدق اللهجة ، وتمتعنا بما في الحياة من أساليب خاصة ، وألحان عذبة .. " [1] .

وهذه القضية ، قضية الحوار في مجال القصة والمسرحية أيكون بالفصحى أم بالعامية ، انقسم فيها النقاد وما زال الخلاف بينهم قائماً ، فمن قائل بأنه لا يجوز استخدام العامية في الحوار مطلقاً لا بدعوى الواقعية ولا بأي حال من الأحوال وهم أغلب النقاد [2] ومن قائل بإنطاق الشخصيات على ما هي عليه في واقعها فإن كانت شخصيات شعبية فلا مفر من استخدام العامية، وإن كانت خلاف ذلك فليستخدم الكاتب ما يتوافق مع مستواها الثقافي والاجتماعي : " فمن غير المعقول في القصة على الإطلاق أن يجعل الكاتب شخوصه تتكلم بمستوى لغوي واحد ، وخاصة إذا كانت اللغة المستعملة غير اللغة التي تتكلم وتفكر بها في الحياة ... لذلك فالكاتب الذي يجعل شخوص قصته تتكلم وتفكر بلغة غير اللغة التي تفكر وتتكلم بها في الحياة يهدم من أساسها الواقعية التي هي السبب في كيانه ... " [3] .

وهناك فريق يتوسط في القول فيما يتعلق بهذه القضية ، فهو يذهب إلى القول باستخدام العامية في الحوار عندما يتعذر على الكاتب أن ينقل ما يريد أن يصوره تصويراً واقعياً باللغة الفصحى ، أو عندما يكون لذلك الحوار العامي إيحاءاً يزيد من فنية الحوار والقصة ، وبالتالي فاستخدام الفصحى عندئذ مكان العامية يبطل ذلك الإيحاء وتلك الفنية وهذا الرأي الأخير هو ما نقول به في هذه القضية .

وقد يأتي الحوار باللغة الفصحى وهو في الوقت نفسه متوافقاً مع الشخصية، وذلك كما في قصتي الكاتب : (بالطو للبيع ، متى يستقيم الظل) فالحوار جاء فيهما بالفصحى وهو يتوافق مع شخصية بطلي القصة من حيث مستواهما العلمي والثقافي إذ كليهما متعلمان ومثقفان ..

وأتى الحوار في إحدى القصص : (يارب) باللغة الفصحى ولكنه لا يتوافق مع شخصية بطل القصة أو الشخصيات الأخرى في تلك القصة .

---

(١) جريدة حراء ، ع ٥٢ ، ربيع الثاني ، ١٣٧٧هـ ، أكتوبر ، ١٩٥٧م ، نقلاً عن د. إبراهيم الفوزان : الأدب الحجازي الحديث ، مرجع سابق ، ٢/ ٧٤٦ .

(٢) انظر مثلاً د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، مرجع سابق ، ص. ص _ ٦٧١- ٦٧٣) .

ود. محمود المرسي : الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة ، مرجع سابق ، ص ٥٢١ ومابعدها

(٣) د. رشاد رشدي : فن القصة القصيرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ / ص (١١٩ ، ١٢٠)

ومما يلحظ على لغة السرد والحوار أننا نقف من خلالها على " كلمات تشهد على حضور البيئة المحلية مثل : : السلتاني ، الكيرزون ، النبق ، البازان الزرنباك ... سبكت هذه المفردات في نسيج قصصي محكم ، ويمكن فهم معانيها ودلالاتها من خلال سياقها في النص"(١) .

إجمالاً يمكن القول بأن الكاتب " قد ارتقى بأسلوبه وجاء نموذجاً سليماً ، واختار له اللفظ المتقن ، على طريقة الكتاب المحافظين ، لدرجة أن القصة عنده أصبحت ميداناً يستعرض فيه ألفاظه وأساليبه ، كما يحرص فيه على جودة التعبير ، وهذه العناية اللغوية عند كاتبنا السباعي أمر طبيعي لا تكلف فيه ، وهو بهذا يتميز عن غيره من الكتاب الذين يعنون باللغة لا لشيء إلا لتكون وسيلة يتلهى بها القراء عن النظر في حظ كتاباتهم ... " (٢)

ب ــ الزمان والمكان

بما أن معظم قصص الكاتب تمتح من الواقع المعاش ، لذا ارتبطت بزمان ومكان واقعيين

أما الزمان الواقعي (الطبيعي) فإن القصص في مجملها تعود إلى زمن تاريخي محدد ويتمثل في فترة أواخر العهد العثماني ومدة العهد الهاشمي في الحجاز أي ما قبل دخول الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ الحجاز عام ١٣٤٤هـ (٣)

عدا القصص التالية : (بالطو للبيع ، متى يستقيم الظل ؟ ، يارب) . فيمكن أن نقول بأنها تعود إلى فترة أوائل العهد السعودي وتمتد إلى الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري انطلاقاً من المضامين التي تطرحها .

ويلحظ أن الكاتب كان يشير إلى ذلك الزمن التاريخي للقصص أثناء عملية السرد ومن أمثلة ذلك قوله في قصة كدرجان : " كنا يومذاك صبية نلعب الغميمة بين ملاوي زقاقنا وكنت شخصياً صاحب دل عليها فلا يحلو لي أن أختبئ إذا احتدم اللعب إلا في بيتها ... " (٤)

وكقوله في قصة : (صبي السلتاني) : " ولعلنا نسينا أن نذكر أن وقائع القصة كانت في

---

(١) نادر السباعي : خالتي كدرجان ملامح القصة السعودية وبداياتها ، مجلة القافلة ، السعودية ، ع٧ ، مجلد ٣٧ ، رجب ، ١٤٠٩هـ ، مارس ١٩٨٩م ، ص ٣٠ .

(٢) طلعت صبح السيد : القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، نادي الطائف الأدبي ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، ص ٥٤ .

(٣) انظر : د. منصور الحازمي ، فن القصة ، مرجع سابق ، ص (١١٣ - ١١٤) .

(٤) خالتي كدرجان ، ص ١٤ .

أواخر العهد التركي ... " [1]

وكقوله في قصة : (اليتيم المعذب) : " كانت شؤون الأمن بين المدنيين في هذا العهد الي تجري فيه روايتنا - أواخر العهد العثماني - مسؤلة من قومسير البوليس الذي يعينه والي الحجاز التركي في مكة ... " [2] .

أما الزمان القصصي فمن حيث سيره نلحظ أنه يسير في الغالب سيراً طبيعياً من الوراء إلى الأمام، عدا ما نلحظه داخل ذلك الإطار الزمني العام من عودة في بعض المقاطع القصصية إلى الوراء كما في الحديث عن ماضي كدرجان أيام كانت تعيش في كنف والدها ، وكما في قصة (صبي السلتاني) عند عودة الراوي للحديث عن ماضي ذلك الجاسوس عند انتقاله من بادية الشام إلى الحجاز . وكما في طريقة سرد الكاتب لقصة (لا يستقيم الظل) .

وقد وهم أحد الباحثين عندما ذكر بأن قصة (اليتيم المعذب) قد بدأها كاتبها من نهايتها ومن ثم حلل أحداثها [3] .

فالحقيقة أن سرد هذه القصة يسير زمنياً سيراً طبيعياً من البداية إلى النهاية .

أما من حيث مدة الاستغراق فإنه يختلف طولاً وقصراً من قصة إلى أخرى .

فمثلاً قصة (خالتي كدرجان) شملت فترة زمنية قصصية طويلة حيث عرضت لنشأة تلك الفتاة مدللة حتى توفيت في سن متأخرة وهي مختلة عقلياً .

ومثل ذلك قصة (اليتيم المعذب) فهي تحكي حياة شخصية (علوة) منذ ولادته حتى زمن متأخر بلغ فيه سن الرجولة والرشد .

وفي قصة (بعد أن طاب السفرجل) امتد زمن الحكاية منذ طفولة بطليها (حسان وعيشة) حتى تزوجا وانجبا طفلاً أشارت القصة في نهايتها وباقتضاب بأن ذلك الطفل قد أصبح تاجراً معروفاً .

وفي قصة (صبي السلتاني) امتد زمن الحكاية بضع سنوات، من خلال إشارتها إلى بداية عمل ذلك الصبي (أبو طافش) لدى السلتاني الشواء (عم خليل) حتى وفاته في نهاية القصة كما سبقت الإشارة، وفي قصة (أبو ريحان السقا) امتد زمن الحكاية عدداً من السنين منذ كان الراوي / الكاتب طفلاً يعبث بذلك السقا .. حتى قابله الراوي لاحقاً في المستشفى وهو يواجه الموت والراوي آنذاك في سن الرجولة ...

---

(١) خالتي كدرجان ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٣) د. إبراهيم الفوزان : الأدب الحجازي بين التقليد والتجديد ، مرجع سابق ، ٢/ ٧٢٥ .

وفي قصة (يارب) تركز الزمن وتكثف في بداية القصة في يوم واحد، ثم أسرع به الكـــاتب بعد ذلك ليتجاوز به بضعة شهور ، ليعود في نهايتها فيكثفه في يوم واحد أيضاً .

وفي قصة (أخطأ العفريت ولم أخطئ) لم يتجاوز الزمن الحكائي فيها بضع دقائق وذلـــك من خلال ذلك الحوار الذي دار بين الزوجين .

وفي قصة (بالطو للبيع)

تمثل في بضع سنين بداية من خلال الإشارة إلى والد بطل القصـــة (فتحـــي) واعتنائـــه بتعليم ابنه وتربيته ومن ثم وفاته لاحقاً لتعود القصة فتكثف الزمن الحكائي في نهايتـــها، فـــي بضع دقائق، من خلال الحوار الذي دار بين ذلك الفتى (فتحي) والراوي حول ما يمكـــن أن يفعله فتحي بعد وفاة والده الذي كان يوفر له متطلبات الحياة الكريمة ...

أما المكان فإن من أبرز ما تميزت به قصص الكاتب قدرته على تصوير البيئة المحليـــة . ولاحظنا ذلك في رواياته ، كما مر بنا فيما سبق ، لاسيما في روايته الأولى (فكرة) وبذلـــك كانت للكاتب ريادته في هذا الباب . ولقد تجلت هذه القدرة الفنية على تصوير البيئـــة المحليـــة عند الكاتب بشكل أكبر في قصصه القصيرة ، وفي سيرته الذاتية كما سيظهر لنا ذلـــك لاحقـــاً والحقيقة أن البيئة المحلية التي التفت الكاتب إلى تصويرها في قصصه : " كانت فتحاً عظيمـــاً في قصتنا المحلية ، لم يتنبه له في زمانه أحد .. " (١) .

فالكاتب يصور في قصصه أماكن واقعية ، يجمعها إطار واحـــد وهـــو مكـــة المكرمـــة ، بحاراتها الشعبية وما تضمه من منازل وغرف وكتاتيب ومساجد وشوارع وأزقـــة وســـجون ومقابر ومقاه ...

ويمكن القول بأن حب الكاتب لمسقط رأسه جعله يتعلق بذلك المكان وبتاريخه قديماً وحديثـاً وتبينت لنا ملامح من ذلك الحب عند حديثنا عن المقالة التاريخية كما مربنا . ونلحظ أن هـــذا الحب للمكان ينعكس على قصصه هنا أيضاً . والحقيقة كما تؤكدها كثير من الدراسات هـــي أن وجود الإنسان : " لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان ، وأنه على قدر إحساس الإنسان بأنه مرتبط بالمكان ، يكون إحساسه بذاته ... فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها بل تنبســط خارج هذه الحدود ، حيث المكان الذي يمكنها أن تتفاعل معه .. " (٢) .

وتأكيد للواقعية في قصص الكاتب فإننا نراه :

---

(١) د. منصور الحازمي : البيئة المحلية في قصص أحمد السباعي ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢) د. نبيلة إبراهيم : فن القص في النظرية والتطبيق ، مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٤٠

" يحتفل بعنصر المكان ، فهو في كل قصصه يعنى بالوصف المكاني عناية فائقة ، ويحـــرص أشد الحرص على أن تكون جزئيات المكان مذكورة ، وتفاصيله محدودة ، وهذا الاحتفال يعـــد جديداً في تاريخ القصة السعودية ، فلم يكن الذين قبله يعطون للوصف المكاني عناية تذكـر ... السباعي حريص كل الحرص على ذكر المكان وتحديده بأسمائه وصفاته ، فـــلا نكـــاد نقلـــب صفحة من صفحات قصصه حتى تقابلنا أسماء أماكن بذواتها وكما هي في الواقع " [1]

فالسباعي يعد بحق أستاذاً لهذا اللون :

" من الأدب (الحاروي) الذي يشدك إليه ببساطته وصدقه وإنســـانيته ، وللســـباعي تلاميـــذ معجبون كثر أذكر منهم المرحوم حامد دمنهوري في (ثمن التضحيـــة) والمرحـــوم حمـــزة بوقري في (سقيفة الصفا) وفؤاد عنقاوي في (لا ظل تحت الجبل) وعبد الله جفـــري فـــي قصة (ما يحبوك البنات) وغيرهم ... " [2] .

ومما يلحظ على المكان في قصص الكاتب ، تعدد صوره وتنوع ملامحه .. فمثـــلاً هنـــاك أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة فعلى مستوى الأماكن المغلقة نجد مثلاً صورة البيت كما في قصة (كدرجان) وقصة (بعد أن طاب السفرجل) .

وصورة السجن كما في قصة (اليتيم المعذب) وصورة الكتّاب كما في قصـــة (بعـــد أن طاب السفرجل) وفضاء الغرفة في قصة (متى يستقيم الظل) والغرفة غالباً ما تكون فضـــاء للمثقفين كما في هذه القصة .

وعلى مستوى الأماكن المفتوحة نلحظ الصور التالية :-

صورة بيئة الصبية وهم يلعبون الغميمة في ملاوي الأزقة كما في قصة (خالتي كدرجـان) وصورة دكاكين الشوائيين وهي تغص بالزبائن كما في قصة (صبي الســـلتاني)، وصـــورة قهوة الحمارة في الشبيكة التي كانت مجمعاً للحمارين، وصورة مقابر المعلاة، وصورة ســـوق الخضار ومرتاديه وهذه الصور الأخيرة للأمكنة ضمتها قصة (اليتيم المعذب) .

وكصورة بعض جبال مكة المكرمة كالدحديرة القريبة من المدرسة الراقية على كتف جبـــل هندي ، بالإضافة إلى صورة الحلقة التي كانت مجمعاً للسقاة . وهاتان الصورتان وردت فـــي قصة (أبو ريحان السقا) .

ومن ذلك صورة المسجد الحرام الذي كان يلجأ إليه أبطال بعض القصص في أوقات

---

(١) د. طلعت صبح السيد : القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، ص : ٥٥

(٢) د. منصور الحازمي : سالف الآوان ، كتاب الرياض ، رقم (٧١) ، الرياض ، ١٩٩٩م ، ص ٤٣ .

الكرب فقد لجأ إليه (علوة) في قصة اليتيم المعذب كما لجأ إليه ذلك الشاب الفقير بطل قصة (يارب) .

ومن ذلك فضاء الفناء الجامعي والذي عكسته لنا قصة (متى يستقيم الظل) ويلحظ في هذه الصورة القدرة الفائقة لدى الكتاب على تمثّل ذلك المكان، ومن ثم تصويره تصويراً بارعاً.. كما يلحظ أيضاً أن هذا هو الفضاء الوحيد المفتوح الذي تواجدت فيه المرأة، فالمرأة في قصص الكاتب القصيرة وفي قصص أكثر الكتاب السعوديين مرتبطة بالفضاء المغلق في الغالب .

وهناك قصص لا نلحظ للمكان والبيئة فيها ملمحاً محدداً، كما في قصتي : (أخطأ العفريت ولم أخطئ) ، وقصة (بالطو للبيع) .

ولكن الجو العام للقصتين من خلال الشخصيات والفكرة ولغة الحوار توحي ببيئتيهما ، فهما لا تخرجان بأي حال عن البيئة الشعبية المكية .

كما نلحظ كذلك أن بعض القصص استدعت بعض الأماكن من خارج بيئة الحجاز . فمثلاً قصة (خالتي كدرجان) انفتحت على البيئة الأندونسية من خلال ذلك الشاب الأندونيسي الذي رغب في الزواج من (كدرجان)، بعد أن رأها بمنزلها عندما قدم إليه أثناء موسم الحج ليقدم لها رسالة من بعض أقرباء أبيها في (أندونيسيا) ونفس البيئة استدعتها أيضاً قصة (اليتيم المعذب) وكما في قصة (يارب) حيث استعدت بلداً عربياً مجاوراً لم تحدده القصة ، سافر إليه بطل القصة في مهمة تجارية لأحد أقاربه ..

وكما في قصة (لا يستقيم الظل) حيث إن أحداث القصة إجمالاً جرت في بلد عربي مجاور لم يحدده كاتبها ، سافرت إليه بطلة القصة لتكمل فيه تعليمها الجامعي .

ولو وقفنا على سبيل المثال عند قصة (خالتي كدرجان) لنبحث عنصري الزمان والمكان فيها بشيء من الإيضاح إضافة إلى ما سبق ذكره فإننا مما نلحظه عليها فيما يختص بعنصر الزمن ما يلي :-

أن القصة ترتكز على خطين زمنيين مختلفين :-

١-خط سردي زمني يعاصر الحركة والأحداث . وذلك حينما ينقل الراوي / الكاتب ما كان يشاهده عياناً من بعض مظاهر حياة تلك المرأة وسلوكياتها .

٢- خط سردي زمني يسترجع الماضي ليفسر به تلك السلوكيات التي كان يشاهدها الراوي ولا يجد لها تفسيراً مقنعاً يقول:

" انتهى خبرها إلى من عجوز كانت البقية الباقية من جارات أمي ، امتد بها العمر إلى عهد متأخر فاستحلفتها لتخبرني قصة خالتي كدرجان التي كانوا يأسون لها ، ويتوجعون لحالها رغم الحياة الناعمة التي كانت تحياها ، ففهمت الكثير الذي كنت أعجز عن تعليله" (١) .

فالراوي في هذه القصة يمثل نمطين : نمط المتماهي بمرويه ، ونمط المفارق لمرويه .

وهذان النمطان يمثلان بدورهما نوعين من التذكر :

تذكر قصير المدى يشكل تناوباً زمنياً بين الماضي والحاضر وتم هذا عن طريق الراوي المتماهي بمرويه / الكاتب .

وتذكر بعيد المدى وتم هذا من خلال الراوي المفارق لمرويه، وهو الكاتب بواسطة تلك (العجوز) التي أخبرت الراوي بماكان يجهله عن ماضي (كدرجان) ، ذلك الماضي البعيد المدى بالنسبة للراوي حيث إنه لم يعاصر أحداثه .

وهذا يعني أن النص يتكون في بنيته الزمنية من حركتين متناوبتين ، حركة تذكريه ترتد به إلى الماضي ، وحركة تأملية تلتحم باللحظة الآنية لتلك الحركة التذكرية في الوقت نفسه .. فالحركتان تتناوبان تداعياً في خلد شخصية الراوي / الكاتب .

أما من حيث الزمن وعلاقته بالشخصية (كدرجان) فإننا نلحظ أن هناك زمنين :-

١-زمناً خارجياً (طبيعياً) وهو الذي شكل مصير شخصية (كدرجان) في نهاية الأمر ، حيث إن مروره أسهم في سقوط شخصية (كدرجان) العانس، ومن ثم سار بها نحو التأزم، حيث كان مصيرها أن أصيبت بلوثة عقلية وما لبثت أن توفيت بمرضها ذلك .

فمرور الزمن الخارجي قاد بالتالي الشخصية نحو الخسارة .

٢-زمناً داخلياً نفسياً مرتبط بإحساس الشخصية (كدرجان) نحو ذلك الزمن الخارجي فنحن نلحظ كما أشار الراوي بأنها لا تعترف بذلك الزمن الخارجي ...

يقول الراوي :-

" وإذا كان سنها قد زاد على الخمسين في نظر بعض جاراتها فإن بعضهن يؤكدن أنها أكبر سناً من عم عيدروس ... ويؤكد هذا عيدروس نفسه ... فهي في نظره لا تقل عن سن الستين إلا بعامين أو ثلاثة . أما خالتي كدرجان فلا تعنى بكل هذا ... إنها في نظر نفسها لم تتجاوز

---

(١) خالتي كدرجان ، ص ١٦ .

الثلاثين إلا من سنوات نسيت عددها ، تقول هذا في تصميم قاطع ، وتزيد فتؤكده لك بهندامها وهي تخطر ... في دلال الفتاة ذات العشرين ... "[1]

ولكن ذلك الإحساس الداخلي بالزمن، لم يستطع أن يوقف حركة الزمن الخارجي ، فانتصر في نهاية الأمر الزمن الخارجي .. وهذا الإحساسي الداخلي يعطينا صورة عن حقيقة الصراع المحتدم داخل نفسية هذه الشخصية .. فهي ترفض الحاضر الواقع باستمرار .. ولهذا تنفصل عن زمنه الذي لم يتوقف عن نهش حياتها وأحلامها وآمالها بقدوم ذلك الخاطب المنتظر ...

فهذا يفسر اضطرابها النفسي . حيث إن ذلك الفراغ في حياتها ولد هروباً من الواقع وتجمداً في الزمن ، كل ذلك نابع من انهيار نفسيتها .. فهي تحيا في أحلام اليقظة .

أما فيما يختص بعنصر المكان في هذه القصة ، فيلحظ أن وصفه ووصف بعض محتوياته ، لم يكن لمجرد الوصف في حد ذاته، أو على اعتبار أنه ديكور خلفي للقصة ، وإنما حاول الكاتب من خلال ذلك الوصف ، أن يعكس لنا هوية ذلك المكان التي هي بالتالي جزء من هوية ساكنه (كدرجان) ، حيث : " إن للأمكنة والأشياء من منظور قصصي مضموناً نفسياً أو اجتماعياً أو إنسانياً أو إخبارياً ... " [2] .

ولهذا نجد أن الكاتب حاول إسقاط الحالة الفكرية والنفسية لشخصية (كدرجان) على المحيط الذي توجد فيه ، وبهذا تحول المكان هنا إلى محور حقيقي في بناء القصة ، وألقى مزيداً من الضوء على شخصية (كدرجان) .

فمما قاله الكاتب في وصف منزل كدرجان ووصف بعض محتوياته :-

" تخطر بين فسحة الديوان الذي تسكنه وباب الحنية الصغيرة التي جعلت منها مطبخاً ، يطرقع القبقاب في رجليها وهي تتهادى في دلال الفتاة ذات العشرين ... " [3]

ويقول : " كنت ألاحظ أن أن خالتي كدرجان ، تعنى كثيراً بمكحلتها ، وهي تحتفظ بجانب المكحلة بعلبة صغيرة أراها كثيراً ما تمد يدها إليها لتتناول منها بأصبعها شيئاً تدعكه بين يديها ثم تغشى به وجهها ... وكنت كثيراً ما أراها تجلس إلى نصبة الشاهي وقد فرغت منه، فتزيح التبسي والفناجيل وتركز في مكانهم فوق كرسي النصبة مرآة، ثم تأخذ بيدها مقصاً تمر به على شعر رأسها فتلتقط به شعرة من هنا وأخرى من هناك بيضاء ناصعة ...

---

(١) خالتي كدرجان ، ص (١٣ - ١٤)

(٢) نجيب العوفي ، مقاربة الواقع ... مرجع سابق ، ص ٥٨٣ .

(٣) خالتي كدرجان ، ص ١٤ .

كان منزلها على صغره نظيفا بشكل يسترعي الإنتباه ، وكانت مساند الكنبة التي تستقبل عليها ضيوفها محلاة بالترتر البراق، ومخداتها في وسط الكنبة مطرزة بأشجار يلمع فيها اللازوردي والأصفر ، وفي حواشيها سطور كان يروقني شكلها وإن كنت لا أحسن إلا قراءة كلمة (آه) بين مقاطعها ... " [1] .

فالمكان كما هو معلوم من أبرز وظائفه أنه يقدم الحماية لقاطنه في الغالب إلا أن ذلك الأمر مرتبط بنفسية الساكن بالدرجة الأولى، ومن هنا نلحظ أن المكان لم يقدم لشخصية كدرجان الحماية النفسية الكافية التي تشعرها بالطمأنينة، أو تؤنس وحشتها حيث تسكن في ذلك المكان وحيدة، وإن قدم لها ذلك المكان الحماية المادية ... وأسهم في حماية أحلام اليقظة التي كانت تعيشها كدرجان .

ومن هنا نلحظ أن تلك الحركات التي كانت تأتيها داخل البيت، من نحو المبالغة في نظافته وترتيبه والاهتمام بزينتها، ومن ذلك التوحد مع المرآة التي تقوم في الغالب بنوع من التعرية الحسية القاسية للذات، والحقيقة أن إشارة الكاتب إلى هذا الأمر في قصته أكسبها مزيدا من الثراء والدلالة والإيحاء ...

كل ذلك يعد تعبير عن مدى قلق الشخصية واختناقها في المكان والزمان معا .

وعليه فليس صحيحا ما ذهب إليه البعض من القول بأن السباعي في هذا القصة لم يلتفت إلا إلى : " الصفات الظاهرية للشخصية وقد أهمل عالمها الداخلي تماما .. " [2]

وعليه يمكن القول بأن شخصية كدرجان هي شخصية سلبية وإيجابية في آن واحد . سلبية بالنظر إلى مصيرها وموقفها وإحباطاتها ، وإيجابية بالنظر إلى طاقاتها الإنسانية الكامنة والثرية التي تعصمها من اليأس وتسعفها على الجلد والاصطبار والتمسك بخيوط الأمل حتى ولو كانت خيوطا ذابلة واهية .

---

(١) خالتي كدرجان : ص (١٤ - ١٥) .

(٢) حصة الحارثي ، الاتجاه الواقعي ، مرجع سابق : ١٢٥

جـ ـ الشخصيات

من الحي الشعبي الذي ولد وعاش فيه السباعي بمكة المكرمة استمد صور شخصياته وأبطال قصصه ، حيث خالط فيه أنواعاً كثيرة من الناس من مختلف المشارب والألوان تحدث معهم واستمع إليهم ، فصورهم في قصصه . . . شخصيات نمطية ، تثير الدهشة والإعجاب والتعاطف أيضاً ، ولهذا أتت بعض قصصه معنونة بأسماء وصفات تلك الشخصيات نحو (كدرجان ، أبو ريحان السقا ، وصبي السلتاني) .

فمن ذلك الجو المحيط به استوحى أغلب قصصه القصيرة، استوحاها من واقع الحياة المحيطة به ، بعيداً عن الخيال والأوهام . والحقيقة أن " الشخصية الواقعية - سواء كانت منتجة من الواقع المعاصر أو الواقع التاريخي - تكون لها جاذبيتها أما الشخصيات التي صنعت من الوهم والخيال . . . تبدو غير مقنعة وغير مقبولة " (١) .

كما أن شخصياته بدون شك عنصر مهم ومؤثر في تحريك الأحداث في قصصه ويدفعه حبه للحقيقة ورغبته في رسم صور واقعية إلى : " أنه قد يعطي للقارئ رسماً متكاملاً للشخصية على امتداد تاريخ حياتها ، ويستعرض كل جوانب الشخصية ويقدم كل المعلومات الممكنة عنها ، وكأنها شخصيات رواية؛ لدرجة تجعلنا تقول إن السباعي بتمثيله لشخصياته يعد مدرسة خاصة في القصة في المملكة ، فقد قدم عن طريق هذه الشخصيات قصصاً تعبر عن المجتمع السعودي وما طرأ عليه من تطور في المفاهيم، وما ساده من تغير في جوانبه المختلفة . . . " (٢)

كما نلحظ أن الشخصيات تنوعت من حيث الجنس ذكر وأنثى فهناك قصص كان مدار البطولة فيها للذكر نحو : " اليتيم المعذب ، وأبو ريحان السقا ، وبالطول للبيع ، يار ب) .

وهناك قصص كان مدار البطولة فيها للأنثى نحو : (خالتي كدرجان ، لا يستقيم الظل)

وهناك قصص أشترك في بطولتها الذكر والأنثى نحو : (بعد أن طاب السفرجل ، وأخطأ العفريت ولم أخطئ) .

أما من حيث المستوى الاجتماعي والثقافي فنلحظ أن أغلب أبطال وشخصيات قصصه يندرج تحت مسمى الشخصيات المهمشة والضعيفة والمنكسرة، ويبرز ذلك على وجه الخصوص في قصص (خالتي كدرجان ، واليتيم المعذب ، وأبي ريحان السقا) .

---

(١) نجيب الكيلاني : مدخل إلى الأدب الإسلامي ، كتاب الأمة رقم (١٤) ، الدوحة ، قطر ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ص ٦١ .

(٢) طلعت صبح السيد ، القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية بين الرومانسية والواقعية ، ص ٥٢ .

ومرجع هذا إلى ذلك العالم الذي يؤثره كاتب القصة القصيرة حيث إنه : " يتألف من أشخاص مأزومين مثله " (١) .

ويهدف الكاتب من تقديم مثل تلك النماذج للشخصيات المقهورة في مجتمعها إلى بيان الأخطاء التي يرتكبها المجتمع ، ومدى ما وصلت إليه تقاليده من تهلهل فأصبحت بالية وسلبية على حياة أفراده وتقدمهم .

وعلى هذا الأساس بدت لنا السلبية التي اتصفت بها تلك الشخصيات سلبية مبررة كما أراد لها الكاتب .

كما أن معظم تلك الشخصيات التي ضمتها قصص الكاتب تجمعها صفة واحدة وهي صفة الشخصية الشعبية كما سبقت الإشارة إلى ذلك عدا شخصيتي البطلين في قصتي (بالطو للبيع ، لا يستقيم الظل) .

والواقع أن الكاتب : " يعد على رأس الكتاب الذين يهتمون بهذا النوع من الشخوص حتى ليخيل إلى القارئ أن السباعي كان مغرماً بهذا اللون من الاستعراض الشعبي ... " (٢)

كما نلحظ أن بعض القصص جمعت شخصيات متناقضة من حيث الخير والشر .

فمثلاً في قصة (كدرجان) شخصيات خيرة تمثلت في شخصية كدرجان وشخصية (شيخة الحجاج) وشخصيات شريرة كما هو الحال بالنسبة لشخصية (ابن عم كدرجان) الذي كان وصياً عليها بعد وفاة والدها فحينما تقدم لها رفضته فجازاها بعناد إذ رفض باعتباره وصياً عليها كل من يتقدم لخطبتها مخترعاً لكل خطيب عيباً حتى استطاع أن يحكم عليها لتعيش عانساً في بيتها .

ومثل ذلك في قصة (اليتيم المعذب) المليئة بشخصيات متناقضة من حيث الخير والشر منذ بدايتها إلى نهايتها ، وهذا أمر لافت للنظر إذ إن : " محاكاة السباعي للواقع بلغت القمة حين نراه يباين بين الأشكال والهيئات ، بل إن شئت فقل والطباع والمشارب ففي قصة (اليتيم المعذب) نرى الزوجين يختلفان في هيئاتهما وأشكالهما كما يختلفان في طبائعهما ، الشيخ الذي تبدو عليه سمات الصالحين من أصحاب التقوى وكان عف اللسان ... والمرأة التي تتسم

---

(١) د. شكري عياد : القصة القصيرة في مصر ، أصدقاء الكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م ، ص ٤٩ .

(٢) د. طلعت صبح السيد : العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية، إصدارات نادي القصيم الأدبي، ط (١) ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م، ص ٢٠٨ .

بجفاء الطبع ، وتقريعها الدائم لزوجها وسلاطة لسانها ، وكانت طواياها سيئة لدرجة تثير روح الجبان ... [1] .

والكاتب كثيراً ما يحاول في أغلب قصصه أن يربط بين الشخصية وعوامل البيئة المحيطة بها، وأسهب في ذلك من خلال قصة اليتيم المعذب كما سبقت الإشارة ، حيث نلحظ أن البيئة عنده في هذه القصة هي السبب الأول في تردي الإنسان .

كما نلحظ بأن لعنصري الزمان والمكان دور بارز في تصوير الحياة الداخلية للشخصية كما تبدى لنا ذلك في قصة (كدرجان) عند حديثنا عن ذلك العنصر فيما سبق .

وتبدو الشخصيات في بعض القصص باهتة إذ لا نكاد نحس بوجودها بقدر ما نحس ونلمس الفكرة المطروحة في القصة وذلك كما في قصة (أخطأ العفريت ولم أخطئ) وقصة (بالطو للبيع) .

فانصب اهتمام الكاتب فيهما على الفكرة والمضمون بالدرجة الأولى .

---

(١) د. طلعت صبح السيد ، القصة القصيرة في المملكة ، مرجع سابق ، ص (٥٤ – ٥٥)

الفصل الثالث

السيرة الذاتية

دراسة موضوعية فنية

السيرة الذاتية

تعريفها :-

كتابة الذات عن ذاتها ، من خلال ما يعرف بالسيرة الذاتية هذا الجنس الأدبي اختلف الدارسون في تعريفهم له ، وعدوه من الأجناس الأدبية المراوغة ، حتى رأى أحدهم أن النجاح : " في إعطاء صيغة واضحة وكلية للسيرة الذاتية سيكون في الحقيقة فشلا " (١)

ومن هنا سنحاول الإلمام بتعريف الدارسين لها كما يلي :-

السيرة الذاتية هي : -

" فن الحديث عن الذات من جميع أطرافها ، بعيوبها ومحاسنها وتأثرها بالبيئة ، والوسط والظروف الخارجية ، وتأثيرها فيها ... " (٢) .

وأبرز ملامحها الفنية أن يكون : " لها بناء مرسوم واضح ، يستطيع كاتبها من خلاله ، أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات ، التي مرت به ، ويصوغها صياغة أدبية محكمة ، بعد أن ينحى جانبا كثيرا من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته " (٣)

فهي تخضع : لشروط الفن ، التي تقتضي الاختيار والحذف والتبديل والتعديل ..."(٤)

ومعنى هذا أن كاتب السيرة الذاتية : " لا يمكن أن يكون فتوغرافيا في رصده ، يعرض علينا مجموعة صور وعلينا نحن أن نبحث عن الوحدة بينها ونتعمقها ، ونقيم من خيالنا إطارا يجمعها ، ولكنه يعرض علينا سيرته خصبة حية كما عاشها ... يقيم جسرا من الخيال تعبر فوقه الحقيقة ... غير أنه قد يلونها بألوان الطيف ، فيزيدها بريقا ولكنه لا يغير معالمها ... فلا بد لها إذن من جانبين أصليين : جانب إنساني وجانب فني ... " (٥)

وحدها هو تطابق : " الشخصية والسارد والمؤلف الذي يبسط اسمه فوق العنوان ..." (٦)

---

(١) فيليب لوجون : السيرة الذاتية ، الميثاق والتاريخ الأدبي ترجمة وتقديم ، عمر حلي ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ص ٦٤ .

(٢) د. علي الحديدي : فن السيرة الذاتية والغيرية في ضوء النقد الأدبي ، دار السعادة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص ١٣٥ .

(٣) د. يحي عبد الدايم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١٩٧٥م ، ص ٤ .

(٤) د. عبد العزيز شرف : أدب السيرة الذاتية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص١٩ .

(٥) د. ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ وفن ، ص٢٤٩

(٦) فيليب لوجون : السيرة الذاتية ، مرجع سابق ، ص٤٤ .

السيرة الذاتية في الأدب العربي :

يعد من نافلة القول : الإشارة إلى أن للسيرة الذاتية جذوراً قديمة في أدبنا العربي ، وأن أنكر ذلك الكثيرون، وأن بداياتها اختلطت بالتاريخ ، كما حدث عند سائر الأمم القديمة ..

ومن أبرز السير الذاتية في أدبنا العربي القديم :-

المنقذ من الضلال للغزالي [١] ، والاعتبار لأسامة بن منقذ [٢] والتعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً [٣] وغيرها ... [٤]

وفي العصر الحديث استقام هذا الجنس الأدبي على سوقه بتأثير من الأدب العربي ، على يد عدد من الأدباء كطه حسين في (الأيام) ، وأحمد أمين في (حياتي) وميخائيل نعيمة في (سبعون) .. وغيرهم .

أما في أدبنا السعودي فيمكن أن نعد سيرة السباعي :-

(أبو زامل / أيامي) . حسب علمي - أول سيرة ذاتية أدبية تظهر في كتاب مطبوع ، بداية تحت مسمى : " أبو زامل ، قصة الجيل الماضي " في طبعته الأولى ، عام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م [٥] .فسيرة الكاتب تعد: " البداية الحقيقة لفن السيرة الذاتية في الأدب السعودي "[٦]

ونعرض لسيرة السباعي الذاتية هذه ، من خلال النقاط التالية :-

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، حجة الإسلام ، فيلسوف ، متصوف مولده ووفاته في الطابران بخرسان : (٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ) . له نحو مئتا مصنف ، من أشهرها : إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، فضائح الباطنية ... الزركلي : الأعلام ٧/ ٢٢- ٢٣ .

(٢) هو أسامة بن مرشد بن علي الشيزري ، أبو المظفر : (٤٨٨هـ - ٥٨٤هـ) . أمير من أكابر بني منقذ ، صاحب قلعة شيزر ، ومن العلماء الشجعان له ديوان شعر ، وعدد من المصنفات منها : لباب الآداب ، البديع في نقد الشعر ، المنازل والديار ... ، الزركلي : الأعلام ٢٩١/١ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي ، الإشبيلي : (٧٣٢هـ - ٨٠٨هـ) ، فليسوف ومؤرخ وعالم اجتماع وبحاثه ، ولد ونشأ بتونس ، وتوفي بالقاهرة ، أتصل بعدد من سلاطين عصره ، أشتهر بكتابه : (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات أولها المقدمة ، وتعد من أصول علم الاجتماع .. الزركلي : الأعلام ٣/ ٣٣٠ .

(٤) انظر ، د. صالح الغامدي : السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم . مجلة علامات ، النادي الثقافي بجدة ، رجب ١٤١٥هـ ، م٤ ، ج ١٤ . ، ص(٥١ - ٨٤) .

(٥) ولم يتنبه لهذا أحد الدارسين ، وربما سقط منه ذلك سهواً فحينما كتب ببلوجرافيا للسيرة الذاتية في الأدب السعودي لم يشير إلى كتاب " أبي زامل " انظر :

عبد الله الحيدري : السير الذاتية في الأدب السعودي : ببلوغرافيا ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية ، م٢، ع١ ، محرم - جمادى الآخرة ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص : (٢٠٧- ٢٢٣) .

(٦) عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دار المعراج، الرياض ط (١) ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨م ص: ٩٣ وانظر ص: ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ٦٧٠

❖ **مسمى الكتاب ، طبعاته ، موضوعاته :-**

صدرت الطبعة الأولى للكتاب عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م بمسمى : (أبو زامل ، قصة الجيل الماضي) ، عن دار مصر للطباعة وشمل في طبعته هذه أربعة عشر موضوعاً أو عنواناً وهي((في الكتّاب ، محظوظون في الكتاب ، أبجد هوز ، خالتي حسينة، كتاتيب ومعلمون ، مع حفاظ القرآن ، شيطان الفصل عباس ، حفظ متقن ، ستي ، طيش ، حظ معاكس ، أدب وعلم نقطة تحول ، حروف ونقط)) .

وهذه الطبعة تقع في مائة وأربع عشرة صفحة من القطع الصغير ، وقد قدم المؤلف كتابه بإهداء جاء فيه : " إلى من جهل أثر التربية العالية في إعداد الجيل !! إلى من ظن النجاح في أساليبها القاسية أهدي كتابي " ، ثم طبع الكتاب طبعة ثانية بالمسمى السابق نفسه في عام ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م بمطابع دار قريش بمكة، المكرمة ، وهي المطابع التي أنشأها المؤلف كما سبقت الإشارة إلى ذلك (١)

وهذه الطبعة تقع في مائة وست وثلاثين صفحة من القطع الصغير ، وأصبحت موضوعات الكتاب في هذه الطبعة خمسة عشر ، حيث أضاف المؤلف بعد حديثه في : " أبجد هوز " عنواناً جديداً هو " إصرافه أو إقلابه "

كما زودت هذه الطبعة ببعض الرسوم التوضيحية ، مذيلة بشروح وتعليقات تعين على فهم الموضوع (٢) ولم يحمل الكتاب فهرساً للموضوعات .

وظهر الكتاب بعد هذا في طبعة جديدة ومسمى جديد هو : " أيامي " في عام ١٣٩٠هـ ، عن مطابع دار قريش السابق ذكرها ، وتقع هذه الطبعة في نحو مائتين وإحدى وثلاثين صفحة من القطع الصغير .

وضمت هذه الطبعة مقدمة جاءت بعد الإهداء الذي سبقت الإشارة إليه ، ويقول المؤلف في مقدمته هذه :

" إنها أيامي ، قدمتها في الطبعة الأولى والثانية تحت اسم (أبو زامل) كنت أردتها رمزية تمثل بعض فصولها جانب من حياتي ، وتعطي بجوانبها الأخرى صوراً من حياة الجيل الذي عشته . ولكني رأيت اليوم وفي الطبعة الجديدة أن أتوسع فيما يلم بحياتي إلى جانب ما عرف

---

(١) انظر هذا البحث ص (١٤)

(٢) انظر : أبو زامل مطابع دار قريش بمكة ، ط٢ ، ١٣٧٩هـ ، ص ٦، ٣٦ ، ٥٤ ، وقارن هذا بما أحال إليه – خطأً – عبد الله الحيدري : عرض موجز لأبرز كتب السير الذاتية السعودية . مجلة قوافل ، م٦ ، ع١١ ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م ، ص (١١٣) ، هامش رقم (٧)

من سمات الجيل، فتعيّن عليّ أن أنسى أبا زامل وأتقدم إلى القارئ بقصة (أيامي) " .

ومن هنا فقد أضاف المؤلف لكتابه بمسماه الجديد أربعة موضوعات وهي : (في المدرسة الراقية ، كرسي الأستاذية ، بين الصحافة والأدب ، في صحيفة صوت الحجاز) وبهذا أصبح مجموع موضوعات الكتاب وعناوينه (تسعة عشر) .

وقد أعادت مؤسسة تهامة طباعته بمسماه الجديد عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم (٧٨) في مائة وسبع عشرة صفحة من القطع المتوسط . وقد زودت هذه الطبعة برسم كاريكاتوري وضع على غلاف الكتاب ، مستوحى من البيئة التي يصورها الكتاب ، كما سبقت صفحة الإهداء في هذا الطبعة صفحة ضمت الآية الكريمة : ﴿ وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ [١] وهي لم تكن موجودة في طباعات الكتاب السابقة لا بمسماه القديم ولا الجديد ، ولا أعلم هل هي من وضع المؤلف ، أم الناشر الجديد .

كما يلحظ أن موضوعات الكتاب في طبعاته السابقة بمسماه القديم والجديد كان كل موضوع منها يأخذ رقماً متسلسلاً داخل متن الكتاب ، بينما وردت الموضوعات والعناوين في هذه الطبعة بدون ترقيم .

ولقد اضطر المؤلف بسبب تغييره لمسمى كتابه إلى إحداث بعض التعديلات ، تمثلت في أمور عدة منها :- أنه قال في مستهل كتابه بمسماه القديم ((أبو زامل)):

" سمتني أمي جميلاً ، وناداني الناس (أبا زامل) كعادتهم في تكنية كل من تسمى جميلاً ، وشارك أبي الناس في هذه الكنية تدليلاً لطفولتي الأولى . " [٢]

بينما يقول في مستهل كتابه بمسماه الجديد (أيامي) :

" سماني أبي (أحمد) ودللتني أمي فكانت تناديني (أحمد حماده)، وكانت أغنيتها الدائمة وهي ترقصني (أحمد حماده لب القلادة ، أمه تحبه وأبوه زيادة)، ولا أزال إلى اليوم أذكر أني كنت دلوعتها ، كما أذكر كلمات الأغنية التي ظلت تدللني بها إلى الأيام الأولى التي كنت أدلج فيها إلى الكتاب . وشاركها أبي في تدليل طفولتي الأولى .. " [٣] .

وفيما كان الناس يقولون لوالد أبي زامل :

---

(١) سورة الإسراء آية (٢٤) .

(٢) أبو زامل ، مصدر سابق ، ص (٥)

(٣) أيامي ، طبعة تهامة المشار إليها أعلاه ، ص (١٣) .

" يا شيخ صالح : رب ولدك وأحسن أدبه ... " [١]

أصبحوا ينادون والد السباعي في (أيامي بـــ :

" يا شيخ محمد : رب ولدك وأحسن أدبه .. " [٢]

ويلحظ أن هناك عبارة اقتضى مسمى الكتاب الجديد من المؤلف أن يعدلها ، ولكنه لم يفعـــل وهي قوله : " لم ينسى أبى شأن العريف ... دس إلى جيبه ما أطلـــق لســـانه : (روح يـــاعم صالح الولد ولد سيدنا ..) " [٣] إذ بقيت كما هي في متن الكتاب بمســـماه الجديـــد [٤] والـــذي يقتضيه السياق أن تصبح العبارة في كتابه (أيامي) كالآتي : (روح يا عم محمـــد ..) مثـــل ما فعل المؤلف بمثيلتها ، كما هو مثبت أعلاه .

ومن التغيير الذي أحدثه في بعض العبارات قوله : " تبديداً لسأم الحياة التي تواتينا رتيبـــة لا تجديد في مناظرها ولا تنويع " [٥] .

فبدّل في هذه العبارة حيث قال : (تبديداً لسأم الحياة التي تواتينـــا رتيبـــة دون أن تتجـــدد مناظرها أو تتنوع) [٦]

وكما غير مسمى الشخصيات في بداية الكتاب فعل مثل ذلك لا حقاً كقوله :

" وراعني كف دفيء يضرب على كتفي : (حيا الله أبو زامل !!) " [٧]

حيث أصبح لا حقاً كالتالي :-

" وراعني كف دفيء يضرب على كتفي : (حيا الله أبو حماد !!) " [٨]

ومن ذلك ما جاء على لسان جدته إذ كانت تدعو له بقولها :- " إلهي يهديك يا جميـــل ، يـــا ولد زينب ولا يشمت فينا عدو " [٩]

---

(١) أبو زامل ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(٢) أيامي ، مصدر سابق ، ص ٣٢ ، بعض النقاط السابقة أفدتها من : عبد الله الحيدري : عـــرض موجـــز لأبرز كتب السير الذاتية السعودية ، مرجع سابق ، ص ٩١- ٩٣ .

(٣) أبو زامل ، السابق ، ص ٧

(٤) انظر أيامي ، السابق ، ص ١٣ .

(٥) أبو زامل ، السابق ، ص ٣١

(٦) أيامي ، ص ٢٨ .

(٧) أبو زامل ، ص ١٠٠ .

(٨) أيامي ، ص ٧٠ .

(٩) أبو زامل ، ص ١١١ .

فأصبح دعاؤها على النحو التالي : " إلهي يهديك يا أحمد يا ولد جواهر ، ولا يشـــمت فينا عدو " [١] وسبقت الإشارة إلى أن اسم (جواهر) هو الاسم الحقيقي لوالدة الكاتب [٢]

وكان يخاطب نفسه بقوله : " ... ماذا بعد هذا الجنيه يا جميل ؟ " [٣] ثـم بدلـه قـائلاً :- ".. ماذا بعد هذا الجنيه يا أحمد ؟ " [٤] .

ومن الأمور التي لحقها التغيير قوله : " واستأنفت نشاطي في سوق الحـراج فشـعرت أن الجنيه رأس مالي الوحيد يأبى إلا أن يفشل في التجربة الثانية كما فشل في التجربـة الأولـى، وقيل لي أنك لو حاولت تجربة نفسك في بيع (الغاز) لكان أضمـن لرأسـمالك الصغـير ، فجربته فأبى الحظ أن يواتيني في بيعه .. " [٥]

حيث عدل ذلك قائلاً :

" واستأنفت نشاطي في مجال آخر ، فشعرت أن (الجنيه) رأسمالي الوحيـد يـأبى إلا أن يفشل في التجربة الثانية كما فشل في التجربة الأولى ، وقيل لي أنك لو حاولت تجربة نفسـك في مجال ثالث لكان أضمن لرأس مالك الصغير فجربته فأبى الحظ أن يواتيني في شأنه.."[٦]

ومثل ذلك في قوله : " ولا زمني سوء الحظ ... حتى رق لحالي أحد أقربائي ، فـهيأ لـي دكانة صغيرة ، ومنحني قليلاً من المال ، ونصحني أن أجمعه إلى ما بقي ... " [٧]

بينما قال في (أيامي) : " ولا زمني سوء الحظ ... حتى اقترح أحد أقربائي أن يهيأ لنفسـي دكانة صغيرة ، أقرضني بعض المال ، ونصحني أن أجمعه إلى ما بقي ... " [٨] .

ومما يدخل في هذا تغيير رسم بعض الكلمات العامية على نحو ما جاء في العبارة التاليـة: "قلت مرة : يا سيدنا هذا ولد العيدروس وولد الصافي يجرون خلفي في الأسواق ويصيحـون : (دول مين .. دول مين .. دول نصارى ولا يهود " [٩]

لاحظ كلمة (دول) في العبارة السابقة إذ جاء رسمها لا حقاً هكذا :" دولا مين .. دولامين

---

(١) أيامي ، ص ٧٥ ،

(٢) انظر هذا البحث ، ص (١٢)

(٣) أبو زامل ، ص ١١١ .

(٤) أيامي ، ص ، ٧٥ .

(٥) أبو زامل ، ص ١١٢ .

(٦) أيامي : ٧٥- ٧٦ .

(٧) أبو زامل ، ١١٥ .

(٨) أيامي ، ٧٧ .

(٩) أبو زامل ، ١٣ .

.. دولا نصارى ولا يهود " [١]

ومن التغييرات التي لحقت الموضوعات ، نجد أن حديثه عن (المحمل المصري والشلمي وقدومه إلى مكة) كانت تحت عنوان : (طيش) في كتابه بمسماه القديم [٢] .

بينما أدرجه تحت عنوان : (حظ معاكس) في كتابه بمسماه الجديد [٣] وفي الحقيقة أن ذلك الحديث يتوافق مع الأحداث التي أدرجها تحت عنوان : (طيش) ، ولا يتوافق مع الأحداث التي أدرجها تحت عنوان : (حظ معاكس) : فليته أبقى ذلك الحديث تحت العنوان الأول ، كما فعل ذلك بداية ، فهو هناك أليق به وأدخل في بابه ، إذ يتوافق مع نمط الأحداث التي ذكرت تحت ذلك العنوان .

ومن ذلك أنه نقل جزءا من الأحداث أوردها تحت عنوان : (نقطة تحول) في كتابه : (أبو زامل) ، والتي تبدأ بقوله : " وكنا مغرمين بإقامة الحفلات العامة .. " إلى آخر هذه الفقرة[٤] فهذه الأحداث نقلها إلى موضع آخر ، حيث أوردها تحت عنوان : (كرسي الأستاذية) في كتابه : (أيامي) [٥]

كما أضاف بعض الأمور تحت عنوان (نقطة تحول) في كتابه (أيامي) تمثلت تلك الإضافة في حديثه عن مدير المدرسة التي كان يعمل بها ، وعن ما كان يحدث بين ذلك المدير وبين أعضاء هيئة التدريس بتلك المدرسة من أمور عدة، داخل المدرسة وخارجها . وكذلك في حديثه عن الملك الحسين بن علي وزيارته لتلك المدرسة .

كما يلحظ أنه أدخل بعض الهوامش التي وردت في (أبو زامل) إلى المتن الحكائي في (أيامي) . فقد تحدث في (أبو زامل) عن ممارسته للعبة (الكبت) . وشرح المراد بتلك اللعبة في الهامش ، فيما يزيد على عشرة أسطر [٦] ، بينما ألحق ذلك الهامش بنصه إلى المتن الحكائي في (أيامي) [٧] .

وفي ختام هذه النقطة نتساءل لماذا طرح السباعي سيرته في بداية الأمر تحت عنوان : (أبو زامل ، قصة الجيل الماضي) ؟ !

---

(١) أيامي ، ١٧ .

(٢) أبو زامل ، ١٠٨- ١١٠ .

(٣) أيامي ، ٧٨- ٧٩ .

(٤) أبو زامل ، انظر ، ص (١٢٧- ١٣٢)

(٥) انظر نفس الفقرة بنصها : أيامي ، ص (٩٣- ٩٦)

(٦) انظر أبو زامل ، ص ١٠٣ ، هامش رقم (١)

(٧) انظر أيامي ، ص ، ٧١ - ٧٢ .

والإجابة تكمن فيما يظهر لي في أن الأسلوب الذي لجأ إليه الكاتب يعد نوعاً من الرمز اتخذه السباعي ، والذي ألجأه إليه ربما عدم رغبته في مصادمة البيئة في أسلوب مباشر بما تكرهه وما لم تألفه من نقد الإنسان لذاته ولمجتمعه ، وهذا شبيه بما فعله في مقالاته التي عنون لها بـ (يوميات مجنون) ، كما سبق وأشرت إلى ذلك [1] ، وفعل الشيء ذاته في روايته التي عنون لها بـ (فلسفة الجن) كما أوضحت ذلك [2] .

وحينما ظن السباعي - واهماً فيما أقدّر - بأن بيئته قد تخلصت من أوهامها إلى حد ما فأصبحت تقدر النقد البناء لأوضاعها وبأساليب مكشوفة وواضحة ومباشرة ، عمد إلى تغيير عنوان كتابه ، مصرحاً بأنه يمثل سيرة ذاتية له، مضيفاً إليه بعض الفصول التي لم يستطع أن يضيفها حينما كان الكتاب بعنوانه الرمزي ، ملقياً مزيداً من الضوء على شخصيته بصورة أوضح مما كانت عليه فيما سبق .

كما أن هذا الحرج المتمثل في عدم تصريح الكاتب منذ البداية بأن كتابه هذا يمثل سيرة ذاتية له ، يذكرنا بطريقة أو بأخرى بما فعله بعض الأدباء العرب في بداية عصر النهضة ، حينما تحرجوا من نسبة مؤلفاتهم إليهم مثل محمد حسين هيكل حينما نشر روايته (زينب) في البداية بعنوان (مناظر وأخلاق ريفية) بقلم (فلاح مصري) . ثم عاد في طبعتها الثانية فنشرها تحت عنوان (زينب) لمحمد حسين هيكل ، فهيكل حين : "نشرها أول مرة سنة ١٩١٢م ، استحى أن يضع عليها اسمه ... والمعقول أن يكون سبب ... إخفاء نفسه تحت لقب فلاح ، هو إحساسه بأنه هو البطل حامد ، وبأن أهم الأحداث التي في روايته واقعية ، تجعلها أشبه بترجمة ذاتية ... " [3] .

الزمن في السيرة

يشكل الزمن في العمل السردي ركناً أساسياً من أركانه ، وتزداد أهميته إذا كان العمل السردي يندرج تحت جنس السيرة الذاتية .. وسنقف عند بعض أبعاده في سيرة الكاتب من خلال النقاط التالية :-

---

(١) انظر هذا البحث ، ص : ١٩١-١٩٢

(٢) انظر هذا البحث ، ص : ٢٩٦-٢٩٨

(٣) د. أحمد هيكل : تطور الأدب الحديث في مصر ، من أوائل القرن العشرين إلى قيام الحرب الكبرى الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٧م ، ص (٢٠١- ٢٠٢) .

زمن الكتابة وزمن الحكاية في السيرة :

زمن الكتابة هو كما نعلم : " غير زمن الحكاية ، والمسافة بين الزمنين هي المسافة بين الحكاية واستعادتها ، أو بين العيش في واقع والرؤية إلى هذا الواقع " [1] وهي هنا بين الطفل واليافع والشاب في سيرة عيشه ، وبين الراوي / المؤلف في كتابته عن هذه السيرة .

وبداية نشير إلى أن هناك أمرين يجعلان من المستحيل إعطاء تاريخ دقيق لزمن الحكاية في هذه السيرة ، أولهما :- أن كاتبها قد أهمل ذكر تاريخ الأحداث التي عرض لها في سيرته ، فلم يشر إلى تاريخ وقوعها .. وثانيهما : أنه كتب سيرته على مرحلتين . إذ كتبها في المرحلة الأولى عام ١٣٧٤هـ ، تحت مسمى (أبو زامل) وعمره يبلغ آنذاك نحو (٥١) واحدا وخمسين عاما ، ثم كتب أجزاء أخرى منها في مرحلة تالية وكان ذلك في عام ١٣٩٠هـ تحت مسمى (أيامي) . وعمره آنذاك يبلغ نحو (٦٧) سبعة وستين عاما . أي أن المرحلتين يفصل بينهما نحو (١٦) ستة عشر عاما . فسنحاول والحالة هذه أن نقارب فيما يلي تاريخ زمن الحكاية في السيرة من خلال ثلاثة محاور تتمثل في :-

أ. **أبعد فترة بين زمن الحكاية وزمن الكتابة .**

ب. **أقرب فترة بين زمن الحكاية وزمن الكتابة .**

ج. **مدة الاستغراق التي غطتها السيرة .**

وكل هذا يتم من خلال الاعتماد على المرحلتين التي كتبت فيهما السيرة ، كل مرحلة على حده ، وعلى ما وقفنا عليه من معلومات عن حياة الكاتب الشخصية الموثقة تاريخيا كسنة ولادته ، بالإضافة إلى إشارته في سيرته إلى بعض أحداث عصره، والموثقة تاريخيا أيضا كإشارته إلى الحسين بن علي وإلى عمله بصحيفة صوت الحجاز ..

أولا :- زمن الحكاية وزمن الكتابة من خلال كتاب (أبو زامل) في طبعته الأولى عام ١٣٧٤هـ .

أ. **أبعد الأحداث التي تفصل بين الحكاية وزمن كتابتها** يعود إلى ما يقارب الخمسين عاما ، حيث بدأها الكاتب بالحديث عن ولادته وطفولته ولم يشر إلى تاريخ ذلك الحدث ، ولكن من المعلوم لدينا أنه ولد عام ١٣٢٣هـ ، وكتب سيرته في هذه الطبعة عام ١٣٧٤هـ

---

(١) د. يمنى العيد : فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب ، ص ، ٨١ .

ب. **أما أقرب الأحداث من زمن الكتابة** فهو يشكل زمنا ضبابيا ، ولكن يمكن أن نستشفه من خلال قوله تحت ما قبل آخر عنوان شملته السيرة في هذه الطبعة وهو (نقطة التحول) إذ يقول :-

"ودام اشتغالي في المدارس أعواما في عهد حكومة الأشراف ثم في عهد حكومتنا الحاضرة " [1] فبالرغم من إشارته إلى الحكومة السعودية بقوله: (في عهد حكومتنا الحاضرة) إلا أن الأحداث التي أشار إليها يمكن القول بأنها تندرج بأكملها أو في أغلبها إلى عهد فترة الأشراف ومن أوضحها إشارته إلى الشريف الحسين بن علي وإلى زياراته التي كان يقوم بها إلى المدرسة التي كان يعمل بها الكاتب عضو هيئة تدريس، والتي كان الحديث عنها هو مدار عنوان هذه الفقرة (نقطة تحول)، وعليه سنجعل افتراضا تاريخ هذه الأحداث يعود تقريبا إلى نهاية عهد الأشراف بالحجاز أي عام ١٣٤٣هـ تقريبا

ومن هنا يمكننا القول بأن أقرب الأحداث من زمن الكتابة يعود افتراضا إلى ما يقارب (٣٠) الثلاثين عاما .

ج. **وما تقدم يفضي بناء إلى المدة التي استغرقتها السيرة** حيث يمكن تأسيسا على ما تقدم أن نقول إنها غطت نحو ما يقارب (٢٠) العشرين عاما من عام ١٣٢٣هـ إلى عام ١٣٤٣هـ .

ثانيا : زمن الحكاية وزمن الكتابة من خلال كتاب (أيامي) في طبعته الأولى عام ١٣٩٠هـ

بطبيعة الحال لن نتناول عنصر الزمن هنا إلا من خلال ما أضافه الكاتب من موضوعات إلى السيرة تحت مسماها الجديد ، حيث إن المؤلف لم يعد كتابة سيرته في هذه المرة وإنما أضاف إليها بعض الموضوعات .

أ. **أبعد الأحداث التي تفصل بين الحكاية وزمن كتابتها** يعود إلى ما يزيد على (٥٣) ثلاثة وخمسين عاما .

وذلك حينما أضاف الكاتب إلى سيرته بعنوانها الجديد فقرة بعنوان : " في المدرسة الراقية " تحدث من خلالها عن التحاقه بهذه المدرسة ، وهي مدرسة أنشأها الحسين بن علي وتعد : " أرقى من ابتدائية في قلعة قعيقعان (الهندي) أسماها الراقية"[2] .

---

(١) أبو زامل ، ١٢٩ - ١٣٠

(٢) أحمد السباعي ، تاريخ مكة ، مصدر سابق ، ٦٢٢

والكاتب قبل هذا أشار إلى أنه التحق بالمدرسة التحضيرية أثناء استعداد الحسين بن علي لثورته [1] ثم قضى في تلك المدرسة التحضيرية (٣) ثلاث سنوات التحق بعدها بالمدرسة الراقية التي تحدث عنها في كتابه (أيامي) وعليه فإن الحسين كما هو معروف بدأ ثورته في عام ١٣٣٤هـ وإذا ما أضفنا إلى ذلك التاريخ مدة ثلاث سنوات قضاها الكاتب في المدرسة التحضيرية قبل التحاقه بالمدرسة الراقية يصبح افتراضاً أن التحاقه بالمدرسة الراقية كان في حدود عام ١٣٣٧هـ .

وهو زمن الحكاية بينما كان زمن الكتابة في عام ١٣٩٠هـ .

ب. **أما أقرب الأحداث من زمن الكتابة** فيتضح لنا من خلال حديثه فيما قبل آخر موضوع من سيرته وهو من الموضوعات الجديدة التي أضافها الكاتب إلى سيرته بمسماها الجديد (أيامي) وهو بعنوان (في صحيفة صوت الحجاز) تحدث من خلاله عن عمله بتلك الصحيفة وأشار إلى بعض القضايا التي كان يثيرها في مقالاته بتلك الصحيفة ، وعليه فإن ذلك الحدث هو أقرب الأحداث إلى زمن الكتابة يعود إلى ما يقرب من (٣٠) الثلاثين عاماً .

حيث إن صحيفة صوت الحجاز صدرت في أوائل الخمسينات الهجرية من القرن الرابع عشر الهجري وتوقفت عن الصدور في عام ١٣٦٠هـ [2] بينما كتبت هذه الحكاية في عام ١٣٩٠هـ .

ج. **وبناء على ما تقدم فإن المدة التي غطتها السيرة** قد زادت بفعل إضافات الكاتب الجديدة فأصبحت تغطي ما يقارب (٣٧) السبعة والثلاثين عاماً . من عام ١٣٢٣هـ ـ إلى عام ١٣٦٠هـ .

مدة الاستغراق الزمني في السيرة بين زمن الحكاية وزمن السرد :-

ونقصد به " التفاوت النسبي - الذي يصعب قياسه - بين زمن القصة ، وزمن السرد .. إذا كانت دراسة مدة الاستغراق الزمني ... وقياسها غير ممكنة في جميع الحالات ، فإن ملاحظة الإيقاع الزمني ممكنة دائماً بالنظر إلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها ، فهذا الاختلاف يخلّف لدى القارئ دائماً انطباعاً تقريبياً عن السرعة الزمنية أو التباطؤ الزمني ... " [3]

---

(١) أشار الكاتب في سيرته إلى اليوم الذي انطلقت فيه الثورة يقول " ويطلق الحسين رصاصته الأولى في فجر يوم ٩ شعبان إيذاناً بقيام الثورة " ولا حظ أنه أهمل ذكر العام الذي انطلقت فيه الثورة

(٢) وعن عمل الكاتب بهذه الصحيفة ، انظر هذا البحث ، ص : ١٥

(٣) د. حميد الحميداني : بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، ص ٧٦ .

وسنحاول أن نقف على الإيقاع الزمني في السيرة من خلال التقنيات الحكائية التالية :-

أ. التطابق بين زمن القصة وزمن السرد :-

ويتم ذلك في الغالب من خلال ما يسمى بالمشهد والمقصود به :

" المقطع الحواري الذي يأتي ... في تضاعيف السرد، إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي تكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق ... " (١)

وسيرة الكاتب اشتملت في مقاطع مختلفة على مشاهد حوارية سواء بين الكاتب وغيره أو بين شخصيات أخرى ليس من بينها الكاتب، ومن أمثلتة ما دار بين الكاتب / الطفل وبين (العم شاكر المصري) حول مسألة حسابية طلب الأخير من الأول حلها، وقد طال الحوار بينهما وكان يشاركهما فيها أحيانا والد الكاتب .. (٢) ومنه ذلك الحوار الذي دار بين والد الكاتب وبين الشيخة (حسينة) في أمر يتعلق بمصير الكاتب / الطفل التعليمي (٣)

وغير ذلك من الأمثلة :

ب. البطء / الاستراحة :

وهي عبارة عن " توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف ، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها ... " (٤)

وسيرة السباعي اشتملت على مقاطع وصفية، وهي غير طويلة في مجملها، من ذلك وصفه للأدوات المستخدمة في الكتاب يقول :

" وكان أبي قد حفل بما يلزمني للكتاب قبل دخولي إليه ، فاشترى لي لوحا كانوا يعدونه كخشبة مربعة الجوانب، يزين رأسها مدرجان ينتهيان إلى رأس كعرائس الخشب ، يثقبونه ويربطونه به خيطا متينا يحمله الصبي في يده ... ولم ينس أن يزودني ببعض (المضر) الذي كانوا يذيبونه بالماء ... كما لم ينس أن يزودني بجزء (عم) وكانوا يطبعونه على قاعدة يسمونها بغدادية ... " (٥) .

ومن ذلك وصفه لمنزل (خالته حسينة) إذ يقول :

" وكانت تعني إلى جانب اشتغالها بالتعليم بنظافة بيتها المتواضع، وتنسيق أثاثه رغم فقرها ، في صورة لا يزال جمالها مرتسما في ذهني إلى اليوم ، فقد كانت جل غرفها مفروشة بقطع

---

(١) المصدر السابق ، ٧٨ .

(٢) انظر (أيامي) ، ص ٣٨ - ٤٠

(٣) أنظر (أيامي) ، ٤٣ .

(٤) د. حميد لحمداني : بنية النص السردي : ٧٦ .

(٥) أيامي ، ص١٤

كانت بسطاً قبل أن تتمزق أوصالها .. ولكن خالتي حسينة استطاعت أن تحيل هذه الأوصال الممزقة إلى قطع مبوبة يستوي منها فرش تلمح فيه النظافة ، وتجمله طرافة التنسيق، أما الزاوية التي جعلتها مطبخاً، وأما البلاطة الصغيرة التي اتخذتها حماماً، وأما سائر الحيطان وجميع درجات السلم فما كانت العين تقع فيها على ما يوازي حبة الخردل من الوسخ ... كانت أكثر البيوت لذلك العهد صورة طبق الأصل لما وصفناه في بيت خالتي حسينة ، وكانت رباتها لا يتنافسن في شيء تنافسهن في نظافة ما يلبسن ، ويفرشن ، أو يطعمن ... " [١]

ومن ذلك وصفه للعبة (الكبت) [٢]

ومن الأمور التي أبطأت بحركة السرد في سيرة السباعي بالإضافة إلى الوصف : الاستطراد إما عن طريق التفسير والتعليل والوعظ والترحم كقوله :

" ولعل أبي كان يتخيل لفرط تشوقه أن (أفك الحرف) في أقصر مدة يستطيعها حزم الفقيه الذي وهب له لحمي ، وأمره أن يكسر عظمي ، وكانت ثقته في عرفي بالغة الخطورة ، ولقد كان سيدي الفقيه حازماً بكل معاني الحزم الذي يفسره أبي ، لأن الحزم الذي يعني التبصرة في الأمور كان لغة لا يرقى إليها إلا الندرة من آباء عهدنا الذي ندرسه ومعلميه ، كان الحزم لا يتناول في حياتنا إلا لهب الظهور والأطراف بالعصي الغليظة والحبال المفتولة ... " [٣]

وكقوله : " فليت الآباء يعنون في كل زمان بتمحيص أمثال هذه الحقائق ، ويتفهمون معاني الإغضاء عن كرامة صغارهم ويعينونهم ما استطاعوا على بناء شخصياتهم وإقامتهم في اعتدال موزون " [٤]

وكقوله : " عفا الله عن كتاتيبنا وأشياخها ، فقد كانوا معذورين بعدوى العصر الذي يعيشون فيه ، وقد تركوا أثرهم في جيلنا مستعصياً على كل المحاولات .. " [٥] وكقوله عن جدته : "عفا الله عنك فإن في ذكراك أبلغ مثل للتدليل على حاجتنا إلى تعليم نسائنا ما يفرضه الدين .."[٦] .

---

(١) أيامي ، ص ٣٠ .

(٢) انظر (أيامي) ، ص (٧١ - ٧٢) .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٥) أيامي ، ص ١٨

(٦) أيامي ، ص ٦٧ .

وكقوله : "رحم الله تلك النفوس السمجة وأغدق عليها من فيضه ما يتكافأ وطبيعتها .."[1] فقد كان الكاتب : " يوقظ القارئ بوقفة صارمة يدعو فيها إلى تحسين وضع ما ، أو نبذ عادة أو نقد أسلوب ... بطريقة وعظية خطابية مباشرة " [2] .

أو عن طريق الموازنة بين عهده طفلاً وعهده كاتباً :-

كقوله : " وكان الصبيان في ذلك العهد لا تتميز درجات تحصيلهم الدراسي بأرقام السنوات والفصول التي ينتمون إليها ، فليس هناك سنة أولى أو رابعة ، وليس ثمت فصل (أ ـ ب) وإنما الميزة الواضحة أن يسأل الصبي عن السورة التي وصل إليها ... " [3]

وكقوله :

" لم تكن للكتّاب مسامحات أثناء الحصص ، يستجم فيها الأطفال ، كما تفعل مدارس اليوم كلن الجد يطبع معلم الكتاب وعريفه بألوان من الصرامة لا تتفق مع الميوعة التي ابتدعت فيما بعد يوم أنشئت المدارس ، لقد كانت فكرة الفسح في ثنايا الحصص بدعة استهول أمرها فقهاء الكتاتيب وعرفاؤهم وراحوا يمطرونها بنقدهم الساخر ... وشاركهم في الهزء طائفة الأولاد .. وشاركهم آباء الأطفال في موجة الهزء ...أما المسامحات الصيفية التي ابتكرتها النظم الحديثة فتلك مباذل كانت لا تعرفها كتاتيبنا، لأنها لا تعترف بأثر الصيف أو الشتاء في مجرى الدراسة "[4] .

أو عن طريق طرح سؤال ما والإجابة عليه جواباً يستطرد فيه " وقد يتراءى لبعضهم أن يسألني : " ولكن كيف يتهيأ لمثلك أن ينجح في الاختيار " الواقع أن لطيبة القلوب التي كان يتمتع بها أكثر مشايخنا دخلاً كثيراً في نجاح أكثرنا ... - إلى أن يقول - أولئك أشياخي فجيئني بمثل طيبتهم وحبهم لخير الطالب . وما كان اعتمادهم على العصا إلا ليقينهم أنها أداة التقويم الوحيدة " [5] .

أو عن طريق انفتاح حكاية السيرة الأصيلة على حكايات أخرى كحديثه عن حكاية استعداد الشريف الحسين بن علي للثورة [6] ، أو كحديثه عن جزء من سيرة (خالته حسينة) [7]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٢) د. عمر الساسي : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص (١٩ - ٢٠) .

(٤) المصدر نفسه ، ص (٢٣ - ٢٥) .

(٥) أيامي ، ص (٥٥ - ٥٦) .

(٦) المصدر السابق ، ص (٤١- ٤٢) .

(٧) المصدر نفسه ، ص (٢٩ - ٣٠) .

أو كحديثه عن أطراف من حياة (سته) [1] ، ومثل ذلك حديثه وإشارته إلى أدبـــاء الرعيـل الأول ونشاطهم الأدبي ... [2] .

وهذا الاستطراد عن طريق الموازنة بين عهده طفلاً وعهده كاتباً أو مـــن خـــلال انفتـــاح السيرة على بعض الحكايات قد أدى إلى تداخل الأزمنة في السيرة إلـــى حـــد مـــا . أو إلـــى المراوحة بينها / ماضياً وحاضراً ومن ذلك إشارته إلى زمن الكتابة ثم الانطلاق مـــن خلالـــه إلـــى زمن الحـــكاية كقوله : " وإني لأ ذكر الساعة تلك الأيام التي آلمتنـــــي فيـــها الصـــدف السيئة... " [3] .

وكقوله الذي مربنا : " وكانت تعنى .. بنظافة بيتها ... في صورة لا يزال جمالـــها مرتســماً في ذهني إلى اليوم ، فقد كانت ... " [4] .

وهذه المراوحة في الزمن قد تجعل الكاتب يمارس في سيرته دور المرسل والمستقبل معـــاً وذلك : " أنه حينما يكتب سيرته الذاتية يقوم بإعـــادة تعريـــف التصـــورات ، حينمـــا يفســـر المعلومات على أنها مختلفة عن تلك التي كون على أساسها تصوره الحالي وقت الكتابـــة ، أو على أنها متنافرة مع التنظيم الذي فرضه على عالمه كمستقبل .. " [5] .

ومن ذلك قول الكاتب مثلاً : " ولا أدعي أنني كنت أضيق كثيراً مما ينالني مـــن عســـف الكتّاب ، لأن تفكيري كان لا يتسع لإدراك ما أدركته فيما بعد " [6] .

فهو يحدثنا كمرسل عن إحساسه بالضيق من الكتاب ونظامه زمن الحكاية ، ويشرح لنا هو نفسه كمستقبل لذلك الحديث بأن ذلك الإحساس بالضيق قد تضخم زمن الكتابة أكثر بكثير ممـــا كان عليه في زمن الحكاية . وذلك راجع إلى توسع مدارك ومعارف الكاتب زمن الكتابة عنـــها زمن الحكاية .

ويمكن القول بأن هذه المراوحة الزمنية في السيرة قد أخصبـــت " الســـرد وزادت مـــن إنتاجيته .. " [7] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص (١٠٣ - ١٠٧)

(٣) أيامي ، ص ٧٦ .

(٤) أيامي ، ص ٣٠ ، وهذا البحث ، ص (٣٧٠ - ٣٧٢)

(٥) د. عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، مرجع سابق ، ص١٤٨ .

(٦) أيامي ، ص

(٧) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

ج - التسريع بالسرد / الخلاصة :-

إذا كانت هناك تقنيات فنية توقف من حركة الأحداث المسرودة لفترة من الزمـــن ، كمـا مربنا ، فإن هناك في المقابل تقنيات فنية تعجل من حركة الأحداث المسرودة، وتسرع بزمنـها منها ما يسمى بالخلاصة ، وهي تكنيك فني يعتمد على : " سرد أحداث ووقائع يفـترض أنـها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمـات قليلـة دون التعرض للتفاصيل " (١)

وينظر دائما إلى الخلاصة : " كنوع من التسريع ... الذي يلحـق بالقصـة فـي بعـض أجزائه..." (٢) .

ويمكن القول :- " بأنه كلما زاد طول المدة الملخصة ، كلما ازدادت سرعة السرد الذي تتـم به الخلاصة " (٣) .

وتتنوع الخلاصات من حيث المدة فهناك خلاصات ذات حد زمني أعلى وهي التي تشـمل عدة سنوات وهناك خلاصات ذات حد أدنى وهي التي تشمل بعض شهور أو أسابيع أو أيـام أو ساعات .

وسيرة السباعي اشتملت على هذين النوعين من الخلاصات .

فمن الخلاصات ذات الحد الزمني الأعلى قوله مثلا : " وبذلك قضيت في كتاب زقاق الشـيش نحو سنتين " (٤) .

وكقوله : " قضيت نحو ثلاث سنوات في استظهار القـرآن حتـى اصبحـت مـن حفاظـه الممتازين " (٥) .

وكقوله : " توالت السنون بنا ونحن مأخوذون بمراكزنا ... توالت السنون تمر بنا في ريـح لم تكن هادئة كل الهدوء ... " (٦) .

وكقوله : " ودام اشتغالي في المدارس أعواما في عهد حكومة الأشـراف ، ثـم فـي عـهد حكومتنا الحاضرة .. " (٧) .

---

(١) حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٢) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥١ .

(٤) أيامي ، ص ٢٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢

(٦) المصدر نفسه ، ص ٩٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

أما الخلاصات ذات الحد الأدنى فهي كثيرة في سيرة الكاتب مقارنة بالخلاصات ذات الحد الأعلى .

ومن ذلك قوله : " وما قضيت أياماً في درسها حتى ضاق صدري بخالتي حسينة ."[١]

وكقوله : " ودام عملي في الدكان إلى شهور " [٢]

وكقوله : " وعثرت بعد أيام على حديث القمر ... " [٣] .

وكقوله : " واعتزمت السفر إلى مصر بعد هذه الشهور الطويلة ... " [٤] .

وكقوله : " ومضت أيام عرفت في أثنائها الأستاذ ... " [٥]

كما أن هناك خلاصات مبهمة لا يمكن تحديد الفترة التي شملتها ، كقوله : " طالت إقامتي في الكتّاب كما طال ترددي على خالتي حسينة ... " [٦]

وكقوله : " وعندما تخطيت الحلم ، وأوشكت فتوتي أن تستوي ، بدأت أشعر في صلف إنني شبيه رجل .. " [٧] .

وكقوله معبراً عن ذلك بكناية العدد : " وتعشقت القراءة في هذه المدة من حياتي ... " [٨]

ويمكن أن ندرج تحت هذه النقطة تقديم الكاتب ملخصاً لحياة بعض الشخصيات التي عرض لها من خلال سيرته كحياة (خالته حسينة وزوجها) .

إذ لخص لحياتها في عدد من الأسطر يقول :

" كانت من السيدات الصالحات المتخلفات عن بيوتات ممتازة في مكة ، فقد كانت مملوكة لأحد الأشراف فلما اعتقوها زوجوها بأحد عبيدهم وانتقلت معه ... وكان عم محبوب (زوجها) رقيق الحال لا يملك من حياته إلا الكفاف ... وكانت خالتي حسينة قد قرأت في بيت أسيادها الذي تركته ما كان يقرأه النساء في ذلك العصر ... لذلك تعد من طلائع الطبقة المستنيرة بين أترابها وقريناتها ... وكان في بيتها ما يشبه الكتّاب ... " [٩]

---

(١) أيامي ، ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٦

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٢

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٨

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٨

(٨) المصدر نفسه ، ص٨٠

(٩) أيامي ، ص ٢٩ .

وفعل الشيء ذاته في ذكره لحياة (ستة)يقول :

" كانت ستي (جدتي لأمي) قد عاشت حياتها الأولى مضطهدة في بيت زوجها . فلما أطلق قيادها بموت زوجها عنيت قليلاً ببناتها منه ، ثم زوجتهن وتحررت من كل ما يقيدها في الحياة ، وأخذت على عاتقها أن تتسلى فيما بقي من عمرها بسجادتها وسبحتها وتلاوة الأدعية والابتهالات، التي كانت تحفظها عن ظهر قلب ، تلقتها عن العجائز اللواتي كن يخالطنها في (حصوة) النساء بالمسجد أو خلف (حلقة العالم) بجوار زمزم " [١]

والخلاصة بالإضافة إلى الإسراع بحركة الأحداث لها فوائد عدة تتمثل في ملء الثغرة الحكائية وإعداد القارئ لما يستقبل من أحداث ... [٢] .

وأبرز الفوائد تكمن في وظيفتها : " اللاحمة التي تختص بربط أجزاء المتن الحكائي بعضها ببعض ، وتعمل على تحصين السرد الروائي ضد التفكك والانقطاع " [٣] .

فهي تعمل على ردم الفجوات الزمنية التي يتحدث عنها الكاتب بإقامتها جسراً بين تلك الفترات الزمنية التي يحدثنا عنها الكاتب ... [٤] .

خط سير الزمن في السيرة وحركة أحداثها :

يسير الزمن في السيرة سيراً تصاعدياً طبيعياً ، فهناك تطابق بين تتابع الأحداث في السيرة مع الترتيب الطبيعي لأحداثها ، كما يفترض أنها جرت بالفعل ، فهناك تتطابق بين زمن السرد وزمن الحكاية المسرودة ، فهو ينطلق من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل أي من الخلف إلى الأمام : (مرحلة الطفولة ، فالصبا ، فالشباب)

وقد تتوقف هذه الحركة عند النقد والتعليل والتفسير أو الاعتراض بدعاء أو بمقارنة بين عهدين أو ما شابه ذلك كما سبق وأوضحت ذلك ...

ولكن يمكن القول بأن الحركة النفسية الحارة التي اشتملتها تلك الوقفات قد تعوض جمود الأحداث وبطأها فتنقذ الفقرة من السقوط ، ويبرز هذا بشكل بارز في نحو الفقرة التي عنون لها بقوله : (ستى ، ص ٥٧ - ٦٧) ، وشملت عشر صفحات تقريباً ، وتحدث فيها عن سته (جدته لأمه) عن حياتها، وبخاصة عن إيمانها بكثير من الخرافات والشعوذة وانعكس ذلك

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٢) انظر : حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) انظر ، مندلاو ، الزمن والرواية ، مرجع سابق ، ص ٨٧ .

الإيمان على أحاديثها وحياتها ... والتي كانت تحدث الكاتب وهو في طفولته وصباه بـــها ... موضحا أنه كان يبدي بعض الاعتراضات على تلك الأحاديث، من خلال ما يثيره من أســـئلة أو تعليقات وكان كل ذلك لا يرضي جدته ... فنحن لا نحس في هذه النقطة بحركة واضحـــة للأحداث المتعلقة بسيرة الكاتب ، ولكننا يمكن أن نلمسها من خلال عنصرين :-

أولهما : وهو الأهم الحركة النفسية الحارة لشخصية الراوي الصادرة من الصـــراع داخـــل نفسه بين تكذيب وتصديق ما كان يسمعه من أحاديث حول تلك الخرافات .

بالإضافة إلى تعاطف الراوي صبيا وكاتبا مع تلـــك الشـــخصية التـــي شـــكلتها ظروفـــها الاجتماعية والبيئية على ما أصبحت عليه ..

ثانيهما : وهو عنصر ثانوي أسهم في إيهامنا بالحركة .. هو ما شملته الحكايات التي كانـت ترويها الجدة من حركة في داخلها ، استتبعها - منطقيا - بالتالي حركة لخيال الراوي حينمـــا كان يستمع إليها وهو في صباه ...

فهذه الفقرة بأحداثها لم تكن مقصودة لذاتها ، وإنما لما تحمله من دلالات نفسية تزيدنا فـــهما بنفسية (كاتبها) - وهذا ما أكده الكاتب نفسه في تأثير ما كان يستمعه من جدته على نفســـيته وحياته - ونفس الإنسان من خلالها .

كما يلحظ أن حركة الأحداث في الموضوعات الأخيرة تلاحقت في سرعة ملفتـــة للنظـــر "من موضوع (كرسي الأستاذية) ص ٩٠ إلى نهاية فقرة (في صحيفة صـــوت الحجـــاز) ص١١٤" .

فعدد صفحاتها بلغ نحو (٢٤) أربعا وعشرين صفحة إلا أنها شملت بداخلها أحداثا كثـــيرة ، فهي تمثل نوعا من الفقرات في حياة الكاتب ، وهي تشير إلى نهاية مرحلة الصبا وبدايـــات مرحلة الشباب في حياته .

وهذا بخلاف ما كانت عليه الأحداث في مرحلة الطفولة وبدايات مرحلة الصبا، حيث كـــانت الأحداث تسير إلى حد كبير في صورة طبيعية ، وربما توحي لنا حركة الأحداث فـــي بطئـــها وسرعتها بنفسية وحركتها اتجاه تلك الأحداث إذا يمكن القول بأن بطء الزمـــن فـــي حركـــة الأحداث فيه دلالة على الضيق والألم النفسي للشخصية اتجاه تلك الأحداث أحداث أيام الطفولـــة خصوصا؛ عاد هذا الإحساس هنا لينعكس من خلال الكتابة (أي ألـــم وضيـــق نفســـي زمـــن الحكاية انعكس أيضا على زمن الكتابة) .

أما تلك الأحداث التي كانت سريعة في حركتها فهي تعكس لنا نفسية الكـــاتب اتجاهـــها إذ توحي لنا بسعادته زمن حكايتها وزمن كتابتها .

ب ــ المكان في السيرة :ــ

الزمان والمكان متدخلان ولا يمكن فصلهما عن بعضهما وإنما لجأنا إلى ذلك هنا لاعتبارات البحث المنهجية .

والحقيقة أن المكان يلعب دوراً بنائياً ودلالياً ويسهم في تحديد سمات الشخصيات وفي بلورة مضامين أساسية في العمل الأدبي ، وهذا ما جعل : " بعض النقاد يعتقدون أن المكان هو كل شيء في الرواية ... " (١) كما أن العمل الأدبي حين : " يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته ... " (٢) .

وانطلاقاً من هذا فإن عنصر المكان يمثل عنصراً أساسياً في السيرة الذاتية ، فبالإضافة إلى أن ذكره في السيرة الذاتية يشعر بواقعية الأحداث وصدق الراوي ، فإنه يقدم لنا وثيقة لكثير من الأمور التي تتعلق بحياة الكاتب الشخصية ، كما أن الكاتب من خلاله أيضاً يبين لنا كثيراً من ملامح شخصيته على ضوء علاقة ببعض الشخصيات التي يجمعه بها مكان واحد أو أماكن عدة ...

ومما تميزت به سيرة الكاتب أنها اشتملت على ذكر كثير من الأماكن وبأسمائها الصريحة مع تحديد لمواقعها الجغرافية . وأشار إلى بعضها من خلال عناوين كتابه نحو : (في الكتّاب ص ١٣) و (في المدرسة الراقية ص ٥٢) ، فالكاتب تنقل بنا في أماكن عدة يجمعها محيط واحد وهو محيط مكة المكرمة بكتاتيبها وحارتها وأزقتها وأوديتها ، وذلك التنقل اقتصر في الغالب على مجرد ذكر لاسم المكان وموقعه كقوله : " درج بي إلى الكتاب في زقاق الشيش بجوار المدعى ... " (٣) .. ثم يلتحق بكتاتيب أخرى فيحددها لنا بالاسم والموقع : " وأشير على أبي أخيراً أن ينقلني إلى غير هذا الكتاب ، فألحقني بكتاب في باب الدريبة ، ثم بآخر في جبل الهندي ، ثم بغيره وبغيره ، حتى انتهيت إلى كتاب أوسع في مكان القبان اليوم بجوار المدعا ... وأسس الحسين بن علي ... مدرسة عربية أمام باب السلام وكلف الشيخ محمد خياط أن يديرها ... فنقلنا جميعاً إليها ... " (٤) .

---

(١) حميد لحمداني : بنية النص السردي ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٢) غالب هلساً : من مقدمته لترجمة كتاب ، (جماليات المكان) لغاستون باشلار ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م . ، ص (٥- ٦)

(٣) أيامي ، ص ١٣ .

(٤) أيامي ، ص ٣٤ .

ثم انتقل بعد ثلاث سنوات إلى المدرسة الراقية الواقعة كما يقول في جبل هندي [1]

هذه هي الأماكن التي كان يتردد عليها في مرحلة تعليمية، أما بعد أن ترك التعليم والتحق بمن سماهم " مطاليق الحارة / رفقة السوء " فقد ارتبط اجتماعه بهم في أماكن أخرى حيث يقول :

" كنا نقضي نهارنا في مداخل برحة الفل بجوار المسعى نهزج بأغانينا ... وكنا نقضي أمسياتنا في ظل من برحة المروءة ، تحت دكان أحد (بشكتنا) من أولاد المزينين .. " [2] .

ويلحظ أنه قدم لنا هنا نوعين من الأمكنة : الكتاب يمثل النوع المغلق من الأمكنة أما أماكن الاجتماع بالأصحاب فهي تمثل نوعا من الأماكن المفتوحة الفضاء ...

ومن الأماكن المفتوحة التي أشار إليها في سيرته ما جاء في قوله عن والده :-

" وكان في طريقه إلى صلاة العصر يحلو له أن يمر في باب الدريبة بحفار أختام تركي ... ويقف إلى دكان عم سعيد الحوات يشتري لوازمه ... ويجتمع أبي في القهوة مع أحد أصحابه فلا يلبث أن يدور الحديث في شأني " [3]

ومن ذلك قوله في معرض حديثه عن جدته وحفظها للأدعية التي : " تلقتها عن العجائز اللواتي كن يخالطنها في (حصوة) النساء بالمسجد ، أو خلف (حلقة العالم) بجوار زمزم "

وعلى الرغم من أنه انتقل بناء إلى أماكن عديدة على نحو ما مر بناء فيلحظ أنه لم يصف أي من تلك الأمكنة، ولا نجد له وصفا مسهبا وخالصا للمكان في سيرته وإنما يأتي ذلك الوصف ممزوجا بتصوير الشخصية المرتبطة به وبالأدوات المستخدمة فيه كقوله في وصف الكتاب :

" كنا نصطفى لكثير من الخدمات ، فمنا من يكنس الكتاب ، ومنا من ينظف المرحاض ، ومنا من يحمل الماء إلى مركن المضر حيث تمسح الألواح ، ومنا من يملأ (شربة سيدنا) ... ومنا من تخصص للمروحة إذا اشتد الحر على سيدنا ... - إلى أن يقول - وكان لبيت الراحة في الكتاب نظام نافذ المفعول، فقد أناط سيدنا ببابه لوحا من المقوى دلاه في حبل، وكتب على إحدى واجهتيه (فاضي) وعلى الواجهة الثانية (مشغول) ... كنت ألج الباب إذا خلا وليس بي حاجة إلى شيء إلا السأم الذي أتمنى أن أبدده ... وإني لا ذكر إلى اليوم كيف كنت أصعد

---

(١) أيامي ، ص٤٢

(٢) أيامي ، ص (٧٢ - ٧٣) .

(٣) أيامي ، ص ٣٧ .

فوق (الحنفية) خزانة الماء في بيت الراحة، وأتربع فوق غطائها الخشبي ثم أعمد إلى (المغراف) فأغمره في الماء حتى يمتلئ ثم أوزعه في أركان (بيت الراحة) ركنا بعد آخر كما يفعل بائع الشربة الذي كنت أراه في طفولتي ... " [1] .

فهذا المكان الذي عرض له فيما سبق يمثل للشخصية مكانا مسالما، لا يلتزم فيه بنظام معين ، يستعيد من خلاله الكاتب حريته في الانطلاق والتصرف، ولهذا نلحظ أنه لم يقدم لنا صورة لمنزله بقدر ما قدم صورة للشخصية القاطنة في ذلك المنزل، وهي شخصية والده الذي كان يمنعه من ممارسة اللعب، ويحد من انطلاقه مثل ما يفعل ذلك (فقيه الكتاب)، ولهذا فهو يلجأ في البيت إلى جزء من مكوناته يجد فيه حريته مثل ما كان يفعل في الكتاب يقول :

" كنت إذا اضطررت للاستجمام لجأت باسم (قضاء الحاجة) إلي بيت الراحة ، أقضي فيه بعض الدقائق التي تدفع عني السأم ، كما كنت أفعل ذلك في الكتاب ... " [2]

ومن هنا فإن الكاتب بعد وفاة والده الذي كان مضيقا عليه في ممارسة اللعب والخروج من البيت يجد مكانا أوسع يمارس فيه ومن خلاله حريته في الانطلاق واللعب ، مكانا عاما ومفتوحا ، فيصف لنا ذلك بقوله :-

" عشت مع والدي لا أعرف غير المدرسة بعد الكتاب ، والمسجد بعد خالتي حسينة ... انتهيت إلى وادي الشهداء (الزاهر)، فكانت ساحته المتسعة باتساع ما يمتد إليه البصر غاصة بجموع لا يحصيها العدد .. كانت كل مجموعة تستقل جهة في الوادي على ضوء مصباح ، أو مصابيح خاصة بها ، وتترك نارها تشتعل تحت قدور طعامها ، بينما ينتشر بعض أفرادها في امتداد الوادي يلعبون (الكبت) أو يتسابقون في العدو والقفز، ويجلس المتعقلون إلى ضوء المصابيح يلعبون الشطرنج أو يتنقلون بين مجالس الغناء... كانت ليلة أبحتها جميع مشاعري، فلم أترك لعبة عنيفة إلا شاركت فيها، أو مسابقة خشنة إلا كنت المجلي فيها ، حتى جاء العنف وجاءت الخشونة على أثوابي فمزقتها وتركتني أضحوكة بين رواد الوادي وسماره ... "[3]

وهذا التصوير الأخير للمكان نشاهد فيه الصورة مكونة من عناصر مختلفة امتزجت فيما بينها حيث جمعت بين الصور البصرية والشمية والذوقية واللمسية والسمعية لتكون في مجملها صورة واحدة ... ونجد له تصويرا آخر للمكان يشبه الصورة السابقة في مجملها مرتبط أيضا

---

(١) أيامي ، ص (١٦ – ٢٥) .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٣) أيامي ، ص ٧١ .

بالشخصيات وبالأدوات المتعلقة بالمكان، وهو تصويره للحفل الذي يقام بمناسبة حفظ أحد تلاميذ الكتاب سورا من القرآن الكريم، وهو ما يسمى بيوم الاقلابة فهو : " يوم ممتاز نستعد له بـ (الجبب المقصبة) والحزم المفضضة والعمائم (التلي) و (النعل أبو خرزين) المحفوظ بعناية في قاع صندوق والدتي ينتظر المناسبات ، فإذا اجتمع الأطفال في أرديتهم الخلابة في كتاب سيدنا خرج عليهم سيدنا في ثوبه (الدرابزين) المطرز صدره ، وياقته بالحرير (الشناوي) وصديرة (المزرر) مما يلي لحيته ، وجبته الفضفاضة التي لا ترى النور إلا في مثل هذه الأعياد !! وعمته المكورة في جلال وأبهة ، وطيلسانه الموشح بأدق أشغال الإبرة في كشمير، ويشرع سيدنا في تنظيم الأولاد صفوفا ... ثم يشير إلى العريف ليمضي في مقدمة الصفوف إلى مكان الحفل، في بيت صاحب (الاقلابة)، ويهيمن بنفسه من المؤخرة على تنظيم الصفوف . ولا تكاد صفوفهم تغادر الكتاب حتى تتعالى أناشيدهم في أنغام جميلة يرتلون فيها أدعية وصلوات حفظوها لهذه المناسبات ، ويمضي الموكب في طريقه إلى أن يسامت بيت الدعوة، حيث يكون زميلهم قد أعد نفسه لاستقبالهم على صهوة جواد، زينوا سرجه بالقطيفة المزركشه وأناطوا بعنانة الجدائل الحريرية ، وكسوا جبهته بالخرز البراق، وأحاطوا جيده بالفصوص اللامعة .. ووقف حوله حشد من الأقارب والأهل ، يسنده بعضهم على صهوة الجواد، ويحتفي البعض الآخر بموكب القادمين من الكتاب على رأسهم سيدنا ، بعد أن زحف إلى مقدمة الصفوف ، وأشار إلى العريف بتنظيمها . وتنطق أصوات المدعوات من خصائص النوافذ المغلقة (مزغرطات) في أنغام لا تنقطع من نافذة إلا لتتصل في نافذة أخرى ، وينهال رشاش الملح في تضاعيف ذلك، من عليات النوافذ طردا للشياطين ، وحرزا من عيون الحاسدين، ولا يلبث أن يتحرك الموكب في جولة عامة ، يذرع بها أكثر الشوارع يتقدمه الطفل المحتفى به على صهوة جواده ... وتزدحم الشوارع بالمتفرجين على طول الطريق وعرضه ... " (١)

ونلحظ في هذه الصورة استقصاءه لكثير من الدقائق التي تدل على قوة ملاحظته ، وعلى براعته في الوصف ، تأمل وصفه للزي الذي كان يلبسه الفقيه، وطريقة لبسه له في ذلك الحفل ، ومثل ذلك وصفه للزينة التي كانت توضع على الجواد الذي يمتطيه المحتفى به ، وهذا الوصف كما هو واضح مرتبط بالمكان الذي ضم المحتفين والمحتفى به .

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول بأن الأماكن المغلقة متمثلة في الكتاب والمنزل - حتى

---

(١) أيامي ، ص (٢٦ - ٢٨)

بيت الراحة في كليهما - يمثلان لشخصية الكاتب / الطفل رمـــزا للعنـــف والكبـــت الذهنـــي والجسدي ، فهي أماكن معادية بالنسبة له .. أما الأماكن المفتوحة والتي كان يجد فيـــها نوعـــا من الانطلاق فهي تمثل له رمزا للحرية، واكتشاف الذات وهي بالتالي أمـــاكن محببـــة لـــه . ويلحظ أن مصدر ذلك العداء والحب ليس المكان كرقعة جغرافية وإنما مصدرهـــا الشـــخصية المرتبطة بالمكان .

وكما سبق وذكرنا، فإن مكة المكرمة بكتاتيبها وحاراتها هي المكان الرئيس في السيرة فقـــد عرض الكاتب في سيرته لأماكن أخرى ثانوية منها :-

مصر حيث أشار إلى أنه انتقل إليها عقب لقائه بالشيخ محمد سرور الصبان [1] الـــذي دلـــه على المطبعة المصرية التي أوهم الكاتب بأنه قد أوصى القائم عليها بطباعة مؤلفه الذي أســـماه : (حبر على ورق) يقول :

" وانتهيت إلى المطبعة وكان يديرها الأستاذ الزركلي: شو يا ولدي هاي كتاب ماشفته .. مـــا وصل إلي !! ترى هل ضاع ؟ - والله ما بعرف !!

وعدت بعودتي من مصر إلى الشيخ محمد أسأله .. " [2] .

ومن ذلك ذكره لمدينتي جدة والمدينة المنورة حينما أشار إلى أبـــرز أدبـــاء الرعيـــل الأول فيهما [3] .

وانفتاح حكاية السيرة على حكايات أخرى كما سبق وأشرت كان بطبيعة الحـــال يســـتلزم انفتاحا على أماكن متعددة من خلال تلك الحكايات .

ومن ذلك الأماكن التي أشار إليها في حديثه عن حكاية ثورة الشريف الحسين بـــن علـــي نحو:-

---

(١) هو محمد سرور الصبان، ولد بالقنفذة سنة ١٣١٦هـــ، انتقل إلى مدينة جدة والتحق بمدارسها، تدرج فـــي المناصب القيادية، حتى أصبح ثاني وزير للمالية والإقتصاد، ثم أصبح أول أمين عام لرابطة العالم الإســـلامي، كان من أوائل المشتغلين بالأدب، ومن أبرز المساهمين الأوائل في نشاطاته، له نثر وشعر غير مجموع توفـــي ١٣٩٢هـــ، انظر، عمر الطيب الساسي الموجز في تاريخ الأدب السعودي ص ٦١ــ٦٣، وأحمد بـــن ســـليم، موسوعة الأدباء ١٦٧/٢

(٢) أيامي ، ص (١٠٢ - ١٠٣)

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٣

" سوق الليل ، أجياد، جرول، الحميدية، القلعة، ينبع، رابغ ، المدينة المنورة ، الشام ، دمشق، أظنة " [١]

وكالأماكن التي كانت ترد في القصص والحكايات التي كان يسمعها من جدته ، ولأنها في مجملها خرافات وشعوذة فقد امتزج في بعضها المكان المعلوم بأماكن مجهولة كقولها : بأن " عين زبيدة في مكة متصلة بنهر دجلة في العراق ... " [٢] .

وكقولها بأن : " النيل في مصر .. ينبع من قبة على حدود الجنة .." [٣] وكحديثها عن الجزر التي يسمونها " واق الواق " [٤] ونشير في ختام هذه النقطة إلى أن هناك أماكن تتعلق بصاحب السيرة لم يحدد لنا موقعها كمنزله، والمدرسة التي عمل بها والتي أغفل حتى ذكر اسمها . وعبر ما تقدم من حديث حول الشخصيات والزمان والمكان يمكن القول بأن الكاتب استطاع أن يرسم ببراعة صورة لبيئتة المكية ، مبرزاً خصوصيتها محاولاً أن يعكس أثر تلك البيئة في نفسه، وبالتالي في نفوس أفراد جيله وفي تكوين ذوقه وأذواقهم . وهذا ما أكسب عمل الكاتب قيمة مضاعفة فنياً وتاريخياً حيث إن الخصوصية هي مناط الإبداع .

الشخصيات

نشير بداية إلى أن الشخصية الروائية هي : " ذات طبيعة مطاطية جعلتها خاضعة لكثير من المقولات دون أن تستقر على واحدة منها ... " [٥] إلا أنها في البداية والنهاية هي : "المحور الذي تدور حوله القصة كلها .. ومن ثم فإن أهميتها لا تحتاج إلى توضيح " [٦]

فهي تلعب دوراً أساسياً في : " بناء الرواية ، إذ إنها مركز الأفكار ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث ... فالأفكار تحيا في الشخصية ، وتأخذ طريقها إلى المتلقي عبر أشخاص معينين ، لهم آراؤهم واتجاهاتهم وتقاليدهم في مجتمع معين وفي زمن معين ، ولذلك يرى بعض النقاد أن خلق الشخصية المقنعة هو أساس بناء الرواية وسبب نجاحها ... " [٧]

ومن هنا فإن أهميتها في السيرة الذاتية تأتي في الدرجة الأولى ، فهي عماد السيرة ، فبها ومن أجلها تكتب السيرة ... بالرغم من اختلاف أهداف الكتّاب في تسجيلها .

ولرسم الشخصية عدة طرق من أبرزها طريقتان :- طريقة مباشرة وهي الطريقة التحليلية

---

(١) أيامي ، ص (٤١ - ٤٢)

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

(٦) حسين القباني ، فن كتابة القصة ، دار الجيل ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٩م ، ص٦٨ .

(٧) د. عبد الفتاح عثمان ، بناء الرواية ، دراسة في الرواية المصرية ، ص١٠٧

وتعتمد على رسم الشخصية من الخارج بشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها وبالتعقيب على بعض تصرفاتها ، وتفسير البعض الآخر .. [١]

والطريقة الثانية غير مباشرة وهي الطريقة التمثيلية ، وينحى الكاتب المستخدم لها نفسه جانباً ، عند تقديمه للشخصية ، ليتيح لها أن تعبر عن نفسها ، وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة ، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق : " أحاديث الشخصيات الأخرى عنها ، وتعليقها على أعمالها ... وللكاتب أن يستعمل كلتا الطريقتين ... " [٢] والحقيقة أنه حينما : " يهدف العمل الأدبي إلى إعطاء صورة عن الحياة الخارجية الموضوعية ، يكون ظهور الشخصيات فيه مباشراً " [٣] وذلك من أهداف السيرة الذاتية .

والخلاصة أنه ليس المهم هو الطريقة التي تقدم بها الشخصية في الرواية : " وإنما الفائدة التي يجنيها الكاتب من وراء استعمالها ... " [٤] .

وسيرة الكاتب شملت عدداً كبيراً من الشخصيات رئيسية وثانوية ، وقدمها لنا بطرق عدة هي في مجملها تعد مزجاً للطريقتين التحليلية والتمثيلية المشار إليهما أعلاه .. فهو قد يقدم لنا الشخصية تقديماً مباشراً كقوله عن نفسه : " سماني أبي (أحمد) ودللتني أمي فكانت تناديني (أحمد حماده) .. " [٥] .

أو عن طريق الحوار والأفعال ثم التعقيب كتقديمه لشخصية العريف : " لم ينس أبي شأن العريف ، فقد أسر بما أرضى كبرياءه ، ودس إلى جيبه ما أطلق لسانه : روح يا عم صالح الولد ولد سيدنا .. وأنا هنا ما أشوفه إلا زي أخويه الصغير ، ولقد كان عند وعده فقد شافني بما يشاف به الأخ الصغير، الذي سلبت إرادته ومنح قياده إلى وصي يعرف كيف يعد هللاته القليلة التي يصطحبها كل صباح ... " [٦] .

---

(١) انظر د. محمد يوسف نجم ، فن القصة ، سلسلة الفنون الأدبية رقم (٢) ، (د. ن) ، ط١٠ ، ١٩٨٩م ، ص٩٨ .

(٢) د, محمد يوسف نجم : فن القصة ، مرجع سابق ، ص (٩٨- ٩٩)

(٣) د. عبد الحكيم حسان ، أنطونيو كيلوباترا دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي ، الدار السعودية ، جده ، ط٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٩٤ .

(٤) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

(٥) أيامي ، ص ١٣ .

(٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

ومن ذلك استخدامه لما يمكن أن نطلق عليه تقنية الأسماء والألقاب للدلالة على الشخصية بالاسم أواللقب أو الصفة، حيث إن ذلك يزيد من تميز الشخصية، وهو هنا يقدم الشخصيات بأسمائها وألقابها وصفاتها على الحقيقة بمعنى كما هي في الواقع [١] فهو يصرح بالأسماء على حقيقتها إذ يقدم الشخصية باسمها المباشر، وفعل ذلك بداية بتقديمه لنفسه كما سبق وأن أشرت ومن أمثلة ذلك أيضاً - وهي أمثلة كثيرة - كإشارته إلى بعض أساتذته بأسمائهم الثنائية نحو : الشيخ محمد خياط مدير كتاب القبان الذي التحق به الكاتب [٢] .

وأحمد زهر الليالي الذي درّسه بالمدرسة التحضيرية [٣]

ومن ذلك إشارته إلى بعض زملائه وأدباء عصره، أو بالإشارة إلى لقب الشخصية الذي يسبق أسمها نحو : " الشريف الحسين بن علي والسلطان وحيد الدين العثماني " [٤] .

أو بخلع صفة على صاحب الشخصية يبين منزلته الاجتماعية أو مهنته أو علاقته بشخصية صاحب السيرة نحو : الشيخ ، الأستاذ ، الفقيه ، العريف ، سيدنا ، السيد ، خالتي ، ستي ...الخ .

ومن هنا أتت بعض عناوين الكتاب حاملة أسماء أو ألقاب بعض الشخصيات التي ضمتها السيرة نحو : " خالتي حسينة " [٥] ، كتاتيب ومعلمون [٦] ، مع حفاظ القرآن [٧] ، شيطان الفصل عباس [٨] ، ستى [٩] "

وذلك إمعاناً في إبراز أهميتها، وتأكيد حظوتها بين الشخصيات العديدة التي شملتها السيرة والحقيقة أن الكاتب كان واعياً بهذا التوظيف للأسماء والألقاب - بالمعنى الذي أشرت إليه - التي ضمتها سيرته ومن الأدلة على هذا الوعي توظيفه للقب : (سيدنا) فقد كان يشير به إلى لقب فقيه الكتاب ، بينما أصبح يطلق في فترة لاحقه من الزمن على شخصية تاريخية ، وهذا

---

(١) عدا استخدامه لبعض الأسماء المجازية أطلقها على بعض الشخصيات التي صاحبها في فترة الصبا والفتوة كما سيتضح لاحقاً .

(٢) أيامي ، ص ٣٤

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٥) أيامي ، ص ٢٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

ما ينبهنا إليه الكاتب ، حيث أوضح ذلك بقوله : " عرفت أن المدرسة فيها حركة ، وأن (سيدنا) ينوي زيادة تعليمنا ، وكلمة (سيدنا) أصبحنا لا نطلقها في هذا السن على فقيه الكتاب الذي عرفناه فيما سبق ، بل هي لقب أصبحنا اليوم في فتوتنا الجديدة نطلقه على الحسين بن علي ملك البلاد " [١] .

وهذا دليل آخر يمكن أن نؤكد به ما ذهبنا إليه وذلك من خلال الأسماء والألقاب والكنى التي أطلقها على أصحابه من شباب الحارة في فترة الفتوة ، أولئك الذين وصفهم لاحقاً " برفقة السوء " [٢] فقد دلنا على شخصياتهم من خلال المسميات التي أطلقها عليهم ، وهي مسميات غير تقليديه ولا تطابق الواقع في الحياة الاعتيادية وتمثلت في المسميات التالية :-

" بطنجها ، الواد أبو رأسين ، أبو سنكيت ، الأشرم ، سحلول ، أبو عروج " [٣] فهي أقرب إلى المجاز منها إلى الحقيقة، فهي توحي لنا بما سكت عنه الكاتب فهو يربط بين مسمى الشخصية ومضمونها ، انطلاقاً من القول بأن الاسم فيه دلالة كبيرة في كثير من الأحيان على شخصية صاحبه وعلى العموم فالتسمية تعد : " أبسط أشكال التشخيص ، وكل تسمية نوع من أنواع البعث والإحياء وخلق الفرد " [٤] .

ونشير إلى أن هناك عدداً من الشخصيات ذكرت في السيرة من دون الإشارة إلى أسماء أصحابها .. من أبرزها شخصية فقيه الكتاب الأول، الذي التحق به الكاتب في طفولته، ومثل ذلك عريف الكتاب نفسه ومنها تلك الشخصية التي عرض لها الكاتب في معرض حديثه عن والده بقوله :

" وكان قد خصني بعبد اشتراه لخدمتي واصطحابي إلى الكتّاب " [٥]

ومنها شخصية ذلك الشيخ قريب جدته الذي كانت تعتقد في صلاحه ، فعندما مرضت في إحدى المرات كانت لا تطعم غير ماء زمزم ، وكان الكاتب في صباه مكلفاً بإحضار ذلك الماء لها من المسجد ، فعندما أرهقه ذلك التكليف عمد إلى الحيلة لكي يتخلص منه ، مستنداً على حكاية ملفقة رواها لجدته دس في ثناياها شخصية ذلك الشيخ دون الإشارة إلى اسمه [٦]

---

(١) أيامي ، ص (٤٢ - ٤٣) .

(٢) أيامي ، ص ٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٤) أوستن أورين وزميله ، نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ .

(٥) أيامي ، ص ١٦ .

(٦) انظر تلك الحكاية ، (أيامي) ، ص (٦٣ - ٦٤)

ويبدو لي أن الذي منعه من ذكر أسماء هذه الشخصيات في سيرته، هو التأدب معها لعـــدم جرح أحاسيسها أو أحاسيس من ينتسب إليها . كما أن هناك شخصية أخرى لم يذكر اسمها ولم أجد لذلك تفسيراً ، وهي تلك التي ساعدته بالنصح والمال ليفتح دكاناً يرتزق منه [١] .

ويلحظ أن الكاتب ركز على تصوير الشخصيات من الداخل كما سيتضح لنا ذلـــك لاحقـــاً ونادراً ما يهتم بتصويرها من الخارج . فلم يرد عنده هذا التصوير الأخير إلا مع شخصيتين :

الأولى هي شخصية : (عبد الوهاب خياط) زميله في التدريس ثم مدير مدرســـته لاحقـــاً حيث وصفه بقوله : " كان يمتاز بوجه صارم ، لا يستخفه النـــزق الشائع بيننا وكـــان شـــاربه المفتول يرسم صورته أمامنا كشاب ناضج يستحق التقدير ... " [٢] كما تمثل وصفه الخـــارجي للشخصية في حديثه عن شخصية الشريف حسين بن علي حيث ذكر بأنه : " رجـــل مربـــوع القامة " [٣] .

ونشير إلى أن كثرة أسماء الشخصيات في الجزء الأخير من سيرة الكاتب ، كان له ســلبيات عدة من أبرزها :-

١-أنه أضعف من تماسك السيرة .

٢-أنه أسرع بأحداثها بشكل لا فت للنظر .

٣-أنه حولها عن مسارها الفني إلى مسار تقريري تاريخي بحت في الغالب الأعم.

أما أبرز الشخصيات التي عرض لها في سيرته فالمعلومات حول أغلبها ، قليلة وهـــي ليســـت مركزة ولا مفصلة وإنما هي عبارة عن شتيت من الإشارات السريعة المبثوثة هنا وهناك عـــبر موضوعات السيرة وسنتناولها من خلال الوقفة التالية :-

صور وأنماط الشخصيات في السيرة :-

١) - صورة بطل السيرة / الكاتب

شخصية كاتب السيرة تمثل شخصية البطل بكل مقاييسها المختلفة والمتعـــددة ، فـــهي تلـــك الشخصية التي يتتبعها القارئ بكل اهتمام ، ويكون نجاح الكاتب في رسمها بقدر ما يثيره فـــي المتلقي من شفقة ومشاركة وجدانية لتلك الشخصية . ومن هنا يـــأتي تركـــيز الكـــاتب علـــى عرضها والاهتمام بها ولا بد أن تتصل باقي الشخوص والأحـــداث بشـــكل أو بـــأخر بـــهذه الشخصية ، فهي إذن الشخصية الجوهرية التي تعد : " محوراً تدور حوله وتتبع من حوله

---

(١) أيامي ، ص ٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٨٦ .

أحداث - السيرة - " [1]

والكاتب بدأ برسم شخصيته من خلال ما سميته بتقنية الأسماء الذي يعد أبسط أشكال التشخيص ، كما سبق ذكره، وقد قدم لنا نفسه بطريقة تدريجية بلغت حداً من التمسك وذلك من خلال نجاحه في اختيار لحظات منتقاة من حياته وحياة، تلك الشخصيات التي ضمتها سيرته ، كما نجح أيضاً في رسم علاقته بتلك الشخصيات .

وتلك الطريقة التدريجية التي اتبعها الكاتب في رسم شخصيته كشفت لنا مراحل حصول التغيير في شخصيته ، فهي شخصية نامية ومتطورة .

وكانت وسيلته في كل ذلك الحوار مع الشخصيات الأخرى أو الحوار مع نفسه .

سنعرض لذلك لاحقاً في حديثنا عن الحوار وإما بأسلوب مباشر فيما يشبه التقرير كقوله : " وكنت لا أميل إلى إفشاء أسراري ، ولا يعجبني شيء ما يعجبني أن أجالد ، وأن أتجمل أمام من يهمه أمري من عدو أو صديق .. فكنت أبدو أمام رفاقي القدامى تويجراً لا يعاكسه النجاح ، وأبدو أمام ستي وأمي رجلاً يخطو في مدارج الظفر ، أما قريبي الذي وجهني إلى ما كان فكان لا يعرف من حقائقي إلا ما يستحق التقدير ، وكنت أقاسي في غمرة المجالدة والتجمل على هذا النحو مالا يقوى احتماله إنسان " [2] .

وعليه فقد تعددت أصوات الراوي / الكاتب ، تلك الأصوات التي تتجاذب الحكي عن سيرته .

فقد سمعنا صوت الكاتب وهو طفل كالحوار الذي دار بينه وبين فقيه الكتّاب وعريفه"[3] وترديده لبعض دروس الكتاب نحو " أليف لاشيون عليها .. والباء واحدة من تحتيها " [4] و "أبجد هوز ... " [5] .

وكحديثه مع : " خالته حسينة " [6] ، وكحديثه مع " والده " [7] ، وكحديثه مع " سته "[8]

---

(١) نصر عباس ، البناء الفني في القصة السعودية ، دار العلوم ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص(٣٨- ٣٩) .

(٢) أيامي ، ص ٧٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(٥) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٦) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٧) انظر المصدر نفسه ، ص (٣٥ - ٣٨) .

(٨) انظر المصدر نفسه ، ص (٥٧ - ٦٦) .

كما سمعنا صوته وهو شاب كحديثه عن مرحلة الطيش [١] وعن عمله في التجارة [٢] وكحديثه بعد التحاقه للعمل بالتدريس [٣] وعن عمله بصحيفة صوت الحجاز [٤] .

كما سمعنا صوته وهو كهل بالغ عاقل خلال تعليقاته بالدعاء، أو بالموازنة بين عهدين أو بالتعليل والتفسير والاستطراد، كما تبين لنا سابقا من خلال الحديث عن عنصر الزمن في سيرته[٥] .

والحقيقة أننا حينما نسمع صوته في بعض المواضع وهو طفل كنا نشكك في ذلك الصوت كثيرا، هل هو كلام صادر من طفل أم من رجل بالغ، ففي ذلك تداخل بين زمن الحكاية وزمن الكتابة، وهذا الأمر يعد إشكالية بارزة في كتابة السيرة الذاتية حيث إن : " فكر الكاتب لحظة الكتابة عن ذاته يختلف عن فكر الكاتب وهو بعد طفل ، ومن ثم فإن لكل منهما رؤية للعالم ذاتية ومتميزة ضمن هذه الشروط ، كيف يمكن لحاضر الكاتب الأوطوبيوغرافي أن يدعي الكتابة عن ماضيه .. ؟ " [٦]

أما علاقاته بالشخصيات الأخرى فيمكن أن نصفها على النحو التالي :-

ـ علاقات قوامها الحذر والترقب والخوف، تبدي لنا ذلك من خلال علاقته بالفقيه والعريف وعلاقته بوالده .

ـ وهناك علاقات قائمة على المحبة والتقدير والتعاطف المتبادل، كما في علاقته بسته وخالته حسينة ووالدته .

ـ وهناك علاقات محورها الصداقة التي لا تعني بالرسميات كثيرا، فكان بين الكاتب وبين أصحابها نوع من الانسجام والاهتمامات المتبادلة والإعجاب في بعض الأحيان كالعلاقة بينه وبين زملائه من أعضاء هيئة التدريس وبخاصة مدير المدرسة (عبد الوهاب خياط) والأستاذ (عبد الله خوجه) .

أما سمات شخصية البطل / كاتب السيرة كما تبدت لنا من خلال السيرة فهي كثيرة ، يمكن أن نشير إلى أبرزها فيما يلي :-

---

(١) أيامي ، ص (٦٨ - ٧٤) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٧٥ - ٧٨)

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص (٩٠ - ٩٦)

(٤) انظر المصدر نفسه ، ص (١٠٨ - ١١٤)

(٥) انظر حول هذه التعليقات حديثنا عن الزمن في سيرته، هذا البحث ، ص (٣٧١- ٣٧٢)

(٦) رشيد بنحدو ، (كتابة الماضي بالمضارع ، تأملات في السيرة الذاتية) ، مجلة علامات ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ذو القعدة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م م ٦ ، ج(٢٣) ، ص (٢٦٦- ٢٦٧) .

١-الرغبة في التحرر من قيود المجتمع البالية أولا، ثم من العقد والخبرات النفسية المكبوتة التي تجمعت في داخله بفعل حياة الطفولة كما صرح بذلك [١] وسنجلي هذه النقطة لاحقا من خلال حديثنا عن الصراع في السيرة .

٢-القدرة على التواصل مع مختلف الشخصيات، المتباينة في سلوكها وثقافتها وسنها ، وهذه الخاصية تتميز بقدرة على الهدم أو البناء للعلاقات القائمة مع مختلف الشخصيات .

٣-الذكاء في التعامل بحسب الظروف المحيطة به وطبيعة الشخصية المتعامل معها، مع والده ومع والدته وسته مع زملائه في الحارة والمدرسة وتبين ذلك لنا أيضا من خلال حديثه عن بعض أساليب كتاباته في صحيفة صوت الحجاز، كحديثه عن تعليم المرأة، وكحديثه عن قضايا المطوفين مستخدما في كل ذلك الرمز وسبق أن أوضحنا هذا الأمر في حديثنا عن المقالة في أدبه [٢] .

٤-القدرة على المواجهة واتخاذ القرارات، واتضح ذلك بصورة جلية بعد وفاة والده، نحو قراره بترك الدراسة، ثم بعد ذلك ممارسته للتجارة ثم تركها والالتحاق بالوظيفة .

٥-صاحب عزيمة قوية وإرادة صلبة، بدليل أنه لم يشر في سيرته على شيء أبكاه (فلم يحدثنا مثلا عن وفاة والده، باعتبارها شيئا أثر في حياته سلبا، وإنما على اعتبارها شيئا كان له في حياته أثر إيجابي، سمح له بممارسة حريته التي كانت مكبلة بقيود وأوامر والده) ، فهو رجل يسيطر عليه العقل ولا تملكه العاطفة .

٦-هو رجل كتوم لا يفضي بأسراره وقد أشار إلى ذلك مباشرة كما مر بنا .

٧-الصدق والصراحة، تبين ذلك من خلال أحاديثه عن بعض فترات الطفولة والطيش وتسجيله على نفسه بعض الأعمال الصبيانية ، حيث قال معقبا على بعضها " إنها خيالات صبيانية لا يكاد يسلم من أمثالها غيري ، ولكن الناس يأبون في الغالب أن يسجلوا على أنفسهم ما مر بهم من ترهات الطفولة كما أسجلها على نفسي " [٣] ، ومن خلال نقده لمعاملة والده له ومن خلال سخريته بأحاديث جدته القائمة على الخرافات والشعوذة وغير ذلك .

٨-أما عن ملامح شخصيته ككاتب وأديب فنتبين بعضها من خلال :

---

(١) أيامي ، ص (٣٣ ، ٩٦) .

(٢) انظر هذا البحث ، ص : (٦٣-٦٤ ،٨٦-٩٠)

(٣) أيامي ، ص ٢٥ ،وانظر عبد الله الحيدري، السيرة الذاتية في الأدب السعودي، مرجع سابق،:١٧٨،٦٠٧

إشارته إلى أنه كان حافظاً للقرآن الكريم وأنه عمل مدرساً له فترة من الزمن [١] وهذا يفسر لنا كثرة استشهاداته وتضميناته التي عكستها كتاباته المختلفة وبخاصة المقالة كما تبدى لنا ذلك فيما سبق .

كما أن ثقافته مزيج من التراث وبخاصة التراث الشعبي والفلكلوري ومن الأدب الحديث وعلى وجه الخصوص الأدب المهجري، وذلك من خلال إشارته إلى قراءاته في تلك المجالات [٢] وقد انعكس هذا على أعماله الأدبية المختلفة والتي سبق وأن أشرنا إلى بعض ملامحها [٣] .

كما بينت لنا السيرة قدرة صاحبها على الخطابة ، بدليل تلك الخطب التي ألقاها أمام الحسين بن علي [٤] وأيضاً مشاركته في المحفل المنبري الذي كان يقام في منى أثناء موسم الحج في فترة من الفترات [٥]

كما أتضح لنا من خلال سيرته ، قدرته على التعبير الكتابي، وذلك في سن مبكرة تبين ذلك من خلال إشارته إلى فن الإنشاء وارتياحه لمادة ذلك الفن عندما التحق بالمدرسة الراقية : " وكان للإنشاء عندي دفتر خاص، أجمع فيه ما يلذ لي جمعه من قراءاتي ... كانت حصة الإنشاء وكان موضوعها: (غدرات الزمان) فأنشأت أكتب ما أعرفه ... فما كاد مدرس الإنشاء يقرأها حتى هزه معناها وصاح بالطلبة أن يسمعوا ما كتبت ، فكان يوماً مذكوراً نجحت فيه على أكثر الطلبة ... " [٦]

ثم تجلت هذه المقدرة الكتابية لاحقاً، وبشكل رسمي على صفحات جريدة صوت الحجاز وهو في العشرينات من عمره ...

وقد نمت هذه المقدرة الكتابية عنده بفعل قراءاته المتعددة، قبل أن يمارسها بشكل رسمي، حيث يقول عن فترة سبقت التحاقه بصحيفة صوت الحجاز : " تعشقت القراءة في هذه المدة من حياتي ، ووجدت فيها ملاذاً من همومي وأشجاني " [٧]

---

(١) أيامي ، ص (٥٢ ، ٨٣ - ٨٥)

(٢) أيامي ، ص (٨٠ - ٨١) ، (٩٥ - ٩٦)

(٣) انظر هذا البحث ، ص (٢٤٥-٢٤٧ ، ٢٩٢-٣٠١)

(٤) أيامي ، ص (٩٤ - ٩٥)

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٤

(٦) المصدر السابق ، ٥٣ .

(٧) أيامي ، ص ٨٠

٩- صاحب عاطفة تجاه وطنه بصفة عامة ومسقط رأسه بصفة خاصة . تبينت ملامحها في سيرته عبر وصفه لتلك العواطف الجياشة التي تمتلكه وتملكت أبناء جيله عند قدوم بعثة الطيارين السعوديين من الخارج ، والاحتفالات التي أقاموها لأولئك الشباب الذي يمثل في نظر الكاتب رمزا لاستعداد أبناء البلاد على النهوض والتقدم [١]

وكذلك من خلال مشاركته في مشروع القرش، ذلك المشروع الطموح ، الذي كان يسعى القائمون عليه ومن ضمنهم الكاتب للنهوض والتقدم ببلدهم [٢] وسبق أن عرضنا لهذا المشروع وإسهام الكاتب فيه بالتفصيل [٣]

١٠- صاحب طبيعة مرحة ، وهذا لا يتنافى مع قدرته على السيطرة على عواطفه التي سبقت الإشارة إليها ، وانعكست هذه الطبيعة المرحة من خلال الفكاهة والسخرية التي بثها في ثنايا سيرته، والتي سنعرض لنماذج منها لاحقا .

١١- أما سماته الجسدية ، فلم يشر الكاتب إلى شيء منها، ولكن يمكن أن نستشف من خلال بعض أحاديثه بعض تلك السمات الجسدية ، والتي يمكن القول بأنها تتمثل في أنه كان يمتلك قدرا لا بأس به من القوة الجسدية ، تبدى لنا ذلك من حديثه عن حبه للانطلاق ، وعن مشاركته في إحدى المرات في الكثير من الألعاب الجسدية الخشنة التي بز فيها أقرانه كما يقول : " ولم أترك لعبة عنيفة إلا شاركت فيها ، أو مسابقة خشنة إلا كنت المجلي فيها حتى جاء العنف وجاءت الخشونة على أثوابي فمزقتها "[٤]

ونستشف ذلك أيضا من خلال حديثه عن اختلاطه في فترة الصبا وبدايات الشباب بأولئك الأصحاب الذين سماهم (برفقة السوء) ومما قاله عن تلك الفترة :

" وكنت شخصيا من أكثر العيال (شقاوة) وأميزهم وقاحة ، وكانت لي عصاة مدهونة بذوب الشحم معدة للأيام السود . وكنت كثير العبث بها لا أترك دكانة إلا (أخبطها) أو كلبا إلا أضربه ، أو حمارا إلا ألهبه ، أو جملا إلا أوكزه .. فكنت لذلك أشتبك مع الجمال أو الحمار أو صاحب الدكان في علقة حامية ، وكنت لا أظفر فيها إلا في القليل النادر !!"[٥]

---

(١) أيامي ، ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص (١٠٥ - ١٠٦)

(٣) انظر هذا البحث ، ص (١١٧-١٢٣)

(٤) أيامي ، ص ٧١

(٥) المصدر السابق ، ص ٧٤ .

وفي ختام هذه النقطة هناك ملحوظة لا بد من إبدائها وتتمثل في أن الكاتب أجاد في تصوير مرحلة طفولته، وبخاصة وضعه في الكتاب وعلاقته بفقيهه وعريفه، وعلاقته بوالده وجدته في تلك المرحلة من عمره ، مقارنة بتصويره للمراحل اللاحقة من حياته .. ويبدو أن هذه ظاهرة عامة في الإبداع، حيث نجد في عدد كبير من القصص المتداولة : " أن المشاهد التي تصور الطفولة مكتوبة بطريقة أكثر جودة وإقناعاً وواقعية وحياة من بقية الأجزاء ، فالقصاص غالباً ما ينجحون في تصوير أيام الطفولة أكثر من أيام النضج والبلوغ ، حتى لكأن حياتهم الخاصة في فترة البلوغ أقل أهمية من السنوات الخلابة أو الساحرة ... " (١)

ومرجع ذلك يعود إلى أن : " قوة التوليد في خيال الفنان مستمدة من السنوات التي يكون فيها ضعيف التمييز بين عالم التجربة وعالم الخيال ... " (٢) .

٢) - الشخصيات المرهوبة الجانب :

اشتملت السيرة على نماذج للشخصيات المرهوبة الجانب وهي تلك الشخصية : " التي تتصرف من موقع قوة ما ، وتعطي لنفسها حق التدخل في تقرير مصير الفرد أو الأفراد الذين تطالهم سلطتها " (٣)

وتحتل شخصية الأب الصدارة في هذا الباب ، فهو يملي إرادته على الجميع ، وينزل العقاب بمن يخالف تلك الإرادة .. وهذا ما تبدى في تصوير الكاتب لشخصية والده يقول :

" كان أبي قد طبعني رغم حبه لي على قسوة الحياة ... كانت أوامره – رحمه الله - لا تقبل النقاش ، وكانت آراؤه يقصر عنها الجدل ... وكانت لأبي عقائد في الحياة لا هوادة في شأنها ... وكان لمجلسه أدب خاص .. فجلوسي أمامه يجب ألا يتغير عن الوضع المعروف عندهم بالحشمة ، ويجب ألا يستثيرني الحديث فأنبس بكلمة ، أو أناقش في رأي ، أو أضحك لأقل مناسبة بحضوره ، فذلك سلوك لا يتفق مع الأدب العالي ... وقد تركت هذه الآداب في نفسي أكثر من عقدة .. " (٤)

وعلاقة الكاتب بهذه الشخصية أشار إلى أنها تردّت عند دخوله إلى الكتاب ، والسبب في ذلك يعود إلى حرص الوالد على أن يتقدم ابنه في تحصيله العلمي إذ دفعه ذلك الحرص خطأً

---

(١) برناردي فوتو ، عالم القصة ، ترجمة د. محمد مصطفى هداره ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص٤٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٣) حسين بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، مرجع سابق ، ص ٢٧٩ .

(٤) أيامي ، ص ٥٧ .

إلى معاملة ابنه في حزم وشدة، اعتقاداً منه بأن ذلك الحزم وتلك الشدة في التعامل مع ابنه هي الوسيلة الأولى والوحيدة التي يكفل بها نجاح ابنه وتقدمه نجاحاً علمياً ونجاحاً سلوكياً حسبما تواضع عليه مجتمعه .

وكان مفهوم والده للحزم يتمثل في استخدام الوسائل القمعية، معنوية كانت أو حسية. معنوية تتمثل في تلك الألفاظ القاسية أو الجارحة التي قد يخاطب بها الأب أبنه من خلال المقارنة بينه وبين غيره، أو في حديث مباشر موجه إلى الابن . واهماً بأن مثل تلك الألفاظ قد تدفعه للنجاح أو تشحذ همته ليلحق بالناجحين، وهي في الحقيقة على العكس من ذلك إذ أنها تصيب الطفل بإحباط وخيبة أمل ويأس من النجاح والتقدم، وقد صور ذلك الكاتب من خلال تعليقه على بعض الأحاديث التي كان يخاطبه بها والده كقوله معقباً على بعضها : " كنت أسمع هذا الكلام وأكثر من هذا فيسئ من حيث لا يشعر إلى معنويتي ، ويقلل ثقتي بنفسي ، ولو علم رحمه الله وعلم مثله كثير من الآباء على غراره ، أن من الخير أن يشجعني ويحمد أفعالي إلى حد موزون لأحسن بذلك إلى معنويتي، وتركني أثق في نفسي وأمضي إلى الأمام في خطواتي ، ولكنه وأمثاله رحمهم الله كانوا لا يرون الخير إلا فيما اعتقدوا " [1] .

وأما الجسدية فتتمثل في العقاب البدني الذي يعد من وجهة نظر الوالد والمجتمع الوسيلة الناجعة للتربية ولتحقيق رغبة الأب ، يقول الكاتب مصوراً ذلك :-

" كان أحدهم يهيب به : " يا شيخ محمد : رب ولدك وأحسن أدبه !! ما يموت حتى يفرغ أجله " نشط للتربية وشرع يعد لها من الحبال المفتولة والخشب الجامد والخيزران اللدن مايكفي لأداء المهمة الشريفة ... دون أن يسمح لي بكلمة واحدة أدافع بها عن نفسي مهما كانت ظلامتي . ثم لا يتركني إلا جسداً ممزقاً وأضلاعاً دامية . تركت هذه القسوة أثرها في نفسي .. هيأتني للعناد والمكابرة وعلمتني قلة المبالاة ، وشجعتني على كثير من الصعاب التي يخشاها غيري ... " [2]

من هذا يتبين أن ما قدمه الكاتب من تصوير لعلاقته بوالده يمثل في حقيقته صورة لبعض مظاهر الشطط التي اصطبغت بها السلطة الأبوية، والتي تؤدي إلى تردي العلاقة بين الآباء والأبناء ، فهي تسلب من الأطفال طفولتهم وتنمي لديهم الإحساس بالقهر والدونية. وهذه

---

(١) أيامي ، ص ٣٥

(٢) أيامي ، ص (٣٢ - ٣٣)

الصورة في ممارسة الأبوة تمثل : ((انحرافاً بها عن وظيفتها الطبيعيـــة)) [١] ، ولقـد حـاول الكاتب أن يجد لوالده عذراً للممارساته تلك فقال :

" كان أبي رحمه الله معذوراً فيما يرى فقد نشأ أمياً ... " [٢] وقال لاحقاً :- " وما كان أبـــي في عهده إلا صورة للكثير من معاصريه ... " [٣] .

ومن نماذج هذه الشخصيات: شخصيتي: فقيه الكتاب ، وعريفه ، فهما يمثـلان فـي نظـر الكاتب تلك الشخصية الانتهازية المتعالمة والتي تجيد فن النفاق الاجتماعي بدرجة بارعة ...

يقول الكاتب عن فقيه كتابه : " وكنا في نظر فقيه الكتاب أوزاعاً ، تتنوع حقائقنـــا بتنـوع أقيامنا (هكذا) [٤] الاجتماعية ... كان فينا بمركز أبيه ، أو غناه أو نفوذه الشخصي ، وكـــان بيننا (الغلبان) لفقره أو يتمه أو ضعف شخصية أبيه ... وكنا جماعة (الغلبانين) في الكتـــاب عرضة للظروف الحرجة التي (تتنرفز) فيها أعصاب سيدنا ، فإذا أخل أحدهم بنظام الجلوس .. (تنرفز) الشيخ وتوترت أعصابه، وشرعت عصاته تلهب أول ظهر يصادفه مـن ظـهور الصبية، ولا تجهل العصا طريقها إلى ظهور الغلبانين، لأن اليد القابضة عليها - يد ســـيدنا - ... لا تجهل أن لمس المحظوظين بأهون ما يكون به لمس العصا يثير مشاكل لا قبل لســـيدنا بها ، وأن في ظهور الغلبانين ما يحفظ هيبة الكتاب ، وفي أطرافهم ما يشفي غيظه فـــي جـو آمن من العواقب الخطيرة ... " [٥] .

لقد كان الفقيه حازماً ذلك الحزم الذي لا يتناول : " إلا لهب الظهور والأطـــراف بالعصـــا الغليظة ...وكانت (الفلقة) في الكتّاب جزءً له قيمته العالية .. " [٦] وعلاوة على ذلك العقـــاب الذي كان يناله بعض التلاميذ في الكتاب من قبل فقيههم وهم على الأخـــص التلاميـذ الذيـن ينتسبون إلى الفئة الأقل حظاً بسبب وضعها الاجتماعي المتدني ... كان الفقيه يستغل ســـلطته إلى أبعد من ذلك الحد، حيث يكلف تلاميذه المنتسبين إلى تلك الفئة أيضاً بخدمات يقومون بـــها إما داخل الكتاب : " فمنا من يكنس الكتاب ومنا من ينظف المرحاض ، ومنا من يحمل المـــاء إلى مركن المضر حيث تمسح الألواح ، ومنا من يملأ (شربة) سيدنا ويبادر

---

(١) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص ٢٨٦ .

(٢) أيامي ، ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٤) وردت هكذا في الأصل والصحيح (قيمنا) جمع (قيمة) .

(٥) أيامي ، ص (١٦ - ١٧) .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤ .

فيسقيه وعريفه إذا عطشا ، ومنا من تخصص للمروحة إذا أشتد الحر على سيدنا ، أو يدلك رجليه إذا احتاجتا إلى (التكبيس) " [1] .

أو يرسل ببعضهم في مهمات خاصة به إلى خارج الكتاب، وكانت كثيراً ما تكون تلك المهمات الخارجية من نصيب الكاتب : " فيسلمني نعاله أمضي به إلى العم جابر الخراز في رأس المدعى ، وأبقى إلى جواره في انتظار الفراغ من تسميره ، أو يبعث بي إلى أمه في دارها أحمل إليها (زنبيل المقاضي)، وأقضي وقتاً غير يسير عندها أعاونها في غسل الصحون والأطباق وأعنى بطفلته الصغيرة عندها " [2]

ويعلق الكاتب على استغلال الفقيه لسلطاته إلى هذا الحد تعليقاً نلمس فيه المرارة والأسى التي كان يحس بهما الكاتب بين جوانحه ، حيث يقول :

" وكان يصل إلى علم والدي بعض ما أعانيه في الخدمة فلا يغيره ما يسمع ، لأن مبدأ (من علمني حرفاً صرت له عبداً) عقيدة لا يصح التهاون بها عنده ، ولأن الفتوح في رأيه رهين برضاء الفقيه ، ورضاء الفقيه كائن ولا بد في التوافر على خدماته وتسمير نعاله . فليت الآباء يعنون في كل زمان بتمحيص أمثال هذه الحقائق ، ويتفهمون معاني الإغضاء عن كرامة صغارهم ... " [3] .

وشخصية العريف لا تبعد كثيراً عن شخصية الفقيه كما سبق وأن أوضحنا ذلك حيث يقول الكاتب عن هذه الشخصية :

" كانت للعرفاء في كتاتيبنا صولة ، وكان أحدهم لا يتسامح في حدود دولته مع الصبيان إلا لمن يعترف بحقوقه في الكتاب ويعرف كيف يسترضيه ، ويقدم (هللاته) القليلة التي ينفحها أياه في كل صباح والده يشتري بثمنها من بضاعته الفجة ... " [4]

ونلحظ أن هذه الشخصيات المرهوبة الجانب تحاول أن تستوفي شروط الوقار والاحترام وهذا يتبين لنا من خلال حرصها على العناية بالهندام حيث تبرز من خلاله أناقتها وعنايتها بمظهرها ليطابق في نظرها المظهر المخبر ... فالكاتب يشير إلى هذه الصفة في والده بقوله: "كانت لأبي عقائد في الحياة لا هوادة فيها ... تقاليد لف العمامة ، وطريقة ربط الحزام وكيفية انتعال (المداس) وشكل ارتداء الكوفية ، كل هذه أشياء يجب أن يساير فيها الوضع العام،

---

(١) أيامي ، ص ١٦

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) أيامي ، ص ١٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣ .

وأن نحترم عادته في شأنها " [1] .

وفقيه الكتاب كان أيضاً حريصاً على الاهتمام بهندامه، لا سيما في المناسبات كالاحتفال بأحد تلاميذ الكتاب لحفظه بعض سور القرآن الكريم ، وماشابه ذلك ، وقد وصف الكاتب إحدى تلك الاحتفالات وعرض من خلاله إلى الفقيه وهندامه، كما ظهر لنا ذلك في عرضنا للمكان في السيرة سابقاً .

٣) - الشخصيات الجذابة :-

والشخصية الجذابة هي تلك الشخصية التي : " تستأثر باهتمام الشخصيات الأخرى وتنال من تعاطفها ، وذلك بفضل ميزة أو صفة تتفرد بها عن عموم الشخصيات في الرواية ، وقد تكون هذه الميزة مزاجية أو طباعية ... كما قد تكون الميزة سلوكية ... " [2] .

وهناك بعض الشخصيات التي اشتملت عليها سيرة الكاتب يمكن أن تنطبق عليها بشكل أو بآخر صفة الشخصية الجذابة وذلك كشخصية " شيطان الفصل عباس " [3] ذلك التلميذ الذي يمتلك روحاً قيادية داخل الفصل وجرأة نادرة، كل ذلك في ذكاء وحسن تدبير، فهو كما يصفه الكاتب لم يكن ولداً عادياً بل كان بدعة من بدع الخلق ، كان لا يضارعه في شقاوته أو شجاعته أو براعة تمثيله أو حذقه في الدهاء مضارع، وهو إلى جانب ذلك ظريف المعشر خفيف الظل ... كان كثيراً ما يحلو له أن يبدد ساعات اليوم الدراسي في الفوضى، فيلتمس لتحقيق ذلك ألواناً من العبث والمشاكسة مع أستاذ الفصل الذي لم يفطن إلى الحيل التي يستخدمها عباس فتنطلي على الأستاذ ويتحقق هدف عباس ...

وشخصية الأستاذ السلبية كان لها دوراً بارزاً في نمو شخصية عباس داخل الفصل وفي إحكام سيطرته على زملائه وإشاعة العبث بينهم ... وحينما شعرت إدارة المدرسة بفشل الأستاذ : (الشيخ إسماعيل) في إدارة الفصل سرحته من المدرسة ... وعندئذ يظهر لنا جانب أخر من شخصية (عباس) حيث بكى عباس عند توديعه الأستاذ الذي كان يعابثه (الشيخ إسماعيل)، ويبدو أن شعوره بالذنب على اعتبار أنه كان المتسبب الأول في فصل الشيخ (إسماعيل) من المدرسة هو الذي دفع به إلى أن يزور الشيخ إسماعيل في خلوته ويمده بمساعدات خاصة كان يختلسها من دكان أبيه ، هذه الشخصية يمكن أن نعدها شخصية مركبة فنحن نلمح فيها بعض الملامح النفسية المتناقضة حيث جمعت بين السلوك السلبي والسلوك الإيجابي ...

ونشير هنا إلى أن الكاتب لم يحدثنا عن علاقته بهذه الشخصية لا من قريب ولا من بعيد

---

(١) أيامي ، ص ٥٧

(٢) حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي : ٢٦٩ ــ ٢٧٠

(٣) أيامي : ٤٤ ــ ٤٩

وإنما نشعر بنوع من الإعجاب الذي يكنه الكاتب تجاه هذه الشخصية .

وكشخصية الشريف الحسين بن علي باعتباره مناضلاً سياسياً وإن لم يطل الكاتب الوقوف عندها [١]

وكشخصية الأستاذ (أحمد زهر الليالي) التي خلفت شخصية الأستاذ السابق ذكره (الشيخ إسماعيل) فاستطاعت أن تضبط الفصل وأن تقلص من سلطة التلميذ عباس حتى " تضألت جرأته ، وتبخرت قدرته على التفكير في كل الحيل ... " [٢] .

أما أبرز الشخصيات الجذابة التي أطال الوقوف عندها الكاتب فهي شخصية (ستة / جدته)[٣]

فشخصية الجدة تمثل بالنسبة للأحفاد على مر العصور الشخصية الجذابة ، فهي تلك الشخصية المحبوبة، التي يسبح الحفيد من خلال حكاياتها في أجواء خيالية ساحرة تحقق ما يشعر به في داخله من رغبة للانطلاق والتحرر ، بالإضافة إلى أن الإنسان بطبعه مغرم بالقصص والحكايات محب لها ..

ومن هنا تنشأ بين الطفل وجدته علاقة حميمة ودافئة، ومن يمر بهذه التجربة في حياته لا شك بأنها ستبقى محفورة في ذاكرته تتجدد بتجدد الذكرى ...

والكاتب يحدثنا عن جدته من ذلك المنطلق ، مسلطاً الضوء على بعض قصصها التي كانت ترويها له . تلك القصص التي نسجت أحداث أغلبها من الخرافات والشعوذة ... وتكمن المفارقة في شخصية جدة الكاتب في أنها تؤمن بكل ما جاء في تلك الحكايات إيماناً مطلقاً ، ومن هنا فهي لا ترويها على أنها مجرد حكايات للتسلية والترفيه فحسب . وهذا يعكس لنا عقلية ونفسية تلك الشخصية، فهي شخصية ساذجة قلقة مضطربة الأعصاب، فيها قدر كبير من الخوف والضعف والعجز .. وكان الكاتب في طفولته مدركاً لذلك الضعف في أعصابها ، فكان يستغله أحياناً ليحقق بعض مأربه وأغراضه يقول : " وعلى حساب أعصاب (ستي) انتفعت بالكثير .. " [٤] وبالرغم من أنها كانت تحفظ الكثير من سور القرآن الكريم وقصص التاريخ إلا أن ذلك لم يؤثر فيما تعتقده في تلك الحكايات الخرافية : " أما عقلها فليس

---

(١) أيامي ، ص (٤١ - ٤٣)

(٢) المصدر السابق ، ص (٥٠ - ٥١)

(٣) أيامي ، ص (٥٧ - ٦٧)

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

له مجال في كل ما تعتقده : [1] وكانت تدهش الكاتب في طفولته بكثرة محفوظاتها ... وعلى الرغم من سلبية هذه الشخصية إلا أنها كانت أكثر إقناعاً بواقعيتها، وذلك لأنها كانت مخلصة لمذهبها في الحياة وفيما تعتقده، فكانت جميع مواقفها نابعة من ذلك الاعتقاد ، كما كان لها بعض المواقف الإيجابية مع بطل السيرة (حفيدها) فهي التي كان يستنجد بها الكاتب في طفولته في بعض المواقف التي يقع فيها ،إما مع أمه أو مع بعض أقربائه فهي تقف دائماً في صف حفيدها / بطل السيرة، إلا حينما يتجاوز حدوداً معينة فكانت لا تسمح له بذلك، تتمثل تلك الحدود في إيمانها بما تعتقده من صدق تلك الحكايات التي ترويها له، فإذا ما حاول حفيدها أن يعترض على بعض ما جاء فيها من خوارق أو نحو ذلك، عبست في وجهه وردت عليه كلامه وأيضاً على الرغم من سذاجة هذه الشخصية إلا أنه كان لها كما يقول الكاتب " دالة على جميع أقاربها " [2] ونلحظ من حديث الكاتب عنها أنه كان متعاطفاً معها بالرغم من سلبياتها التي لم تكن لها يد فيها ... وما استخدمه للقب للتعبير عن هذه الشخصية (ستي) بدلاً من ذكره لاسمها الحقيقي إلا أكبر دلالة على احترامه لها ، بالإضافة إلى ما يوحي به ذلك من حميمية العلاقة التي كانت تربطه بها .

٤) - النموذج البشري :

يمكن القول بأن النماذج البشرية تتمثل في تلك الشخصيات النمطية : " التي تمثل صفة إنسانية مجسدة .. " [3]

وشخصية (الشيخ إسماعيل) التي رسمها الكاتب في سيرته ، يمكن أن نعدها نموذجاً بشرياً ، فهي شخصية قليلة الذكاء والحيلة تتصف بالغفلة ، غير قادرة على السيطرة على تلاميذ الفصل الذي تديره ، وفيها كثير من الملامح الهزلية المضحكة النابعة من طبائع تلك الشخصية ، وحري : " بالطبائع أن تكون مبعثاً للتندر ذلك لأنها الخاصة الإنسانية الأكثر حياة ، وفي مناخاتها تتبلد التصرفات قولاً وفعلاً " [4] فشخصية الشيخ إسماعيل كما رسمها الكاتب نجدها لا تحفل بما يدور حولها ، فكأنها في واد ومن حولها في واد آخر ، ومن هنا تأتي بواعث الضحك والاستهزاء بها .. فمما جاء في وصف الكاتب لهذه الشخصية قوله : " الشيخ

---

(١) أيامي ، ص ٦٤

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٣) مجدي وهبة ، معجم المصطلحات الأدبية ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٤) سيمون بطيش ، الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود ، دار مارون عبود ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٢٩ .

إسماعيل كان أول شيخ رأيته لا يعرف كيف يمارس أعمال الشخط ، والنرفزة ولهب الظهور بالعصي الرفيعة اللدنة، ولهذا كان جزاء عمله بين طلابه أسوأ جزاء ينتظره طيب القلب بين طلبة أشرار آثمين . كان شيخنا مصاباً بما يشبه الصداع في رأسه، وأعتقد أن صداعه من نوع لا يخفف وطأته إلا مزاولة العطاس، لهذا كان يعد في جيبه أعواداً من الكبريت وشيئاً من القطن النظيف ، فإذا بدأ جلسة الصباح بيننا نسي وظيفة الحصة الأولى ، وشرع يلف القطن على عود من الكبريت الذي أحضره لفاً رقيقاً تبدو نهايته رفيعة دقيقة ثم دسه في أنفه ، وبالغ في إيصاله إلى آخر ما استطاع أن يبلغ من خيشومه حتى يواتيه العطاس .. وكان إذا واتاه العطاس أنساه محيطه وتركه مشغولاً بمنديله الملوث ، وعطاسه المتكرر العالي عن كل من حوله ، فكان شياطين الطلبة يغتنمون فرصة انشغاله بنفسه، ويسرقون ما هيأ من أعواد الكبريت والقطن ، فإذا أفاق من نوبة العطاس ، وأراد استئناف العملية بحث عن الأعواد والقطن فلا يجدها ، فإذا طال بحثه دون جدوى حسم الأمر في سكون ، وقام إلى (صديريته) ليستخرج أعواداً وقطناً من جديد، دون أن يتكلف مناقشة من حوله فيما ضاع أو يعني نفسه بمنازعتهم، وقد يشرع في لف عود جديد ، ثم يلتفت فإذا أعواده وقطنه الضائع على كثب منه فلا يسأل عن اليد الخفية التي مازحته ، بل يكتفي بضم ما وجد كأن لا جديد في الأمر .

فتتجاوب الضحكات الخافتة بين طلبته ، ثم تتقشع بصوت أو أصوات مقهقهة فلا يزيد عن أن يلتفت إلى مصدراً لصوت أو الأصوات : (يا ولد .. عيب يا ولد !!) ثم ينسى ما كان ويعود إلى استئناف عملية أنفه ليستأنف العطاس .. " [1]

فهذه الشخصية كما تبدى لنا فما سبق من نوع الشخصيات السلبية المسطحة وهي تلك التي:- " تمضي على حال لا تكاد تتغير ، ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة .. " [2]

والحقيقة أن الكاتب استطاع أن يسلط مزيداً من الضوء على طبائع هذه الشخصية من خلال رسمه لشخصية أخرى مناقضة لها كل التناقض في الطبائع والسلوكيات ، وهي شخصية التلميذ (عباس) التي سبق الحديث عنها ، (فالشيخ إسماعيل والتلميذ عباس) شخصيتان متناقضتان وفي الوقت نفسه مترابطتان من خلال العمل (أستاذ وتلميذ)، وبهذا فإن كل شخصية منهما بأفعالها وأقوالها تزيد من أبرز خصائص وطبائع الشخصية الأخرى (فبضدها تتمايز الأشياء) فتصوير الكاتب لهذه الشخصية قائم على تقصي حركاتها وأفعالها

---

(١) أيامي ، ص (٤٤ - ٤٥)

(٢) د. عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد، سلسة عالم المعرفة رقم (٢٤٠) الكويت شعبان ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨، ص ، ١٠١.

التي توحي بطبيعتها وسجاياها ، فهي كما اتضح لنا شخصية قانعة منعزلة عما يدور حولها ولهذا نجد أن الكاتب يشير في نهاية الأمر، بأن هذه الشخصية بعد تسريحها من المدرسة لعدم قدرتها على ضبط التلاميذ أنزوت في (خلوة بجوار باب الدريبة) [١] ، ويمكن أن نعدها شخصية انطوائية من الناحية النفسية إذ اهتماماتها متجهة نحو عالمها الداخلي لا نحو عالمها الخارجي [٢] .

والكاتب في رسمه لهذا النموذج البشري يذكرنا بما كان يرسمه أدباء عصر النهضة العرب من نماذج بشرية على النحو الذي نجده عند عبد العزيز البشري في (المرآة) وعند إبراهيم المازني في كثير من مقالاته القصصية [٣] .

ولكن مما يعاب على الكاتب هنا باعتباره يكتب سيرة ذاتية، أنه مثلما لم يحدثنا عن طبيعة العلاقة مع شخصية (عباس) كما مر بنا ، فعل الشيء نفسه هنا فهو لم يبين لنا طبيعة العلاقة التي كانت تربطه بشخصية (الشيخ إسماعيل) .

٥) – شخصيات في الظل

وكما حرص الكاتب أن يسلط الضوء على بعض الشخصيات في سيرته فإنه أيضاً حرص على أن يجعل البعض الآخر منها متوارياً في الظل ، وذلك مثل ما فعل مع (والدته) فهي لم تنل سوى ومضة من ذلك الضوء ، تمثلت في قول الكاتب عنها :-

" أما أمي فكانت مسكينة ، لا تتميز بشيء ولا تترك في غيرها أثراً ، ويبدو أنها رحمهاالله مشغولة في التوفيق بين عطفها عليّ واحترام إرادة أبي في تقويمي ، وعندما توفي والدي وتركني لها ، قضت حياتها حائرة في انتهاج السبيل الذي يوفق بين ضعفها وتهذيبي ، ورأيتني استغل حيرتها فأتخطى الحدود ... " [٤] ويبدو لنا أن طبيعة هذه الشخصية في واقع حياتها كانت لا تميل إلى الظهور على مسرح حياة بطل السيرة ، وهذا انعكس على عدم ظهورها على مسرح الكتابة لاحقاً .

كما أننا بقليل من الفطنة يمكن أن نرجع تواري هذه الشخصية في سيرة الكاتب إلى حب الكاتب لها [٥] . ذلك الحب الذي قد يكون سبباً منع الكاتب من الحديث بشيء من التفصيل

---

(١) أيامي ، ص ٤٩ .

(٢) د. فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٥/ص: ٦٠ .

(٣) انظر ، د. ربيعي عبد الخالق ، فن المقالة الذاتية ، مرجع سابق ، (٢٠٧ – ٢١٦) .

(٤) أيامي ، ص٥٨ .

(٥) ذكر الكاتب في إحدى اللقاءات معه بأنه كان يحب والدته حباً شديداً ، وقد كانت سبباً في طلاقة لإحدى زوجاته ، جريدة عكاظ ، ع (٥٧٣٥) في ١٧ / ٤/ ١٤٠٢هـ ، ص ٩ كما سبق وأشرنا أليه.

عن شخصية والدته ، وأعني بذلك أن الكاتب كان يعرّض في سيرته بالشخصيات السلبية كما تبدو له من وجهة نظره، ووالدته تبدو لنا كذلك ، والحالة هذه فإن الكتابة عنها تستلزم - وفق شروط الكاتب - نقدها ، وهذا ما لم يرغب فيه الكاتب فيما يبدو لنا .

وفعل مثل هذا مع شخصيات أخرى كشخصية (العبد) والأسباب التي منعته من الحديث عنها سبقت الإشارة إليها .

أما الشخصية التي وضعت في الظل وكان يجب أن تكون من الشخصيات التي يسلط عليها الضوء وتلقى مزيداً من العناية من الكاتب فهي شخصية الشيخ محمود الملياني [١] تلك الشخصية التي دلته على مؤلفات الأدب الحديث، والتي كانت قراءته فيها تعد فتحاً جديداً في حياة المؤلف وفي صياغة شخصيته كما ذكر [٢] وكما سيتبين لنا لاحقاً .

٦) - شخصيات تراثية وحديثه استدعتها السيرة :-

هناك عدد من الشخصيات التراثية والتاريخية التي تستدعيها السيرة وكان لها تأثير في حياة صاحبها، وتم ذلك الاستدعاء ومن خلال إشارات الكاتب إلى قراءاته عن أولتلك الشخصيات التراثية والتاريخية، أو من خلال تعامله مع بعض الشخصيات التاريخية في واقع الحياة ويمكن أن نصف تلك الشخصيات وفقاً لما يأتي :-

أ. **شخصيات تراثية استدعتها السيرة** من خلال قراءة الكاتب عنها وتتمثل في تلك الشخصيات الفلكلورية العربية القديمة يقول :

" تعشقت القراءة في هذه المدة من حياتي ... صادفتني ... قصص لحسن البصري وأخرى لدليلة المحتالة وغيرها عن تودد الجارية .. التي حذقت علوم الأولين ، وذكاء الآخرين . كما صادفتني قصة للشاطر حسن الذي ساقته معشوقته من الجان إلى جزائر واق الواق ... وكان لهذه القصص فضل استغراقي في أجوائها الواسعة وخيالها المجنح ... ثم صادفتني قصص متسلسلة للملك ذي يزن والظاهر بيبرس وفتوح الشام . كما صادفتني علوم كونية خاطئة في بدائع الزهور ... " [٣] .

ب. شخصيات أدبية وفكرية عربية حديثة :-

استدعتها قراءة الكاتب لمؤلفاتها كشخصية أمين الريحاني وكتابه (الريحانيات)، والرافعي وكتابه (حديث القمر)، وجبران خليل جبران ومؤلفاته المختلفة [٤] .

---

(١) لم أجد له أي ترجمة .

(٢) أيامي ، ص ٩٥ .

(٣) أيامي ، ص ٨٠

(٤) أيامي ، (٩٥ - ٩٦)

ج. شخصيات أدبية وفكرية وطنية:ـ

استدعتها السيرة من خلال تعامل الكاتب معها ، وتتمثل في أبـــرز شـــخصيات أدبـــاء وكتاب الرعيل الأول في بلادنا كشخصيات " محمد سرور الصبان ، عبد الوهـــاب آشـــي محمد حسن عواد ، محمد حسن فقي ، محمد سعيد عبد المقصود خوجه ، فؤاد شاكر "(١)

وقد وقف الكاتب عند إحدى تلك الشخصيات وهي شخصية " محمد عبد المقصود خوجـــه"(٢) أما دلالة هذه الوقفة فتكمن في أمرين :-

١-الوفاء لصاحب تلك الشخصية وتخليداً لدوره البارز في النهضة الأدبية والفكرية فـــي المملكة ، لاسيما وأنه توفي قبل تسجيل السيرة بفترة طويلة .

٢-إيضاح للعلاقة الحميمة التي كانت تربط بين تلك الشخصية وبين صاحب السيرة.

ونعود إلى تلك الشخصيات التراثية والحديثة التي استدعتها قراءات الكاتب لنبين هنـــا نقطـــة غاية في الأهمية ، وتكمن في القول بأن كل نمط من النمطين من تلك الشخصيات ، يمكـــن أن يعد عنواناً على مرحلة من المراحل التي مرت بها شخصية صاحب السيرة .

فاستدعاء شخصيات النمط الأول يمثل مرحلة سلبية في حياة الكاتب الفكرية ، حيـــث كـــان غارقاً في الأوهام والخيالات بفعل تلك القراءات التي استدعت أصحاب تلـــك الشـــخصيات ، ولهذا عبر الكاتب عن تلك القراءات بقوله :

" فنهلت من مياهها الآسنة ! ما ينهله البدوي وقد ألح عليه العطش ، وغصت في أخطائها إلى أعمق ما تصل إليه الأغوار البعيدة ... " (٣)

أما استدعاء شخصيات النمط الثاني فيمثل مرحلة إيجابية في حياة الكاتب الفكرية ، حيـــث يمكن القول إنه انتقل بفعل قراءاته لتلك الشخصيات من عالم الخيال والوهم الذي كان عائشـــاً فيه مع شخصيات النمط الأول إلى عالم الواقع وتبصر حقائق الحياة المعـــاصرة لـــه، وأكـــثر شخصيات النمط الثاني تأثيراً فيه وفي فكره كانت شخصية الأديب المـــهجري جـــبران خليـــل جبران حيث يقول عنه :

" وقرأت بعدها عدة مؤلفات لجبران خليل .. فاستطاع أن يستحوذ على مقدراتي في الحيـــاة ، وأن يترك أثره في توجيهي ويعلمني كثيراً من شذوذه على القواعد العامة ، وما تعارف النـــاس عليه من أوضاع واصطلاحات ، وصاغني صياغة عاتية لا تقر المبادئ التي لا يقرها عقل

---

(١) انظر أيامي ، (١٠١ - ١٠٨)

(٢) انظر أيامي ، ص ١٠٤ ، ١٠٦

(٣) أيامي ، ص ٨٠

أو منطق، ولا أنكر ما حييت أن شكيمة جبران وقوته فيما يكتب ازاحت عن نفسي أرتالاً ورثتها من بيئتي في البيت والكتاب والشارع ، وفتحت عيني على كثير من حقائق ما تلقيته عن (ستي !!) وحلت غير قليل من العقد التي كانت تنتاب نفسيتي ، وأعدتني لتربية جديدة ، لاتمت إلى كل ما صادف حياتي الماضية " (١)

والحقيقة أن شخصية جبران هي كما وصفها الكاتب، شخصية متمردة وبخاصة في كتاباته الأولى لا تقر بما تواضع عليه الناس إذ كان مخالفاً للعقل والمنطق ، وكان تأثير أدبه في الحياة العربية المعاصرة واسعاً ، وتأثيره في كثير من الأدباء لا ينكر .

فشخصية جبران طابعها الخاص التمرد : " على الماضي وعلى ما بلي من تقاليده ... يكره ما يقدسه الناس ... " (٢) .

فقد ثار وتمرد على : " التسلط والمتسلطين ، وصب جام غضبه على الشرائع المتحجرة والتقاليد الشوهاء ، الأمر الذي جعل مؤلفاته الأولى تطبع بطابع العنف ، والدعوة إلى العصيان والتمرد .. " (٣)

فالحقيقة أن الكاتب كان واعياً بدور القراءة في تكوين شخصيته وهذا ما يؤكده بقوله :

" فليت أصحاب الأقلام يدركون في كل وقت مبلغ ما تتركه نفثاتهم الحية في تنشئة الأجيال وليت المرتزقة منهم يخشون الله في ما تدبجه أقلامهم " (٤) .

ويلحظ أن قراءات الكاتب لهذين النمطين السابق ذكرها قد انعكست على نتاجه الكتابي مقالة وقصة والتي حاولنا أن نجلي بعض ملامح ذلك الانعكاس فيما سبق من مباحث هذه الرسالة .

---

(١) أيامي ، ص ٩٦ .

(٢) أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٤م ، ص (٣٤٤- ٣٣٦) .

(٣) طني زكّا ، بين نعيمة وجبران ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٨م ، ص ٣٠

(٤) أيامي ، ص ٩٦ .

٧) - **شخصيات وعلاقات غائبة :**

هناك عدد من الشخصيات الغائبة في سيرة الكاتب، ومن أبرزها شخصيات إخوته . فكنا نود لو حدثنا عن أخته وأخيه وعلاقته بهما .

وإذا كان الكاتب لم يحدثنا عن علاقته ببعض الشخصيات التي ذكرها في سيرته كما مر بنا .. فإنه أيضاً لم يحدثنا عن علاقات الشخصيات الأخرى مع بعضها البعض ، كعلاقة والده بوالدته وبجدته ، ويبدو لي أنه لو فعل ذلك لزاد من قيمة السيرة ومن عمقها ، وألقى مزيداً من الضوء على شخصية كاتبها ، وعلى الروابط الأسرية والاجتماعية لذلك العهد الذي تحدث عنه الكاتب ، وبخاصة أن الكاتب كان واقعياً في تصويره ، وجريئاً وصادقاً في أقواله

وفي ختام حديثنا عن الشخصيات يمكن أن نقول بأنه اتضحت لنا القدرة الفنية التي امتلكها الكاتب في تصوير تلك الشخصيات فنفخ فيها الحياة حتى بدت لنا شخصيات حقيقة إلى أقصى درجة ممكنة ، تعبر عن عصرها أصدق تعبير ، وذلك لأنه اقتبسها من الحياة رأساً دون أن يعنى بتهذيبها أو صقلها، فالكاتب نجح إلى حد كبير في مزج الحقيقة بالخيال، نتبين ذلك في هذه "القدرة العجيبة على إحياء العصر وتجسيده في شخصيات نابضة بالحركة والحيوية..."[١]

د ــ الصراع في السيرة :

الصراع في العمل الأدبي يتمثل في التصادم الذي يقع بين الشخصيات ويؤدي إلى الحدث ، وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس إحدى الشخصيات ، أو بين إحدى الشخصيات وقوى خارجية كالبيئة ، أو بين شخصيتين تحاول كل منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى ...[٢]

وحظ الترجمة الذاتية من البقاء يرجع " في الغالب إلى مدى ما تنقله لنا من إحساس كاتبها بالصراع الذي يثير في نفوسنا ألواناً من المشاعر، تحفزنا على مشاركته تجاربه وخبراته ، وعلى تعاطفنا مع مواقفة وأفعاله ... " [٣]

والحياة المليئة بالصراع هي : " التي تستحق التسجيل والقراءة ... فمحاولة إبراز هذا الصراع منعكساً على الشخصية وصادماً لها من ناحية ، وصاقلاً للشخصية ومطوراً لها من ناحية أخرى هو الذي يمنح تجربة السيرة الذاتية العمق والأصالة " [٤] .

---

(١)د. منصور الحازمي ، مواقف نقدية ، دار الصافي ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م ، ص١١٧.

(٢)انظر ، مجدي وهبه ، معجم المصطلحات العربية ، ص (١٢٥ - ١٢٦)

(٣)يحي عبد الدايم ، الترجمة الذاتية ، ص ١٥٠

(٤)د. ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ وفن ، ص ٢٥٠ .

فمن خلال الصراع يطلعنا كاتب السيرة : "على دخائل نفسه وأثر أحداث الخارج في حياته النفسية والشعورية والفكرية ، مظهراً من خلاله ما ينعكس على مرآة ذاته من وقائع الماضي وأحداثه خيراً كان أو شراً " (١) .

وسيرة الكاتب توافر فيها كثير من سمات وملامح الصراع، فالإهداء الذي صدر به الكاتب سيرته والذي سبقت الإشارة إليه يبين أن صاحبها لم يكن : " منسجماً مع الوسط العائلي والاجتماعي والثقافي الذي كان ينتمي إليه ، وفق شروطه الخاصة لا وفق شروط وسطه وبيئته ... " (٢)

ومن منطلق ذلك الإهداء جاءت موضوعات السيرة تبرز ذلك الصراع، المتمثل في عدم انسجام كاتبها مع بيئته، ولذلك نلمس روح الثورة والتمرد على كثير مما يسودها من أفكار متوارثة، نلمس تلك الروح في مختلف موضوعات السيرة ...

فنحن نحس بتصادم الكاتب مع نظام التعليم الذي كان سائداً آنذاك في الكتاتيب، ومن هنا أتى نقد الكاتب لذلك النظام وللشخصيات القائمة عليه متمثلة في (فقيه الكتاب وعريفه) .

ومثلما نقد الكاتب نظام التعليم نقد نظام التربية السائد في ذلك الوقت، من خلال نقده للأساليب التي كان يستخدمها والده في تربيته، والقائمة على العقاب البدني أو المعنوي كما سبق وأوضحت ذلك .

وعرّض الكاتب في سيرته بالخرافات والشعوذة التي كانت سائدة في زمن الحكاية من خلال تعريضه بجدته وما كانت تحيكه من حكايات خرافية تعتقد في صحتها ولا تقبل التشكيك فيها ...

ونقد الكاتب ما حصل من تمييز لفئة على أخرى في بيئته من منطلق التمايز الاجتماعي غنىً وفقراً، وذلك أثناء حديثه عن ذلك التمييز الذي كان يحصل بين طلاب الكتّاب حينما قسمهم الكاتب من وجهة نظر فقيه الكتاب إلى قسمين :

(محظوظين / أغنياء ، وغلبانين /فقراء)

ومن هنا يمكن القول بأن سيرة الكاتب بالتالي اشتملت على نوعين من الصراع ، صراع خارجي كما بين الكاتب من جهة وفقيه الكتاب وعريفه ووالد الكاتب وجدته من جهة أخرى .

---

(١) يحي عبد الدائم ، الترجمة الذاتية ، ص ٩

(٢) د. معجب الزهراني ، حول المعنى قراءة في أيامي ، لأحمد السباعي ، جريدة الجزيرة ، ع(٨٦٠٦) في ١٤١٦/١٢/٣هـ / ١٩٩٦م ، ص ٢٢ .

وعلى صراع داخلي حيث كانت نفسية الكاتب تضطرم بالصراع من خلال عدم انسجام الكاتب مع ذلك الوسط .

ولهذا نلحظ في سيرة الكاتب كيف أن (الأنا) عنده كانت تتجدد، وأن شخصيته كانت دائمة التطور للبحث عن أسلوب يوافق ما جبل في طبع كاتبها من مواهب ...

ونلحظ ذلك الصراع حتى في قراءات الكاتب، بين الموروث والأدب الحديث حتى قرار قراره على قراءة الأدب الحديث لأنه يتوافق مع نفسيته وطباعه وفكره ...

ولكن يمكن القول بأن أبرز ملامح الصراع في سيرة الكاتب كان متمثلا في مرحلة طفولته وبدايات الصبا وبخاصة مع شخصية والده . ولهذا كاد يختفي الصراع باختفاء شخصية (الأب)، وكان اختفاء شخصية (الأب) في السيرة اختفاء مفاجئا حيث كان هو وكاتب السيرة مدارها .

و موقف شخصية الكاتب من ذلك الصراع المشار إليه أعلاه كان في مرحلة الطفولة والصبا موقفا سلبيا، وهذا أمر طبيعي لعدم قدرته في ذلك السن على الموجهة ، أما بعد تلك السن فقد كان موقفا إيجابيا حيث اصطدم مع الغير اصطداما ماديا كما فعل مع (رفقاء السوء) المشار إليهم سابقا، ونلحظ ذلك في حديثه عن ممارسة التجارة في بداية حياته واخفاقاته المتلاحقة فيها، واصطداما فكريا كما كان يفعل على صفحات صوت الحجاز من خلال نقده لأوضاع مجتمعه كمطالبته بتعليم المرأة ونقده لتصرفات المطوفين وغير ذلك ... (١)

فسيرة الكاتب تماثل غيرها من السير الذاتية العربية التي عبرت عن : " الهوات السحيقة في نفوس أصحابها بين ما يجب أن يكون وما هو كائن ... لقد عكست شيئا من التمزق الذي عاش فيه هؤلاء " (٢)

وبانفتاح حكاية السيرة على حكايات أخرى كما سبقت الإشارة ألتقت أنا السيرة بطبيعة الحال بأنوات أخرى تشاركها المعاناة والصراع .

فمثلا انفتحت السيرة على حكاية (الخالة حسينة) وسبقت الإشارة إليها عند حديثنا عن الزمن في السيرة ، نجد أن حكاية حسينة تندرج على صراع تمثل في تلخيص الكاتب لحياتها والذي أشار فيه إلى أنها كانت مملوكة ثم اعتقت وزوجت بأحد العبيد فنحن نلمس من خلال

---

(١) انظر أيامي ، ص (١٠٩ - ١١١) ، وهذا البحث ، ص :(٦٣-٦٤، ٨٦-٩٠، ٩٧-١٠٥)

(٢) سالم المعوش ، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص١٥٠ .

هذه الشخصية صراعاً خارجياً مع البيئة وصراعاً داخلياً مع نفسها حـــول وضعـــها الســـابق ووضعها اللاحق (ما قبل الرق وما بعد الرق) .

كما انفتحت السيرة على حكاية (جدّة الكاتب) . فنلحظ أن الكـــاتب كـــان يشـــارك جدتـــه معاناتها .

فمثلما أن قياده أطلق بموت أبيه كما يقول، فإن جدته أطلق قيادها أيضاً بموت زوجها .

حيث كانت : " قد عاشت حياتها الأولى مضطهدة في بيت زوجها ، فلما أطلق قيادها بمـوت زوجها عنيت قليلاً ببناتها منه ، ثم زوجتهن ، وتحررت من كل ما يقيدها في الحياة ... " (١)

فنحن نكاد نلمس ملامح الصراع في هذه الحكاية من خلال تعبير الكاتب السابق ذكره .

وشملت السيرة أيضاً صراعاً من نوع آخر إنه صراع الأجيال الأدبية ، بين جيل الأدباء مـــن الرعيل الأول الذين أصدروا كتاب " وحي الصحراء " وبين الجيل التالي لهم الذيـــن اســـتفزهم عمل : " الشباب في (وحي الصحراء) فقرروا أن تكون لهم مثل مجموعة وحي الصحـــــراء (ليش هما مو أحسن منا) وكان محور الحركة ... الأستاذ عبد السلام الساســـــي .. اســـتطاع الساسي أن يجمع إليه رصفاءه ... وأن يصدر بمساعدتهم مجموعة أسموها : (نفثات ـ بـــأقلام الشباب الحجازي)... " (٢) .

وكتابا وحي الصحراء ونفثات بأقلام الشباب الحجازي من أوائل الكتب التي صـــدرت فـــي بلادنا كما هو معروف، وتمثل من خلال أقلام كتابها جيلين من أدباء المملكة فأحمد الســـباعي كان يمارس لعبة الكتابة كما يقول أحد الباحثين : " ولعبة الكتابة عنده ... تنبثق أصلاً وابتـداءً من الوعي بـــ اللاعادية أي بالتميز والاختلاف الذي يبلغ حد الشذوذ عن كل ســـائد وعـــادي ومهيمن، وأسميها (لعبة) لأنها فعلاً كذلك أي كتابة أدبية تكمن إحدى أهم سمات أدبيتها فـــي لا عاديتها أي في تأكيدها المتصل على مسافة التوتر التي تفصل بين الذات الكاتبـــة وعالمـــها إلى حد تبدو معه المسافة وكأنها (هوة) لاتريد الكتابة ردمها ولا تجسيدها بقدر ما تعمل علـــى تعميقها وتوسيعها، لتزيد سمات ودلالات اللاعادية والمفارقة والاختلاف فيها كما فـــي ســـيرة وهوية كاتبها ... حياة الكاتب كما يسردها نصه إنما تكونت ونمت وتحولت في ســـياق علاقـــة التوتر بينه وبين عالمه ... " (٣) .

---

(١) أيامي ، ص ٥٨

(٢) أيامي ، ص ١٠٦ .

(٣) د. معجب الزهراني ، (حول المعنى قراءة في (أيامي) لأحمد السباعي) ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

وأخيراً نقول إن حياة الكاتب كما تبدت لنا من خلال سيرته سلسلة من الصـــراع الداخلـــي والخارجي تلميذا وشاباً وتاجراً ومدرساً وموظفاً بصحيفة صوت الحجاز ، حـــاول الكـــاتب أن يثبت وجوده في ذلك الصراع وإن بدا لنا أنه أخفق في مرحلة حياته الأولى إلا أنه ما لبـــث أن حسم الصراع في نهاية الأمر لصالحه .

هـــ ـــالأسلوب :

وسنتناوله من خلال المحاور التالية :

١-الحوار :

الحوار نمط من أنماط التعبير : " تتحدث به شخصيتان أو أكثر .. وهو الطـــابع الـــذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار ... " [١]

وللحوار في العمل الأدبي عدة وظائف من أبرزها :-

رفع الحجب عن عواطف الشخصيات وأحاسيسها المختلـــة وشـــعورها البـــاطن تجـــاه الحوادث واتجاه الشخصيات الأخرى .. [٢] لأن الشـــخصية لا يمكـــن أن تبـــدو كاملـــة الوضوح والحيوية إلا إذا (سمعها) القارئ وهي تتحدث .. [٣] فهو صفة من الصفـــات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه فهو من أهم الوسائل التي يعتمـــد عليها الكاتب في رسم الشخصيات [٤] . كما أن الحوار يبث الحركـــة فـــي المشـــهد [٥] ويخفف من رتابة السرد ويضفي على القصة لمسة حية فيجعلها تبدو أكثر واقعيـــة فـــي نظر القارئ .. [٦]

والحوار في سيرة الكاتب مبثوث في أغلب موضوعاتها فقد اعتمد عليه الكـــاتب فـــي رسم الشخصيات وفي نقل المعلومة وتصوير الحدث ، ونعرض لهذا الحوار الذي ضمته السيرة من خلال الوقفات التالية :

أ- أطراف الحوار : أغلب الحوار الوارد في السيرة استأثرت به شخصية البطـل/ الكاتب ويمكن أن نصفه من خلال نمطين :

حوار دار بين شخصية البطل والشخصيات الأخرى التي وردت في السيرة .

---

(١) د. طه مقلد ، الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون ، ص٩ .

(٢) د. محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١١٨ .

(٣) حسين القباني ، فن كتابة القصة ، ص (٩٤ - ٩٥) .

(٤) د. محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص ١١٧ .

(٥) دي فوتو ، عالم القصة ، ص ٢٦٦ .

(٦) حسين القباني ، فن كتابة القصة ، ص ٩٥ .

وأغلبه دار بين بطل السيرة ووالده [١] وبين البطل وجدته [٢] وبينه وبين فقيه الكتاب[٣] وبينه وبين خالته حسينة [٤] وبينه وبين والدته .. ثم في فترة لاحقة دار بينه وبين زملائه في المدرسة التي كان يعمل بها معلماً للقرآن [٦] ، وبينه وبين محمد سرور الصبان [٧] ، وبينه وبين محمد المليباني [٨] ، وغير ذلك ...

ومن نماذج ذلك الحوار ما دار بين الكاتب وجدته ووالدته يقول :

" عندما تخطيت الحلم ... بدأت أشعر في صلف أنني شبيه رجل وأن من حقي أن أوجه حياتي في السبيل الذي أختار .. فأذعنت أمي مشفقة أما ستي فقد كانت ترى غير رأي أمي : (ما بوشي .. خليه لا يروح المدرسة على كيفه .. هو ما هو ناقصه شيء .. عمال يقرأ - الله يحفظه - في أحسن كتاب زي البلبل ... الله يفتح عليك يا أحمد ولد جواهر .. هو إيش مقصودكم يعني ؟ هو لازم ينزل بدال المنصوري يسوي عالم في الحرم ، يكفي يا جماعة .. خلوه يروح على كيفه .. يشوف له صنعة ياكلكم منها) . . . صدر قرار ستي بتسريحي ، ثم أشفع بتوصيات حاسمة (قومي أعطي له واحد جنيه من العلبة ، وسيبيه يعرف شغله .. يا طلع رجال ، عرف كيف يجيب القرش زي أولاد خالته ، يا طلع ندل ، ويفضل مضحكة للناس !!) وقامت أمي إلى عليتها الصغيرة ، خاضعة في غير اقتناع ثم سلمتني الجنيه وهي تهيب بي :

ــ لكن ما تقول إيش الصنعة اللي بدك تسويها .

ــ بس أنت مالك شغل .. قولي لها يا ستي .. هيا تعرف حاجة في الدنيا قولي لها اسكتي مالك شغل !!

ولم تنطق ستي بحرف لأنها كانت بدأت وظيفتها في السبحة (يا لطيف ، يا لطيف ، يا لطيف) ويدها تشير إلى أمي في إلزام وتصميم أن تعطيني الجنيه ، ثم

---

(٢)أيامي ، ص ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص٣٠، ٣١.

(٥) المصدر السابق ،٦٨ ، ٦٩ ، ٧٥.

(٦) المصدر نفسه ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠١ ــ ١٠٣ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

ترفع سبابتها اليمنى إلى السماء وكأنها تقول : (عليك يا رب) " [1]

والنمط الثاني تمثل في حوار البطل مع نفسه وهو ذلك الحوار الذي يسمي بالمونولوج الداخلي أو المناجاة وهو : " حديث النفس للنفس ، واعتراف الذات للذات ، لغة حميمة تندس ضمن اللغة العامة المشتركة بين السارد والشخصيات ، وتمثل الحميمة والصدق والاعتراف والبوح ... " [2]

ومن نماذجه قول الكاتب مخاطباً ذاته وهو في وقت أزمة تمثلت في نفاذ النقود التي كانت تمده بها والدته، عندما سلمته أخر جنيه معها وكانت جدته تبتهل إلى الله بأن يوفقه ويهديه ولا يشمت فيهم الأعداء فوصل إلى سمع الكاتب ذلك الابتهال : " فكان لابتهالها أثر السحر في إحساسي المتبلد ، شعرت على أثره أنني أصحو من غفوة ، وأن ضميري يهمس في سري .. ماذا بعد هذا الجنيه يا أحمد ؟؟ وهل في استطاعتك أن تشمخ بأنفك بين رفاقك إذا أعوزك النقد .. ؟؟ وهل بين الرفاق من يتطوع بنجدتك .. ؟ .. " [3] .

وغير ذلك من النماذج .. [4]

كما دار الحوار خارج نطاق الذات الكاتبة أي بين الشخصيات الأخرى التي ضمتها السيرة وهو قليل ويمكن أن نصنفه أيضاً في نمطين :

النمط الأول :-

وكان مدار الحديث فيه بين الشخصيات الأخرى عن ذات بطل السيرة، أي ذات الكاتب وكان القطب في تلك الأحاديث شخصية والد البطل، عندما يحاور في بعض أحاديثه شخصيات أخرى ومدار تلك المحاورة هو مناقشة الآخرين عن الأمور التعليمية والمستقبلية التي تهم ابنه أي بطل السيرة / الكاتب .

كالحوار الذي دار بين والده وعريف الكتاب [5] ، وبين الوالد والشيخة

---

(١) أيامي ، ص (٦٨ - ٦٩)

(٢) د. عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص (١٣٨ - ١٣٩)

(٣) أيامي ، ص ٧٥ .

(٤) انظر أيامي ، ٢٥ ، (٧٧- ٧٨) ، (٨٢- ٨٣) .

(٥) أيامي ، ص ١٣ .

حسينة [١] . وبين الوالد والعم شاكر [٢]

النمط الثاني :

تمثل في حوار بين الشخصيات الأخرى بعيدا عن ذات البطل / الكاتب .

كالحوار الذي دار بين الشريف الحسين بن علي وأهل مكة [٣] والحوار الذي دار بين الشريف الحسين بن علي ومدير المدرسة (عبد الوهاب خياط) [٤]

ب- لغة الحوار :-

مجمل الحوار الذي دار بين الشخصيات التي ضمتها سيرة الكاتب جاءت في لغة عامية وبالأخص بلهجة أبناء مكة المكرمة ... متوخيا الكاتب في هذا ما يعتقده في أن ذلك المنطوق بتلك اللهجة يكون أكثر واقعية وصدقا وانسحبت تلك العامية في الحوار بين الشخصيات إلى رسمها في الكتابة بحسب ذلك النطق ... واستخدام العامية في الحوار اختلف حولها النقاد بين من يتسامح في ذلك وبين من يرفض استخدمها رفضا مطلقا لا في الحوار ولا في غيره [٥] ويرى أحدهم : " أنه ليس ثمة مبرر فني يمنع من استعمال اللغة العامية في الحوار ، بل إن طبيعة رسم الشخصية في القصة تتطلب ذلك وتعتمد عليه اعتماد كبيرا ... " [٦] .

وهذا ما جعل بعضهم يصف الحوار الذي شملته سيرة الكاتب بقوله :

" يتدفق بعبق مكة وحاراتها وأطعمتها وأزيائها وعاداتها وصخب أطفالها ... " [٧]

وبهذا يمكن القول بأن الحوار جعل من سيرة الكاتب سجلا للمنطوق الشفوي في فترة من الفترات التاريخية ... كما يمكن القول بأن الكاتب استطاع أن يتمثل الشخصيات الأخرى في السيرة تمثلا مكنه من أن يفي بخصائصها في الكلام ، وبذلك تميز بعضها من بعض ، واحتفظ كل منها بسماته الخاصة، ولم تخل السيرة من نماذج للحوار دار بين الشخصيات باللغة الفصحى ويرد ذلك إذا كانتالشخصيتان المتحاورتان متعلمتين، وذلك كالحوار الذي دار بين الكاتب وبين

---

(١) أيامي ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، (٣٨ - ٤٠)

(٣) المصدر نفسه ، ص (٤١- ٤٢)

(٤)المصدر نفسه ، ص (٨٦ - ٨٧) .

(٥) وسبق أن عرضنا لذلك عند حديثنا عن رواية مطوفون وحجاج.

(٦) د. محمد يوسف نجم ، فن القصة ، ص (١٢١ - ١٢٢) .

(٧) د. محمد زكريا عناني ، على هامش الفن القصصي عند السباعي ،موسوعة الأدب السعودي، موسوعة رؤيا، الإسكندرية ط(١) ، ١٩٩٠م ص: ٣٨.

من سماه (زميل قديم) كان يدرّس في إحدى المدارس، وأشار على الكاتب أن يلتحق بتلك المدرسة معلماً للقرآن الكريم على اعتبار أنه من حفاظه فالشخصيات هنا متعلمتان / مدرّسان [١] .

وقد يأتي الحوار ممزوجاً باللغة الفصحى واللغة العامية وذلك كالذي دار بين الشريف الحسين بن علي ومدير المدرسة (عبد الوهاب خياط)

فالحوار يدور على لسان الشريف مرة بالفصحى ومرة بالعامية أو مازجاً بينهما بينما ورد على لسان مدير المدرسة بالفصحى [٢] .

وعليه نقول بأن الكاتب في حواره كان بتمثل خصائص الشخصية التي يرد الحوار على لسانها، من حيث مستواها الاجتماعي والثقافي التعليمي من منطلق توخي الصدق والواقعية .

والحوار في بعض المواضع من السيرة كان يؤدي دوراً درامياً، حيث تتجلى من خلاله بعض ملامح الصراع الذي شملته السيرة، كالحوار الذي كان يدور بين بطل السيرة وفقيه الكتّاب أو بينه وبين والده أو بينه وبين جدته فالحوار يعد"أوضح جزء في العمل الدرامي..."[٣] . ومن أبرز صفات الحوار الذي ورد في السيرة ، أن الكاتب يمزح فيه بين الجمل القصيرة التي يتخللها أحياناً جمل طويلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يأتي ممزوجاً بالسرد دائماً .. كما أنه ورد على ألسنة الشخصيات بتلقائية وعفوية، فلم يحاول الكاتب أن يصبغه بألوان من البلاغة والبيان ... وهذا يعد ميزة تحسب للكاتب على الرغم من اعتماده فيه على اللغة العامية .. إذ توخى فيه خصائص الشخصية من الناحية الثقافية والمعرفية .

٢- السرد

المراد بالسرد تلك الطريقة التي تحكي بها القصة [٤] وسنتناوله من خلال النقاط التالية:-

❖ **الراوي وضمير المتكلم :**

قدم لنا الكاتب نفسه في سيرته بطريقة مباشرة ، حينما عمد إلى استخدام ضمير المتكلم ، وأغلب السير الذاتية في الأدب العربي الحديث استخدمت هذا الأسلوب واستخدام ضمير المتكلم في القصة لا شك أنه يخلق الشعور بالألفة والثقة ..[٥]

---

(١) أيامي ، ص ٨٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص (٨٦ - ٨٧) .

(٣) د. طه مقلد ، الحوار في القصة والمسرحية ... ، ص ١٦ .

(٤) د. حميد لحمداني ، بنية النص السردي ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٥) د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص ٥٤٩ .

كما أنه يوحي بواقعية وصدق الواقعة المروية .. [١] فاستخدام ضمير المتكلم في السيرة الذاتية هو الملائم لها حيث إنه : " أقدر على التعبير عن خفاياها ، وأبرع في تعرية طواياها في بساطة وصدق ، ودفق وفيض ... " [٢]

وباستخدام الكاتب لضمير المتكلم تحقق لسيرته ما يسمى بالميثاق الأدبي للسيرة الذاتية وهو عقد ضمني بين مؤلف السيرة والمتلقي يتمثل في أن هناك تطابقاً تاماً بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية في ذلك العمل الأدبي .. [٣] .

وهذا الميثاق تحقق في سيرة الكاتب حيث هناك تطابق بين الشخصية والسارد والمؤلف الذي بسط اسمه فوق العنوان :

(أحمد السباعي) إذ يقول في بداية سيرته : " سماني أبي (أحمد) ودللتني أمي فكانت تناديني (أحمد حماده) ... " [٤] ثم اعتمد بعد ذلك على ضمير المتكلم الذي يحيل دائماً إلى صاحب السيرة (أحمد السباعي)، وقد اعتمد على هذه الإحالة ابتداء من خلال عنوان الكتاب (أيامي)، ومن هذا المنطلق تنتفي إمكانية التخييل في هذا العمل الأدبي . وتأسيساً على ماتقدم فهذا العمل الأدبي يقنعنا منذ بدايته بواقعية محكيه، فالمؤلف منذ البداية يقطع على المتلقي أية شكوك تساوره حول واقعية النص من عدمه من خلال ذلك الميثاق الذي عقده المؤلف مع القارئ حول صدق وواقعية هذا المحكي ، ابتداء من عنوان مؤلفه ، وبهذا فالسيرة الذاتية : "صيغة قراءة بمقدار ما هي نمط كتابة ... " [٥] .

فالدخول في هذا العقد أو الحلف القصصي يعني : " قبول بلاغة ما من خلالها يكون وضع (التلفظ - الاستقبال) الذي يقدم في إطار الرواية قابلاً للتمييز عن الوضع خارج الرواية " [٦] . فالعقد القصصي بهذا يتحول : " إلى ضرورة ملازمة للاتصال الأدبي " [٧] .

---

(١) د. ماهر حسن فهمي ، السيرة تاريخ وفن ، ص ٢٥٢ .

(٢) د. عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، سابق ، ص ٩٤ .

(٣) فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص (٢٣ - ٢٤) وانظر ، ص ٣٥ .

(٤) أيامي ، ص ١٣ .

(٥) فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص ٦٤ .

(٦) خوسيه إيفانكوس ، نظرية اللغة الأدبية ، ترجمة د. حامد أبو أحمد ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص٢٥٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص (٢٥٦ - ٢٥٧) .

لغة السرد :-

جاءت لغة السرد في مجملها فصيحة وإن كلن قد ورد في بعضها بعض الكلمات والعبارات العامية كقوله : " لقد كان عند وعده فقد شافني بما يشاف به الأخ الصغير ... [١]

وكقوله : " ويغضب الواد عباس ... ويلتفت الواد عباس ... " [٢]

ولغة السرد أتت واصفة ومصورة على مستوى الجملة والمفردة ، على مستوى الجملة سبق وأن مثلنا لذلك عند حديثنا عن المكان في السيرة قنظره أما على مستوى المفردة فكقوله: " لنشتري بثمنها من بضاعته الفجة " [٣] ونحو :

" العصي الغليظة والحبال المفتولة " [٤] وكقوله : " وشرع يعد لها من الحبال المفتولة والخشب الجامد والخيزران اللدن ... " [٥] وكقوله : " ... وشيئاً من القطن النظيف ... تبدو نهايته رفيعة دقيقة .. تركه مشغولاً بمنديله الملوث وعطاسه المتكرر العالي ... فلا يسأل عن اليد الخفية ... فتتجاوب الضحكات الخافتة ... أصوات مقهقهة .. قشة رفيعة طويلة ... أذناب طويلة ... " [٦] .

ويلحظ أنه قد يلجأ إلى استخدام البعد الصوتي في رسم وتصوير الحدث كقوله :

" ويلغط المجلس ... ويضربوا الأرض بنبابيتهم ... فيهيب المجلس ... ويطلق الحسين رصاصته الأولى ... إيذاناً بقيام الثورة ... ويطلقوا النار على من تحصن فيها ... " [٧] .

وهنا أتى البعد الصوتي متفقاً مع طبيعة الحدث فكان الوسيلة المتميزة لنقله وتصويره ..

وكقوله عن (شيطان الفصل عباس) :

" ويتهدج صوته ... وتتزاحم الأيمان الفاجرة على شفتيه ... كان يعلن للأولاد بأن ريحاً تزمع الخروج في أصوات متقطعة... تبدأ خافتة ، ثم تشرع في الوضوح ... " [٨] .

---

(١) أيامي ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص (٤٤ – ٤٥)

(٧) أيامي ، ص (٤١ – ٤٢)

(٨) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

وقد تأتي لغة ساخرة من خلال تصوير المفارقات، وما سبق اقتباسه من نصوص في المباحث المتقدمة يوضح تلك المفارقات ...

ويلحظ أنه قد يوظف المفردة توظيفاً ساخراً كلفظة (تصطفى) في قوله :

" كنا نصطفى لكثير من الخدمات ؛ فمنا من يكنس الكتاب .. . " (١) .

وكلفظة (العالية) في قوله :

" وكانت الفلقة في الكتاب جزءاً له قيمته العالية في تربية الأولاد وتحفيظهم ... " (٢) .

ومن أساليبه في السخرية من خلال لغة السرد إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي كقوله :

" وتوترت أعصابه وشرعت عصاته تلهب أول ظهر ... ولا تجهل العصا طريقها إلى ظهور الغلبانين " (٣) .

وكقوله : " أويدلك رجليه إذا احتاجتا إلى التكبيس ... " (٤)

وكقوله : " وكان لبيت الراحة في الكتاب نظام نافذ المفعول ... " (٥)

وسخرية السباعي في سيرته على مستوى المفارقة أو على مستوى توظيف المفردة لا تأتي سخرية نقية، بمعنى أن المتلقي قد لا تتفرج شفتاه عن ابتسامة بعد الوقوف عليها، إذ هي ممزوجة بمعاناة كاتبها ، وهنا ترقى السخرية من مجرد الإضحاك أو نحو ذاك إلى التأمل في معاناة صاحبها ، ومن ثم تحقق له نوعاً من المشاركة والتعاطف من قبل المتلقي، والأهم من ذلك أنها تثير في نفس المتلقي التساؤل حول ما يريد أن يقوله الكاتب من خلال هذا الأسلوب وهو المطلوب والغاية المنشودة وذلك ما يسعى إليه الكاتب سواءً وعي المتلقي ذلك أم لم يعه حيث إن الكاتب : " يسعى إلى إعادة تشكيل الوعي بدءاً من خلخلة الوعي السائد " (٦)

وهذه السخرية كما يقول أحد الباحثين ، تعلو لغتها ونبرتها فتكون لاذعة وعنيفة حينما تعرض لصورة (الأب والفقيه) وتأتي أحياناً حنونة وإنسانية وعميقة حينما تعرض لصورة (الأم والجدة) (٧) .

---

(١) أيامي ، ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٦) د. معجب الزهراني ، (حول المعنى قراءة في أيامي لأحمد السباعي) ، جريدة الجزيرة ، ع (٨٦٣٤) في ٢/١/ ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، ص ٢٢ .

(٧) د. معجب الزهراني ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

ومن الملامح الإبداعية في لغة السرد :

أنها في مجملها من الناحية البلاغية جاءت في لغة مرسلة ، سهلة وواضحة ، لا تعنى كثيراً ببلاغتها بقدر ما تعنى بإيصال الأفكار التي يريد أن يعبر عنها الكاتب ... وهذا لا يمنع من وجود بعض الملامح البلاغية فيها نحو :-

أنها قد تأتي في عبارة مسجوعة وهذا نادر كقوله :-

" فانفرد من الصف صديق الملمات ، ورفيق العزمات ــ إذا اشتدت (الوكبات) .. " (١)

وقد تأتي عبارة السرد مقسمة قائمة على المقابلة في بعض الأحيان كقوله :

" كان فينا المحظوظ بمركز أبيه ، أو غناه ، أو نفوذه الشخصي، وكان بيننا (الغلبان) لفقوة ، أو يتمه ، أو ضعف شخصية والده " (٢) .

وكقوله في وصف شيطان الفصل عباس : " كان لا يضارعه في شقاوته أو شجاعته أوبراعة تمثيله أو حذقه في الدهاء مضارع ... " (٣)

وكقوله يتحدث عن نفسه : " وطال إدماني لهذه الكتب ، وكنت أعيد قراءة بعضها أكثر من خمس مرات إعجاباً بحوادثها أو سروراً بسهولة أسلوبها ... أو مكرهاً لقلة ما أملك من الكتب " (٤) .

وقد يرتفع مستوى لغة السرد عند الكاتب حينما يطعمها ببعض التعابير والكلمات التراثية وهي متناثرة بين أسطر السيرة ومن ذلك قوله : " فكان يود بجدع الأنف ألا يراني إلا مكباً على قراءة أو كتابة " (٥) وقوله : " واندفعت ما استطعت الاندفاع في حرد لا تقيده الضوابط... " (٦) .

وكقوله : " وترك حبلي على غاربي ... " (٧) .

وكقوله : " وكنا إلى جانب ذلك فتياناً لم يطر شارب أكبرنا سناً . " (٨) .

---

(١) أيامي ، ص ٩١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٤) أيامي ، ص ٨١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

وكقوله : " ارتهكت مفاصل المدير " [١]

والإرتهاك هو استرخاء المفاصل في المشي، وهو الضعف في المشي ... " [٢] .

وكقوله : " لكنه ما عتم أن ضاق بنا " [٣] .

وكقوله : " فما عتم أن ندب لنا من يستحصل خمسة قروش " [٤] .

ويقال : ما عتم أن ضاق بنا أي ما أبطأ .. [٥] .

وكقوله : " فهرعت زرافات المواطنين في مكة إلى مكان الاحتفال " [٦] .

وكقوله : " وزارني في أحد الأيام عين من مكة يسألني أن أصارحه ... " [٧] .

وقد تأتي لغة السرد في عبارة قريبة من العبارة الشاعرية وذلك من خلال تضمينها لغة الأناشيد والأغاني .

كقول الكاتب عن والدته : " كانت أغنيتها الدائمة وهي ترقصني : (أحمد حمادة لب القلادة ، أمه تحبه ، وأبوه زيادة " [٨]

وكقوله : " وكنا نقضي نهارنا في مداخل برحة الفل بجوار المسعى ، نهزج بأغانينا : (يا العشرة من قالك تجاكر .. يا العشرة قل للحجر يمشي " [٩] .

وقد يضمن الكاتب لغة سرده آيات من القرآن الكريم كقوله : " ولو أطلعت علينا ونحن نختلس خطانا في درج المدرسة ... لهالك أن يكون للمدرسة أساتذة من هذا الطراز ولملئت منهم رعباً " .

فعبارته السابقة تضمين للآية الكريمة :

﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ سورة الكهف آية (١٨)

---

(١) أيامي ، ص ٨٨ .

(٢) ابن منظور ، اللسان ، مرجع سابق ، ١٠ / ٤٣٥ .

(٣) أيامي ، ص ٩٠ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٥) ابن منظور ، اللسان ، مرجع سابق ، ١٢ / ٣٨٠ / ٣٨٣ .

(٦) أيامي ، ص ١٠٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٨) أيامي ، ص ١٣ .

(٩) المصدر السابق ، ص (٧٢ - ٧٣) .

ويلحظ أن الجملة السردية في سيرة الكاتب ليست بالطويلة المملة ولا بالقصيرة المخلة ويتخللها الحوار والاعتراض بشرح أو دعاء أو مقارنة والكاتب يعمد في سرده على الفعل الماضي وبخاصة عبارة (كان ، كنت ، كنا ، كانت) ومرد هذا بالدرجة الأولى يعود إلى اعتماده على ضمير المتكلم في سرد سيرته، ويلجأ إلى الفعل المضارع عندما يقوم بشرح أو توضيح ... أو ينتقل من السرد إلى القص ..

٣- أسلوب وقالب التعبير :

تتعدد الأساليب التي يتخذها الكتاب ليعبروا من خلالها عن تجاربهم الذاتية . والأسلوب الذي عبر من خلاله السباعي عن سيرته الذاتية هو أقرب إلى الأسلوب التفسيري التصويري وهو أسلوب يجمع بين طريقة المقالة التفسيرية ، وهي تلك المقالة التي يعمد فيها صاحبها إلى:

" التعبير عن أفكاره والتحليل المتأمل لمواقفه وواقعه الذي مضى ، ومن مجموع ذلك يتألف موضوع ترجمته الذاتية، التي اتخذت شكل مقالة مسهبة تضم فصولاً صغيرة " (١)

وبين طريقة الرواية الفنية : " القائم على التصوير للموقف والتجارب والأماكن والمشاهد والشخصيات الحقيقية، تصويراً يعتمد على عناصر الفن الروائي كالحوار الأدبي الموجز والاستعانة بقدر ضئيل من الخيال ... وبالتشويق والسرد القصصي الممثل للحقيقة تمثيلاً مطابقاً لها، على نحو يثير المشاركة الوجدانية بين المترجم لذاته وبين المتلقي .. " (٢)

وهذا المنهج الازدواجي المختلط في الترجمة الذاتية يستخدمه أولئك الكتاب : " الذين مارسوا كتابة الفن الروائي وبرعوا فيه إلى جانب ممارستهم كتابة فن المقالة وبراعتهم فيه أيضاً " (٣) .

والسباعي قبل كتابة السيرة الذاتية مارس كتابة الرواية من خلال رواية (فكرة) وبرع في كتابة المقالة فبطبيعة الحال قد أفاد من تجاربه في هذين الفنيين لصياغة سيرته الذاتية .

---

(١) يحي عبد الدائم ، الترجمة الذاتية ، ص ١١٢ .

(٢) يحي عبد الدائم ، المرجع السابق ، ص (١١٣ - ١١٤)

(٣) يحي عبد الدائم ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٤- موضوعات الكتاب بين الفنية والتقريرية :

لقد نجح السباعي إجمالاً في عرض موضوعاته عرضاً فنياً قائماً على التلقائية والانسياب ، مازجاً بين الحقيقة والخيال .. ولكن نجد أن هذه الفنية في العرض تبرز في بعض الموضوعات وتكاد تختفي في أخرى .. وأبرز الموضوعات التي أبدع السباعي في صياغتها وطغت عليه روح الفنان لا روح المؤرخ والموثق ، هي الموضوعات التالية :

(في الكتّاب ، محظوظون في الكتّاب ، أبجد هوز ، إصرافه أو إقلابه ، خالتي حسينة ، كتاتيب ومعلمون ، مع حفاظ القرآن ، شيطان الفصل عباس ، حفظ متقن ، في المدرسة الراقية ، ستي ، طيش ، نقطة تحول ، كرسي الأستاذية) .

ونلحظ أن القاسم المشترك الذي يجمعها هو سن الطفولة ومرحلة الكتاب والصبا وبدايات سن الشباب ..

كما أن أغلبها من الموضوعات التي ضمها الكتاب بمسماه القديم (أبو زامل) .

أما الموضوعات التي مال فيها إلى التقرير بوحي من روح المؤرخ والدارس وإن لم نعدم ومضات بين الحين والآخر مصدرها روح الفنان وخياله المبدع ، كسر بها جمود السرد وتقريريته إما بحوار أو بحكاية أو بتعليق وما شابه ذلك فتتمثل في الموضوعات التالية:-

(حظ معاكس ، أدب وعلم ، بين الصحافة والأدب ، في صحيفة صوت الحجاز ، حروف ونقط) .

ويلحظ أن أغلب هذه الموضوعات كانت مما ضمه الكاتب لاحقاً إلى سيرته بمسماها الجديد: (أيامي) .

فأحد هذه الموضوعات مثلاً وهو موضوع (بين الصحافة والأدب) ، أصبح : " دراسة خالصة في تاريخ الصحافة بالمملكة العربية السعودية بالغ القيمة تاريخياً ، ولكنه يظل أدنى قيمة من الناحية الفنية إذا قورن بسائر الفصول " [١]

أما ما ذهب إليه أحد الدارسين [٢] حينما رأى أن حديث الكاتب عن ثورة الحسين بن علي[٣] في كتابه (أيامي) . قد قُدّم في صورة لغوية هزيلة لا ترقى إلى مستوى ذلك الحدث فالحقيقة أن ذلك الدارس غفل عن أن السباعي كان مدركاً لما يكتب ، وليس ذلك جهلاً منه بأهمية ذلك الحدث التاريخي ، فهو لم يكن يكتب هنا تاريخاً ، كما أشار في مقدمة كتابه،

---

(١)د. مصطفى حسن ؛ أدباء سعوديون ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٢) د. طلعت صبح السيد ، العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة ، مرجع سابق ، ص (٣٩٠ - ٣٩٢) .

(٣)انظر (أيامي) ، ص (٤١ - ٤٢) .

والدليل على هذا الوعي أنه حينما أراد أن يؤرخ لتلك الثورة تاريخاً علمياً موثقاً، فقد أفرد للحديث عنها صفحات طويلة في كتابه (تاريخ مكة) [1] ولست استطيع أن أوفق بين التناقض الذي وقع فيه ذلك الدارس حينما أنكر في البداية على السباعي تصويره ذلك الحدث كما يقول بصورة لغوية هزيلة ، ثم تقريره في نهاية حديثه بأن كتاب السباعي (أيامي) أشبه بالمذكرات الشخصية : " التي تتحدث عن وقائع حقيقية شاهدها السباعي أو رويت له " فلغة المذكرات أبعد ما تكون عن اللغة الهزلية .. والذي أوقعه في هذا التناقض هو نقله الخاطئ وغير الأمين عن دارس آخر [2] .

أما تقديم السباعي للشريف الحسين بن علي في تلك الصورة العادية والمتواضعة التي قدمه بها في كتابه (أيامي) فيمكن القول بأنه نحا فيها منحى كاتب الترجمة في العصر الحديث الذي : " لا يحفل بجلالة قدر العظماء ، ولا يسدر بصره ضخامة شهرتهم ... فهو لا يبعدهم عنا كثيراً ، ولا يفرق بيننا وبينهم ، ولا يحاول الخروج بهم من آفاق الإنسانية " [3]

٥- النزعة الشفاهية بتوظيف العبارات الشعبية والتعليمية :

تحمل سيرة السباعي كغيرها من السير الذاتية نزعة شفهية، قوامها البوح المباشر والجهر التلقائي ، وهذان الأمران لايخضعان دائماً : " لإكراهات الكتابة أو لقوانين الصنعة الأدبية ، أو حتى لمنطق الحكي ، وتتجلى هذه النزعة في انعدام التكلف الأسلوبي والتزام مبدأ الصدق " [4]

ففي هذه النزعة تغليب (للصوت) على (الكتابة) .

وهي تتحقق بطرائق مختلفة ، وغايتها وأهدافها تختلف من كاتب إلى آخر .. والسباعي اعتمد في تحقيق هذه النزعة على طرق مختلفة من أبرزها الحوار بانطاق بعض الشخصيات بعبارات وأمثال شعبية وعامية أو تعليمية، أو عن طريق تضمينها لكلامه هو كراو وسارد .. أما الهدف الذي كان يسعى إليه الكاتب بتوظيف تلك العبارات الشعبية والتعليمية فيمكن القول بأنه يتمثل في التشهير بعادات ذلك العهد في التربية وفي التعليم وفي الأيمان بالخرافة .. وغير ذلك، من خلال تشهيره بالعبارات التي تعبر عن تلك العادات الخاطئة تشهيراً كتابياً

---

(١)انظر تاريخ مكة ، ص (٥٩٧ - ٦٢٦)

(٢) د. منصور الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي ، مرجع سابق ، انظره ص ١١٤ ، وقارن بينهما .

(٣) علي أدهم ، على هامش الأدب والنقد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٤٠ .

(٤) رشيد بنحدو : كتابة الماضي بالمضارع ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤ .

.. فالفعل الكتابي لها هنا يمثل نوعاً من الفضح لسلبيات ذلك العهد ، ولكي يتحقق له هذا الهدف نجد أن الكاتب ركّز على اختيار عدد من تلك التعابير التي تنحو في مضامينها منحى سلبياً، ونشير فيما يلي إلى بعض تلك التعابير الشعبية والتعليمية التي وظفها الكاتب في سيرته سعياً لتحقيق الهدف الذي أشرت إليه سابقاً :-

من ذلك قوله على لسان والده وهو يخاطب الفقيه في أمر ابنه / الكاتب فيما بعد :-

"فاللحم لك يا سيدنا (يعني لحمي أنا) والعظم لي .. أنت كسر يا سيدنا وأنا أجبر " (١)

فيمكن أن نعد هذه العبارة مثلاً شعبياً ، كان يتردد على لسان الآباء في حديثهم مع الفقهاء ومعلمي المدارس في تلك الفترة - وإلى فترة قريبة - في بيئتنا المحلية فالوالد يعلن من خلال ذلك التعبير لمعلم ابنه بأن له مطلق الحرية في اتخاذ ما يراه من عقاب لابنه لكي يحثه على التحصيل العلمي .. وهو على الدوام عقاب بدني، وغالباً ما يحرص الطرفان (الأب والمعلم) على أن يشهر هذا الإعلان تحت سمع (الابن / الطالب) وبصره، زيادة في التأكيد على مضمونه ، وقطعاً لما قد يدور في خلد (الابن / الطالب) مستقبلاً من محاولة للاعتراض أو مجرد التظلم من معاملة (المعلم) بحق أو باطل .

فالكاتب بهذا العمل ينتقد الأساليب التربوية في ذلك العهد، ويقدمها لنا عارية مكشوفة ، مستنداً في ذلك على عبارة يمكن أن نعدها بنداً من البنود التي تمثل الخطاب التربوي في ذلك العهد، فهو إذن يدين ذلك الخطاب بنصوص ذلك الخطاب ذاته .

وكقوله مضمناً كلامه عبارة أخرى يدين بها أسلوب التربية :-

" وكانت القاعدة العامة في الكتاب والبيت : (رب ولدك وأحسن أدبه .. ما يموت حتى يفرغ أجله) " (٢) .

فنجده يعلق على هذه العبارة حينما أوردها في موضع آخر فيقول :

" نشط للتربية - يعني والده - وشرع يعد لها من الحبال المفتولة والخشب الجامد والخيزران اللدن ما يكفي لأداء المهمة الشريفة ، فكانت لاتضيع (هللة) من يدي أو ينقلب لوح العيش من على رأسي ... حتى يحيل والدي الأمر إلى الحبل المفتول ، والخشبة الجامدة ، دون أن يسمح لي بكلمة واحدة أدافع بها عن نفسي ... " (٣)

---

(١) أيامي ، ص ١٣ .

(٢) أيامي ، ص ١٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

وهاك عبارة ثالثة ضمنها كلامة ليواصل بها نقده لأساليب التربية في ذلك العهد حيث إن من مبادئها كما يقول :

" من علمني حرفاً صرت له عبداً عقيدة لا يصح التهاون بها . " [1] ولو انتقلنا إلى مجال التعليم وأساليبه لوجدناه يوظف عبارات أخرى ، مستقاة من ذلك المجال، سعى من خلالها لتحقيق الهدف الذي يرمي إليه كقوله عن عريف كتابه بأنه كان :

" يهيب بنا لنحاكيه فيما يقول، ونردد حروفه التي يلفظها (ألف لا شيون عليها .. والباء واحدة من تحتيها) في نغم مرتل وأصوات ممدودة عالية " [2] فهو هنا يدين الأسلوب التعليمي لذلك العهد القائم على التلقين والاستظهار من خلال الخطاب التعليمي ذاته ، ونجده يجلي هذه الإدانة في موضع آخر ذكر فيه العبارة السابقة يقول :

" أما نصيبي من خدمة الفقيه في الكتاب ، أو السوق أو البيت فكان يصادق في نفسي هوى .. كان لي بمثابة استجمام استمتع فيه بمالم يتهيأ لي مثله وأنا مكب على تلويح رأسي بين الصعود والهبوط في زمرة أندادي ونحن نصيح على وتيرة واحدة (أليف لا شيون عليها والباء واحدة من تحتيها) وأبصارنا عالقة في خطوط رسمها العريف في ألواحنا ، لا ندري منها (الاليف) ولا نفهم معنى الشيون الذي لا يكون عليها ، أو الواحدة التي تكون من تحت الباء " [3] .

أما نتيجة هذا التلقين الببغاوي الذي دام عاماً كاملاً فقد كانت متمثلة في نهاية ساخرة :

" وكان لا يسئ أبي شيء ما يسيئه سؤال الناس لي عن سورتي بعد عام كامل من دخولي الكتاب ، فكنت أقول : إنها (ألف لا شيون عليها) دون أن استشعر الخجل فيما أقول " [4]

وبانتقاله إلى مرحلة ما بعد (الألف لا شيون عليها) من مراحل الكتّاب ، نجده يلاحق أسلوب ذلك التعليم بالإدانة والسخرية ، فها هو يحدثنا عن مرحلة تعليمية جديدة فيوظف لذلك عبارة جديدة يقول :

" حتى انتهت من حروف الهجاء ، وشرعوا يكتبون لي في اللوح شيئاً جديداً يسمونه : (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) . ولم يرهق بلادتي شيء ما أرهقتها هذا الدرس ، فقد كان يتعذر عليّ إخراج الحروف من مخارجها ... " [5] .

---

(١) أيامي ، ص ١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٣) أيامي ، ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠

ثم يعلق على هذه العبارة بقوله :

" كنت أتساءل أهي كلمات عربية تؤدي مفهوماً خاصاً يتدرج فيه الطفل إلى ما بعده من دروس ؟ أم هي رطانة أعجمية، أقحمتها الكتاتيب لتضمن قيمة جهودها أمام زبائنها من أولياء أمور الطلبة ؟ أم هي أسماء لنفر من الجن الصالحين يتعين على الصغير استظهارها تيمناً بما فيها من صلاح أو بركة، قلت هذا (لستي)مرة وكانت شغوفة بترديد مثل هذه الكلمات على أنها أسماء لبعض ملوك الجن ... قلت أسألها عن الأبجدية الهوزية وعلاقتها بتعليم الأطفال فاستهجنت مني هذه الصفاقة وقالت : (احنا ناس كنا نسمع زي ما يقولوا الكبار) ... واستطاع بعد هذا عريفي أن يضع يدي على رأي الكتّاب في الأبجدية الهوزية، فقد اجتمعت به بعد أن اكتهل ، وكنت في زهو شبابي وسألته فقال لي : إن هذه الأبجدية تجمع حروف الهجاء وعددها ٢٨ بالتمام والكمال ، قلت : إن هذا لم يغب عني وأنا في هذا السن ... ولكن المسألة في رأيي في مكانها الأول لأني لم أفهم بعد علاقتي كطفل بهذه الرطانة !! فلم يزد عن أن رماني بنظرة شزراء ... " [١] .

أما النتيجة النهائية لهذا الأسلوب التعليمي العقيم فقد أشار إليها الكاتب من خلال استعارته لعبارة تنتسب إلى ذلك العهد يقول :

" وبذلك قضيت في كتّاب زقاق الشيش نحو سنتين، حشوت فيها واعيتي بالكثير الذي حفظته كنتيجة للتكرار المستمر أما الحروف فلم أتبين من حقائقها ما يميزها عن بعضها، وأعني ذلك أنني (لم أفك الحرف) في لغة ذلك الزمان " [٢] .

ومن ذلك تلك العبارة التي ترد على لسان (الفقيه) والتي يرد بها على السباعي التلميذ حينما كان يحاول الأخير الاستئذان للخروج من قاعة الدرس ويلح في ذلك، والفقيه يرفض طلب في كل مرة : " فإذا أعاد الرفض أعدت الطلب .. وربما (شخط) في وجهي : (أقعد يا بن الحطبة ، والله منت خارج حتى تخلص تسميعك) ... " [٣]

وهذه لفظة عامية أخرى بقيت محتفظة بها ذاكرة الكاتب منذ عهده بالكتّاب ، فوظفها هنا لتحقيق الهدف الذي سبقت الإشارة إليه ، يقول :

" حتى إذا فرغ الحفل صاح سيدنا في كتابه (فيدوس يا أولاد)، والفيدوس كلمة لا أفهم إلى

---

(١) أيامي ، ص (٢٠ - ٢١)

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ ,

(٣) أيامي ، ص ٢٤ .

اليوم معناها، ولكني كنت أعلم وأنا طفل أنها تعني الانطلاق من أسر الكتاب طوال سحابة ذلك اليوم " [١] .

فهو هنا يشير إلى سلبية تلك اللفظة بعد فهمه لمعناها لا في زمن الحكاية ولا في زمن الكتابة ...

ويبدو أن هذه اللفظة معربة عن التركية وتعني الأذن بالانصراف إذ لم أجد لها معنى يشير إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد [٢] إلا ما جاء في المنجد إذ يقول : " أفدس الرجل صار في بيته أو على بابه " [٣]

وإذا انتقنا إلى إدانته للخرافات والشعوذة في ذلك العهد فنجده يجسد ذلك من خلال تصويره لشخصية (سته / جدته) وسذاجتها المتمثلة في إيمانها بكثير من الخرافات ، وانطلاقاً من هذا وظف بعض العبارات الشعبية التي كانت تتردد على لسان جدته لتفصح عن تلك السذاجة:

فهو مثلاً حينما كان يبدي اعتراضاً (وهو صبي) بسؤال أو تعليق أو نحو ذلك على بعض القصص الخرافية والشعوذات التي كانت تحكيها له جدته ، يكون رد فعلها على عمله ذلك بأنها : " تصرخ في وجهي مستاءة : (يا ولدي لا تعترض تنطرد) " [٤] وكفرضها على كل من يخلع سناً من أحفادها أن يرمي بها إلى وجه الشمس وهو يهيب : " يا شمس يا شموسة خذي سني .. وأعطيني سن العروسة !!) [٥] .

كما تتمثل تلك السذاجة حينما كان يصلح لها الكاتب وهو صبي نطق آيات من القرآن الكريم، كانت ترددها خطأً حيث كانت كما يقول : " تسمع مني ، ثم لا تلبث إذا أعياها إخراج الحروف كما انطقها أمامها أن تطردني : (قم يا واد ربك رب قلوب !) ... " [٦] .

ومعاناة الكاتب في طفولته لمثل هذه السلوكيات الخاطئة التي عبرت عن بعضها تلك العبارات، دفعته فيما بعد إلى نقدها والتعريض بها كتابة من خلال مقالاته الاجتماعية التي كان ينشرها بصوت الحجاز -(ومثل ما فعل الآن في سيرته) - ولكن المجتمع عد ذلك اعتداء على شيء له مكانة عالية في نظر كثير من أفراده المؤمنين بمثل تلك السلوكيات، وما الكتابة

---

(١) أيامي ، ص ٢٦ .

(٢) انظر مادة (فدي) ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ١٥٩/٦ . ، القاموس المحيط ، مرجع سابق ، ٢/ ٣٤٤ .

(٣) المنجد ، مرجع سابق ، ٥٧٢ .

(٤) أيامي ، ص ٥٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

عنها في نظرهم إلا نوع من التشهير ، حيث كان - كما يقول الكاتب - : " يصرخ بي الصارخ ، وأنا أمشي في عرض الطريق على أثر كلمة نشرتها انقد فيها بعض تقاليدنا : (ياجماعة فضحتونا الله يفضحكم .. احنا ناس عشنا مستورين .. الناس تقدرنا وتقدر بلدنا والحجاج يقدسونا ؛ حتى جيتونا بفضايحكم يا شباب .. عسى النار تشب فيكم ونستريح منكم)"[١] .

والحقيقة أن هذا النص الذي سجله الكاتب هنا يقوم بوظيفتين متناقضتين في وقت واحد فهو بداية يمثل إدانة من المجتمع للكاتب ولكن لو تأملنا فيه لوجدنا أن كاتبه في الحقيقة يدين من خلاله مجتمعه الذي أدانه على نقده لسلوكياته الخاطئة ...

وبالتالي فهذه العبارات التي سبق عرضها ، تحمل طاقة شعورية لها إيحاؤها ومذاقها الخاص ، وتأثيرها في تكثيف الدلالة المرتبطة بالمواقف التي تعبر عنها، فهي جزء من التقاليد الشعبية التي توارثها الناس وحلت في نفوسهم محل القيم المتوارثة .

فالكتاب : " أبناء عصرهم ، ويكتبون لجماهير زمانهم ، ولذلك فهم أميل إلى الكتابة بالمدلولات وانطلاقاً من المواقف السائدة في أيامهم ... " [٢] فبعض العبارات التي أوردها الكاتب في سيرته كما مر بنا والتي تعتمد في الأصل على النطق لا على الكتابة تدخل تحت ما سماه أحد الباحثين : (بالرطانة العامة) والتي تتسم أساليبها :-

" بالحيوية والملاحة وقوة التعبير ، طبقاً لمواقف توظيفها ، وبيئة مستخدميها ... " [٣] حيث أن أبرز ما يميزها :

" أن المجاز يلعب دوراً مهما في تكوين أساليبها وعباراتها ومصطلحاتها ، بحيث يصعب على غير أهلها استيعاب معانيها بسهولة ... " [٤]

---

(١) أيامي ، ص ١٠٩ .

(٢) مندلاو ، الزمن والرواية ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

(٣) ، (٤) د. كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي مدخل ، دار غريب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٧م ، ص ٢١٤

٦) - **توظيف علامات الترقيم :**

أصبح الترقيم في العصر الحديث " أحد العناصر الحاسمة في إنتاج جماليات النص الأدبي البصرية والأسلوبية ، ورغم أنها مسألة قد تبدو شكلية بعض الشيء إلا أنها عنصر أساسي من أجل بعث النظام في فوضى النص " (١) .

ومن ثم أمسى الترقيم في الغرب اليوم : " مستحوذاً على اهتمام نحاة ومؤرخين ولسانيين لا يحصون عدداً [بسبب] ماله من صلات وثيقة بالكلام التلقائي ، وبالقراءة والكتابة ، وبالدلالة والتركيب والأسلوب ، وبالتفكير والمنطق " (٢) .

وحينما نعود إلى سيرة الكاتب نجده يستخدم بعض علامات الترقيم استخداماً واعياً ويوظفها توظيفاً فنياً، لإنتاج دلالات معينة حيث تصبح عبارة عن : " ألفاظ بلا ألفاظ " (٣)

ومن تلك العلامات التي استخدمها الكاتب في سيرته علامة الحذف والتي تأتي في هيئة نقط (...) .

وهذه العلامة يلجأ إليها الكاتب لغرض ما، بلاغي أو أخلاقي أو نحو ذلك ، ومن أمثلة استخدام الكاتب لها ما جاء في قوله على لسان والده حينما كان يخاطب فقيه الكتّاب في أمر ابنه :- " رجاه أن يعنى بي ، وألا تأخذه خشية في تربيتي .. " فاللحم لك يا سيدنا (يعني لحمي أنا) والعظم لي .. أنت كسر يا سيدنا وأنا أجبر " (٤) . لا حظ النقطتين بعد جملة (تربيتي) وبعد جملة (العظم لي) فهي فيما يبدو لي توحي بأن الكاتب اختزل من خلالهما حديثاً طويلاً يتردد صداه في نفسه منذ الطفولة ، ولم يكن ليستطيع أن يعبر عنه آنذاك عند سماعه لهذه العبارة، ثم يعود هنا (كاتباً) فلا يستطيع أن يبوح به أيضاً، لا لمانع يمنعه كما كان في طفولته، ولكن ربما رأى أن التعبير عنه الآن لا يفيد بقدر ما سيزيد في نفسه من الحسرة والألم، فهنا يتحقق ما يسمى ببلاغة الصمت حيث يصبح :

" ترك الذكر افصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تبن ... " (٥) .

---

(١) د. عبد الستار العوني ، الترقيم في اللغة العربية ، مجلة العربي ، الكويت ، ع ٤٢٦ ، س ٣٧ مايو ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٧ .

(٢) د. عبد الستار العوني ، مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم ، مجلة (عالم الفكر) المجلد السادس والعشرون ، ع ٢ ، ١٩٩٧م ، ٢٦٥ .

(٣) د. عبد الستار العوني ، مقاربة تاريخية ... ، ص ٢٩٧

(٤) أيامي ، ص ١٣ .

(٥) ابن الأثير ، المثل السائر ، مرجع سابق ، ٢/ ٣١٦ .

وكأني بالكاتب حينما كتب عبارته تلك توقف عن الكتابة، ليتنهد حسرة وألما على تلك المرحلة من طفولته ، ثم اختزل ما قد يصدر عنه من كلام بفعل ذلك التنهد وتلك الحسرة في نقطتين نفس من خلالهما عن كل ذلك الكلام الذي يريد أن يقوله .. كما يمكننا القول بأن ذلك الكلام الذي كان يتردد في داخله كان كلاماً لا يتوافق مع لغة الكتابة، وما تتطلبه من قواعد أي أنه كلام لا يعبر عنه إلا بنزعة شفهية قوامها البوح المباشر والجهر التلقائي عبر عنه الكاتب من خلال ذلك البياض .. فيبدو أن العائق هنا عن الكتابة كان عائقاً نفسياً إلى حد بعيد .

وقد يمتنع الكاتب عن الكتابة بفعل عائق نفسي وأخلاقي واجتماعي في وقت واحد فتشيع في كتاباته البياضات نحو قول الكاتب عن والده :

" كان رحمه الله يسألني أن أطلعه على خطي ، فكنت أقدم إليه سطراً مكتوباً بيد الأستاذ يسمونه (مشقاً)، وهو كناية عن نموذج يعطى لنا لتحسين خطوطنا على غراره ، كما تعطى كراسات الخط لتلاميذ اليوم . كنت أقدم له هذا (المشق) مدعياً أنه خطي فلا يكاد يلقي نظره حتى يرميه في وجهي متبرماً (هادا يا واد خط عفاريت مو خط ناس يتعلموا في مدرسة !! بكرة تشوف إن فلحت تعال (. . . .) على قبري ... - إلى أن يقول - : وهكذا أقوم وفي نفسي ألف كلمة ، أتمنى لو أستطيع أن أقولها ولكنه ... أبي !! " [1] .

فأحياناً يرى الكاتب أن في الكلام الذي يريد أن يقوله جملاً : " يقبح ذكرها ، ويرى التغاضي عنها ، فيحذفها ويكتب مكانها علامة الحذف " [2] .

كما أن هذه البياضات تحقق ما يسمى بدرجة صفر في الكتابة ،وهي تلك التي يقدم فيها الكاتب : " ببساطة مادة يترك للقارئ أن يركب منها ما يشاء من نصوص ... " [3]

كما يلحظ أن الكاتب استخدم علامة الحذف المتمثلة في هيئة نقط ، عند ذكره لأسماء بعض الشخصيات التي وردت في سيرته، ولم يستطع التصريح بأسمائها لسبب أو لآخر ، وسبق أن أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن تقنية التشخيص بالأسماء [4] .

ومن هنا يمكن أن نؤكد أمراً آخر في ختام هذه النقطة استناداً على تلك البياضات الواردة

---

(١) أيامي ، ص (٣٥ - ٣٦)

(٢) عبد العليم إبراهيم ، الإملاء والترقيم في الكتابة العربية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٠٤ .

(٣) د. السيد إبراهيم ، نظرية الرواية ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٤) وانظر أيضاً أيامي ، ص ٤٤ ، ٦٤ .

في سيرة الكاتب، يتمثل في أن الكاتب حينما كان يكتب سيرته كان واقعاً تحت تأثير تـــهديدات مختلفة (نفسية واجتماعية وأخلاقية) حاول أن يواجهها قدر استطاعته .

كما يلحظ أن الكاتب يستخدم علامة الحذف وبكثرة في مقاطع الحوار التي شملتها ســيرته[١] فالمكتوب هنا يحيل إلى المكبوت وذلك أنك حين : " ترفض أن تتكلم فأنت مضطر حينئذ إلــى الكلام عن رفض الكلام " [٢] .

ومن علامات الترقيم التي استخدمها الكاتب في سيرته والتي تدل على حرصه على دقـــة التعبير علامة التعجب والاستنكار والحيرة [!!] .

ومر بنا نماذج لها [٣]

واستخدامه لعلامات التنصيص والأقواس : [( )] وحرص أن يضـــع بداخلــها الكلمــات والعبارات العامية والشعبية على مستوى السرد والحوار [٤] .

ومن ذلك استخدامه لعلامة الاعتراض [–] إما للشرح والتوضيح أو للاستدراك [٥] ومــن ذلك استخدامه لعلامة الاستفهام في نهاية النص الذي يشتمل على سؤال حواراً كان أو سرداً[٦]

وغير ذلك من علامات الترقيم التي أصبحت ضرورة حتمية في النص الحديث اقتضاها : " انتقال الإنسانية التدريجي من ثقافة الصوت والأذن إلى ثقافة العين والكتاب " [٧]

---

(١) وللمزيد من النماذج لتلك البياضات في سيرة الكاتب انظر مثلاً ص ، ١٧ ، ٤١ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ..

(٢) سعيد الغانمي ، الكنز والتأويل ،قراءات في الحكاية العربية، المركز الثقــافي،العربــي بــيروت، ط(١) ١٩٩٤م ص٨٧ (بتصريف) .

(٣) وانظر أيضــاً أيــامي ، ص ١٦ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٩٦ ، .. الخ .

(٤) انظر أيــلمي ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٦، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ – ٢٥ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٨٧ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ .

(٥) انظر أيامي ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٤ ، ١٠٤ .

(٦) انظر أيامي ، ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٢ .

(٧) د. عبد الستار العوني ، مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

الخاتمة

الخاتمة

جاء هذا البحث في تمهيد وبابين بفصولهما الخمسة، ليكشف لنا عن أبـــرز ملامح حياة أحمد السباعي وأدبه. ففي التمهيد عرضت لحياته ونشـــأته وأبـــرز أعماله ودوره الصحفي ومشروعه المسرحي وبينت بعض صفاته وذكرت أبـــرز الجوائز التي حصل عليها مع تصحيح بعض المتداول عن حايته خطأً .

ثم درست في الفصل الأول من الباب الأول مقالاته بدأً بالوصفية منها فعرضت بالتفصيل لنموذج متكامل له في وصف الطبيعة وآخر في وصف الرحلة، كشـــفا لنا عن براعته في هذا الجانب، ثم عرجت على مقالاته السياسية والتي كشف لنا البحث من خلالها عن أسلوب متميز في طرح الكاتب لبعض القضايا السياســـية التي تناولها في مقالاته، ثم كانت وقفتي الثالثة وقفـــةً مطولـــة عنـــد مقالاتـــه الاجتماعية فحاولت الدراسة أن تجلي فكر الكاتب وأسلوبه وأداته وأبرز القضايا الاجتماعية التي عرض لها، فقمت بتحليلها وتصنيفها في نقاط محددة، فـــأصلت الدراسة ما عرف عن الكاتب في هذا الباب وأضافت إلى ذلـــك أشـــياء جديـــدة وتوخيت في استشهادي بنصوصه في هذا المقام أن يكون عرض تلك النصـــوص تاريخياً بقدر الإمكان، فبدأت بالمقال الأقدم فالأحدث وذلك بهدف التدليـــل علـــى نشأة الفكرة ثم تطورها في ذهن الكاتب مع مرور الزمن، كما أن ذلك يوقفنا على مدى تقدم أو تأخر أسلوب الكاتب، إضافةً إلى ما يلقيه على عمل الكـــاتب مـــن أضواء كاشفة تفسر مضمون المقال من خلال ربطه بتاريخ نشره، أما المقالـــة التاريخية فحاولت الدراسة أن تبرز هذا الجانب المتميز في أدب الكاتب اعتمـــادا بالدرجة الأولى على كتابه (تاريخ مكة) ، ثم كانت وقفتي الأخيرة عنـــد مقالتـــه الدينية وكانت وقفةً سريعةً اقتضتها المادة القليلة التي ضمتها مقالاته في هـــذا الباب.

أما الفصل الثاني فقد أوقفته لدراسة أبرز الخصائص الموضوعية والفنية التي تميزت بها مقالاته ومن ثم كشف لنا هذا الفصل عن حقائق موضوعيـــة عـــدة،

وعن ميزات فنية وأسلوبية كثيرة، لا سيما فيما يتعلق بتوظيف الكاتب لعناوين كتبه توظيفاً فنياُ يدل على وعيه وتملكه لأدوات الكتابة الفنية.

أما الباب الثاني والذي خصص لدراسة الإنتاج السردي للكاتب فقد أبان لنا فصله الأول المعقود لدراسة رواياته عن ريادة الكاتب في هذا المجال في الأدب العربي السعودي ريادةً من حيث الأداة والأسلوب والطرح والمعالجة، وحاولت الدراسة أن تتلمس المصادر التي أفاد منها الكاتب تراثيةً ومعاصرة، وتتلمس الاتجاه الفني الذي سارت عليه وتمثل في الاتجاه الرومانسي، وأن تنص في الوقت نفسه على أصالته، ونهجت الدراسة في هذا الباب- ومنه هذا الفصل- إجمالاً نهج الدراسات السردية الحديثة من حيث تناولها للعمل السردي بعناصره المتعددة.

وفي الفصل الثاني درست القصص القصيرة للكاتب فسارت الدراسة فيه على خطى الدراسات السردية الحديثة مبرزة الجوانب الفنية في قصصه إيجاباً وسلباً موضحةً الاتجاه الفني الذي سارت عليه أغلب تلك القصص والمتمثل في الاتجاه الواقعي، جامعة بين ملمحين من ملامحه وهما: التسجيلي والتحليلي.

ثم كان الفصل الثالث والأخير خاصاً لدراسة السيرة الفنية الذاتية للكاتب، فشملت جوانب عدة تاريخية وموضوعية وفنية، ومن ذلك محاولتها تلمس أبرز ملامح شخصية الكاتب اعتمادا على ما ورد في سيرته الذاتية ، مع تركيزها على الجوانب الفنية والتي أبانت لنا وبشكل واضح عن براعة الكاتب وتميزه بحق في هذا الجانب، خلافاً عن ريادته لهذا الفن في الأدب العربي السعودي.

أما خلاصة البحث وأبرز نتائجه فيمكننا أن نجملها في النقاط التالية:

ـ كشف البحث عن الشخصية المدروسة وآرائها في مختلف الجوانب، والجهد الذي بذلته والنصب الذي عانته في سبيل نشر آرائها الإصلاحية والأخذ بيد مجتمعها إلى طريق النهوض والتقدم، وهكذا بدا لنا أحمد السباعي مشعلاً أنار جوانب عدة كانت مظلمة في مجتمعه، ومن هذا المنطلق فإن مجتمعه (لأياديه البيضاء) سوف يذكره دائماً فقد انتفعت بلاده بأفكاره المتعددة في مختلف المجالات.

ـ وكما كشف البحث عن تأثر الكاتب فقد أبان عن أصالته على مستوى الطرح والمعالجة للقضايا التي عرض لها وعلى مستوى الأداة والطريقة والأسلوب الذي طرحه بها وعالج تلك القضايا، ومن ثم نصت الدراسة على ريادات الكاتب في هذا الجانب طرحاً وأسلوباً وتقنية فنية في مختلف الأجناس، وبالتالي أبرز البحث المكانة المتميزة للكاتب في الأدب العربي السعودي.

ـ بين البحث بأن الهم الفكري الذي كان يشغل الشخصية تمثل في (تقدم الوطن ونهوضه) وهذا تجلى في كل ما طرحته بمختلف أشكال ذلك الطرح (مقالة، رواية، قصة، سيرة ذاتية) فالغاية من الأدب عند السباعي هي الفائدة، ولهذا لحظنا أن مجمل كتاباته بمختلف أجناسها يجمعها خيط فكري واحد، وفي هذا أكبر دلالة على أن الكاتب كان يكتب ما كتبه بقناعة، وبأنه يحمل هماً واحداً يتمثل في رغبته في تقدم وطنه واستعادته لمجده الأثيل، وعليه لم تكن كتاباته مرتبطة بهوى أو بنزعة حماسية لا تلبث أن تخمد عندما يضعف ذلك الحماس أو يتبدل ذلك الهوى.

ـ وبإيجاز: كشف البحث بأن السباعي الأديب كان رجلا موهوبا، وكاتبا جيدا، وقاصا ماهرا ، كما كان السباعي الإنسان عصاميا ، صادقا ، ذا فكر ثاقب ونظر بعيد، وجلد لا حد له، وإصرار على البروز والتميز ، جاهد جهادا كبيرا في سبيل نهوض مجتمعه.

ـ وأخيرا يمكن القول بأنه إذا كان في هذه الدراسة من المتواتر المعروف عن أحمد السباعي إنسانا وأديبا قدرما، ففيها قدر أكبر من الجديد الذي قدمته ، حيث هناك من المعروف عن الكاتب وبدا ناقصا فأكملته ، وهناك من المعروف عنه أيضا وبدا فيه شيء من الانحراف فعدلته ، وهناك من المجهول عن الكاتب فأبرزته وفصلته ولا سيما فيما يتعلق بأدبه ، مدعمة كل ذلك بنصوص نقدية متعددة ومختلفة باختلاف مباحث الدراسة وتنوعها. وربما أكون في بحثي هذا قد أثرت العديد من الأسئلة بقدر ما أجبت عنها .

ـ وإذا كان من توصية في ختام هذه الفقرة فإن الباحث يدعو من يهمه الأمر إلى إعادة طبع مؤلفات الكاتب وخصوصا القديمة منها (كسلم القراءة وفلسفة

الجن ويوميات مجنون) وحبذا لو جمعت جميع أعماله في إصدار واحد مضافاً إليها مقالاته في الصحف والمجلات والتي لم تجمع والتي أسهم البحث في تسهيل الوصول إلى أغلبها من خلال الملحق الخاص بها والذي ضمته هذه الدراسة، ليعطي ذلك الإصدار فكرة شاملة عن مجمل كتاباته وأفكاره.

ـ وبعد فإذا كانت هناك كلمة أخيرة لا بد أن تقال فلتكن حول جوانب النقص الكثيرة ولا شك التي تعتري هذا العمل ، فلا ازعم أنني أتيت في هذه الدراسة على كل ما يمكن قوله في شخصية أحمد السباعي وأدبه، ولكن حسبي أني بذلت الجهد واستفنذت الطاقة في الحصر والاستيعاب.

والله أسأل العون والرشاد وله الحمد من قبل ومن بعد .

ملحق بمقالات

الكاتب في الصحف والمجلات التالية:

١-صوت الحجاز.

٢-البلاد السعودية.

٣-الندوة.

٤-مجلة قريش.

٥-مجلة المنهل.

مقالاته في: (صوت الحجاز):

السنة الأولى ١٣٥١هـ

١- المدنية الحقة، ع٢١، في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٥١هـ، ص ٧+٨.

٢- الحذر الحذر!! أن تضيع كرامة الحجاز، ع٢٢، في ٤ جمادى الأولى، ص٧+٨.

٣- مستقبل التلميذ من هو المسؤول عنه؟، ع٢٦، في ٢جمادى الثانية ١٣٥١هـ، ص٧

٤- العائلة مدرسة الطفل الأولى، ع٢٨، في ١٦ جمادى الثانية ١٣٥١هـ، ص٧.

٥- في عالم الخيال: العقبات الثلاث، ع٣٠، في ١رجب ١٣٥١هـ، ص٦+٧.

٦- هواجس مريض، ع٤٢، في ٢٧ رمضان ١٣٥١هـ، ص٢+٨.

٧- في الميزان: الفرسان الثلاثة الغربال -راسم- المنسف، ع٤٩، في ١٦ ذي القعدة، ص٥+٨.

٨- بمناسبة الفحوص في المدارس وظيفة المختبر -وظيفة المعلم، ع٥٠، في٢٣ ذي القعدة، ص٥.

٩- مشاهادات وتذكارات في الحج، ع٥٢، في ١٥ ذي الحجة ١٣٥١، ص٢.

السنة الثانية ١٣٥٢هـ

١- أيا موت زر إن الحياة ذميمة، ع٦٣، في ٤ربيع الأول ١٣٥٢هـ، ص٤.

٢- الطفل مظلوم فهل ننصفه؟؟، ع٦٩، في ١٦ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ، ص٢.

٣- مدارسنا نهيئ التلميذ للوظائف الكتابية فهل يكفي، ع٧٣، في ٢٢ جمادى الثانية، ص٢.

٤- مدارسنا نهيئ التلميذ للوظائف الكتابية فهل يكفي، ع٧٤، في ٢٢ جمادى الثانية، ص٢.

٥- مدارسنا (٣)، ع٧٦، في ٦ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ، ص٢.

٦- مدارسنا (٤)، ع٧٧، في ١٣ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ، ص٢.

٧- مدارسنا (٥)، ع٧٨، في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ، ص٢.

٨- مدارسنا (٦)، ع٧٩، في ٢٧ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ، ص٢.

٩- مدارسنا (٧)، ع٨٣، في رجب ١٣٥٢هـ، ص٢.

١٠- مدارسنا ، ع٨٥، في ١٠ شعبان ١٣٥٢هـ، ص٤.
١١- من الأسلوب التمثيلي (تاريخ آداب العرب)، ع٩٩، في ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٢، ص٣.

السنة الثالثة ١٣٥٣هـ

١- الأدب النسوي في الحجاز، ع١٠٨، في ٧ صفر ١٣٥٣هـ، ص٣.
٢- الطائف مدينة الماء والهواء، ع١٠٩، في ١٤ صفر ١٣٥٣هـ، ص٣.
٣- شعور المسلمين نحو معقل الإسلام وفود المسلمين تجيب داعي الله هل يسمع من في اليمن، ع١٠٩، في ١٤صفر ١٣٥٣هـ، ص١.
٤- ما يمنع العدو أن يكون شريفاً، ع١١٠، في ٢١ صفر ١٣٥٣هـ، ص١.
٥- مشكلة المشاكل بين فرنسا وألمانيا هل تقوم مسألة "المسار" فنعيد الحرب جدعة..؟ ع١١١ في ٢٨ صفر، ص ١+٤.
٦- تركيا الحديثة تتسلح، ع١١٢، في ٦ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، ص١.
٧- هل تهزم مبادئ غاندي في الهند، ع١١٣، في ١٣ ربيع الأول، ص١.
٨- موسيليني وهتلر يشكلان جبهة مقابل جبهة فرنسا وحلفائها فماذا ننتظر؟؟ ع١١٤، في ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، ص١.
٩- القضية المصرية بين أمس واليوم، ع١١٥، في ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٣هـ، ص١+٣.
١٠- زيارة شاه إيران لتركيا هل يستفيد الشرق منها؟؟ ع١١٦، في ٤ربيع الثاني ١٣٥٣هـ، ص١.
١١- ماذا بين العراق وإيران، ع١١٧، في ١١ربيع الثاني ١٣٥٣هـ، ص١.
١٢- ألمانيا بعد خمود الفتنة هل من جديد في داخلتها؟ ع١٢١، في ٨جمادى الأولى ١٣٥٣هـ، ص١.
١٣- أمريكا واليابان ترقصان على بركان ثائر، ع١٢٢، في ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ، ص١+٤.
١٤- (١) الروس على حدود منشوريا، ع١٢٣، في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ، ص١

(٢) هل تندفع اليابان إلى الحرب، العدد نفسه، والصفحة نفسها.
١٥- تعليم المرأة لا يكون مدعاة لفسادها، ع١٢٦، في ١٥ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ، ص١+٢.

١٦- الرسائل المطوية، ع١٢٧، في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ، ص١+٢.
١٧- جواب على سؤال/ كن جميلاً ترى الوجود جميلاً، ع١٤٥، في ٧ ذي القعدة ١٣٥٣هـ، ص٣.
١٨- الرسائل المطوية، ع١٤٧، في ٢١ ذي القعدة ١٣٥٣هـ، ص١+٤.
١٩- الرسائل المطوية، ع١٤٨، في ٢٨ ذوالقعدة ١٣٥٣هـ، ص١.
٢٠- "يريدون أن يطفئوا نور الله"، ع١٥٠، في ٢ ذوالحجة ١٣٥٣هـ، ص١+٣.

السنة الرابعة ١٣٥٤هـ

١- الرسائل المطوية (حذار أن تكون ضعيفاً)، ع١٥٨، في ٢٥ صفر ١٣٥٤هـ، ص١.
٢- الرسال المطوية، ع١٦٣، في ١ربيع الثاني ١٣٥٤هـ، ص١.
٣- الرسائل المطوية، ع١٦٨، في ٦ جمادى الأولى ١٣٥٤هـ، ص١+٤.
٤- أشواك وأزهار في الراديو، ع١٧٤، في ١٩ جمادى الثاني ١٣٥٤هـ، ص٢.
٥- ملاحظات حرة (أوراق العيد)، ع١٨٨، في ٢٨ رمضان ١٣٥٤هـ، ص١+٣.
٦- على هامش أوراق العيد (١)، ع١٨٩، في ١٢ شوال ١٣٥٤هـ، ص٤.
٧- على هامش أوراق العيد (٢)، ع١٩٠، في ١٩ شوال ١٣٥٤هـ، ص٤.
٨- "إلى المازح المتجني" "رد السباعي على مقالات عزيز ضياء"، ع١٩٠، في ١٩ شوال ١٣٥٤هـ، ص٤.

السنة الخامسة ١٣٥٥هـ

١- ملاحظات حرة -ترميم المساجد- تشجيع الطيران- بين الأدباء والقراء، ع٢٠٩، في ١٢ ربيع الأول ١٣٥٥هـ، ص١+٢.
٢- ملاحظات حرة على هامش ابن عبدالمقصود، ع٢١٤، في ١٧ جمادى الثانية ١٣٥٥هـ، ص١+٢.
٣- مشروع القرش صفحة جديدة في تاريخ البلاد، ع٢١٧، في ٩جمادى الأولى ١٣٥٥هـ، ص١+٢.
٤- فليسجل التاريخ، ع٢١٨، في ١٦ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ، ص٢.

٥- الحجاز يمر إلى اليوم في ستة أدوار تاريخيه، ع٢٣٩، في ٢٢ شوال ١٣٥٥هـ، ص١.

٦- الحجاز يمر إلى اليوم في ستة أدوار تاريخيه، ع٢٤٠، في ٢٩ شوال ١٣٥٥هـ، ص١+٤.

٧- التاريخ التاريخ، ع٢٤٤، في ٢٧ ضو القعدة ١٣٥٥هـ، ص١+٥.

السنة السادة ١٣٥٦هـ

١- قرش!! قرش!! ع٢٤٥، في ٥ ذوالحجة ١٣٥٥هـ، ص١١.

٢- أم جميل، ع٢٤٨، في ٣ محرم ١٣٥٦هـ، ص١+٤.

٣- على ضفاف النيل (١)، ع٢٥٢، في ٢صفر ١٣٥٦هـ، ص١.

٤- في الراديو "مدينة لفلوف" زاوية "فكاهات"، ع٢٥٣، في ٩صفر ١٣٥٦هـ، ص٢.

٥- على ضفاف النيل (٢)، ع٢٥٣، في ٩ صفر ١٣٥٦هـ، ص٢+٦.

٦- على ضفاف النيل (٣)، ع٢٥٤، في ٩صفر ١٣٥٦هـ، ص١+٣.

٧- في الراديو "فكاهات" سرف المطوفين، ع٢٥٤، في ١٦صفر ١٣٥٦هـ، ص٣.

السنة السابعة ١٣٥٧هـ

١- المفتشون والتأليف المدرسي، ع٣٢٢، في ٥ رجب ١٣٥٧هـ، ص١+٤.

السنة الثامنة ١٣٥٨هـ

١- الحج إلى بيت الله الحرام، ع٣٢٤، في ٢ ذوالحجة ١٣٥٧هـ، ص١+٥.

٢- كتاب الهجاء الحديث لماذا يخالف طرق التربية الحديثة، ع٣٨٢، في ٣٠ربيع الثاني ١٣٥٨هـ، ص١+٣+٤.

٣- الرسائل المطوية (الجمال والسعادة) (١)، ع٣٩٤، في ١٣ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ، ص١+٣.

٤- الرسائل المطوية (الجمال والسعادة) (٢)، ع٣٩٦، في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ، ص١+٣.

السنة العاشرة ١٣٦٠هـ

١- هكذا تنتهي!!، ع ٥٧٣، في ١٨ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ، ص٢.

مقالاته في جريدة البلاد السعودية:

السنة الحادية عشرة

١- مدارسنا "١"، ع٦٣٣، في ٢٢ محرم ١٣٦٦هـ، ص١+ص٣.
٢- مدارسنا "٢"، ع٦٣٥، في ٦ صفر ١٣٦٦هـ، ص١+ص٣.
٣- في ركني، ع٦٣٨، في ٢٧ صفر ١٣٦٦هـ، ص١.
٤- في ركني، ع٦٣٩، في ٥ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، ص٢.
٥- في ركني، ع٦٤٠، في ١٢ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، ص١.
٦- في ركني، ع٦٤١، في ١٩ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، ص١.
٧- في ركني، ع ٦٤٢، في ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٦هـ، ص١.

السنة الثانية عشرة

١- مستقبل التطويف، ع٦٤٣، في ٣ربيع الثاني ١٣٦٦هـ، ص٣.
٢- خطاب مفتوح إلى سعادة مدير المعارف، ع٦٥١، في ٣٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ، ص١.
٣- خطاب مفتوح إلى سعادة مدير إدارة الحج، ع٦٥٢، في ٧ جمادى الثانية ١٣٦٦هـ، ص١.
٤- كلمة ونصف، ع٦٧٠، في ٢٣ شوال ١٣٦٦هـ، ص٤.
٥- كلمة ونصف، ع٦٧١، في ٢٩ شوال ١٣٦٦هـ، ص٤.
٦- كلمة ونصف، ع٦٧٢، في ٧ ذوالقعدة ١٣٦٦هـ، ص٤.
٧- كلمة ونصف، ع٦٧٣، في ١٤ ذو القعدة ١٣٦٦هـ، ص٤.
٨- كلمة ونصف، ع٦٧٥، في ٢٨ ذوالقعدة ١٣٦٦هـ، ص٤.
٩- كلمة ونصف، ع٦٧٦، في ٦ ذوالحجة ١٣٦٦هـ، ص٤.
١٠- ألوان، ع ٦٨٥، في ٩صفر ١٣٦٧هـ، ص١.
١١- ألوان، ع٦٨٦، في ١٦ صفر ١٣٦٧هـ، ص٣.
١٢- من دفاتر المطوفين، ع٦٨٧، في ٢٣صفر ١٣٦٧هـ، ص١.
١٣- من دفاتر المطوفين، ع٦٨٨، في ١ ربيع الأول ١٣٦٧هـ، ص١.
١٤- ألوان، ع٦٨٩، في ٨ ربيع الأول ١٣٦٧هـ، ص٤.
١٥- في مدارسنا، ع٦٩١، في ٢٢ ربيع الأول ١٣٦٧هـ، ص١.

١- بالطو للبيع، ع٦٩٣، في ٦ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ، ص١١، (قصة).
٢- على هامش التعقيب (مدارسنا)، ع٦٩٨، في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ، ص٤.
٣- تعقيب في التعليم أيضاً، ع٧٠١، في ٧ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ، ص٤.
٤- في ركني، ع ٧١٠، ٩ جمادى الثانية ١٣٦٧هـ، ص٤.
٥- في ركني، ع ٧١٥، في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٦٧هـ، ص١.
٦- في ركني، ٧١٨، في ٨ رجب ١٣٦٧هـ، ص٤.
٧- في ركني، ٧٢١، في ١٨ رجب ١٣٦٧هـ، ص١.
٨- في ركني، ع٧٢٦، في ٦ شعبان ١٣٦٧هـ، ص١.
٩- طبع رواية فكرة للسباعي، ع٧٢٧، في ٩ شعبان ١٣٦٧هـ، ص٢.
١٠- في ركني، ع ٧٢٩، في ١٦ شعبان ١٣٦٧هـ، ص٤.
١١- في ركني، ع ٧٣٥، في ٥ رمضان ١٣٦٧هـ، ص٤.
١٢- في ركني، ع ٧٣٩، في ٢٣ رمضان ١٣٦٧هـ، ص٤.
١٣- في ركني، ع٧٤٢، في ٦ شوال ١٣٦٧هـ، ص١.
١٤- في ركني، ع ٧٤٨، في ٤ شوال ١٣٦٧هـ، ص٤.
١٥- إعلان عن قصة فكرة للسباعي، ع٧٦٠، في ١٤ ذوالحجة ١٣٦٧هـ، ص٢+ص٣.
١٦- في الميزان فكرة بقلم العطار، ع٧٦٦، في ٦محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
١٧- فكرة في الميزان بقلم عبدالجبار، ع٧٦٧، في ٩ محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
١٨- في الميزان "٢" فكرة بقلم عبدالجبار، ع٧٦٨، في ١٣ محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
١٩- في الميزان (فكرة) بقلم ضياء الدين رجب، ع٧٧٠، في ٢٠ محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٠- تعقيب على رد (فكرة) لسالم أسعد، ع ٧٧٢، في ٢٧ محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢١- قل كلمتك وامش للعطار، ع٧٧٣، في ٢٩ محرم ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٢- في الميزان (فكرة) لأحمد القاسي، ع ٧٧٥، في ٧ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.

٢٣- عصر النور الذي نعيش فيه للرامز، ع٧٧٦، في ١١ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٤- ٢-فكرة في الميزان للعطار، ع٧٧٧، في ١٤ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٥- في معرض النقد للسباعي، ع٧٧٨، في ١٨ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٦- ٤-فكرة في الميزان للعطار، ع٧٧٩، في ٢١ صفر ١٣٦٨هـ، ص٢+٤.
٢٧- ٥-فكرة في الميزان للعطار، ع٧٨٠، في ٢٥ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٨- صوت النقد (١) فكرة أيضاً لعبد الجبار، ع٧٨١، في ٢٨ صفر ١٣٦٨هـ، ص٤.
٢٩- في معرض النقد: انقد هذا؟ للسباعي، ع٧٨٢، في ٣ ربيع الأول ١٣٦٨هـ، ص٤.
٣٠- صوت النقد ٢-فكرة أيضاً، ع٧٨٣، في ٦ ربيع الأول ١٣٦٨هـ، ص٢.
٣١- نمت يا عيسى أدلج الناس للسباعي، ع٧٨٥، في ١٣ ربيع الأول ١٣٦٨هـ، ص٤.
٣٢- وضع فكرة من الفن القصصي لأحمد القاسي، ع٧٨٦، في ١٧ ربيع الأول ١٣٦٨هـ، ص٤.

السنة الرابعة عشرة

١- عند ما كنت صحفياً، ع٧٩٠، في ١ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ، ص٣.

السنة الخامسة عشرة

١- هؤلاء المجانين ضحايانا، ع٨٩١، في ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٩هـ، ص٦.

السنة السادسة عشرة

١- علمونا ثم زيدونا علماً..، ع٩٤٤، في ٦ ذو القعدة ١٣٦٩هـ، ص١.
٢- ابن سليمان (عالم من مكة)، ع٩٧٨، في ١٤ ربيع الأول ١٣٧٠هـ، ص٤.

السنة العشرون

١- المرتزقة في المسجد الحرام، ع٢١٩٠، سنة (٢٠) ٢٣ ذوالقعدة ١٣٧٥هـ، ص٣.

مقالاته في جريدة الندوة:

١- الندوة تقول، ع١، في ١٣٧٧/٧/٨هـ، ص١.

٢- شعر منثور، ع٨، في ١٣٧٧/٩/١١هـ، ص٤.

٣- إذا انطوى الوجيه على مقعده ليداعبه هرتـــه، ع٢٧، فـــي ١٦ ذوالقعـــدة ١٣٧٧هـــ، ص١.

٤- لعلهم لم يزرؤوا بالشعوذة التي رزئنـــا بـــها، ع٣١، فـــي ٢٧ ذوالقعـــدة ١٣٧٧هـــ، ص١+٣.

٥- الخبز وشكوى الناس مـــن هـــذا الموضـــوع، ع٣٣، فـــي ٣٠ ذوالقعـــدة ١٣٧٧هـــ، ص١.

٦- نريد نقابات للمهن.. ترفع مستواها، ع٣٨، في ١٦ ذوالحجة ١٣٧٧هـــــ، ص١.

٧- عقلية الجماهير بين المنطق والتأثير، ع٤٣، في ٢٨ ذوالحجة ١٣٧٧هـــــ، ص٢.

٨- إلى أين نحن صائرون!؟، ع٤٤.

٩- أيخشون أن نضيع مصالحهم بين أعمال الهدم والبناء "عن القديم والجديـــد"، ع٤٧،

١٠- ليت شبابنا ينسى زهو الوظيفة، ع٥١، في ١٩ محرم ١٣٧٨هـــ، ص١.

١١- سجلناها عليك يا شيخ عبدالرحمن، ع٥٣، فـــي ٢٢ محـــرم ١٣٧٨هـــــ، ص١.

١٢- شرعنا نحفل بالعلم ولكنه علم نظري لا يهيئ لغير الوظيفـــة، ع٥٧، فـــي ١صفر ١٣٧٨هـــ، ص١.

١٣- كلمة اليوم للمختصين بالاستيراد والنقد وشؤون الأجـــانب، ع٥٨، فـــي ٣ صفر ١٣٧٨هـــ، ص١.

١٤- معظم الشركات والبنوك باتت تزدحم بالمجاورين وهم لا يتميزون عـــن أي مواطن عادي إلا بالرخص، ع٦٦، في ٢٢ صفر ١٣٧٨هـــ، ص١.

١٥- قارة بأسرها تزاحمنا، ع ٦٩، في ٢٩ صفر ١٣٧٨هـــ، ص١.

١٦- عاشت السجون عصوراً طويلة تهين كرامة المذنب وتطعن آدميتـــه، ع٧١، في ٤ ربيع الأول ١٣٧٨هـــ، ص١.

١٧- أيقال أنه ليس في بلادنا مجانين لنحفل بهم ونعنتي بشؤونهم؟! إننا نطالب وزارة الصحة ونؤمل أن تستجيب، ع٧٣، في ٩ربيع الأول ١٣٧٨هـ، ص١.

١٨- الكسارات الجبارة تطحن جبل كرا، ع٩١، في ربيع الثاني ١٣٧٨هـ، ص١.

١٩- تجربة خاطئة وأهم درس خرجت به منها، ع٩٦، في ٢ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ، ص٣.

٢٠- دعونا من تعاملات لا تقدمنا خطوة، ع١٠٥، عام ١٣٧٨هـ، ص١.

٢١- مقابلة أجراها السباعي مع الأمير فيصل، ع١١٧، عام ١٣٧٨هـ، ص١.

٢٢- كلمة السباعي في افتتاح مؤتمر أدباء العرب بالكويت، ع١١٨، ١٣٧٨هـ، ص٣.

مقالاته في مجلة "قريش":

١- افتتاحية مجلة قريش، ع١، في ٥ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ، ص١.

٢- أنا مولع بمفاخر آبائك الذين تواثبوا لدك أوثان التقاليد "كلمات شكر وتقدير في شكل رسالة لكل من شارك في تشجيع مجلة قريش من الأدباء"، ع٦، في ٧ جمادى الثانية ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، ص١٦.

٣- هل تعرفون العريف (العريف دكتاتور) السباعي، ع٨، في ٥ جمادى الأولى ١٣٧٩هـ، ص٢+١٠.

٤- مع الأدباء، ع٩، في ٢٨ جمادى الثانية ١٣٧٩هـ، ص١+٣.

٥- أيام في القدس العربية، ع٣ حتى ع١٢،

٦- مكة القديمة في العيد، ع٢٢، في ٩شوال ١٣٧٩هـ، ص٨+١٠.

٧- هل صح هذا لدى هيئة الأمر بالمعروف، التسامح في الإسلام، ع٢٥، في ٣٠ شوال ١٣٧٩هـ، ص٣.

٨- أين كنا قبل اليوم، ع٢٦، في ٧ ذوالقعدة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٩- إني اعترف، ع٢٩، في ٢٧ ذوالقعدة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، ص٤.

١٠- أطباؤنا السعوديون أما آن الأوان لإنصافهم، ع٢٩، في ٢٧ ذوالقعدة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، ص٩.

١١- هذه الظاهرة الجديدة "عن تعيين وزراء جدد بالدولة من أصحاب الشهادة العالية ع٣٥، في ١٧ محرم ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

١٢- تعاني المطابع أزمة حادة: إذا لم نتدارك أعمالنا من الفشل فستضل على فقرنا أضحوكة العالم. ليس غريباً أن يتسرب الفشل إلى كل صناعة ما دمنا لا نحفل بحمايتها" ع ٣٨، في ٨صفر ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣+١٥.

١٣- طرائف من تاريخ مكة، ع٣٨، في ٨ صفر ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٤.

١٤- طرائف من تاريخ مكة، ع٣٩، في ١٥ صفر ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

١٥- إن في جيزان رجالاً يلتهبون شوقاً إلى العمل، شباب جيزان ينتظر من يهيئ السبيل أمامه ويدفعه إلى الطريق، ع٣٩، في ١٥ صفر ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

١٦- تكليف المطابيع الأهلية بطبع جزء من المطبوعات الحكومية ينقذ جانباً هاماً من الثروة القومية، ع٤١، في ٢٩ صفر ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

١٧- "عمالنا المتعطلون يدعون أن أصحاب الأعمال لا تهمهم إلا الأيدي الرخيصة" ع٤٣، في ١٤ ربيع الأول ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

١٨- "ليس المهم أن تربح أمانة العاصمة وإنما المهم أن يجد الفرد سبيله إلى الاستقرار"، ع٤٥، في ٢٨ ربيع الأول ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣+٨.

١٩- "تجربتنا في الشركات باءت بالفشل من قبل ثلاثين سنة سيفضح التاريخ كل هذه الخطط ويعلن أسرارها، ع٤٦، في ٥ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢٠- ما أحلى أن ننفق الملايين لإنقاذ هذه المقدرات من الضياع في حوادث الكنغو بخيرها وشرها درس لكل بلد ناهض في الشرق، ع٤٨، في ١٩ ربيع الثاني ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢١- إننا لا نتمنى أن نظل عظاميين نتباهى بما فعل الآباء، ع٥٠، في ٤ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢٢- "إن صناعة الزيت تمنح عمالها أجوراً مضاعفة سيكون لها رد فعل في جميع المرافق، نحن نستورد مأكولاتنا لأن أراضينا لا تجد الأيدي العاملة لو اقتصرت بلادنا على استقبال الحاج القادر شرعاً لارتفع شأنها". ع٥١، في جمادى الأولى ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢٣- استفتاء صحفي عن صحافتنا اليوم وأمس "كتب السباعي حول ذلك"، ع٥١، في ١١ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٤+٥.

٢٤- الأستاذ السباعي يقول "حوار صحفي"، ع٥١، في ١١جمادى الأولى ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢٥- تداركوا هذه المشاكل قبل أن تستفحل فوضى الاستيراد وتفاقم الأجانب من أسباب الكساد آفتنا هبوط القوة الشرائية عن أكثر الطبقات"، ع٥٥، في ٩جمادى الثانية ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣+١٥.

٢٦- ما خطبكم.. أيها المطوفون؟ الزحام: هو مشكلة المشاكل التي تعانيها الطوافة المشكلة التي فقدنا فيها كثيراً من أرباحنا وغير قليل من كرامتنا ليس لهذه المشاكل إلا فيصلنا، ع٥٦، في ١٧ جمادى الثانية ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣+١٥.

٢٧- لماذا يتزاحم شبابنا على هذه الوظائف؟ نريد وعياً تتحطم عليه تقاليدنا الفاسدة كما نريد زحفاً مقدساً"، ع٥٧، في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٦.

٢٨- عام الخصب والنماء والمشاريع، ع٦١، في ٢٣ رجب ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٣.

٢٩- كلمتي إلى مقام مجلس الوزراء "مهنة الطوافة تتعرض للدمار هذه هي المأساة وهذا هو الحل"، ع٦٣، في ٧ شعبان ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٠- حامي الأخلاق الذي نسي بعض واجباته، ع٦٤، في ١٤ شعبان ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣١- يا أعضاء لجنة الطوافة مستقبل التطويف بين أيديكم فلا تضيعوه، ع٦٦، في ٢٨ شعبان ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٢- وجودية سارترنكسة للحياة، ع٦٨، في ١٣ رمضان ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٣- أعلنوا الحرب على الأمية في بوادينا وجندوا لها طلاب في العطل، ع٦٩، في ٢٠ رمضان ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٤- اللائحة التي نقترحها لإصلاح شؤون المطوفين، ع٧٣، في ٢٥ شوال ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٥- قبل أن تخلق العجلة كانوا يكرهون العجلة، ع٧٣٤، في ٢٥ شوال ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٦- مطبوعات المعارف والمالية في حاجة إلى تنظيم جديد تساجل به أمما سبقتنا، ع٧٤، في ٣ ذوالقعدة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٧- إلى أين ينتهون ع٧٦، في ١٧ ذوالقعدة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٣٨- سينتصر الشعر الجديد، ع٧٧، في ٢٣ ذوالقعدة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٥.

٣٩- إننا نطالب للعامل حقوقه في الإنصاف كمانطالب للأعمال المحدودة نصوصاً تهيئها للنمو، ع٧٧، في ٢٣ ذوالقعدة ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٤٠- ليس أمامنا من أجل فلسطين إلا أن نحدد ساعة الصفر، ع٨١، في ١٤ محرم ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص٣+١٠.

٤١- سبعة أيام بين مصاعد السراة في أبها الكرم الحاتمي بين الماء القراح وصناديق السندويش، ع٨٢، في ٧ محرم ١٣٨١هـ، ص٣.

٤٢- رد على أحمد حسونة "كاتب مصري"، ع٨٤، في ١٣٨١/١/١٤هـ، ص٣+١٠.

٤٣- سبعة أيام بين مصاعد السراة في أبها، ع ٨٥، في ١٣٨١/١/٢٨هـ، ص٣.

٤٤- هل يتراجع عبدالكريم قاسم عن موقفه، ع٨٦، في ١٣٨١/٢/٥هـ-١٩٦١م، ص٧.

٤٥- سبعة أيام بين مصاعد السراة في أبها، ع٨٦، في ١٣٨١/٢/٥هـ-١٩٦١م، ص٣.

٤٦- أحاديث الأسبوع حوار أجراه الشلواح مع السباعي عن تربية الأولاد، ع٨٨، في ١٣٨١/٢/١٩هـ-١٩٦١م، ص٣.

٤٧- أطفالنا في شهور العطلة.. أحوج ما يكونون للترويح وتبديد سأم الدراسة، ع٨٨، في ١٣٨١/٢/١٩هـ-١٩٦١م، ص٣.

٤٨- خطاب مفتوح إلى جلالة الملك المعظم، ع٩١، في ١٣٨١/٣/١١هـ-١٩٦١م، ص٣.

٤٩- كافة النظم الدولية لا تعترف بالمتجنس إلا إذا، ع٩٣، في ٢٥ ربيع الأول ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٠- في فصول حياتنا اليوم هتات لا ندري كيف أغفلناها، ع٩٥، في ١٣٨١/٤/٩هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥١- حاول أن تقنع بيوت المال في بلادنا ليؤمنوا بواجبهم نحو المجالات الهادفة، ع٩٨، في ١٣٨١/٤/٣٠هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٢- النظام الذي سيتولى الهجرة ويحدد حركتها قولوا لهم أن "الشحاذة" أبلغ ما يجرح الكرامة، ع٩٩، في ١٣٨١/٥/٧هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٣- ليس من مصلحة وزارة المعارف أن تطبع مقرراتها في دار واحدة، ع١٠٠، في ١٣٨١/٥/١٤هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٤- في بعض أنظمتنا فجوات تحول دائماً دون تنفيذها لا محل اليوم "للسهللا" وعندنا وزراة العمل والعمال، ع١٠١، في ١٣٨١/٥/٢١هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٥- أيها الأحرار في الجزائر لقد علمتم فرنسا كيف تقاتل إذا داسها الألمان، ع١٠٢، في ١٣٨١/٥/٢٨هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٦- دعونا نصارح بعضنا بما نتألم ونحاسبها على ما نقترف لهفي على الكتاب الذين يكتبون ما يلهينا عن مقدراتنا، ع١٠٤، في ١٣٨١/٦/١٣هـ-١٩٦١م، ص٣.

٥٧- الشاعر الذي كان يقول للشيطان -سيطان، ع١٠٤، في ١٣٨١/٦/١٣هـ-١٩٦١م، ص٨.

٥٨- وظيفة المسرح لا تقل شأناً عن وظائف المدارس، ع١٠٥، في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص٣

٥٩- ما أحوجنا إلى الأقلام الحرة التي لا تزيف العقول ليت حكومتنا تختم على أفواه المنافقين وتضرب على أيديهم، ع١٠٦، في ١٣٨١/٦/٢٧هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦٠- هل استطعنا أن نحارب الفقر بمثل المقدرة التي حاربنا بها الجهل والمرض...؟، ع١٠٨، في ١٣٨١/٧/١٢هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦١- قفوا مكانكم لا تتدخلوا في أرزاق المطوفين، ع١١٠، في ١٣٨١/٧/٢٥هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦٢- حياة العصابين وقصة هنري فورد صاحب الدراجة العنيد!!، ع١١٠، في ١٣٨١/٧/٢٥هـ-١٩٦١م، ص١٦.

٦٣- الخرافة التي عطلت فينا ملكة النقد ماذا تفعل إذا أبصرك أستاذك بأخطاء المقلدين؟ ع١١٣، في ١٣٨١/٨/١٧هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦٤- المكاتب الأجنبية في الخارج وبعض رجال السلك الدبلوماسي يعملون في السمسرة ويقاسمون المطوفين أرباحهم، ع١١٥، في ١٣٨١/٩/٢هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦٥- رابعة العدوية، ع١١٧، في ١٦ رمضان ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص٣.

٦٦- قصة التجنيس في هذا البلد مأساة، ع١١٨، في ٢٣ رمضان ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص١.

٦٧- لم أجد في العيد إلا ثياباً صقيلة، ع١١٩، في ٨ شوال ١٣٨١هـ-١٩٦١م، ص١+٢+٣.

٦٨- القصص المضحكة في النبوءات الكاذبة، ع١٢١، في ١٣٨١/١٠/٢٢هـ- ١٩٦١م، ص١٦.

٦٩- كنت في الرياض "تحقيق عن اجتماع الجامعة العربية في الرياض في تاريخه"، ع١٢٣، في ١٣٨١/١١/١٦هـ-١٩٦١م، ص١+١٠.

٧٠- افتتاحية العدد "عن الحجاج المتخلفين"، ع١٢٤، في ١٣٨١/١١/١٣هـ- ١٩٦١م، ص١.

٧١- السجين لا تهدر آدميته لأنه مجرد سجين، ع١٢٥، في ١٣٨١/١١/٢٠هـ، ص١.

٧٢- مساجلات أدبية (بين السباعي والناصر)، ع١٢٦، في ١٣٨١/١١/٢٧هـ، ص١٤.

٧٣- مساجلات أدبية "رسائل متبادلة بين السباعي وإبراهيم الناصر"، ع١٢٧، في ١٣٨١/١٢/٤هـ، ص٥.

٧٤- مساجلات أدبية (بين السباعي والناحر)، ع١٣٠، في ٣ محرم ١٣٨٢هـ، ص٨.

٧٥- لا يملك المواطن حيلة للعيش بين الأجانب، ع ١٣٠، في ٣ محرم ١٣٨٢هـ، ص١+٧

٧٦- تضاعف إيجارات المنازل، ع١٣١، في ١٠ محرم ١٣٨٢هـ، ص٣.

٧٧- الأحياء القديمة في مكة وسبب تسميتها، ع١٣٢، في ١٣٨٢/١/١٧هـ، ص٦.

٧٨- أيام في البلاد السعيدة (ستة أجزاء)، من عدد ١٣٣ حتى العدد ١٣٧.

٧٩- المناظر التي يجب أن تزورها أمانة العاصمة، ع١٣٩، في ٧ ربيع الأول ١٣٨٢هـ، ص٧.

٨٠- المواصلات في بلادنا، ع١٤٤، في ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ، ص٣.

٨١- تعليق على بيان لمجلس الوزراء الصادر في حينه، ع١٥٣، في ١٦ جمادى الثانية ١٣٨٢هـ، ص١+١٠.

٨٢- خطاب مفتوح إلى رئاسة مجلس الوزراء، ع١٥٤، في ٦١٣٨٢/٢٣هـ، ص١+٧.

٨٣- لا نريد لصاحب المعاملة أن يستخذي أمام الموظف، ع١٥٥، في ٣٠ جمادى الثانية ١٣٨٢هـ، ص١+١٠.

٨٤- لو مالت دواوين الوزارات إلى التقشف لتم لنا نماء واسع، ع١٥٦، في ٧ رجب ١٣٨٢هـ، ص١+٩.

٨٥- رئيس التحرير يرد على سكرتير التحرير "كنت أنكر على نفسي ضعفها وأسعد بما يصادفني من نجاح، ع١٥٧، في ١٣٨٢/٧/١٢هـ، ص١٥.

٨٦- لماذا لم يغضبوا بالأمس لنا كما غضبوا اليوم علينا، ع١٥٩، في ٢٨ رجب ١٣٨٢هـ، ص١+٢.

٨٧- ليتنا نستطيع تأجيل قرض الجزائر، ع١٦٠، في ٥ شعبان ١٣٨٢هـ، ص١+٢.

٨٨- وادي خليص يثبت فشل نهضتنا الزراعية، ع١٦٢، في ١٩ شعبان ١٣٨٢هـ، ص١+٨.

٨٩- أيثير غيرتك يا ولدي أن تشكو فتاة، ع١٦٢، في ٤ رمضان ١٣٨٢هـ، ص٢.

٩٠- تقدمتنا شعوب كان خطوها وراءنا، ع١٦٥، في ١١ رمضان ١٣٨٢هـ، ص١+٨.

٩١- البلاغة أن نكون موضوعيين أيها الزملاء "خطاب للصحفيين في توخي الموضوعية في الطرح والنقد"، ع١٧٤، في ١٣٨٢/١١/٢٢هـ، ص١.

٩٢- الحج ونجاحه ونصيبنا منه، ع١٧٧، في ٢١ ذوالحجة ١٣٨٢هـ، ص١.

٩٣- كيف يفعل المزكي؟ هل يكرر إخراج زكاته أم نعلمه الاحتيال في بياناته الرسمية، ع١٨٤، في ١٣٨٣/٢/١١هـ، ص١.

٩٤- التجرة عندنا هل تندفع في شجاعة أم تهور، ع١٨٥، في ١٨ صفر ١٣٨٣هـ، ص١+٨.

٩٥- السيد باشميل في قاموس ألفاظه ما هكذا يا سعد، ع١٨٦، في ٢٦ صفر ١٣٨٣هـ، ص١.

٩٦- تداركوا هذه المشاكل قبل أن تستفحل، ع١٨٩، في ١٦ ربيع الأول ١٣٨٣هـ، ص١.

٩٧- هات يدك لنمضي فالدرب واضح المعالم، ع١٩٦، في ٦ جمادى الأولى ١٣٨٣هـ، ص١.

٩٨- انتشار التعليم في صوفف الأمة هو الكفيل الوحيد بشيوع الروح التقدمية، ع١٩٧، في ١٣٥١٣٨٣هـ، ص١.

٩٩- حيهلاً بها خطوة.. ما بعدها، ع٢٠٠، في ٤ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٠- الباعة من كل جنس يحتلون شوارعنا، ع٢٠١ في ١١ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠١- "سخر الله الحيوانات لقضاء مآربنا كذلك خلق الأوربي ليخدم أغراضنا في الحياة"، ع٢٠٢، في ١٣٨٣/٦/١٨هـ، ص١.

١٠٢- هل تسمعني وزارة العمل، ع٢٠٣، في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٣- أيام في أوروبا، ع٢٠٦، في ١٧ رجب ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٤- اللائحة التي تقدمنا بها لإصلاح شؤون المطوفين، ع٢٠٧، في ١٣٨٣/٧/٢٤هـ، ص١+٧.

١٠٥- أيام في أوروبا، ع٢٠٨، في ١ شعبان ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٦- أيام في أوروبا، ع٢١٢، في ٢٩ شعبان ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٧- لا ننكر جهود الرقابة الصحية على الحيوان لكن نطلب المزيد من الدقة، ع٢١٤، في ١٤ رمضان ١٣٨٣هـ، ص١.

١٠٨- دعنا نساير الركب ولا تفجعني بإعلان الفراق، ع٢١٩، في ٢٦ شوال ١٣٨٣هـ، ص١.

من مقالاته في مجلة "المنهل":

١- الحلقة المفقودة في تاريخ الحجاز على من تقع مسؤوليتها؟ المجلد (١)، ج١١-١٢/ شوال و ذوالقعدة ١٣٥٦هـ، ص١٢-١٦.

٢- من الشعر المنثور: لمن هذه الدوارس في جنبات العقيق، المجلد (٢)، ج١٠/رمضان ١٣٧٥هـ، ص٢٢-٢٧.

٣- شعر منثور: إلى صاحبي المجنون، المجلد (٤)، ج١٠/رمضان ١٣٥٩، ص١٨٢-١٨٦.

٤- حول تصدير أدبنا (رأي السباعي)، المجلد (٦)، ج٧ رجب ١٣٦٥هـ، ص٣٢١-٣٢٢.

٥- من الشعر المنثور: رسائل مطوية، المجلد (٦)، ج١١ ذوالقعدة، ذوالحجة ١٣٦٥هـ، ص٥٦٢-٥٦٤.

٦- الأقزام العمالقة، المجلة (٨)، ج١ محرم ١٣٦٧هـ، ص١٧-١٨.

٧- ندوة المنهل/ خير الطرق لتعميم التعليم بين الحاضرة والبادية، م(٨)، ج٦جمادى الثانية ١٣٦٧هـ، ص٢٢٧-٢٣٠.

٨- في فلسفة الحب، م(٨)، ج١١-١٢ ذوالقعدة، ذوالحجة ١٣٦٧هـ، ص٥٠٥-٥٠٨.

٩- حركة التأليف في ٢٥ عاماً، م(١٠)، ج١ محرم ١٣٦٩هـ، ص٢٥-٢٦.

١٠- قصي الشاب يعيد بناء مكة، م(١١)، ج٤ ربيع الثاني ١٣٧٠هـ، ص١٨٩-١٩١.

١١- لو أصبحت مليونيراً، م(٢٠)، ج٨ شعبان ١٣٧٩هـ، ص٥٠١.

فهرس
المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر :

كتب المؤلف ومقالاته :

١ ــ أبو زامل/ أيامي:

أبو زامل ،دار مصر للطباعة ، ط١ ،١٣٧٤ه ،١٩٥٤م

أبو زامل ،دار قريش ،مكة المكرمة ، ط٢ ،١٣٧٩ه ١٩٥٩م

(أيامي) ، مطابع قريش، مكة المكرمة.ط١ ،١٣٩٠ه ١٩٧٠م

(أيامي)، تهامة ،جدة ،ط٢ ،١٤٠٢ه ١٩٨٢م (ويلحظ أن دار تهامـــة أخطـأت عندما نشرت الكتاب السابق على اعتبار أنه طبعه أولى)

٢ ــ الأمثال الشعبية في مدينة الحجاز:

مؤسسة تهامة، جدة ، ط (٢) ،١٤١٢هـ ، ١٩٨٢م.

٣ــ أوراق مطوية:

نادي الطائف الأدبي. ، ط١ ،١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

٤ــ تاريخ مكة:

نادي مكة الثقافي ، ط٧ ، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م،

٥ ــ خالتي كدرجان:

مؤسسة تهامة، جدة، ط٢ ، ١٤٠١هـ ،١٩٨٠م.

٦ــ دعونا نمش:

،دار ممفيس، القاهرة، ط١ ، (بدون تاريخ).

٧ ــ سباعيات:

الجزء الأول ، جمعية الثقافة والفنون، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م،

الجزء الثاني ،مؤسسة تهامة، جدة، ط١ ،١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م،

٨ ــ سلم القراءة العربية:

دار الكتاب العربي بمصر ،ط٦ ، (بدون تاريخ) ، الجزء ٣

٩ ــ صحيفة السوابق:

دار مصر للطباعة، القاهرة (بدون تاريخ.)

١٠ ــ فكرة:

دار الصافي، الرياض، ط٢ ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

١١ ــ فلسفة الجن:

مطبعة دار التأليف،القاهرة ط١ ، ١٣٦٨هـ.

١٢ ــ قال وقلت:

جزءان، مؤسسة تهامة، جدة، ط(٢) ،١٤٠١هـ ، ١٩٨١م

١٣ ــ المرشد إلى الحج والزيارة:

مطبعة العالم العربي، القاهرة ١٣٦٨هـ ،.

١٤ ،ــ مطوفون وحجاج:

دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٤م.

١٥ ــ يوميات مجنون:

مطبعة ممفيس، القاهرة ، ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م

١٦ ــ إضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات المختلفة المتناثرة بين طيات الصحف والمجلات، والتي لم تجمع في كتاب (انظر فهرس الصحف والمجلات والملحق الخاص بمقالات الكاتب في تلك الصحف والمجلات)

ثالثاً: المراجع

أ.أ. مندلاو:

١٧ــ الزمن والرواية: ترجمة بكر عباس مراجعه إحسان عباس، دارا الشروق ،وصادر، بيروت ط١، ١٩٩٧م.

د. إبراهيم أنيس:

١٨ــ دلالة الألفاظ، الانجلو المصرية ، ط٦ ، ١٩٨٦م

١٩ــ موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو، القاهرة ط(٥) ١٩٨١م

د. إبراهيم السعافين:

٢٠ــ تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٠م.

إبراهيم الشاطبي:

٢١ــ الموافقات في أصول الشريعة، شرحه وخرج أحاديثه، عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت ط (٢) ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

د. إبراهيم الفوزان:

٢٢ــ إقليم الحجاز وعوامل نهضته، مطابع الفرزدق، الريـــاض، ١٤٠١هـــ ، ١٩٨١م
٢٣ــ الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد. مكتبة الخانجي ، القـاهرة ، ط (١) ، ١٤٠١ه ،١٩٨١م
إبراهيم هاشم فلالي:
٢٤ــ المرصاد، النادي الأدبي الرياض ، كتاب الشهر رقم (٢٣) ١٤٠٠هـــ ــ ١٩٨٠م.
إبراهيم المقحفي:
٢٥ــ حوار مع أربعة شعراء من اليمن ، دار الهناة ، القاهرة ،١٩٧٥م.
ابن حبيب:
٢٦ــ عقلاء المجانين، شرح وتعليق عبد الأمير مهنا، دار الفكر، بـيروت، ط١، ١٩٩٠م.
أبو الحسن الندوي:
٢٧ــ ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، دار الكتاب العربـــي بـيروت ط(٧)، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.
أبو الفرج الأصفهاني :
٢٨ــ الأغاني، شرحه وكتب هوامشه عبد علي مـــهنا، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢ه ،١٩٩٢م ،الجزء : (١ ، ٢ ، ١٧ ، ١٩)
أحمد أمين:
٢٩ــ فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٧، ١٩٩٥م، الجزء٤
٣٠ــ النقد الأدبي، دار الكتاب العربي ــ بيروت ط(٤) ١٣٨٧هـ ١٩٦٧.

د. أحمد بدوي:
٣١ــ أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر ، القاهرة ط ١٩٧٩م.
د. أحمد بسام ساعي:
٣٢ــ الصورة الأدبية بين البلاغة والنقد ، دار المنارة، جدة، ط(١) ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤م
أحمد الحسين:

٣٣ــ مقالات في أدب الحمقى والمتحـــامقين ، دار الحصـــاد ، دمشـــق ، ط (١) ١٩٩١م.

أحمد الحملاوي:

٣٤ــ شذا العرف في فن الصرف، دار القلم ، بيروت، ط٢، (د.ت)

د. أحمد الخصوصي:

٣٥ــ الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابـــع، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٢م.

أحمد سعيد بن سالم:

٣٦ــ موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، إصدارات نادي المدينـــة المنـــورة الأدبي رقم (٧٧) ط (١) ١٤١٣هـــ ١٩٩٢م.

أحمد الشايب:

٣٧ــ أصول النقد الأدبي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط(٨) ١٩٧٣م.

٣٨ــ الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط (٨) ١٩٨٨م

أحمد محمد الشامي :

٣٩ــ قصة الأدب في اليمن ، دار العمير، جدة، ط(٢) ١٤٠٥هـــ ،١٩٨٥م.

٤٠ــ مع الشعر المعاصر في اليمن نقد وتـــاريخ، دار النفـــائس، بـــيروت ط(١) ١٤٠٠هـــ ــ ١٩٨٠م.

د. أحمد مختار عمر:

٤١ــ اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط(٢) ، ١٩٩٧م.

د. أحمد مطلوب:

٤٢. ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنـــان ، بـــيروت، ط(٢) ١٩٩٦م.

د. أحمد هيكل:

٤٣. ــ تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن العشرين إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، القاهرة، ط(٥) ١٩٨٧م.

أديب مروة:

٤٤. ــ الصحافة العربية نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحيـــاة ، بـــيروت ط(١) ١٩٦١م.

أريك فروم:

٤٥. ــ اللغة المنسية مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط(١) ١٩٩٢م.

أمين الريحاني:

٤٦. ــ الريحانيات ، دار الجيل، بيروت، ط(١٠) ، ١٩٨٧م.

د. أنيس المقدسي:

٤٧. ــ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٤) ، ١٩٨٤م.

أوستن وارين ورينيه ويليك:

٤٨. ــ نظرية الأدب: ترجمة د. محيي الدين صبحي، مراجعه د. حسام الخطيب ط(المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) ١٣٧٢هـ ، ١٩٧٢م.

ايليا الحاوي:

٤٩. ــ في النقد والأدب، دار الكتاب، بيروت، ط(٢) ١٩٨٦م الجزء (٤-٥)

(ب)

د.بدوي طبانة:

٥٠. ــ نظرات في أصول الأدب والنقد ، شركة مكتبات عكاظ، جدة، السعودية، ط(١) ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

برناردي فوتو:

٥١. ــ عالم القصة: ترجمة د. محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب،القاهرة ١٩٦٩م.

د. بكري شيخ أمين:

٥٢. ــ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين بيروت، ط(٥) ١٩٨٦م.

(ت)

د. تمام حسان:

٥٣. ــ اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة ، الدار البيضاء ط ١٩٩٤م.

(ج)

د. جابر عصفور:

٥٤. ــ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط(٣) ،١٩٩٢م

جار الله الزمخشري:

٥٥. ــ أساس البلاغة ، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

جبران خليل جبران:

٥٦. ــ الأجنحة المتكسرة ط(٤)، ١٩٩٧م. المجموعة الكاملة

٥٧. ــ المجنون ، تعريب أنطونيوس بشير ــ تقديم وإشراف ميخائيل نعيمة، دار صادر ، بيروت، ط(٣) ١٩٩٦م المجموعة الكاملة.

٥٨. ــ المواكب، المجموعة الكاملة، ط(٤) ، ١٩٩٧م. الجزء ٣

٥٩. ــ. يسوع ابن الإنسان ، المجموعة الكاملة، ترجمة انطونيوس بشير

د. جبور عبد النور:

٦٠. ــ المعجم الأدبي،دار العلم للملايين، بيروت، ط(٢) ١٩٨٤م.

د. جريدي الثبيتي:

٦١. ــ شاعرية المكان ،دار العلم ، جدة ، ط ١ ، ١٤١٢ه ، ١٩٩٢م

جمال الدين ابن منظور:

٦٢. ــ لسان العرب، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

جمال سلطان:

٦٣. ــ جذور الإنحراف في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز الدراسات الإسلامية ، بريطانيا ، ط(١) ، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

د. جميل صليبا:

٦٤. ــ علم النفس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط(٣) ١٩٧٢م.

(ح)

حسن بحراوي:

٦٥. ــ بنيه الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط(١) ، ١٩٩٠م.

حسن مصطفى الجوادي وزميله:

٦٦. ــ تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية ــ الجزء الأول التعليم الإبتدائي _، دار الأصفهاني، جدة، ط(١) ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.

حسن ناظم :

٦٧. ــ مفاهيم الشعرية، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج، المركز الثقافي العربي، بيروت ط(١) ١٩٩٤م.

حسين بافقيه:

٦٨. ــ الجوائز الأدبية الحدود والأقنعة، نادي أبها الأدبي، ط(١) ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م

د. حسين عباس:

٦٩. ــ النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط(٣) ، ١٩٧٤م.

حسين القباني:

٧٠. ــ فن كتابة القصة: دار الجيل، بيروت، ط(٣) ١٩٧٩م.

د. حسين نصار:

٧١. ــ أدب الرحلة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط(١) ١٩٩١م.

د. حلمي أحمد الوكيل:

٧٢. ــ تطوير المناهج، أسبابه وأسسه، مكتبة الانجلو ط(٧) ١٩٨٢م.

د. حلمي مرزوق:

٧٣. ــ الرومانتيكية والواقعية في الأدب الأصول الايدلوجيه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

د. حميد لحمداني:

٧٤. ــ بنيه النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط(٢) ١٩٩٣م.

(خ)

خالد اليوسف:

٧٥. ــ دليل الكتاب والكاتبات.الجمعية العربية السعودية ، الرياض ، ط٣ ،١٤١٥ه، ١٩٩٥م

د. خليل أحمد خليل:

٧٦. ــ معجم الرموز، دار الفكر اللبناني، ط(١) ١٩٩٥م.

خوسيه إيفانكوس:

٧٧. ــ نظرية اللغة الأدبية، ترجمة د. حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٢م.

(د)

- دار المشرق ،بيروت :

٧٨. ــ المنجد في الأعلام ،ط١٩ ،١٩٩٢

٧٩. ــ المنجد في اللغة ،ط٣٣ ،١٩٩٢م

٨٠. ــ ديوان أبي تمام:

ــ بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، ط دار المعارف ١٩٦٤م. سلسلة ذخائر العرب رقم(٥) المجلد الأول.

٨١. ــ ديوان أبي الطيب المتنبي:

ــ وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ط(١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.) المجلد الأول الجزء الثاني.

٨٢. ــ ديوان حافظ إبراهيم :

ــ ضبطه وصححه أحمد أمين وآخرون ــ دار العودة ــ بيروت (د.ت) جـ١

٨٣. ــ ديوان زهير ابن أبي سلمى:

ــ صنعه الأعلم الشنتمري. تحقيق د. فخر الدين قباوة ــ دار الآفاق، بيروت ، ط(٣) ، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٨٤. ــ ديوان عمرو بن كلثوم:

ــ تحقيق أيمن ميدان ، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة ، سلسة من كنوز التراث رقم (٢) كتاب النادي رقم (٨٠) ط(١) ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٨٥. ــ ديوان قيس بن الملوح:

ــ بشرح د. يوسف فرحات، سلسلة شعراؤنا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٢) ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

(ر)

د. ربيعي عبد الخالق:

٨٦. ــ فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،١٩٩٤م

د. رشاد رشدي:

٨٧. ــ فن القصة القصيرة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (بدون تاريخ)

د. رمضان بسطاويس:

٨٨. ــ الجميل ونظريات الفنون، دراسات في علم الجمال، سلسلة كتاب الرياض رقم (٢٥،٢٦) مؤسسة اليمامة الصحفية ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

(س)

سالم المعوش:

٨٩. ــ صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب، بيروت، ط(١) ١٩٩٨م.

د. سامي سويدان:

٩٠. ــ في دلالة القصص وشعرية السرد، دار الآداب، بيروت، ط(١) ١٩٩١م.

سعد البواردي:

٩١. ــ فلسفة المجانين: تهامة ،جدة، سلسة الكتاب العربي السعودي رقم (٤٢) ،ط(٢) ،١٤٠١هـ ١٩٨١م.

سعيد الغانمي:

٩٢. ــ الكنز والتأويل قراءات في الحكاية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط(١)، ١٩٩٤م.

سعيد السريحي:

٩٣. ــ تقليب الحطب على النار في لغة السرد، النادي الأدبي الثقافي بجدة كتاب رقم (٩٨) ط(١) ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

د. السعيد الورقي:

٩٤. ــ اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط(٢)، ١٩٨٤م.

سعيد يقطين:

٩٥. ــ الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط(١) ، ١٩٩٢م.

(س)

د. السيد إبراهيم :

٩٦. ــ نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨م.

د. سيد حامد النساج:
٩٧. ــ تطور فن القصة القصيرة، مكتبة غريب، القاهرة، ط(٤) ١٩٩٠م
٩٨. ــ مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ، مكتبة غريب، القاهرة (د.ت)
د. السيد محمد خيري وآخرون:
٩٩. ــ علم النفس التربوي أصوله وتطبيقاته، مطبوعات جامعة الرياض رقم (١٢) ط(١) ١٣٩٩هـ ١٩٧٥م،
د. السيد محمد ديب:
١٠٠.ــ فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ط(٢) ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
سيمون بطيش:
١٠١.ــ الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود ، دار مارون عبود، بيروت ط(١) ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

(ش)

د. شاكر عبد الحميد:
١٠٢.ــ الأدب والجنون، دار غريب، القاهرة، ط١٩٩٨م.
د. شفيع السيد:
١٠٣.ــ الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة،(د.ت)
١٠٤.اتجاهات الرواية العربية في مصر درا الفكر العربي، القاهرة، ط(٢) ، ١٩٩٣م.
١٠٥.ــ البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم ، دار الفكر، القاهرة، ط(٢) ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م
د. شكري عياد،
١٠٦.ــ البطل في الأدب والأساطير، أصدقاء الكتاب، القاهرة، ط(٣) ، ١٩٩٧م.
١٠٧.ــ القصة القصيرة في مصر، أصدقاء الكتاب ، القاهرة، ط(٣) ، ١٩٩٤م.
د. شوقي ضيف:
١٠٨.ــ في النقد الأدبي، دار المعارف ط(٧) ، ١٩٨٨م.

(ص)

د. صابر عبد الدا يم:

١٠٩.ـ أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة ط(١) ، ١٩٩٣م.

د. صبحي البستاني :

١١٠.ـ الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني، بيروت ،ط(١) ١٩٨٦م

د. صالح بن حميد:

١١١.ـ أدب الخلاف، مكتبة الضياء، جدة ط(١) ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

صبري مسلم حمادي:

١١٢.ـ أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط(١) ١٩٨٠هـ

(ض)

ضياء الدين ابن الأثير:

١١٣.ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي الرياض ، ط(٢) ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

(ط)

د.طلعت صبح السيد:

١١٤.ـ العناصر البيئية في الفن القصصي في المملكة العربية السعودية، إصدارات نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، ط(١) ، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١١٥.ـ القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط(١) ١٤٠٨ه ١٩٨٨م.

طني زكا:

١١٦.ـ بين نعيمه وجبران، مكتبة المعارف، بيروت(٣)، ١٩٨٨م.

د. طه حسين:

١١٧.ـ حديث الأربعاء، دار المعارف ط(١٢) ١٩٧٦م.

د. طه جابر العلواني:

١١٨.ـ أدب الاختلاف في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط(٥) ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

د. طه عبد الفتاح مقلد:

١١٩.ـ الحوار في القصة والمسرحية والإذاعة والتلفزيون، مكتبة الشباب ، القاهرة، (بدون تاريخ.)

د. طه وادي:

١٢٠.ـ مدخل إلى تاريخ الرواية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط(٢) ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٢١.ـ هيكل رائد الرواية العربية، السيرة والتراث، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط(٢) ١٤١٧هـ ١٩٩٦.

(ع)

عاتق بن غيث البلادي:

١٢٢.ـ معجم معالم الحجاز، دار مكة المكرمة، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. جزء ٦

د. عادل الفريحات:

١٢٣.ـ إضاءات في النقد الأدبي، دار أسامة، دمشق، ١٩٨٥م

د. عبد الحكيم حسان:

١٢٤.ـ انطونيو وكليوباترا دراسة مقارنة بين شكسبير وشوقي، الدار السعودية جدة، ط١، ١٩٨٧م.

عبد الحليم حنفي:

١٢٥.ـ اسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية، ط٢، ١٩٨٥م.

د. عبد الحميد محمد:

١٢٦.ـــ قصص الحب العربية أغراضها وتطورها، سلسة اقرأ(٢٨٨) دار المعارف، ط٢، ١٩٨٧م.

عبد الرحمن صالح عبد الله:

١٢٧.ـــ تاريخ التعليم في مكة المكرمة ، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـــ ـــ ١٩٧٣م

د. عبد الرحمن عيسوي:

١٢٨.ـــ سيكلوجية الخرافة والتفكير العلمي ، منشأة المعارف بالأسكندرية، ط ١٩٨٢- ١٩٨٣م.

د.عبد الرحيم أبو بكر:

١٢٩.ـــ الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦م-١٩٤٨م. من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٣٩٧هـــ -١٩٧٧م.

عبد السلام الساسي:

١٣٠.ـــ الموسوعة الأدبية، دار قريش، مكة المكرمة الجزء الأول.

د. عبد العزيز عتيق:

١٣١.ـــ علم المعاني، دار النهضة، بيروت، ط ١٤٠٥هـــ -١٩٨٥م.

د. عبد العزيز شرف:

١٣٢.ـــ أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٣٣. ـــ أدب المقالة ؛مكتبة لبنان ،بيروت ، ط١ ،١٩٩٧م

١٣٤.ـــ محمد حسين هيكل في ذاكره، دار المعارف القاهرة، سلسة اقرأ رقم (٤٣١) ط٢، ١٩٨٦م.

د. عبد العظيم المطعني:

١٣٥.ـــ من قضايا البلاغة والنقد، السلام العالمية، القاهرة، ط(١) ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤

عبد العليم إبراهيم:

١٣٦.ـــ الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب،القاهرة،(بدون تاريخ).

د. عبد الغفار حامد هلال:

١٣٧.ـــ أصوات اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـــ -١٩٩٦م.

عبد الفتاح أبو مدين:

١٣٨.ـــ في معترك الحياة ، نادي جدة الأدبي كتاب رقم ٣، ط١، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

د. عبد الفتاح عثمان:

١٣٩.ـــ بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م.

عبد الفتاح كيليطو:

١٤٠.ـــ الأدب والغرابة، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

١٤١.ـــ الغائب دراسة في مقامة للحريري، دار توبقال، الدار البيضاء ط٢، ١٩٩٧م.

د. عبد القادر حسين:

١٤٢.ـــ فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط(١) ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م

د. عبد القادر القط:

١٤٣.ـــ الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ –١٩٨١م.

عبد القدوس الأنصاري:

١٤٤.ـــ بين التاريخ والأثار، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

د. عبد الكريم الأشتر:

١٤٥.ـــ فنون النثر المهجري ، دار الفكر الحديث ،لبنان ، ط ٢ ، ١٩٦٥م

د. عبد اللطيف الحديدي:

١٤٦.ـــ فن السيرة بين الذاتية والغيرة في ضوء النقد الأدبي ،دار السعادة ، القاهرة ،ط١ ،١٤١٧ه ،١٩٩٦م

١٤٧.ـــ فن المقال في ضوء النقد الأدبي (د.م) ط١، ١٤١٧هـ –١٩٩٦م.

د. عبد اللطيف حمزة:

١٤٨.ـــ أدب المقالة الصحفية ، دار الفكر العربي ، ط٣، ١٩٦٤م. الجزء الأول.

١٤٩.ـــ أدب المقالة الصحفية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م، جزء ٨

د. عبد اللطيف بن دهيش:

١٥٠.ـــ الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

د. عبد الله إبراهيم:
١٥١.ـــ السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٥٢.ـــ المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
د.عبد الله باقازي:
١٥٣.ـــ عامل المكان في الشعر العربي بين الجمالية والتاريخ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي رقم ١٣٢،ط ١، ١٤١٣هـــ .
د. عبد الله الحامد:
١٥٤.ـــ الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي رقم (٥٠) ط١ ، ١٤٠٨ ه
عبد الله الحيدري:
١٥٥.ـــ السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دار المعراج، الرياض، ط١، ١٤١٨هـــ – ١٩٩٨م.
عبد الله عبد الجبار:
١٥٦.ـــ التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية، مطبوعات معهد الدراسات، القاهرة. ١٩٥٨ م
د. عبد الله العروي:
١٥٧.ـــ الأيد يولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
عبد المقصود خوجة:
١٥٨.ـــ كتاب الأثينية، جدة، ١٤٠٤هـــ ، ١٩٨٤م. الجزء ٢
د. عبد الملك مرتاض:
١٥٩.ـــ في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة رقم ٢٤٠ الكويت، ١٤١٩هـــ ـــ ١٩٩٨م.
عبد الملك بن محمد الثعالبي:
١٦٠.ـــ فقه اللغة: تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى الحلبي ،ط ١٣٩٢هـــ ، ١٩٧٢م.
د. عبد المنعم خفاجي:

١٦١.ـــ من تاريخنا المعاصر، دار العهد الجديد، (د.م) ط١، ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م.
عبد الواحد لؤلؤة:
١٦٢.ـــ موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م. الجزء ٢
١٦٣.ـــ موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، جزء٤.
عبد الوهاب عبد الواسع:
١٦٤.ـــ التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره واستشراف مستقبله ـــ تهامة، جدة، الكتاب العربي السعودي رقم ٧٩، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
عثمان حافظ:
١٦٥.ـــ تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، شركة المدينة للطباعة، جدة، ط٣، ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م.

د. عثمان موافي:
١٦٦.ـــ في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،ط٢، ١٩٩٥م.
د. عز الدين إسماعيل:
١٦٧.ـــ التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.
١٦٨.ـــ الأدب وفنونه، دار الفكر العربي ط٧، ١٩٧٨م.
د. عز الدين السيد:
١٦٩.ـــ التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م.
د. عزيزة مريدن:
١٧٠.ـــ القصة والرواية ، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م.
د. عطاء كفافي:
١٧١.ـــ المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، هجر ،القاهرة ،ط١ ،١٤٠٥ه ١٩٨٥م
عطية محمد سالم:

١٧٢.ـــ تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، الجزء ٨

علي أدهم:

١٧٣.ـــ على هامش الأدب والنقد، دار المعارف،القاهرة ١٩٧٩م.

د. علي جواد الطاهر:

١٧٤.ـــ معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية ،دار اليمامة ،الرياض ،ط٢ (بأشراف حمد الجاسر) ١٤١٨ه ١٩٩٧م

١٧٥.ـــ مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط(٢) ١٩٨٨م

د. علي شلق:

١٧٦.ـــ النثر العربي نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

د. علي عبد الخالق علي:

١٧٧.ـــ الفن القصصي طبيعته وعناصره مصادره الأولى، دار قطري ابن الفجاءة،الدوحة، ١٤٠٨هـ

د. علي العلاق:

١٧٨.ـــ الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧م. مبحث (شعرية اللغة الروائية).

علي بن محمد الجرجاني:

١٧٩.ـــ التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب، ط٤، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م. مفردة رقم ٥١٥.

د.عمر الدسوقي:

١٨٠.ـــ نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، ط ١٩٧٦م.

عمر رضا كحالة:

١٨١.ـــ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

د.عمر الطيب الساسي:

١٨٢.ـــ الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، تهامة ،جدة ، ط١ ،١٤٠٦ه ١٩٨٦م

د. عيسى الناعوري:

١٨٣.ـــ أدب المهجر ،دار المعارف ،القاهرة ،ط٣ ، ١٩٧٧م

(غ)

غاستون باشلار

١٨٤.ـــ جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية، بـــيروت، ط(٤) ١٤١٦هـــ ١٩٩٦م.

(ف)

د. فاخر عاقل

١٨٥.ـــ معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٤) ١٩٨٥م.

فاروق خورشيد:

١٨٦.ـــ عالم الأدب الشعبي العجيب ، دار الشـــروق ، القـــاهرة، بـــيروت، ط(١) ١٤١١هـــ ،١٩٩١م

د. فاروق محمد العادلي:

١٨٧.ـــ علم الاجتماع العام، دار زهران ، جدة ، ط(١) ١٤١٣هـــ ١٩٩٣م.

د. فادية عمر الجولاني:

١٨٨.ـــ التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، دار الاصـــلاح الدمام، السعودية، ط(١) ، ١٤١٠٤، ١٩٨٤م.

فاطمة الوهيبي:

١٨٩.ـــ مسرحة التراث في الأدب المسرحي الســـعودي، الصفحـــات الذهبيـــة، الرياض، ط(١)، ١٤١٥هـــ

د. فايز ترحيني:

١٩٠.ـــ الأدب أنواع ومذاهب، النخيل للطباعة ، بيروت، ط(١) ، ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م.

فردرش ديرلاين:

١٩١.ـــ الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها، ترجمة د. نبيلة إبراهيم، مراجعه د. عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب القاهرة، ١٩٨٧م.

فلاديمير بروب:

١٩٢.ـــ مورفولوجيا الحكاية الخرافية، ترجمة وتقديم أبو بكر باقادر وأحمد عبد الرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي جدة، رقم (٥٦) ط(١) ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٩م.

فيليب لوجون:

١٩٣.ـــ السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي، بيروت، ط(١) ١٩٩٤م.

(ك)

كامل محمد عويضة

١٩٤.ـــ مصطفى لطفي المنفلوطي حياته وأدبه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١ ،١٤١٣ه ١٩٩٣م

د. كمال بشر

١٩٥.ـــ علم اللغة الاجتماعي مدخل،دار غريب، القاهرة ط(٣) ١٩٩٧م

١٩٦.ـــ علم اللغة العام (الأصوات)، دار المعارف،القاهرة، ط١٩٨٦م.

(م)

ماريا برنيري:

١٩٧.ـــ المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة د. عطيات أبو السعود، مراجعه د. عبد الغفار مكاوي/ سلسة عالم المعرفة، الكويت، رقم(٢٢٥) ربيـــع الثـــاني ١٤١٨هـــ ـــ ١٩٩٧م.

د. ماهر حسن فهمي:

١٩٨.ـــ السيرة تاريخ وفن، دار القلم ، الكويت ، ط(٢) ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م.

مجدي وهبه وكامل المهندس:

١٩٩.ـــ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، بـيروت ، ط ١٩٧٩م.

مجهول :

٢٠٠.ـــ ألف ليلة وليلة ،دار مكتبة الحياة ،بيروت ، (بدون تاريخ) ، الجزء (١ ، ٣)

د. محمد إبراهيم كاظم:

٢٠١.ـــ العقوبات المدرسية، مكتبة الانجلو ، القاهرة ، (د.ت)

د. محمد حسن عبد الله :

٢٠٢.ـــ الحب في التراث العربي ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط(٢) ، ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م.

د. محمد حسين الدالي:

٢٠٣.ـــ عملاق الأدب توفيق الحكيم، سلسة اقـرأ رقـم (٥٤٥)، دار المعـارف ،القاهرة، ط١٩٨٩م.

محمد خير رمضان :

٢٠٤.ـ تتمة الأعلام للزركلي ،دار ابن حزم ،بيروت ،ط١ ،١٤١٨ ه ،١٩٩٨م

محمد خير موسى:

٢٠٥.ـ فن القصة في يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم، دار الثقافة ، الدار البيضاء ط (١) ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

(م)

د. محمد رجب النجار:

٢٠٦.ـ التراث القصصي في الأدب العربي (مقاربات سوسيو، سردية) ذات السلاسل، الكويت، ط(١) ١٩٩٥م. المجلد الأول

د. محمد زكريا عناني:

٢٠٧.ـ على هامش الفن القصصي عند السباعي موسوعة الأدب السعودي موسوعة رؤيا، الاسكندرية، ط(١) ١٩٩٠م.

د. محمد سعد حسين :

٢٠٨.ـ محمد سعيد عبد المقصود خوجة حياته وآثاره ،تهامة ،جدة ،ط١ ،١٤٠٤ه ١٩٨٤م

محمد السمان:

٢٠٩.ـ خطاب الجنون في الثقافة العربية، رياض الريس ، لندن ، ط(١) ١٩٩٣م.

د. محمد الشنطي :

٢١٠.ـ فن الرواية في الأدب العربي السعودي ،نادي جيزان الأدبي ،ط١ ،١٤١١ه ١٩٩٠م

د. محمد عبد المطلب :

٢١١.ـ البلاغة العربية قراءة أخرى ،مكتبة لبنان ،بيروت ،ط١ ،١٩٩٧م

د. محمد عوض محمد :

٢١٢.ـ محاضرات عن فن المقالة الأدبية ،معهد الدراسات العالية ، القاهرة ،١٩٥٩م

محمد العوين:

٢١٣.ـ المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة ١٣٤٣ه –١٤٠٠ه ،مطابع الشرق الأوسط ، الرياض ،ط ١ ،١٤١٢ه ،١٩٩٢م

د. محمد غنيمي هلال :

٢١٤.ـ الرومانتيكية ، نهضة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ

٢١٥.ـ النقد الأدبي الحديث ،دار الثقافة ،بيروت ، ١٩٧٣م

محمد فؤاد عبد الباقي :

٢١٦.ـ المعجم المفهرس لأ لفاظ القرآن الكريم ،دار الجيل ،بيروت ،١٤٠٧ه ،١٩٧٨م

محمد قطب:

٢١٧.ـ شبهات حول الإسلام، دار الشروق، بيروت، ط(١٦) ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

د. محمد مفتاح :

٢١٨.ـ دينامية النص: تنظير وانجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٠م.

د. محمد مندور :

٢١٩.ـ الأدب ومذاهبه ، نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

محمد ناصر عباس:

٢٢٠.ـ موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية (د.م) ، ط(١) ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م.

د. محمد نبيه حجاب :

٢٢١.ـ بلاغة الكتاب في العصر العباسي ،مكتبة الطالب ،مكة المكرمة ،ط٢ ،١٤٠٦ه ١٩٨٦م

محمد يعقوب الفيروزآبادي:

٢٢٢.ـ القاموس المحيط ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط١ ،١٤١٢ه١٩٩١م

د. محمد يوسف نجم:

٢٢٣.ـ فن القصة، سلسلة الفنون الأدبية رقم (٢)، (د.م) ، ط١٠، ١٩٨٩م.

٢٢٤.ـ فن المقالة، سلسلة الفنون الأدبية رقم (١) (د.م) ط٥ ،١٩٨٩م

د.محمود الحسيني المرسي:

٢٢٥.ـ الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية حتى عام ١٩٨٠م. دراسة في المضمون والبناء الفني، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

د. مختار أبوغالي:

٢٢٦.ـ المدينة في الشعر العربي المعاصر، سلسة عالم المعرفة، الكويت ، رقم (١٩٦) ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

د. مسعد العطوي:

٢٢٧.ـ الاتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، إصدارات نادي القصيم الأدبي بريدة، ط(١) ١٤١٥هـ

د.مصطفى الجويني :

٢٢٨.ـ البديع لغة الموسيقى والزخرف،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٣م

د. مصطفى حسين :

٢٢٩.ـ أدباء سعوديون ترجمات شاملة لسبعة عشر أديبا، دار الرفاعي، الرياض، ط(١) ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

د. مصطفى الشكعة:

٢٣٠.ـ الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٧) ١٩٩٢م.

مصطفى صادق الرافعي:

٢٣١.ـ أوراق الورد رسائلها ورسائله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(١٠) ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

٢٣٢.ـ حديث القمر دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٨، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

٢٣٣.ـ كتاب المساكين، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط١٠ ـ ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م.

٢٣٤.ـ وحي القلم ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، (د.ت) جزء ١

مصطفى لطفي المنفلوطي:

٢٣٥.ـ النظرات، دار الشروق العربي ،(د.ت) ، جزء ٣ ،

د. منصور الحازمي :

٢٣٦.ـ سالف الأوان، كتاب الرياض، رقم (٧١) الرياض، ١٩٩٩م.

٢٣٧.ـ فن القصة في الأدب السعودي الحديث، دار العلوم، الرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٢٣٨.ـ في البحث عن الواقع ، دار العلوم ، الرياض، ط(١) ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

٢٣٩.ـ مواقف نقدية، دار الصافي ، الرياض، ط(١) ١٤١٠هـ ١٩٨٩م

د. منير بكر:

٢٤٠.ـ أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث والصحافة العراقية، مطبعة الإرشاد ، بغداد ط(١) ١٩٧٦م.

(ن)

نادي مكة الثقافي الأدبي :

٢٤١.ـ دليل النادي ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

نازك الملائكة :

٢٤٢.ـ قضايا الشعر المعاصر ،دار العلم للملايين، بيروت،ط٨ ،١٩٩٢م

النسائي:

٢٤٣.ـ صحيح سنن النسائي باختصار السند صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طباعته وفهرسته زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(١) ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. حديث رقم (٣٢١٠ـ ٢)

د. نبيلة إبراهيم :

٢٤٤.ـ سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية ، بيروت،(بدون تاريخ.)

٢٤٥.ـ قصصنا الشعبي من الرومانسية إلىالواقعية ، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٤٦.ـــ فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، بدون تاريخ.

نجيب العوفي:

٢٤٧.ـــ مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية من التأسيس إلى التجنيـــس ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط(١) ١٩٨٧م.

نجيب الكيلاني :

٢٤٨.ـــ مدخل إلى الأدب الإسلامي ، كتاب الأمة رقم (١٤) ، الدوحـــة ، قطـــر ط(١) ١٩٨٧م.

د. نذير العظمة:

٢٤٩.ـــ المسرح السعودي دراسة نقدية ، النادي الأدبـــــي ، الريـــاض، ط(١) ١٤١٣هـــ ١٩٩٢م.

د.نصر عباس:

٢٥٠.ـــ البناء الفني في القصة السعودية، دار العلوم، الرياض، ط(١) ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م.

د.نوال عطية :

٢٥١.ـــ علم النفس اللغوي ، الانجلو المصرية، القاهرة ، ط(٢) ١٩٨٢م.

(و)

والترج أونج:

٢٥٢.ـــ الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البنا عز الدين ، مراجعه، د. محمـــد عصفور، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، رقم (١٨٢) شـــعبان ١٤١٤هـــ ١٩٩٤م.

(ي)

د. ياسين الأيوبي:

٢٥٣.ـ مذاهب الأدب معالم وانعكاسات ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(٢) ١٩٨٤هـ

يحيى ساعاتي:

٢٥٤.ـ الأدب العربي في المملكة العربية السعودية ... ببليوجرافيا ، دار العلوم،الرياض، ١٣٩٩.

د. يحيى عبد الدايم:

٢٥٥.ـ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥م.

د. يمنى العيد:

٢٥٦.ـ فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، دار الآداب، بيروت، ط(١) ١٩٩٨م.

يوسف أسعد داغر:

٢٥٧.ـ معجم الأسماء المستعارة وأصحابها ، مكتبة لبنان ، ط ١٩٩٥م.

د.يوسف نور عوض :

٢٥٨.ـ فن المقامات بين المشرق والمغرب ،مكتبة الطالب الجامعي ،مكة المكرمة ،ط٢ ١٤٠٦ ه ١٩٨٦م

رابعا: الموسوعات:

٢٥٩.ـالموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع جزء ١٢.

٢٦٠.ـ الموسوعة العربية الميسرة: دار نهضة لبنان، بيروت، ١٤٠٦، ١٩٨٦م.

خامسا: الرسائل العلمية:

حصة الحارثي:

الاتجاه الواقعي في القصة السعودية ، رسالة ماجستير بإشراف د. محمد مريسي الحارثي، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى.

سادسا : الصحف:

أولا: البلاد السعودية:

ع: ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٧٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٩١، ٦٩٣، ٧١٥، ٧١٨، ٧٢٥، ٧٤٨،

٧٦٨، في ١٣٦٨/١/١٣هـ "عبدالله عبدالجبار : (في الميزان: فكرة للأستاذ: أحمد السباعي)".

٧٧٠، في ١٣٦٨/١/٢٠هـ "ضياء الدين رجب:(في الميزان فكرة للأستاذ أحمد السباعي".

٧٧٨، في ١٣٦٨/٢/١٨هـ -١٩٤٨م "أحمد السباعي(فكرة كما يراها الأدباء والنقاد".

٧٩٠، ٩٤٤،

٢٨١٦، في ١٣٧٨/١/٢٢هـ "عبدالله عريف مقالة (يوميات مجنون)".

ثانيا: الجزيرة:

ع: ٨٦٠٦، في ١٤١٦/١٢/٣هـ - ١٩٩٦م "د. معجب الزهراني (حول المعنى قراءة في أيامي لأحمد السباعي)".

٨٦٣٤، في ١٤١٧/١/٢هـ – ١٩٩٦م "د.معجب الزهراني (حول المعنى قراءة في أيامي لأحمد السباعي)".

ثالثا: صوت الحجاز:

ع: ٢٨، ٣٠، ٤٨، ٥٠، ٦٣، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤،

رابعا: عكاظ:

ع: ٥٧٣٥، ٦٨٢١،

خامسا: المدينة المنورة:

المدينة في ١٣٨٦/٧/٢٨هـ

ع: ٥٤٩١، في ١٤٠٢/٦/٦هـ

٥٥٦١، في ١٤٠٢/٨/١٠هـ.

جريدة المدينة الملحق الأدبي في ١٣٩٨/٤/٦هـ "عبدالله العباسي: افتتاحية المسرح السعودي وأحمد السباعي".

جريدة المدينة ملحق الأربعاء في ١٤١٦/٨/١٩هـ – ١٩٩٦م "د. عثمان صيني فقه المواضع".

جريدة المدينة ملحق الأربعاء في ١٤١٦/١١/١٨هـ مارس ١٩٩٦م، "د. حسن علي مختار، أحمد السباعي رائد المسرح السعودي وهذه الأدلة".

جريدة المدينة ملحق الأربعاء في ١٤١٩/١١/٨هـ فبراير ١٩٩٩م، "د. عبدالعزيز السبيل: مرحلة النشأة في الرواية السعودية".

سادسا: الندوة:

ع: ٣٣، ٤٠، ٥١، ٥٣،

٥٥ في ١٣٧٨/١/٢٦هـ "أحمد إبراهيم الغزاوي (يوميات مجنون)".

٥٧ في ١٣٧٨/٢/١هـ "عبدالله سلامة الجهني (مقالة يوميات مجنون)".

٥٧ في ١٣٧٨/٢/١هـ "الغزاوي (على هامش اليوميات)".

٥٨، ٦٦، ٦٩، ٧٣.

سابعا: المجلات:

أولا: الإذاعة السعودية:

العدد الأول السنة الأولى ربيع الثاني ١٣٧٥هـ: هيكل برامج الإذاعة ليومي الأحد ١٨ ربيع الثاني والسبت ٢٥ ربيع الثاني.

ثانيا: اقرأ:

ع: ٤٣٤، ٦٨٠، ٦٨١

ثالثا: الحج:

ع: ٤ شوال ١٣٦٦هـ، ع ربيع الأول ١٣٧٦هـ،

العدد الممتاز رقم (١١،١٢) جمادى الثانية ١٣٦٧هـ.

ع صفر ١٣٦٨هـ، ع جمادى الأولى ١٣٦٨هـ.

ع صفر ١٣٧٠هـ.

رابعا: الدارة:

س ٢٣، العدد الثاني ١٤١٨هـ "د. عالي سرحان القرشي: حركة اللغة في قص السباعي".

خامسا: عالم الفكر:

المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث يناير – مارس ١٩٩٧م "جميل حمداوي: السيميو طيقا والعنونة".

المجلد السادس والعشرون، ع٢، ١٩٩٧م "د. عبدالستار العوني: مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم".

سادسا: العرب:

الربيعان ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ج (٩، ١٠)، س١٨.

سابعا: العربي:

ع ٤٢٦، س٣٧، مايو ١٩٩٤م "د. عبدالستار العوني" الترقيم في اللغة العربية".

ثامنا: علامات:

النادي الثقافي بجدة، رجب ١٤١٥هـ، م٤، ج١٤"د. صالح الغامدي: (السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم)".

و ذوالقعدة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، م٦، ج٢٣ "رشيد بنحدو: (كتابة الماضي بالمضارع تأملات في السيرة الذاتية)".

تاسعا: فصول:

المجلد ١٣، ع١، ربيع ١٩٩٤م "د. محمد رجب النجار: قصص الحب في الليالي، البني والوظائف".

م ١٣، ع٢، صيف ١٩٩٤م "د. محمود علي مكي: حكاية تودد الجارية".

عاشرا: الفيصل:

ع: ٨١، ربيع أول ١٤٠٤ – ١٩٨٣م.

ع: ١٤٩، ذو القعدة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، "د. منصور الحازمي: (البيئة المحلية في قصص أحمد السباعي".

حادي عشر: القافلة السعودية:

ع: ٦ جمادى الثانية ١٣٨٩هـ "عبدالسلام الساسي (من رواد الأدب السعودي".

ع: ٧، مجلد ٣٧، رجب ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م "نادر السباعي: خالي كد رجان ملامح للقصة السعودية وبداياتها".

ثاني عشر: قريش:

ع: ١، ٢٣، ٣٤،

٤٠ في ١٣٨٠/٢/٢٢هـ "عبداللطيف حمزة الذوق الصحفي في كتابة العنوان".

ع: ٥٠، ٦٤، ٦٩، ٨٦، ٩٢، ٩٤ ١٠٥، ١١٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٤،

ثالث عشر: قوافل:

النادي الأدبي بالرياض، س٣، ع٦، شوال ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م "علي السعيد: المسرح في المملكة العربية السعودية دراسة تاريخية".

س ٤، م٤، ع٧، ربيع الثاني ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م "د. معجب الزهراني (الرواية المحلية وأشكالية الخطاب الحواري)".

م٦، ع١١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م "عبدالله الحيدري: عرض موجز لأبرز كتب السيرة الذاتية السعودية".

رابع عشر: كلية اللغة العربية بالمنصورة، مصر:

العدد الرابع عشر، الجزء الثالث، شوال ١٤١٥هـ – مارس ١٩٩٥م "د. عبدالمحسن القحطاني: مرصاد الفلالي وإنجاز النقد المبكر".

خامس عشر: مكتبة الملك فهد الوطنية:

م٢، ع١، محرم – جمادى الأخرة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م "عبدالله الحيدري: السير الذاتية في الأدب السعودي: ببلوغرافيا".

سادس عشر: المنهل :

مج٢، جزء ١٠، رمضان ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م.

العدد ٤، ٥، المجلد السابع ١٣٦٦هـ في ١٣٦٧/١٢/١٤هـ "نشر بعض فصول من رواية فكرة".

المجلد الثامن، جزء ٦، جمادى الثانية ١٣٦٧هـ.

المجلد الثامن، ج١١، ١٢، ذوالقعدة وذو الحجة ١٣٦٧هـ "فصل بعنوان فلسفة الحب".

المجلد التاسع، ج٧، رجب ١٣٦٨هـ، "فصل بعنوان (فلسفة الجن)".

العدد ٧، رجب وشعبان ١٣٧٤هـ، مارس وأبريل ١٩٥٥م.

العدد السنوي، شوال وذوالقعدة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م "د. طه وادي: جماليات القصة والرواية الحديثة".

ثامنا:المحاضرات واللقاءات:

١ـ أسامة السباعي، وزهير السباعي: الجوانب الأخرى من حياة الأديب أحمد السباعي، محاضرة مسجلة صوتيا ألقياها في نادي مكة الثقافي الأدبي بتاريخ ١٤٠٥/٥/١٦هـ.

٢ـ لقاء أجريته مع شريكه في الطوافة السيد/ عبدالله بخاري في منزله بمكة المكرمة يوم الجمعة ١٤١٦/٧/٩هـ الساعة ٤,٥-٥.٥.

٣ــ لقاء أجريته مع ابن أخت الكاتب السيد/ محمد سعيد حلبي، بمنزله في مكة المكرمة يوم الأحد ١٤١٧/١٠/٢٣هـ، الساعة ١١,٥ ظهرا.

٤ــ لقاء أجريته مع ابن الكاتب د. زهير السباعي في فندق قصر الباحة يوم الأربعاء ١٤١٩/٦/٢٤هـ، الساعة ٨,٥ صباحا.

تاسعا: المكالمات الهاتفية:

١ــ مكالمة هاتفية أجريتها مع الأستاذ زاهر قدسي في يوم الثلاثاء ١٤١٧/١٢/١هـ الساعة ٨ مساء.

٢ــ مكالمة هاتفية أجريتها مع ابن الكاتب أسامة السباعي يوم الاثنين ١٤١٧/١١/١٥هـ.

فهرس
الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
تمهيد: حياته	١٠
الباب الأول: المقالة دراسة موضوعية فنية.	٢٧
الفصل الأول: المقالة وأنواعها	٢٩
١) **المقالة الوصفية**	٣٠
أ ــ وصف الطبيعة .	٣١
ب ــ وصف الرحلة .	٣٥
٢- **المقالة السياسية :**	٤٤
أولاً: محور الأحداث الوطنية .	٤٤
ثانياً : محور الأحداث العربية والإسلامية	٤٧
ثالثاً: محور الأحداث العالمية .	٥٦
٣- **المقالة الاجتماعية :**	٥٨
تمهيد : الأدب والمجتمع	٥٨
أ. المرتكزات والأسس التي قامت عليها .	٦٢
ب. أبرز القضايا .	٨٣
أولاً: قضايا المرأة .	٨٣
١) التعليم .	٨٣
٢) عملها .	٩٢
٣) قضاياها الأخرى .	٩٥
ثانياً: قضايا التربية والتعليم :	٩٧
١ــ المطالبة بتعليم البنات.	٩٧
٢ــ أساليب وطرق التدريس .	٩٧
٣ــ التعاون بين البيت والمدرسة .	١٠٦
٤ــ الاهتمام بوسائل التعليم المساعدة .	١٠٧
٥ــ التوسع في التعليم ومحو الأمية .	١٠٩
٦ــ الاهتمام بالتعليم العملي / المهني .	١١٢

٧ــ إعداد المعلم الكفء وتقديره .	١١٥
ثالثاً: تشجيع مشاريع النهضة :	١١٧
أ. مشروع القرش .	١١٧
ب. الصناعة .	١٢٣
ج. الزراعة .	١٢٤
د. المواصلات	١٢٥
ه. السياحة الداخلية.	١٢٥
و. الخدمات الصحية .	١٢٦
ز. مشاريع ومقترحات أخرى .	١٢٦
رابعاً: نقد العادات والسلوكيات الخاطئة .	١٣١
أ. محاربة الخرافات والشعوذة .	١٣١
ب. نقد تربية الأبناء .	١٣٨
ج. نقد بعض سلوكيات البيع والشراء .	١٤٠
د. نقد سلوكيات المناسبات .	١٤١
ه. نقد سلوكيات بعض الموظفين .	١٤٤
و. نقد سلوكيات بعض الأغنياء ومحدثي النعمة .	١٤٥
ز. نقد سلوكيات بعض الشباب .	١٤٦
ح. نقد سلوكيات السفر وظاهرة التسول .	١٥٠
ط. التنبيه إلى بعض السلوكيات الحميدة .	١٥٢
٤-المقالة التاريخية :	١٥٦
كتاب (تاريخ مكة)	١٥٦
٥-المقالة الدينية :-	١٦٨
كتاب (المرشد إلى الحج والزيارة)	١٦٨
مقالات أخرى .	١٦٩

الفصل الثاني : الخصائص الموضوعية والفنية	١٧٢
أولاً : الخصائص الموضوعية لفن المقال	١٧٣
١-الواقعية	١٧٣
٢-الأصالة .	١٧٦
٣-الصدق وقوة العاطفة .	١٧٦
٤-الثراء كماً وكيفاً.	١٧٧
٥-الريادة والأسبقية .	١٧٨
٦-الخلفية التربوية والنفسية .	١٨٠
ثانياً : الخصائص الفنية	١٨٣
١-مقاربة لجماليات العناوين ودلالاتها	١٨٣
العنوان لغة واصطلاحاً	١٨٣
أولاً : عناوين الكتب : - .	١٨٤
أ- يوميات مجنون .	١٨٤
ب- دعونا نمش .	١٩٤
ج- قال وقلت .	٢٠٠
د- أوراق مطوية .	٢٠٢
ه- سباعيات .	٢٠٣
ثانياً: عناوين المقالات :-	٢٠٥
١-ما يحمل عنواناً ثابتاً .	٢٠٥
٢-ما يحمل عنوناً مباشراً .	٢٠٦
٣-ما يرد في صورة تساؤل .	٢٠٦
٤-ما هو طريف ومشوق .	٢٠٧
٥-ما يتضمن سخرية الكاتب .	٢٠٧
٦-ما يدل على تجارب شخصية .	٢٠٧
٧-ما يحمل دلالات نفسية وتربوية	٢٠٧
٨-ما يحمل عنوناً تاريخياً .	٢٠٨
٩-ما يكون مثلاً .	٢٠٨
١٠- ما يكون جزء من بيت شعر .	٢٠٨
١١- ملاحظات أخرى :-	٢٠٩

أ- الطول وكثرة المتعاطفات .	٢٠٩
ب- استخدام اللفظ العامي	٢٠٩
٢ـــ بناء المقال ومصادره	٢١٠
٣ـــ التلوين الأسلوبي البديعي	٢١٣
أ- الإقتباس.	٢١٤
ب- التضمين.	٢١٦
ج- الطباق والمقابلة.	٢١٩
د- الجناس	٢٢٠
ه- السجع.	٢٢١
و- التكرار.	٢٢١
ز- الترادف.	٢٢٣
٤ـــ الخيال.	٢٢٤

الباب الثاني:السباعي قاصاً	٢٣١
الفصل الأول: الرواية دراسة موضوعية فنية	٢٣٢
مقدمة عن الرواية	٢٣٣
أولاً : رواية (فكرة)	٢٣٤
مقدمة (تمهيد وعرض)	٢٣٥
١-الأفكار والمضامين .	٢٣٧
٢-الأفكار والمضامين والطرح الرومانسي .	٢٤٠
٣-البناء الروائي	٢٤٨
أ. الأحداث الروائية .	٢٤٨
ب. المكان والزمان.	٢٥٤
ج. الشخصيات .	٢٥٧
د. الأسلوب :-	٢٦٣
١-السرد والحوار .	٢٦٣
٢-الوصف والتصوير .	٢٦٥
٣-الوظائف التي قام بها الوصف .	٢٦٨
٤-الأسلوب التصويري .	٢٧١
ثانياً : رواية (فلسفة الجن)	٢٧٧
مقدمة : (تمهيد وعرض)	٢٧٨
١-الأفكار والمضامين.	٢٧٩
٢- المضامين والطرح الرومانسي	٢٨٥
٣-البناء الفني :-	٢٨٨
أ. السرد والأحداث.	٢٨٨
ب. الإطار التراثي والمضمون العصري .	٢٩٢
ج. الحوار .	٣٠١
د. الزمان والمكان .	٣٠٢
ه. الشخصيات .	٣٠٤
٤ــ ملاحظات أخرى .	٣٠٩
ثالثاً : رواية (مطوفون وحجاج)	٣١٠
تمهيد	٣١٠

١-الأفكار والمضامين والأحداث .	٣١١
٢-البناء الفني :-	٣١٦
أ. الزمان والمكان .	٣١٦
ب. الشخصيات .	٣١٨
ج. السرد ، طريقة البناء والأسلوب .	٣٢١
د. الحوار .	٣٢٣
الفصل الثاني : القصة القصيرة دراسة موضوعية فنية	٣٢٦
تمهيد (مقدمة وعرض)	٣٢٨
١-المضامين والأفكار .	٣٣٣
٢-البناء الفني :-	٣٣٩
أ. السرد والحوار .	٣٣٩
ب. الزمان والمكان .	٣٤٧
ج. الشخصيات .	٣٥٥
الفصل الثالث: السيرة الذاتية دراسة موضوعية فنية	٣٥٨
❖ فن السيرة الذاتية في الأدب العربي .	٣٦٠
❖ ريادة الكاتب .	٣٦٠
❖ مسمى سيرته ، طبعاتها ، موضوعاتها .	٣٦١
❖ البناء الفني :-	٣٦٦
أ. الزمن في السيرة .	٣٦٦
ب. المكان في السيرة.	٣٧٨
ج. الشخصيات .	٣٨٣
د. الصراع	٤٠٥
ه. الأسلوب :-	٤٠٩
١-الحوار	٤٠٩
٢-السرد	٤١٣
٣-أسلوب وقالب التعبير .	٤١٩
٤-الموضوعات بين الفنية والتقريرية .	٤٢٠
٥-النزعة الشفاهية بتوظيف العبارات الشعبية والتعليمية .	٤٢١
٦-توظيف علامات الترقيم .	٤٢٧
الخاتمة	٤٣٠
ملحق بمقالات الكاتب في الصحف والمجلات	٤٣٥
فهرس المصادر والمراجع	٤٥٦
فهرس الموضوعات	٤٩١